جمع وترتيب
محمد جمال صادق أبه زاو

موسوعة

تاريخ القفقاس والجركس

منشورات دار علاء الدين

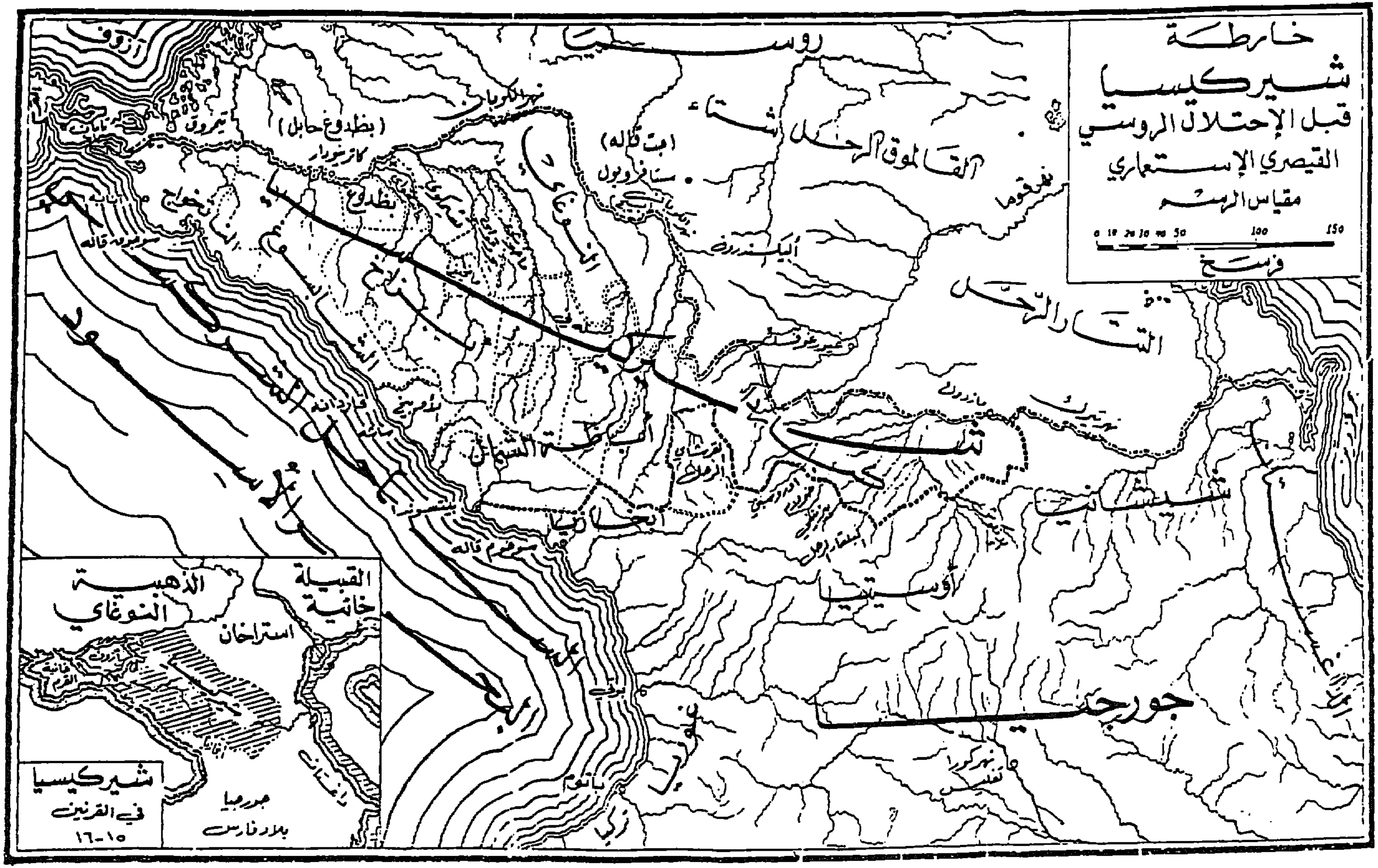
دار علاء الدين

دمشق / ١٩٩٦ / ـ ١٠٠٠ نسخة

التنضيد الضوئي : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
الإخـراج الفني : ناصر شهاب الدين

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دار علاء الدين ـ دمشق ص.ب : ٣٠٥٩٨
هاتف : ٥٦١٧٠٧١ ـ ٢٣١٧١٥٨
فاكس : ٢٣١٧١٥٩
تلكس : ٤١٢٥٤٥


خارطة
شيركيسيا
قبل الإحتلال الروسي
القيصري الإستعماري
مقياس الرسم
0 10 20 30 40 50 100 150
فرسخ
روسيا
القالموق الرحل
التتار الرحل
نهر الكوبان
ستافروبول
الكسندروف
شيشانيا
أوسيتيا
جورجيا
تفليس
نهر كورا
باتوم
تركيا
أزوف
تيروق
(بظدوغ حابل)
بظدوغ
(أبت قاله)
ابظاخ
شبسوغ
الأبظاخ
القبرطاي
قوبرطيا
قبرطاي
سوخوم قاله
نفرقوما
البحر الأسود
شيركيسيا
في القرنين
١٥-١٦
القبيلة
خانية
الذهبية
النوغاي
استراخان
جورجيا
بلاد فارس

تقدمـــــة

كان الشراكسة والقراء والمكتبة العربية بحاجة إلى كتب مختلفة أو موسوعة فيها كل المـــواضيع أو الأجـــوبة عن التساؤلات حــول أصـــل الشـــراكسة وخصائصهم الإثنية (السلالية) وتاريخهم القديم وحروبهم ضد أعدائهم في القفقاس - وعلى الأخص الحروب القفقاسية الروسية وأسباب التهجير ، وبعض العادات الرئيسة والقيم ، إلى غير ذلك من المواضيع الشركسية الهامة .

وقد تصدى لهذا العمل الكبير فرد واحد ظلّ أكثر من عشرين عامًا يترجم ويكتب لإملاء هذا الفراغ وتحقيق هذا الهدف العظيم ، ألا وهو المؤرخ محمد جمال صادق . فقد ترجم بعض الكتب الشركسية واقتبس منها مباشرة المعلومات التاريخية ، كما اقتبس من الكتب المؤلفة باللغة العربية أو المعربة . وإذا كانت هناك بعض النقاط تتلب بعض التعاريف أو إضافة بعض المعلومات فهذا لا يقلل من شأن هذه الموسوعة التي تتطلب فيها جمع المعلومات التاريخية ونقل وتثبيت نصوص المؤلفات فيها ، فهل هي جمع وإعداد أم تأليف . لقد فضل الكاتب المؤرخ تعبير الجمع والإعداد لسبب بسيط هو أن هذه النصوص قد أبقاها كما هي دون مزجها وإخراجها بنص تاريخي واحد في كل موضوع يتضمن مختلف النصوص والمقتطفات حتى يعرف القارىء بنفسه ماذا يكتب كل مؤرخ ، وكيف يتعرض عدة مؤلفين للموضوع الواحد كل حسب طريقته وأسلوبه وحسب معلوماته التي توصل إليها .

ومع أن المؤرخ قد أضاف رأيه في كل موضوع فضل للسبب المذكور أن يعتبر عمله الكبير جمعًا وإعدادًا لا أكثر .

إن الموسوعة تحوي كثرة كثيرة من المعلومات التي لا تنضب ، حتى أن أي مثقف أو مختص بالتاريخ ومطلع اطلاعًا واسعًا ، يجد أن الكثير من هذه المعلومات الواردة في الموسوعة كانت خافية عليه ، ولم يقرأها ولم يطلع عليها .

لقد ظهرت بعض النظريات الحديثة عن أصل الشعوب القفقاسية بعد التحليل العلمي للغات القفقاسيـــة الأصليـــة والدراسات المختلفة لهذه اللغات سواء في الاتحاد السوفييتي (سابقًا) أو أمريكا ولكن هذا لا يقلل من شأن الموسوعة ، التي تحتوي على المعلومات الكثيرة القيمة .

والدراســـات الحديثـــة عن الأصل القفقاسي واللغوي تتركز في نقطة واحدة ، وهي أن العرق القوقازي يتألف من الهنـــود الأوربيين وغيرهم ، وكذلك الشعوب القفقاسية الأصلية . ولكن هؤلاء يختلفون لغويًا اختلافًا تامًا عن الهنود الأوربيين . فإذا كان

القفقاسيون ينتمون سلاليًا إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط ، إلا أنهم لغويًا ينتمون إلى أسرة اللغات القفقاسية البينيسية ذات الصلة الوثيقة باللغة الحاثية الكاسكية والتي تسمى باللغات الأناضولية ، والتي لا علاقة لها باللغة الهندية الأوربية إلا من حيث الاقتباس الواسع المتبادل.

والقرابـــة السلاليـــة للقفقاسيين مع الهنـــود الأوربيين ناشئة بسبب ذوبان السارمات و السكيت وقسم من الآلان في البوتقة القفقاسية وعلى الأخص السارمات القفقاسيين والكيميريين القفقاسيين . وذوبان الشعوب القفقاسية (الإيبيريه وليست لهم علاقة بالجورجيين) الأوربية القديمة بين الشعوب الهندية ـ الأوربية المقيمة الآن في أوروبا ووجود الكلمات الكثيرة المشتركة في هذه اللغات يدل على الاقتباس المتبادل الحاصل في القفقاس وفي أوروبا .

إذن ، إذا تركنا الصفات الانتروبولوجية المشتركة بشكل وثيق بين الهنود الأوربيين والقفقاسيين ، واعتبرنا أن اللغة هي العامل المحدد الحاسم في إظهار القرابة مع الشعوب الأخرى أو مع أسر الشعوب الأخرى سنجد أن لغة الحوريين هي قفقاسية شرقية وكذلك لغة الأورارتو .ولغة الباسك قفقاسية غربية . ويمكن إذ ذاك أن نعتبر الحوريين شعبًا غير هندي أوروبي (غير آري) . وكذلك الشعوب القفقاسية الأصلية الشركسية كالداغستانيين والشيشان والآديغة في إقليم قبرتاي وإقليم شركيسيا وإقليم آديغي في الكوبان وساحل البحر الأسود . وكذلك الأبخاز ـ الأباظة . أما الجورجيون فهم من أصل هندي أوربي قديم وهجرتهم هجرة طارئة على القفقاس ، وهذه الهجرة فصلت شعب القفقاسيين ـ الأناضوليين إلى شعبين قفقاسي وأناضولي .

لتحديد الأصل السلالي أو اللغوي أهمية كبيرة بالنسبة لإقليم القفقاس بالذات ... حتى يعرف من هو القادم ومن هو صاحب البيت .

فالروس والأوكرانيون والقوزاق هم مهاجرون مستوطنون ولا توجد أية قرابة أثنية أو لغوية أو دينية بين القفقاسيين وبينهم ، سواء في منطقة الداغستان أو الشيشان أو المناطق الشركسية الوسطى أو الغربية . فالروس مستعمرون استيطانيون وقد هجروا الشراكسة من وطنهم الأم ولم يبق سوى عشر السكان الأصلي في بلاده بسببهم .

إننا إذ نشكر المؤرخ محمد جمال صادق (أبه زاو) على هذا العمل الكبير المتألق نرجو له العمر المديد .

الجمعة ٤ / ٨ / ٩٩٥

الدكتور زهدي سطاس

المقدمة

هذا موضوع جديد وطريف فهو عن التاريخ القديم والحديث للقفقاس، جديد ليس فقط بالنسبة لقراء العربية، بل للعالم أجمع، فإن تاريخ القفقاس والشركس لم ينشر إلى الآن بشكل كتاب جامع شامل ، وإنما وردت عنه في العديد من الكتب العالمية بعض المقاطع بشكل أخبار مقتضبة ، ليست من الدراسة التاريخية الموسعة.

إن هذه المنطقة من العالم ظلت تتغلغلها الأسرار وتحيط بها الأوهام والخيالات منذ أن ظهرت في الشرق قصص جبال قاف التي تحيط بها هالة من الأسرار العجيبة والحوادث الغريبة، وحكايات طريفة عن كمائن لامثيل لها و ثروات لا حصر لها وأنواع من الجن والمردة و السحرة التي تسكنها.

فلما استولت عليها روسيا أحاطتها بستار كثيف من الغموض المفترض، وغلفها بجو من الكتمان والعزلة، والإيحاء بعدم أهمية هذه المنطقة ، والدعاية بأن شعوبها ليسوا سوى جماعات من الهمج لا حضارة لهم.

وفي العهد البلشفي الشيوعي قضي على شخصية وكيان القفقاس الأصلي، وأغرقوه بسيل من المستوطنين الروسيين وغيرهم من قوميات الاتحاد السوفياتي حتى زادت نسبتهم عن نصف الوطنيين، وأصبحت مقاطعه روسية صرف في إدارتها. واطلقت الأسماء الروسية على كل شيء فيها ... البلدان والقرى والجبال والوديان والسهول والأنهار والبحيرات ... كل شيء فيها يحمل أسماء روسية والطابع الروسي، وضربوا حولها ستارًا حديديًا كثيفًا يحجبها عن العالم الخارجي.

على أن علماء الجغرافيا والتاريخ، وكذلك السياسيين والعسكريين والإقتصاديين، بدؤا يتجهون بأنظارهم المشوقة نحو القفقاس، وذلك حين كشفت لهم دراساتهم عن الأهمية

البالغة التي يتمتع بها هذا القطر : فالمؤرخون كلما تعمقوا في دراسة تاريخ البشر والحضارات القديمة، يجدون أنظارهم تتجه إلى القفقاس كمنشأ لأولى الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ، وكمهد لإكتشاف واستخدام المعادن ، وخاصة الحديد، وكذلك ممارسة الزراعة المروية المنتظمة ، التي انتشرت منها إلى وادي الرافدين وأطراف العالم القديم.

وثمة صفة أخرى ، وهو أنه كان يحوي نماذج من البشر ، قرر بعض المؤرخين أنهم كانوا أميز وأحسن مثال للعرق الأبيض ، حتى أن معظم المؤرخين الغربيين ، وإلى يومنا هذا ، يقولون عن العرق الأبيض من البشر (العرق القفقاسي).

والجغرافيون يشيدون بما لهذا القطر من مميزات طبيعية ، تتبدى باحتوائه على الجبال الشاهقة والغابات الكثيفة والسهول الخصبة والنجاد النضره ، وفي جودة مناخه وخصب تربته ووفرة مياهه واحاطته بالبحار الداخلية.

أما رجال الاقتصاد فقد ادهشتهم بثرواته الطبيعية الظاهرة والدفينة، فقد تبين لهم أخيرًا أن ما بين البحر الأسود وبحر الخزر منطقة بترولية من أغنى المناطق بالترول في العالم ، لدرجة أنها كانت تؤمن احتياجات روسيا السوفياتية من هذه المادة التي هي دم الاقتصاد والسياسة، كما أن جبالها تحوي أهم أنواع المعادن بوفرة، وخاصة الحديد عصب الصناعة، ثم إن مزارعها وبساتينها من أخصب البقاع في الاتحاد السوفياتي سابقًا وأوفرها انتاجًا وغلات.

أما رجال السياسة فقد تنبهوا إلى مالهذا القطر من اهمية استراتيجية وعسكرية وسياسية ، لكونه همزه الوصل بين آسيا وأوربة ، ولوقوعه في قلب العالم القديم وعلى الطرق البحرية والنهرية والبرية بين الشرق الأقصى والغرب الأقصى، ولأنه القلعة الحصينة التي تشرف منها روسيا على العالم القديم والجديد، والقارة الآسيوية كلها.

حضرة القارىء الكريم :

في عام ١٩٦٠م وقع في يدي كتاب (قفقاسيا في التاريخ) لمؤلفه الجنرال اسماعيل برقوق : والكتاب مؤلف حديث ، باللغة التركية ومطبوع بالحروف اللاتينية في استانبول عام ١٩٥٨م .

والمؤلف اسماعيل برقوق جركسي الأصل من قبيلة القبارطاي ومن التبعة التركية ولد ونشأ في قرية جركسية بولاية سيواس ، وتوصل إلى رتبة جنرال في الجيش التركي، ثم تولى تدريس التاريخ الحربي في الكلية العسكرية بأنقره ثم أصبح عضوًا في المجلس النيابي التركي نائبًا عن ولاية سيواس.

وبعد قراءته أعجبت به كثيرًا وقررت ترجمته إلى اللغة العربية لأضافته إلى كتاب (تاريخ

القفقاس) تأليف مت جونا توته يوسف عزة باشا والذي ترجمه إلى العربية ونشره خوستوقه عبد الحميد غالب بك في مصر، وفي جمع هذين الكتابين مصدر حسن لمن يريد الاطلاع عليه من قراء العربية ومحبي التاريخ.

على أني ما كدت افرغ من الترجمة في ٥ أيار ١٩٦١م حتى وجدت نفسي حائرًا مضطرًا إلى البحث عن مصادر تاريخيه جديدة لكي استطيع تكوين فكرة واضحة ومعلومات صحيحة عن كثير من علامات الاستفهام التي ارتسمت في ذهني ، سيما وأني كنت أمر ببعض المعلومات والحوادث دون أن أتفهمها جيدًا .

لذلك قررت مطالعة التواريخ وتوسيع معلوماتي، وقادتني هوايتي الجديدة للوقوع في شراك سحر التاريخ، والواقع أني وجدت نفسي أمام معلومات جديدة مثيرة تتعلق بتاريخ القفقاس القديم والحديث منثورة في الكتب، فقررت التوسع في أبحاث الكتاب ، وهكذا أصبح القسم الأول من كتابي هذا ، الذي سميته مبدئيًا (موسوعة تاريخ القفقاس والجراكسه) ، شبه تاريخ عام جمعت فيه معلومات مركزه مهمة عن الحضارات الأولى وعن التاريخ القديم ومع الإشارات الواضحة على علاقة تلك الحضارات والشعوب بالقفقاس الذي نحن بصدد كتابة تاريخه.

والمعلومات التي أوردتها في هذا الكتاب ، جمعتها من مختلف المصادر ورتبتها حسب المواضيع التي بحثت عنها ، مع الاشارة إلى مصادرها في الهامش ، فكان عملي هذا جمعًا وترتيبًا وليس تأليفًا.

ورغمًا من أن الجامعات الكثيرة الكبرى في أنحاء العالم قد احدثت في كلياتها فروعًا لدراسة (القفقاسيات) دراسة علمية تاريخية، فإننا لا نجد في تركيا والبلاد العربية وإيران، والبلاد الاسلامية الأخرى ، لا في المدارس المتوسطة ولا الثانوية ، ناهيك عن الكليات الجامعية ،لانجد أي ذكر عن القفقاس والجراكسة ،لا في التواريخ ولافي الجغرافية رغمًا عن العلاقات الوثيقة التاريخية والسكانية منذ أوائل الفتوحات العربية ووجود الكتل المهاجره من الجراكسة المقيمين فيها، واسهامهم في تكوين الهوية البشرية لهذه البلاد ، بل أن هذه المدارس والكتب ووسائل الاعلام تحجم حتى عن الاشارة إليهم

والسبب هو (عقدة الجراكسة) ، فأول ما تعرف الاتراك والعرب والعجم على الجراكسة ، وهم من ذوي الأمجاد التاريخية العريقة، تعرفوا عليهم. كحفنة من المماليك، حكموا البلاد العربية ، وقاوموا الإمبراطورية العثمانية قرنًا ونصف قرن من الزمان، وقهروا الجيوش الايرانية في العراق والموصل فكان ذلك مثارًا للعداء، والحقد ، لذلك ترى الكتب التركية والعربية، لاتتحدث إلا عن الجانب الأسوأ من حكم المماليك مع المبالغات ، اللهم إلا ما ندر من المؤرخين المنصفين، الذين لاينسون ذكر الحسنات والخدمات.

ولكن عندما تم تهجير الجراكسة عام ١٨٦٤م وما بعد إلى الممالك العثمانية وتوزعوا في الأقطار، ورغما عن كونها مهد الحضارات والمدنيات السابقة، ففي ذلك الزمان، كان فيها الجهل منتشرًا والتأخر الحضاري ضاربًا أطنابه في القرى والمدن، في ذلك الوقت كان الجراكسة المهاجرون يتميزون بآدابهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم الإجتماعية والمعيشية ، كما أنهم حيثما حلوا كانوا يفرضون احترامهم وتقديرهم ويشكلون طائفة متفوقه رغم غربتهم وفقرهم وجهلهم وهذه ناحية مهمة جدًا ، وكان ذلك يدعو إلى النفور منهم والحسد والكراهية لأن أصحاب الأمجاد التاريخية في أدوارهم المتأخرة (وليس أولئك المساعير النجباء الذين بنوا تلك الأمجاد السالفة والحضارات السابقة) كانوا غارقين في أحلام الماضي لايطيقون أن يروا من ينافسهم ، والحقيقة أن الجراكسة كقرويين ، كانوا في ذلك العهد ، من أرقى القرويين في العالم.

وهكذا فالملاحظ أن منطقة القفقاس تبقى دائما في منأى عن التناول في أبحاث المؤرخين، ولعل ذلك عائد إلى قلة المعلومات والمصادر التاريخية وتفرقها في تضاعيف كتب الشرق والغرب، ولعل ذلك راجع إلى الغموض الذي يكتنف تاريخ هذا الشعب الذي لم يعتد التحدث عن نفسه ، لعدم وجود كتابة له كما لم يهتم بترك الآثار والأوابد التي تنبىء عنه .

ثم إن المؤرخين لم يتمكنوا من دراسة تاريخ الجراكسة في بلاد الجراكسة، لعدم تمكنهم من دخولها في الماضي بسبب الأحوال المضطربة فيها، خاصة في القرون الأخيرة، فابتداء من تحركات الشعوب الآرية قبل الميلاد، وهجرات الشعوب الطورانية الصفراء من المغول والتتار والترك بعد الميلاد، كانت قفقاسيا ساحة لتلاطم تلك الأمواج البشرية، لاتنقطع فيها الغزوات الكاسحة والحروب والحقيقة أن الجراكسة لم يستطيعوا أن يتنفسوا الصعداء مدة تزيد عن الألفين من السنين، كانوا يتعرضون فيها دائمًا لغزوات خارجية من أقوام همجية ذات سطوة وغلظة وجبروت في الحروب ، لا تكاد موجة منها تمر حتى تلاحقها موجات أخرى أشد هولًا وأنكى مما أضاع على الجراكسة أية فرصة لممارسة الأعمال الحضارية ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والمدني .

ومنذ القرن الثالث عشر للميلاد الذي تشكلت فيه دولة الجيش الذهبي في جنوب روسيا وشمال القفقاس، فقد تجمعت هناك تلك القوى المغولية الغاشمة التي أحرقت بنارها الشرق والغرب والبلاد الاسلامية واتخذتها مركزًا لتجمعها، وما اعقب ذلك من خانيات أجدرهان واستراخان والقرم، وتوالي القبائل التركية المهاجرة، ثم توسع الامبراطورية العثمانية حتى نهر الفولغا ، فلقد نكب الجراكسة باعتداءات هاته القوى القاهرة .

ومن ثم ظهرت القوة الروسية فقضت على خانيات قازان واستراخان في أواخر القرن

السادس عشر، وظلت خانية القرم ثابتة، وانطلق التوسع الروسي بشكل حروب استعمارية مخططة مبرمجة في القفقاس فامضى الجراكسة مدة حوالي ثلاثمائة سنة، يقارعون جيوش دولة كبرى تفوقهم أضعافًا مضاعفة بالعدة والعدد.

لقد تضافرت هذه الأحوال الخطرة في عدم تمكن العلماء من دراسة تاريخ القفقاس لأن تجوال العلماء فيها كان امرًا محفوفًا بالأخطار وغير مأمون العواقب.

ولعل من الأسباب الكبرى لأهمال المؤرخين ما كان يذيعه الروسيون عن الجراكسة من دعايات مغرضة ينعتونهم فيها بالهمجية والوحشية، ويمنعون دخول الأجانب إليها، مع أن الواقع الحضاري للجراكسة كان متميزًا كثيرًا عن الحياة في روسيا ففي روسيا كانت هناك طبقة متعلمة متمركزة في المدن الكبيرة لا تشكل عشرة بالمائة من الشعب الروسي، وفيها عدا ذلك كان دهماء وعوام الشعب الروسي غارقون في الجهالة يعيشون في ظروف حياتية متأخرة وعقلية جاهلية، منهمكون في شرب المسكرات الرديئة والحياة القذرة بين خنازيرهم ومواشيهم في بيوتهم بينما كان الشعب القفقاسي كله متميزًا بالنظافة والأخلاق الإنسانية المميزة .

لهذا كله، ورغم معرفة العلماء بأن القفقاس من المناطق الحساسة في العالم وتاريخ الإنسان والحضارات القديمة فقد كانوا يكتفون بإشارات عابرة ومعلومات قاصرة، تدل على أنهم ينتظرون الفرصة حتى يستطيعوا دراسة آثارها وشعوبها ولغاتها، ويتناولوها بالبحث العلمي، ولكن هذه الفرصة لم تسنح لهم حتى الآن فالستار الحديدي الروسي يحجبها عن العالم الخارجي.

وفي هذا الكتاب محاولة لإزالة هذا الغموض والكشف عن تلك المعميات، وإنارة جانب من جوانب التاريخ ظل مهملًا إلى الآن.

إن التوسع والتدقيق العلمي في دراسة التاريخ القفقاسي سيلقي الأضواء على جوانب مهمة جدًا من التاريخ القديم والحضارات الأولى التي ظلت مغلقة ومبهمة على الإفهام لحد الآن، وإن ذلك سينتهي باعطاء الجواب الشافي لعلامات الاستفهام الكبرى التي يرسمها المؤرخون في أذهانهم عند دراسة التاريخ القديم.

وألفت نظر القارىء الكريم، إلى أن هذا الكتاب يحوي بصورة خاصة البحث عن القفقاس الشمالي وشعبه الجركسي، هذا الشعب الذي نرى بعض جماعاته يعيشون في البلاد العربية منتشرين في قرى صغيرة في سورية وشرق الأردن وفلسطين، والذي لا يكاد أكثر الناس يعرفون عنهم سوى أنهم جراكسة فقط فهنا سيجد الراغب كل ما يمكن معرفته عنهم بكل وضوح وجلاء.

إن تاريخ الشعب الجركسي وما حفل من وقائع بلغت الذروة في الدفاع عن الوطن،

والجهاد والتضحية والبطولات في سبيل الحرية، وما حوته من أحداث جسام ونضال عنيف عنيد، من أمة قليلة العدد، ضد قوى هائلة من أعظم القوى التي اجتاحت العالم أجيالاً عديدة، لتصليح أن تكون المثل المحتذى من أمثلة الفداء والنضال والمقاومات الشعبية الرائعة، وإن الشعوب التي تناضل من أجل حريتها واستقلالها تستطيع أن تستلهم منها الحماسة والثبات، وتستخلص من دراستها العبر والعظات والمثل التي تهديها إلى الكثير من التدابير لتلافي الأخطاء ، وتسهل عليها تخطي العقبات.

في هذا الكتاب سيجد القارىء الكريم شرحًا وافيًا لكل ذلك، لأنه جديد كل الجدة على أفكار القراء واسماعهم ،، طريف مثير بما يحويه من اتجاهات تاريخية حديثة، وأبحاث ونظريات جديدة مؤيدة بشواهد من المكتشفات الأثرية والتواريخ العالمية.

وقد بدأت بالكتابة عام ١٩٦٠ وكان الانتهاء في عام ١٩٨٢ .

* ولا يسعني إلا أن أقدّم الشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وأخصُّ بالشكر المؤرخ الأستاذ برزج سمكوغ لمساهمته الجمة واهتمامه الكبير في نشر الكتاب .

---

* نقدم تواريخ منقولة عن المراجع للمقارنة بين الهجري والميلادي

عام ١٥١ هـ = ٧٦٨م عام ١٩٩هـ = ٨١٥م

عام ٢٠٥هـ = ٨٢٠م عام ٢٥٧هـ = ٨٧٠م

من تاريخ جودت ــ المجلد الثاني ــ صفحة ٢١٤ وما بعد :

عام ١١٥٠هـ = ١٧٣٩م عام ٨٠٣هـ = ١٤٠٠م (مجلد أول صفحة ٥٦)

١١ شعبان ١٢٩٣هـ يوافق ١٢٩٢ رومي شرقي يوافق ١٨٧٧م

يوم الثلاثاء ١٨جمادى الآخر عام ١٣٢١هـ يوافق ١٩ آب عام ١٣١٩ رومي شرقي يوافق ١٩٠٤م

يوم السبت في ١٦ شعبان عام ١٣٢١هـ يوافق ٢٥تشرين أول ١٣١٩ رومي شرقي يوافق ١٩٠٤م

أسماء مؤلفات تاريخية عن القفقاس والجراكسة وهي مراجع موجودة عندي حالياً

١ ـ **تاريخ القفقاس** : تأليف مت جونا توق يوسف عزت باشا، عربه ونشره بمصر، خوستوته عبد الحميد غالب بك. الجزء الثاني من هذا الكتاب مفقود لذلك لم يترجم من اللغة التركية ولم ينشر.

٢ ـ **قفقاسيا في التاريخ** : تأليف الجنرال اسماعيل برقوق ـ مطبوع في الأستانة عام ١٩٥٨م طبعاً باللغة التركية الحديثة والحروف اللاتينية. ولقد ترجمت هذا الكتاب كاملاً، وترجمته المخطوطة موجودة عندي ، وقد أخذت عنه الكثير في موسوعة تواريخ القفقاس التي جمعتها من مختلف المصادر.

٣ ـ **موجز تاريخ الجركس ـ بالعربية** : تأليف شورا نرغموقوه بكمرزه، التأليف بالروسية عام ١٨٤٢م ، ثم ترجم إلى الألمانية، وعنه تعريب شوكت المفتي (حبجوقه) ـ عمان ـ الأردن.

٤ ـ **أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز** : تأليف شوكت المفتي حبجوقه نشر بالعربية في القدس عام ١٩٦٢م .

٥ ـ **شمال قفقاسيا** : تأليف قادرجان قافلي : باللغة التركية والحروف الحديثة مطبعة الوقت بالأستانة عام ١٩٤٢م ـ ولقد عربت قسماً كبيراً منه وادرجته في موسوعتي هذه.

٦ ـ **ايقاظ المؤرخين** : تأليف الدكتور محمد علي بشيحالوق ـ باللغة التركية القديمة والحروف العربية ـ مطبعة حمص عام ١٩٢٠م .

٧ ـ **الإمام شامل أسد الداغستان** : تأليف حاغور طارق ممتاز ـ باللغة التركية الحديثة ـ مطبعة [ايشيق باسم أوي] الآستانة عام ١٩٤٦م ـ مؤلف من عدة أعداد يوجد عندي عدد واحد فقط.

٨ ـ **قفقاسيا ثروت منيعلري** : تأليف محمد فتكري شوؤنه ـ بالتركية القديمة ـ مطبعة آغارديان ـ استانبول عام ١٩٢٤م.

٩ ـ **جركستان نوتالري** : نشره محمد هاشم كونش، نقلاً من سياحات أوليا جلبي في قفقاسيا عام ١٦٦٦م ـ طبع في الأستانة ، عام ١٩٦٩م باللغة التركية الحديثة.

١٠ ـ **القفقاس الشمالي** : تأليف أحمد حزر حزال ـ باللغة التركية الجديدة، نشر في انقرة عام ١٩٦١م ـ ترجمته الكاملة موجودة عندي.

١١ ـ **الحياة والعادات في بلاد الجراكسة**: تأليف جباغي باز ـ بالتركية الحديثة ترجمته وتوسعت في أبحاثه بتفاصيل كثيرة.

١٢ ـ **تاريخ جودت** : تأليف جودت باشا ـ باللغة التركية والحروف العربية الطبعة الأولى عام ١٣٠٥هـ الموافق ١٨٨٣ / ١٨٨٤م والطبعة الثانية عام ١٣٠٩هـ ـ طبع في استانبول

المطبعة العثمانية ـ الكتاب مكون من ١٢ جزءاً مجلداً ـ في الأجزاء / ٢ ـ ٥ / معلومات مفصلة وتاريخية عن القفقاس والجراكسة وعن التتار وشبه جزيرة القرم ، والعلاقات والحروب العثمانية والروسية ـ استفدت منه كثيراً .

١٣ ـ ملحمة القفقاس : تأليف مارشال الاتحاد السوفياتي اندريه غريتشكو عربه اللواء الركن عبد الرزاق الدردري والعميد الركن عبد العزيز جركس طبع في دمشق عام ١٩٧١م .

١٤ ـ خمس محاضرات عن قفقاسيا : نشرت في الأستانة عام ١٩٧٧م باللغة التركية الحديثة.

١٥ ـ يا مجي ـ Yamci: مجموعة مقالات نشرت في نشرات عديدة، جمعها فخري خواز في كتاب (٥٦٠ صفحة) ـ مطبعة الشفق ـ استانبول عام ١٩٧٧ باللغة التركية الجديدة.

١٦ ـ من تاريخ كردستان ـــ درسيم : تأليف الدكتور م. نوري درسيمي ـ باللغة التركية الجديدة ـ طبع في مطبعة آني بالتلل في حلب عام ١٩٥٢م.

١٧ ـ صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية : تأليف عثمان الترك ـ باللغة العربية ـ طبع في حلب عام ١٩٦٠م .

ملاحظة ـ الكتب المذكورة اعلاه محفوظة لدي، بعضها اعارة احتفظ بها ـ لقد نقلت منها المعلومات اللازمة ، وسجلتها في كتابي هذا الذي أسميته (موسوعة تاريخ القفقاس والجراكسة).

إضافة إلى الكتب التي ذكرتها آنفاً فقد استفذت ونقلت عن نشرات دورية باللغة التركية كانت تصدر في تركيا وبولونيا وفرانسا وغيرها، وقد وقع في يدي بعض اعداد منها احتفظ بها، وقد ترجمت ونقلت منها وأضفتها إلى مجموعتي.

أما المؤلفات والكتب التاريخية الأخرى التي درستها للاطلاع على التاريخ العام وتوسيع ثقافتي التاريخية، فقد طالعتها في المكتبة الوطنية بحلب ، وكذلك في مكتبة المركز الثقافي في منبج. أذكر منها ما يلي:

الأرقام هي أرقام الكتب في المكتبة الوطنية بحلب:

ـ ١ ـ ٣٥٨ ب ـ تاريخ العالم ـ نشره بالانجليزية السيرجون آ . هامرتن. أشرفت على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم المصرية وهو من عدة مجلدات.

ـ ٢ ـ ٣١٦ ب ـ قصة الحضارة ـ تأليف ول ديورانت ـ ترجمة الدكتور ذكي محمود . اختارته وانفقت على ترجمته وطبعه الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

ـ ٣ ـ ١٠٠٢ و ـ النهج القويم في التاريخ القديم ـ تأليف هارفي بورتر ـ أستاذ التاريخ في

المدرسة الكلية الانجيلية في بيروت.

- ٤ - ١٦٣٨ و - وادي الرافدين - مهد الحضارة - تأليف السير ليونارد - لي - تعريب أحمد عبد الباقي.

- ٥ - ٤٥٣٥ / ٢١١٣ و - العصور القديمة ، تأليف هنري براستد ، عربه داوود قربان

- ٦ - ١٦٢٩ و - مقدمة الحضارات الأولى - تأليف غوستاف لوبون

- ٧ - ١٦٢٩و - حضارة الهند - تأليف غوستاف لوبون.

- ٨ - ٢٠٨٦ و - طبقات الأمم والسلائل البشرية - تأليف جرجي زيدان.

- ٩ - ٧٨٥ و - التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة - تأليف طه باشا الهاشمي .

- ١٠ - ٨٧٣ ص - تاريخ بابل وآشور - تأليف جميل نخلة المدور.

- ١١ - ٥٤٣ و - الخليقه ونظامها - تأليف أمين الغريب.

- ١٢ - ٨٠٥ و - الآثار الباقية عن القرون الخالية - لإبن جرير الطبري .

- ١٣ - ٢١٣٧ و - تاريخ أوربا في العصور القديمة.

- ١٤ - ٣٥٨ ب - معالم تاريخ الانسانية.

- ١٥ - ١١٥٢ ب - علم التاريخ.

- ١٦ - ٢١٥٥ و - المدينة العتيقة - دراسة عبادات الرومان والأغريق.

- ١٧ - ١٥١٠ و - عصر السريان - تأليف فيليب طرزي.

- ١٨ - ١٣٥٣ و - ذو القرنين وسد الصين.

وكذلك كتب :

- ١٩ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي .

- ٢٠ - اقدم ما عرف من تاريخ حلب - تأليف صبحي قواف - حلب - مطبعة الضاد عام ١٩٥٢ م .

- ٢١ - أقاصيص من سيواستوبول - تأليف ليوتولستوي ، ترجمة المحامي سهيل أيوب.

ملاحظة - ١ - في نهاية كتاب أباطرة وأبطال قائمة بالمصادر التي استند إليها المؤلف - وأكثرها مؤلفات أجنبية.

ملاحظة - ٢ - في كتاب قفقاسيا الشمالية (اللغة التركية) لمؤلفه أحمد حزر حزال - وفي الصفحات ١٥٠ - ١٦١ قائمة بالكتب والمراجع عن تاريخ القفقاس والشراكسة مذكور فيها / ٢٧٢/ كتاب ، منها ماهو باللغة العربية وأكثرها باللغة التركية واللغات الأجنبية الأوربية ، ومن بينها عشرات النشرات والمجلات الشهرية التي صدرت في مختلف المدن، وكلها فيها معلومات عن القفقاس وأقوامه ولغاتهم وتاريخهم القديم والحديث فهي مصادر مهمة وغزيره،

يا حبذا لو جمعت وترجمت.

وممن وردت اسماؤهم:

ـ ١ ـ الشيخ محمد الكوثري ـ جركسي الأصل ، توفي بالقاهرة وله حوالي مائة كتاب مطبوع.

ـ ٢ ـ يتولى الأمير سعيد شامل مشروع طبع كتاب بالإنكليزية والتركية والعربية عن عالم الاسلام المحكوم بروسيا ـ نرجو له التوفيق.

ـ ٣ ـ محمد فتكري شوؤنه ـ نشر كتابين عام ١٩٢٢م عن تاريخ الجراكسة وأصل الشراكسة.

ـ ٤ ـ ميرزا بالا ـ عالم أذربيجاني ، تنشر محاضراته التاريخية من قبل إدارة الجامعة باستانبول تحت اسم انسكلوبيديه الاسلام ـ وفيه بحث مستفيض عن الشراكسة.

ـ ٥ ـ بشيمافه قوسوق ـ الرئيس الثاني لجمهورية شمال القفقاس عام ١٩١٨م كتيب يحوي معلومات هامة عن استقلال شمال القفقاس.

ـ ٦ ـ آيتك ناميتوق، نشر في باريس ، وباللغة الفرنسية، كتاب Origine des circassiens

في الصفحة ٣٤٢ من هذا الكتاب ذكر كتابين مهمين ، حبذا لو جرى البحث عنهما وإيجادهما.

ـ ١ ـ في القرن الأول للميلاد قام بولص دياكونوس بسياحة في الأقطار الشمالية، فوجد أثناء تجواله أمة الأنت على ضفاف نهر الدنيبر.

ـ ٢ ـ في القرن السادس للميلاد عرف بروكوبيوس أمة الآنت، وقال في كتابه المسمى (الحرب الغوتية) الخ....

كذلك كتب:

ـ ٣ ـ المؤرخ الروسي كرامزين ـ يذكر في تاريخه أبحاثاً مهمة عن أقوام القفقاس الشمالية.

ـ ٤ ـ المؤرخ القوطي جورناندس ـ يذكر معلومات عن أمة الآنت.

★ ★ ★

جغرافية القفقاس

المعلـومات التاليـة مأخوذة من كتاب (ملحمة القفقاس) تأليف مارشال الاتحاد السوفياتي (أندريه غريتشكو) وزير الدفاع السوفييتي. وقد تولى تعريب الكتاب اللواء الركن عبد الرزاق الدردري والعميد الركن عبد العزيز جركس. وطبع في دمشق عام ١٩٧١م. وأني أبدأ بإيراد ماجاء في الكتاب المذكور من معلومات لأن مؤلفه خير من يعرف جغرافية القفقاس الطبيعية والبشرية وأهميتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ومن بعد ذلك سأعمد إلى إعطاء تفصيلات أخرى إضافية ابتداء من الصفحة ١٦ من الكتاب وردت المعلومات التالية:

المساحة والحدود:

يشغل القفقاس مساحة أرضية واسعة، ويبلـغ عرض البـرزخ القفقاسي في أضيق حدوده على الخـط (بوتي ـ ماخاتشكالا) حـوالي ٥٠٠ كيلو متر ، كما تبلغ المسافة من الحدود الشمالية للقفقاس حتى حدوده الجنوبية حوالي / ١٠٠٠/ كيلو متر، وتمتد حدوده البرية مع الدول الأجنبية وهي تركيا وايران مقدار ١٣٨٢/ ك.م منها / ٧٨٠/ ك.م الحدود مع ايران و٦٠٢/ ك.م مع تركيا.

الجبال ـ تتباين تضاريس الأرض في القفقاس ويغـلب عليها الطابـع الجبلي وأهم الجبـال فيها هي سلسلة القفقـاس الرئيسيـة ، أو مـايسمى أيضـاً القفقاس الكبير والتي تمتـد مسافـة (١٢٠٠ ـ ١٣٠٠) كم من شبه جزيرة آبشيرون (في الشرق على بحر الخزر) حتى مصب نهر قوبان في (شبه جزيرة تامان الفاصل بين البحر الأسود وفرعه الداخلي بحر آزوف أو آزاق)؟ ويبلغ عرض السلسلة القفقاسية (١٦٠ ـ ١٨٠) كم، وتقسم هذه السلسلة الجبلية بحسب بنيتها إلى ثلاثة أقسام وهي ـ ١ ـ القفقاس الشرقي ويمتد من آبشيرون حتى جبل كازبك / بطول (٤٠٠ ـ ٥٠٠) كم ـ ٢ ـ القفقاس الأوسط ويمتد بين جبل قازبك وجبل إيلبروس (البرز) بطول (١٥٠ ـ ٢٠٠)كم وبعد ذلك يأتي القفقاس الغربي (الذي ينتشر على ساحل البحر الأسود).

يعتبر القفقاس الأوسط أعلى جزء من سلسلة القفقاس ، حيث يبلغ الارتفـــاع المتوسط هنا (٣,٥ ـ ٥) كيلو متراً وتظل قمم جبال كازبك ـ البروز ـ آداي خوح ـ ابلاما ـ شخارا، مكسوة بالثلوج طيلة فصول السنة. أما جبال القفقاس الغربي ـ من جبل فيشتا حتى جبل آنابا ـ فيقل ارتفاعها تدريجياً كلما اتجهنا نحو الشمال، ولايزيد ارتفاع الجبال هنا عن (١٨٣٨) متر وهو جبل (شيس) أما الارتفاع المتوسط للجبال في هذاالقسم فيبلغ (١٠٠٠) متر ويعتبر هذا القسم سهل العبور وملائم لعمل القوات أكثر من جبال القسمين الشرقي والأوسط. (ص١٦)

الغابات والأحـــــراج :تغطي سلسلـة القفقاس الرئيسيــة وسطـوحـها حتى ارتفــاع (١٥٠٠ - ١٨٠٠)م بالأحراش والغابات وأغلب أشجارها من النوع الدائم الخضرة والتي كانت خلال الحرب تشكل ساتراً طبيعياً لتمركز القوات، ولو أنها كانت تعيق أعمالها القتالية، أما القمم التي تزيد عن تلك الارتفاعات فهي جرداء لا يكسوها شيء . سوى الأعشاب.

تفصل السلسلة الرئيسية القفقاس إلى جزئين وهما القفقاس الشمالي (القفقاس) وما وراء القفقاس (أنتي قفقاس - القفقاس الجنوبي)

وتضاريس الأرض في القفقاس الشمالي عبارة عن سهل سهبي يمتد من نهر كوبان الأعلى ونهر كوما إلى هضاب ستافرو بول وبعدها تتحول إلى أراض جبلية تسمى مشارف القفقاس.

ويشمل الجزء السهبي من القفقاس الشمالي سهب الدون وسهب كوبان والمتاخم لبحر آزوف، والوهاد المتاخمة لبحر قزوين، وتفصل هضاب ستافروبول الجزء السهبي لشمال القفقاس جنوب دينغوي إلى جزئين وهما كوبان وسهب نوغاي، وتشكل هذه الهضاب نجداً كبيراً ضخماً، ويبلغ متوسط ارتفاع هضبة ستافروبول (٣٥٠ - ٦٠٠)م عن سطح البحر.

أما مشارف القفقاس أو بالأحرى مشارف السلسلة الجبلية الرئيسية فتشكل منظومة من السلاسل والقمم الجبلية تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا نحو الجنوب وتمتد إلى سفوح سلسلة القفقاس الرئيسية، وتشطر منطقة مشارف القفقاس أنهار جبلية عديدة وهي أحواض أنهار كوبان وتيريك ووديان عميقة وجروف إن الجزء السهبي من شمال القفقاس صالح في معظم أقسامه لعمل كافة صنوف القوات، كما تسمح الوديان الجبلية وأحواض الأنهر في مشارف القفقاس باستخدام تشكيلات ضخمة وتؤدي هذه الوديان والأحواض إلى معابر سلسلة القفقاس الرئيسية (ص ١٧) .

كان يقطع الجزء العالي من السلسلة الجبلية من الشمال إلى الجنوب ثلاثة طرق رئيسية معروفة هي - ١ - (ممر داريال) وهو طريق جورجيا الحربي والذي يمر عبر ممر كريستوفي من بلدة ولاديقفقـــــاس (في الشمال) حتى تبليسي (عاصمة جورجيا) . وكان هذا الطريق يغلق خلال الشتاء بالثلوج، أما خـــلال العمليات الحربية فكان يجرى تنظيفه باستمرار.

- ٢ - طـــريق آسيتين الحـــــربي عبــــر ممــــر ماميســــوق والذي يربـــط آلاغير بكوتايسي

- ٣ - طريق سوخومي الحربي ، والذي يربط شيركيسك (اقليم شيركيس ذو الاستقلال الذاتي) في القفقاس الشمالي بميناء سوخومي (مركز جمهورية أبخازيا ذات الاستقلال الذاتي) على ساحل البحر الأسود والذي كان يمر عبر مصيف تيبردا الجبلي وممر كلوخور (ص١٨) .

أهمية القفقاس

الاقتصادية ــ السياسية ــ العسكرية

تؤثر البحار كثيراً على طبيعة مسرح العمليات الحربية في القفقاس. فبحر قزوين الذي تحيطه أراض الاتحاد السوفييتي (سابقاً) في معظم أجزائه، يربط بخطوطه الملاحية القفقاس بجمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية (سابقاً) ، كما يربطه عن طريق الفولغا مع المناطق الوسطى من البلاد، أما الجزء الجنوبي لبحر قزوين فيتاخم أراضي إيران.

ويحتل البحر الأسود مكانة استراتيجية كبيرة، وقد أشار كارل ماركس في مؤلفاته إلى أهمية البحر الأسود في تطوير الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول أوربا والشرق الأوسط (ص١٩) .

جاء في الصفحة (١١) تحت عنوان / مقدمة / عن الأهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية للقفقاس ما يلي:

من الصعب تقدير أهمية القفقاس في حياة الدولة السوفيتية، فقد أدى وجود الاحتياطات في باطن الأرض وظاهرها إلى جعل القفقاس مصدراً هائلاً للمواد الخام الصناعية والاستراتيجية وقاعدة اقتصادية هامة للبلاد.

وخلال سني السلطة السوفيتية أقامت جمهوريات القفقاس، والتي كانت حسب تعبير لينين (بلاد فلاحين أكثر من روسيا) بفضل جهود كل الشعب السوفييتي صناعة اشتراكية راسخة. وخلال مشاريع السنوات الخمس التي سبقت الحرب نمت صناعات جمهوريات القفقاس نمواً كبيراً. فأقيمت هناك مئات المصانع الجديدة للصناعات الخفيفة والثقيلة.

كرجستان: فقبيل الحرب ازداد في جورجيا بشكل كبير حجم الانتاج الصناعي وبلغ معدل اجمالي انتاج الصناعة الضخمة فيها عام ١٩٤٠ بالنسبة لعام ١٩١٣ مقدار ٢٤ مرة وأصبح يستخرج منها الفحم والنفط والمعادن الملونة النادرة.

لقد كان لمعالجة فلذات المنغنيز خلال سني ما قبل الحرب أهمية اقتصادية عسكرية استراتيجية كبيرة ، فقد كانت مناجم المنغنيز في (تشياتورسكي) تمتاز بكثرة المعدن في الفلزات. وفي عام ١٩٤٠ أعطت تلك المناجم للبلاد (١٤٤٨ ألف) طن من فلذات المنغنيز، وكان ذلك يشكل حوالي (٥٦,٥٪) من الانتاج العام لهذه المادة الثمينة وعلى قاعدة مناجم تشياتورسكي والطاقة الكهربائية الرخيصة من محطة (زيون) الكهربائية ثم في عام ١٩٣٣ وضع العمل للسبائك الحديدية قيد الاستثمار.

أرمينيا : نتيجة التحول الاشتراكي طرأ في سني ما قبل الحرب تطور كبير على الصناعة في

أرمينيا أيضاً ، فقد أقيمت فيها الصناعات الضخمة المتنوعة والتي أعطت عام ١٩٤١ أكثر من ٥/٤ بضائع ومنتجات الإقتصاد الوطن للجمهورية . كما كان يتم فيها استخراج ومعالجة المعادن الملونة وصناعة مواد البناء المعدنية الثمينة، كما تطورت فيها بشكل سريع مصادر الطاقة الكهربائية والصناعات الكيميائية وفي عام ١٩٤٠ كانت منتجات الصناعة الثقيلة في أرمينيا تزيد ٢٣ مرة عن مستوى عام ١٩١٣

أذربيجان: وخلال سني مشاريع السنوات الخمس التي سبقت الحرب تبدل الاقتصاد الاذربيجاني تبدلاً جذرياً، وقد أعيد بناء الصناعة في أذربيجان على أساس أحدث تكنيك لما قبل الحرب. وأنشأت من جديد تقريباً الصناعات الكيماوية ففي مصانع تكرير البترول في أذربيجان تم في سني ما قبل الحرب تكرير ما يعادل (٥٠) ضعفاً من البنزين المكرر في سنوات ما قبل الثورة، كما ازداد بشكل كبير تكرير الأنواع الأخرى من الوقود.

قبل الحرب تم التركيز في أذربيجان على استخراج وتكرير النفط هذه المادة ذات الأهمية الاستراتيجية. وذلك عن طريق حفر آبار جديدة. ففي منطقة باكو وحدها وفي الفترة بين عام ١٩٤٠ و ١٩٤٣ بدىء بحفر (٢٣٥) بئراً جديداً، وفي كافة أراضي القفقاس كان هناك عام ١٩٤٠ أكثر من (١٧٢٦) بئراً جديداً مما يشكل حوالي (٧٣,٥٪) من كافة الآبار العاملة في ذلك الحين في الاتحاد السوفياتي (ص١٢)(*).

وهكذا كان انتاج النفط في القفقاس خلال سني ما قبل الحرب يزداد ازدياداً كبيراً وكان لمنطقة ضخ النفط في باكي (باكو) أهمية خاصة وكانت بالنسبة لانتاج البترول عشية الحرب أضخم المناطق ليس فقط في أذربيجان وحدها بل في البلاد بأكملها وكانت تعطي (٧٠٪) من منتجات النفط في البلاد.

إلى جانب تطور صناعة النفط فقد أعير اهتمام خاص لانتاج الغاز الطبيعي ، ونتيجة لذلك قدمت صناعة الغاز في أذربيجان إلى جانب مناطق القفقاس الأخرى عام ١٩٤٠ للاقتصاد الوطني ولسكان البلاد حوالي ٢,٥ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي مما يشكل حوالي ٦٥٪ من انتاج الغاز في الاتحاد السوفياتي.

كذلك طرأ تطور كبير على الصناعة الكهربائية حيث أقيم هنا قبل الحرب محطات كهربائية جديدة على المستوى المحلي وعلى مستوى الدولة.

إن للقفقاس أهمية اقتصادية كبيرة أيضاً كمصدر للمنتجات الزراعية في البلاد فشمال القفقاس وكوبان تعتبر من أغنى مناطق البلاد في انتاج القمح والذرة والشوندر السكري وفي جمهوريات ما وراء القفقاس نمت زراعة القطن والشوندر السكري والتبغ والعنب والشاي

(*) [رسمت خريطة آديغي الشركسية بيد مستعمر ماهر إذ أخرج من حدودها كل آبار النفط .]

والحمضيات والزيتون (ص١٣) .
كذلك فإن أراضي المراعي في القفقاس تتيح إمكانية تربية المواشي
في الصفحة ٣٣٣ : - بالاضافة إلى وجود معادن ثمينة في منطقة ناالجيك منها الزئبق والماء والمنغنيز على قاعدة الانتاج الزراعي تطورت في القفقاس خلال سني ما قبل الحرب الصناعة الخفيفة والصناعات الغذائية فأقيمت صناعات القطن والنسيج والحرير والجلود والكونسروة ومعالجة الفواكه والخضار والأسماك ومنتجات اللحوم ومصانع الخمور والسجائر وغيرها.

الأهمية التجارية: إن أهمية القفقاس الاقتصادية لا تقتصر على مصادره الصناعية والزراعية ووجود القاعدة الاقتصادية الانتاجية فيه، فمن موانيء القفقاس على البحر الأسود وبحر قزوين (بحر الخزر) كانت تتم قبل الحرب عمليات التبادل التجاري الخارجي، فقد تم عبر هذه الموانيء والموانيء الجنوبية الأخرى (٥٥٪) من كافة عمليات التصدير و (٥٠٪) من عمليات استيراد الاتحاد السوفياتي (سابقاً) (ص١٣) .
كانت الخطوط الملاحية في البحر الأسود وبحر قزوين تربط البلاد بالدول المجاورة، ايران وتركيا، وغيرهما أي عن طريق الخليج العربي ومضائق البوسفور والدردنيل يتم الاتصال بطرق الملاحة في المحيطات، وخلال الحرب الوطنية العظمى كانت الطرق الذاهبة عبر الخليج العربي وإيران وبحر قزوين تحتل المرتبة الثانية في نقل الأسلحة والذخائر والأرزاق والمواد الخام الاستراتيجية من الولايات المتحدة الأميركية وبلدان الامبراطورية البريطانية (ص١٢) .
تلعب المؤسسات الصحية الاستشفائية في القفقاس دوراً كبيراً في حياه الشعب السوفييتي فخلال سني السلطة السوفيتية تم إنشاء منتجعات رائعةعلى شواطىء البحر الأسود وبحر قزوين في مناطق كيسلوفودسك وتسخالطوبو وبياتيغورسك وغيرها من المدن والتي كان يستجم فيها ملايين الكادحين (ص٣) بسبب الميزات الشفائية للمياه والطين (ولكن مداخليها تضخ لموسكو مباشرة) .

الأهمية السياسية كذلك فإن للقفقاس أهمية سياسية كبرى، فالى شمال سلسلة جبال القفقاس وحتى روستوف على الدون تقع أقاليم كراسنادار وستافروبول وجزء من إقليم روستوف وعدد من الجمهوريات والأقاليم ذات الاستقلال الذاتي كما أن القفقاس يضم جمهوريات جورجيا وارمينيا وأذربيجان ، ومن هنا كان التركيب القومي في القفقاس متبايناً **ففي الجزء الأكبر من أراضي القفقاس الشمالي يعيش الروس والأوكرانيون** وعلى سفوح جبال القفقاس وعلى المنحدرات الشمالية لسلسلة القفقاس الرئيسية يعيش الآسيتين والقبارتاي والشيشان والاينكوش وشعوب الداغستان الكثيرة العدد . أما في جنوب القفقاس فيعيش الجورجيون والأذربيجانيون والأرمن والأبخاز والأكراد والكوميك وغيرهم من القوميات

والشعوب (وفي شمال غرب القفقاس يعيش الآديغه أقلية في بلادهم) .

لم تكن شعوب القفقاس قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية تتمتع بحقوقها، وكان اقتصادها يتطور ببطء وسكانها يعيشون بمستوى منخفض من المعيشة، وكانت الأغلبية المطلقة من السكان محرومة من التعليم وتعيش حياة بائسة ، في الوقت الذي كانت فيه ثروات القفقاس **تستغل أبشع استغلال من الرأسماليين الروس والأجانب (١٤) (وما يزال)** .

وقد أدى ذلك إلى احتدام التناقض الطبقي ودفع بكادحي القفقاس للنضال ضد الإضطهاد وعزز حركة التحرر الوطني للقضاء على الأسس السياسية لروسيا القيصرية ، ولكي تعزز القيصرية سيادتها على (المتوحشين) - كما كانت الطبقة المسيطرة في روسيا تسمى شعوب القفقاس - **فأنها** كانت تغذي فيهم النعرات العرقية وتغرس السياسة الشوفينية للدولة الضخمة.

وقد قام **الحكم القيصري في القفقاس** بتدابير بربرية ضد أي محاولة للعمال والفلاحين للتحرر من **العبودية اللا إنسانية**، ولكن كل هذه التدابير لم تجد نفعاً في انقاذ النظام العبودي (ص١٥). فتمت قيادة الحزب الشيوعي وبالمساعدة الأخوية من كادحي روسيا والقوات المسلحة للجمهورية السوفيتية قامت شعوب القفقاس باسقاط الاقطاعية والاقطاعيين والرأسماليين وأقامت سلطتها، سلطة الكادحين.

وفي الصراع المرير ضد المتدخلين الأجانب خلال أعوام ١٩١٨ - ١٩٢٠ تم القضاء على محاولات الأمبرياليين الأجانب في إعادة تكبيل شعوب القفقاس المحبة للحرية ونهب ثروات هذه المنطقة وتحويل القفقاس إلى مستعمرة لهم...؟

فهل استطاع الحزب الشيوعي - وهو منهج سياسة لينينة قومية في طريق الاشتراكية - أن يحول القفقاس ذو الشعوب المتباينة القوميات المختلفة إلى أسرة شعوب متآخية قوية !؟

الأهمية العسكرية والاستراتيجية: إن الأهمية العسكرية الاستراتيجية للقفقاس لاتبرز فقط في توفر الاحتياطات الضخمة من النفط والخامات الأخرى فيه أو في الامكانيات البشرية الكبيرة بل وتبرز أيضاً في **موقعه الجغرافي الملائم (ص١٦)** .

كان القفقاس، قبل الثورة، يعتبر مخفراً أمامياً لروسيا في صراعها مع الامبراطورية العثمانية وفي الصراع التخريبي لبريطانيا وألمانيا في الشرقين الأدنى والأوسط، وقد أظهرت الحرب العالمية الثانية أن أهمية القفقاس **كمخفر أمامي في جنوب البلاد قد ازدادت عن ذي قبل.** وتاريخ العسكرية الألمانية بكامله يمر عبر طريق العنف والسلب والنهب والدماء!! وطريق المعتدين الألمان إلى الشرق موسوم بالمدن المدمرة والقرى المحروقة والمدينة المحطمة والشعوب المعذبة.

لقد عبر عن الأهداف (المتواضعة) لتحرك الامبريالية الألمانية نحو الشرق. فيلسوف

الامبريالية الالمانية الجنرال ليودوندورف رئيس الأركان السابق للجيش الألماني حين قال "إني لأحلم بامتلاك الأراضي لافي أوكرانيا ولا في القفقاس بل إنني أنوي أن أحصل فقط على الخامات التي تلزمنا للحياه بشكل عام ولمتابعة الحرب، وإني أرى أيضاً قدر الامكان استغلال الطاقة البشرية لهذه الأقاليم لتشكيل القوات وتجنيد القوى العاملة.

وفي هذا المجال أيضاً فإن هناك أهمية خاصة لقول أحد قادة الامبريالية الألمانية وهو الجنرال (هندنبورغ) وهو يعترف بأهمية القفقاس إذ قال (حتى يتم استغلال احتياطات المواد الخام الغنية في القفقاس من قبل كافة المشتركين في الحرب) وهو يشير بذلك إلى الجانب الآخر من تلك الحرب (فإن انكلترا ـ كما كتب في مذكراته تريد أيضاً أن تؤمن لنفسها التأثير على روسيا عن طريق البحر الأبيض وأرخانغلسك وعبر بحر قزوين وباكو وعلى هذا الأساس فإن تنفيذ الخطط العثمانية تدخل في مصالحنا) (ص٢٣).

كتب المؤرخ العسكري البريطاني فوللر وهو يصف خطة حملة الصيف الألمانية بما يلي

لقد بقيت إمكانيةواحدة وهي تحطيم القوة الاقتصادية لروسيا وضرب الأساس المادي لقواتها المسلحة، ويتوجب لتحقيق ذلك حرمان روسيا من منطقة الدون الصناعية ومن قمح كوبان ونفط القفقاس (ص٦١).

وأخيراً وللفهم الصحيح للأهمية الاستراتيجية للقفقاس (السوفييتي) فإنه من الضروري أن يؤخذ بعين الاعتبار قربه من أراضي الدول الأجنبية (ايران وتركيا) وكانت كافة المناطق الاقتصادية الهامة في الجنوب بما فيها نفط القفقاس وأحواض استخراج الفحم في الدون وفي منطقة كريغورجيه ـ نيقوبول وكذلك الموانيء (السوفييتية) الهامة على البحرين الأسود وقزوين خلال الحرب العالمية الثانية تقع تحت تهديد الضربات الجوية للقاذفات الألمانية المتمركزة في أراضي تركيا؟!. (ص ٢٠ و ٢١) .

وهكذا فإن أهمية القفقاس الإقتصادية والعسكريـــة السياسية في حياة الشعب السوفيتي و في تعزيز القدرة القتالية السوفيتية هي **أهمية بالغة الضخامة وتتجلى في ثرواته الهائلة الطبيعية** وفي قاعدته الصناعية وفي تضافر كافة شعوب القفقاس في أسرة متحابة واحدة تبني مجتمعا اشتراكياً جديداً وتبين للعالم أجمع طرق التحرر الوطني والاجتماعي كما أن أهمية القفقاس تتجلى أيضاً في وضعه الجغرافي الخاص فهو يقع في منطقة استراتيجية هامة من العالم تمر عبرها الطرق التجارية والاستراتيجية التي تربط دول أوربا وآسيا والشرق الادنى والأوسط، وفي وضعه على حدود عالمين مختلفين عالم الاشتراكية وعالم الرأسمالية.

في ١٤ أيلول ١٩٤٢ نشرت صحيفة (أبطال الوطن) رسالة ضباط وجنود أحد الأفواج إلى كافة المقاتلين والقادة المدافعين عن القفقاس جاء فيها.

لقد وصل العدو الغادر إلى اللؤلؤة ... إلى القفقاس ولم يكتف ..الخ



أميرات شركسيات (باريس ـ ستراسبورغ ١٨٤٥)

الممرات الجبلية:

علاوة على الممرات الرئيسية ... الثلاثة المذكورة سابقاً والتي تربط القفقاس الشمالي بالجنوبي توجد ممرات أخرى تربط الشمال بالجنوب و الساحل بالداخل وأهمها :

ممر بيتشو: ممر جبلي مغطى بالثلوج عبر سلسلة القفقاس الكبرى بارتفاع ٣٣٧٥متراً وقد جاء على لسان امرأة اجتازته في ظروف الحرب مع عدد من النازحين أنهم ساروا في طريق جبلي ضيق وتجاوزوا شلالا رهيباً عميقاً ووديـــان سحيقـة وكان الجليـد في شهـــر آب يتشقق تحت أقدامهم وأنهم اضطروا أخيراً للزحف مسافة ٢٠٠ م وهم متمسكون بالحبال حتى وصلوا إلى القمة (ص١٢٩ و ١٣٠) .

أ ـ إلى الشرق من طريق جورجيا الحربية ممر داريال:

ـ **ممر ماخاتشكالا، دربند** على ساحل بحر قزوين وهو أيسر الممرات والمعروف بطريق باب الأبواب .

ـ **ممر غودا ماخارسكي** ممر غوداماخارسكي ، ومعبر آرخوتي ـ ممر قرية شانيلي وممر تيبولى وممرات يوكيراتشا وكاتشو ومن غروزني شاتي إلى دوشيتى وإلى تيلافي ـ ممر كودورسكي

ب ـ إلى الغرب من طريق جورجيا الحربي:

ـ ممر نوفوروسيسك، طوابه، سوخومي على ساحل البحر الأسود ، ممرات تروس، أوردستا، روكسكي، باخ ، فانداخ، ممرات قرى غيبي ليكسو باتجاه نالتشيك إلى كوتانيس وممرات غيبي ـ فتسيك ـ أفاريار وممرات غيبي ـ فتسيك ـ نالتشيك، ممر دونغوز ـ آورون ـ باكسان ، ممر كلوخور ـ نيجي ـ تيبردا (ص١٩٤) .

ـ **ممر تاغيركير** على نهر لابا ، ممر بساوشحا على النهر الأسود، وبسيشاخ، خاميشكي محوري خاتـوس ـ ساموركايا وخانشو ، خاديجينسكايا، والمعابر والممرات التالية ـ ريفارسكي ـ دزيدو ، غوردزي ، فتسيك ـ لاتباري ـ تسانير ـ تغيبري ـ كيرتيك ـ ساوري ، وادي نهر أولو ـ كام ، وادي نهر موردا، وممرات آدزابش ، تشماخارا ، آنشاخا (ص ١٩٥).

في وادي نهر قوبال ممري خوتيوتا وناخار ، في وادي نهر تيبردا ممري كلوخوريسكي ودومباي أولفن ، في وادي نهر ماروخ ممر ماروخ، وفي وادي نهر زيلنشوك ممر ناروسكي ، في وادي نهر لابا مجموعة ممرات سانتشارو وبساشحا: (ص ١٨٧)

نكتفي بهذه المعلومات الجغرافية التي وردت في كتاب (ملحمة القفقاس) وفيما يلي سنضيف معلومات جغرافية إضافية من مصادر أخرى.

معلومات جغرافية أخرى

الحدود والأقليم للقفقاس: في موضوع دراسة التاريخ القديم لايمكننا التقيد بالحدود السياسية و الإدارية الحالية التي أوجدها الإستعمار الروسي، الحدود الأصلية للقفقاس هي كما يلي:

شمالاً: الخط الذي تتقارب فيه نهرا الفولغا والدون ـ وقد حفر بينهما حالياً قناة مائية تصل بينهما لتعبر فيها السفن النهرية من البحر الأسود إلى بحر الخزر (بحر قزوين).

جنوباً : نهر أراس الذي يفصل كتلة جبال القفقاس وكتلة جبال آرارات والهضبة العليا ، على الحدود بين أذربيجان وإيران، ونهر جوروخ بين أراض كورجستان وتركيا.

وهذه المسافة تزيد عن ألف كيلو متر، ولو اعتبرنا العرض الوسطي لبرزخ القفقاس بين البحر الأسود وبحر الخزر ٦٠٠ كيلو متر لبلغت المساحة ٦٠٠,٠٠٠ ك.م٢ تقريباً.

جبال القفقاس: السلسلة الرئيسية الجبلية في القفقاس والتي تحمل هذا الإسم تمتد من شبه جزيرة أبشيرون على ساحل بحر الخزر شرقاً حتى شبه جزيرة تامان على الساحل بين بحر الأسود وفرعه بحر آزاق في الشمال الغربي بطول ١٣٠٠ كيلو متر تقريباً .

وتشكل هذه السلسلة سداً طبيعياً بين شمال القفقاس وجنوبه وبين البحر الأسود والداخل، ولهذه السلسلة امتدادات في الشمال منحدراتها ذات ميل تدريجي ولهذا تشكل ودياناً واسعة طويلة حول مسايل الأنهار، وبعض هذه الوديان تضيق عند نهايتها حتى تشكل مضيقاً جبلياً مستحكماً يفصل الوادي الداخلي عن السهول الشمالية (ويحّد مجرى نهري تيريك وقوبان السلسلة الجبلية) ويليها إلى الشمال السهول والسهوب، أما الأمتدادات الجنوبية لسلسلة القفقاس فهي أشد ميلاً ولهاامتدادات جبلية تجعل منطقة جنوب القفقاس في كورجستان وارمينيا وأذربيجان بلاداً جبلية وأعلى منطقة في سلسلة القفقاس تبدأ شرقاً من مرتفعات ياروبولا حيث منابع نهر اندقويسو حتى منابع نهر تيبردا غرباً، وهذا القسم بطول ٣٥٠ك.م وهو يحتوي على أعلى القمم وأعظم الجموديات وفيه كتلة تمتد مسافة ٦٠ك.م تضم أعلى جبال القفقاس ومحورها جبل ألبروز وارتفاعه ٥٦٢٩م .

وأهم الجبال هي : جبل قوشتايا وارتفاعه ٥٢١١م. وجبل ديح (٥١٩٨م) وجبل شحارا (٥١٨٤م) وجبل قازبك وارتفاعه (٥٠٥٣)م وجبل أديحوح وارتفاعه (٤٦٤٧)م وقازبك واقع في المنتصف المركزي للسلسلة الرئيسية .

الممرات الجبلية: إن أسهل الممرات التي تربط الشمال بالجنوب هو ساحل بحر الخزر في الشرق وهو أسهلها سلوكاًسوى أنه يضق نوعاً عند دربند (باب الأبواب) في بلاد الداغستان،

والممر الثاني هو ممر داريال الشهير الذي يسميه الروس طريق جورجيا الحربي، وهو يصل بلدة أورجونيكدزه فلادي تفقاس في منطقة نالجيك بالشمال إلى بلدة تفليس عاصمة كرجستان في الجنوب ، والممر الثالث وهو صعب المرتقى هو ممر ماميسون الذي يصل بلدة الأغير في الشمال ببلدة كوتايس في الجنوب بجورجيا أما ساحل البحر الأسود في بلاد الأبخاز (أباظة) فهو جبلي سهلته يد الإنسان وشقت فيه طريقاً معبداً، وعدا هذه المعابر الأربعة فلا توجد ممرات سالكه إلا بعض الفواصل بين القمم التي لا يمكن سلوكها إلا للمشاة والبغال بصعوبة زائدة أما بين ساحل البحر الأسود والداخل فتوجد ممرات كثيرة هي وديان بين الجبال تتفاوت في درجة سهولة سلوكها وعلى كل فالجبال هنا ليست شامخة كما في الوسط والشرق، وكل هذه الممرات تسدها الثلوج شتاء مدة ثلاثة أشهر أو أكثر وتضطر السلطات لجرف الثلوج عنها وفتحها للعابرين.

ولقد مر معنا أسماء العديد من تلك الممرات فيما نقلناه من كتاب ملحمة القفقاس قفقاسيا الشمالية ـ بلاد الجراكسة .

إن الأوضاع والعوارض الطبيعية تجعلنا نقسم القفقاس الشمالي بالعرض من الشمال إلى الجنوب إلى ثلاثة مناطق إقليمية مستعرضه من الشرق إلى الغرب.

آ ـ **المنطقة الجبلية** : وهي المنطقة التي تسترها السلسلة الجبلية الأصلية، وتسترها الغابات الكثيفة على ارتفاعات تزيد عن (٢٠٠٠م) وفيها العديد من البحيرات المتجمدة في الصيف على ارتفاعات متفاوتة تنخفض حتى ارتفاع ١٥٠٠م عن سطح البحر في بعض المحلات، وبحيرات جبلية أخرى كثيرة تذوب صيفاً. وتنساب الأنهار الثرة الدافقة في وديانها بما لايعد ولا يحصى.

ولو قارنا سلسلة القفقاس بجبال سويسرا لوجدناها تفوقها كثيراً في النواحي الجمالية للطبيعة والاصطياف ، فهي تزيد عن جبال سويسرا عشر مرات بالمساحة فيها ٢٥ قمة جبلية أعلى مئات الأمتار من جبل مونت بلان أعلى جبال أوربا بين فرنسا وسويسرا وايطاليا كما وفيها من الشواهق المستورة بالثلوج عدداً أكبر وكذلك بالبحيرات الجبلية التي تزيد عن الثلاثمائة والعديد منها يبقى متجمداً في الصيف يسمح برياضة الانزلاق على الجليد، أما مناظرها الطبيعية من غابات وأنهار وأعشاب ندية وزهور برية فلا يفوقها في ذلك أي مكان في العالم، وهواؤها الصافي العليل لامثيل له، وقد اشتهرت جبال القفقاس بأن سكانها هم أكثر الناس أعماراً والمعمرون الذين تزيد أعمارهم عن المئة سنة يعدون بالعشرات واشتهر منهم شيرالي الذي عاش ١٦٧سنة (توفي منذ عامين) (١٩٦٣م)

ب ـ **المنطقة المتوسطة**: تتكون هذه المنطقة من الهضاب الناشئة من امتدادات السلسلة

الأصلية نحو السهول الشمالية، وتشمل من الشرق إلى الغرب مناطق غروزني ونالجيك وستاوربول وكراسنودار ، ففي القسم الشرقي منه يشتمل على قسم من بلاد الداغستان وهو يشكل أراض بركانية تنفسح نحو الشمال. وتخترقها روافد نهر صولاق الثلاثة أندقويسو الشمالي والأوسط والجنوبي وغيرها من روافد نهر سونجا. والجهات المتوجهة إلى بحر الخزر مستورة بالاحراج والغابات، يلي ذلك غرباً منطقة بلاد الجاجان ويخترقه نهرا آسا وآرغون من روافد نهر تيرك، وهذا القسم ناشىء بكامله من الانهيار الجيولوجي ويلي ذلك منطقة نالجيك في أسفل جبل البروز وتخترقه عشرات الأنهار من روافد نهر تيرك الأخرى، ثم يلي ذلك منطقة حوض القوبان .

جـ ـ **المنطقة السهلية:** وهي تلي منطقة الهضاب المتوسطة إلى الشمال وتمتد من بحر الخزر إلى بحر آزاق الفرعي للبحر الأسود وتتكون من أحواض أنهر صولاق و وسونجا وتيرك عند مصبّها في البحر ومن حوض نهر قوما في الشرق وحوض نهر القوبان في الغرب ونهر ما نيج في الشمال الغربي وهي من أخصب مناطق العالم وأحسنها رواء .

أما السهول التي تمتد وراء ذلك إلى الشمال فهي سهوب من سهول الاستبس .

هذا وتقسم قفقاسيا كذلك من الشرق إلى الغرب إلى ثلاثة أقسام أساسية:

آ ـ **القسم الغربي ـ** وطوله من ساحل بحر الأسود إلى الداخل شرقاً ٤٣٠ كيلو متر ويتكون من حوض نهر قوبان ونهر مانيج و لساحل البحر الأسود أهمية بالغة من جميع النواحي، والجبال الساحلية بصورة عامة تقف بميل شبه عمودي نحو الساحل وتنحدر منها أنهارٌ قصيرة سريعة الجريان(*) ؛ ويمتد شرقاً حتى منابع نهر قوبان عند جبل البروز وهو أعلى قمم القفقاس وهو بمثابة جبل أوليمب عند الأغريق وهو المذكور في أساطير اليونان حيث سجن برديثية على قمته، ويسميه الجراكسة (أواشحه ماف) أي الجبل المبارك.

وفي هذا القسم يصعب الإتصال بين الساحل والداخل لعدم وجود منافذ ووديان سهلة العبور بين الجبال الساحلية، ومن الممرات التاريخية المشهورة فيه ممر (آدغاكو) والطريق الذي يمر فيه يسميه الجراكسة (حدريخة غوك) أي طريق الآخرة، وقد أطلقت عليه هذه التسمية بعد المجزرة الهائلة التي حدثت فيه عندما صد الأديكة تقدم قبائل (الأوار) الهمجية القادمة من الشرق الآسيوي.

وفي هذا القسم الغربي موطن قبائل الآديكة والآبخاز (أباظة). اعتباراً من ميناء

(*) أقصر انهار العالم تقع على شاطىء البحر الأسود في القفقاس بمدينة غاغرا وهو نهر (ربيروا فهو ما يكاد ينبع وينطلق من سفح جبل على الشاطىء حتى يتدفق سيلاً واسعاً ويجتاز رمل وحصى الساحل في البحر ويعتقد أنه يستمد مياهه من ناحية ما من أعماق الجبال التي تكسوها الثلوج .

نوفورسيسكي (غابة القمل) وإلى الشمال سواحل شبه جزيرة تامان و بحر آزاق فالأرض مكشوفة سهلة نحو السهول الداخلية ولاتوجد فيها موانع جبلية.

ب ـ **القسم الأوسط** . قفقاسيا الوسطى . إن الجبال في هذا القسم ذات انحدارات شديدة ليست لها امتدادات نحو الشمال وفي هذا القسم يوجد الممران الوحيدان إلى الجنوب وهما ممرا داريال وماميسو وأما ممر داريال فيتكون شمالاً من وادي نهر تيرك وجنوباً باتجاه تفليس من وادي نهر (كر) وحوله مساكن الإيرون والأستين وأما ممر ماميسون فيتكون شمالاً من وادي أحد روافد تيرك وجنوباً باتجاه بلدة كوتائيس الكرجية من وادي نهر (ريون) وهما الممران اللذان يربطان شمال القفقاس بجنوبه عبر السلسلة الجبلية لذلك فإن لهذا القسم الأوسط اهمية حربية واقتصادية كبرى وفي منطقة نالجيك من هذا القسم موطن قبيلة القبرطاي الآديغية.

جـ ـ **القسم الشرقي** ـ وهو القسم الممتد من منابع روافد نهر تيرك حتى بحر الخزر وطوله ٤٥٠ ك م وفيه في الوسط جبال جرد و صخرية عارية، أما القسم المتوجه نحو بحر الخزر فهرمستور بالغابات وذو اقليم لطيف جداً.

وفي هذا القسم مواطن الداغستان واللزكي والجاجان.

الأنهار: أعظم الأنهار في شمال القفقاس هي انهار قوبان ـ تيرك ـ قوما ـ مانيج ـ أما في جنوب القفقاس فهي انهار ريون ـ وكر ـ وآراس

نهر قوبان: تتكون منابعه الأصلية من وديان كتلة جبل البروز، وبعد ان تتجمع روافد الأولى وتنفذ الى السهل شمالاً يتجه النهر نحو شمال غرب البلاد حيث يرفده العديد من الأنهار التي تنحدر من وديان الجبال مثل انهار لابا ـ ولايا ـ اينجيغ ـ شحه كواشه ـ الخ .. وفي شبه جزيرة تامان ينقسم الى قسمين يصب فرعه الشمالي في بحر آزوف وفرعه الجنوبي في البحر الأسود. وطول هذا النهر ٨١٠ ك م.

نهر مانيج: منابعه في السهول الشمالية في منطقة مستنقعات مانيج والبحيرات المالحة يجري باتجاه الشمال الغربي ويصب في بحر آزاق.

نهر تيرك: الينبوع الأصلي لهذا النهر كائن في المحل الذي يسمى (كريستولا) ويقع في ممر داريال، ويتجه في مسيله الى الشمال الشرقي وترفده عشرات الانهار التي تسيل من وديان الكتلة الجبلية الوسطى مثل انهار سونجا وروافده **وصولاق وروافده**، ويصب في بحر الخزر بدلتا واسعة، واضيق محل فيه (١٠٠م) ويبلغ عرضه عند مصبه (٥٠٠م)

نهر قوما: كذا توجد منابع روافده من كتلة جبل البروز الوسطى، وتتجه فروعه نحو الشمال ثم الشرق وتتلاقى ويتابع النهر مسيله في سهول الإستبس حتى يصب في بحر الخزر.

إن انهار القفقاس الشمالي تجري بصورة عامة موازية للجبال وتستقي منها روافد عديدة بالمئات، والقفقاس يملك شبكة مائية نهرية لامثيل لها وخاصة في الهضبة الوسطى كما ان هذه المنطقة تحتوي على ينابيع معدنية كثيرة متعددة الصفات واهمها في (نارتسان) اي بلاد النارت(*) ولكثرة المياه فيها يسميها الجركس (بسى كون) اي مستودع المياه. والمنابع الأولى لهذه الانهار تتغلغل الى اعماق السلسلة الجبلية وتشكل ودياناً طويلة ملتوية وفروعها الكبرى تكوّن سهولاً رائعة حول مجاريها تمتاز جميعاً بالخصب الزائد والبهاء والرونق الطبيعي الذي يأخذ بمجامع القلوب، وبإضافة لطافة الإقليم والغابات الخضراء تكتسب جمالاً طبيعياً عديم المثال، وقد وصفها سائح فرنسي بقوله " ان الله تعالى قد أظهر قدرته وبراعته بتجميل الطبيعة في هذه البلاد".

و اسطورة كاوس اليونانية تشير الي هذه الرائعة الطبيعية ومفادها:

"أثناء محاولة الإله الاعظم خلق الأرض اصبحت الأرض في حالة غليان شديد لاتستقر إختلطت فيها معالمها فأمر الإله ملاكاًيدعى (سوفوكليس) ان يأخذ قبضة من جواهر الجنة فينثرها على الأرض لتستقر وتهدأ، وفعل الملاك ما أمر به فنثر قبضة من جواهر الجنة في القفقاس واستقرت الأرض ".

منابع الثروة في القفقاس:

إن القفقاس خاصة الشمالي - يتمتع بمصادر ثروات دفينة وظاهرة عظيمة جداً تجعل منه منطقة من اغنى مناطق العالم ثراء وبهاء.

الثروات الظاهرة:

١ ـ **الثروة المائية:** إن الانهار العديدة ذات المياه الغزيرة التي تنحدر من اعالي الجبال، عدا عن فائدتها في ارواء الأراضي الزراعية بشكل مبذول دون مقابل، فإن قوة انحدار تياراتها تشكل قوى محركة هائلة ورخيصة لتويد الكهرباء، وتقدر إمكانياتها بـ ١٢ مليون كيلووات، وقد انشأت السلطات الروسيةالسدود لتوليد الكهرباء على العديد من تلك الأنهار.

الحمامات المعدنية : بشتاو = بياتغوربسك ، نارتسان = كيسلوفودسك ، استوكى ــ دميرلي صو = جيليزنافودسك = ماء الحديد ، تالخي = سرنرفودسك وغير ذلك كثير .

٢ ـ **الغابات:** مساحات شاسعة جداً من الجبال والسهول في القفقاس مستورة بالغابات الكثيفة الهائلة الأشجار وتحتوي على انواع كثيرة من أجود أنواع الأخشاب وتشكل ثروة كما ان هذه الغابات تحتوي كثيراً من انواع الاشجار المثمرة بصورة مبذولة بلا مقابل كالبندق

(*) النارت شعب بائد من العمالقة [أبطال اسطوريون يمثلون أجداد الأديغة كانوا يحاربون العمالقة]

والجوز والكستناء والكمثري والتفاح والخوخ والتين والأعناب، وانواعاً اخرى عديدة، وحتى عهد قريب كانت منطقة (مزدوك = الغابة الصماء) مستورة بأحراش كثيفة يصعب النفوذ خلالها، وكذلك حوض نهر قوبان.

٣ ـ **الزراعة:** تمتاز اراضي القفقاس بالغنى والخصب الزائد وجميع انواع الزراعة تجود وتخصب فيها حتى ان القفقاس يعّد المزرعة الأولى في الاتحاد السوفياتي كله سابقاً ويعتبر مستودعاً مهماً لتأمين التموين والذخائر للدولة الكبرى؛ وكولخوزاته (المزارع التعاونية) تأخذ دائماً قصب السبق والدرجة الاولى في الانتاج على كافة مناطق الدولة الكبرى ومجلة الاتحاد السوفياتي التي تنتشر في سورية تتعرض لهذه الناحية بفخر واعتزاز في كثير من أعدادها فمثلاً جاء في العدد ٧٢ لعام ١٩٦٢ في الصفحة ١٤ ـ ١٥ ما يلي:

المزرعة التعاونية (كوبان) من اقليم كراسنودار تشغل مساحة ١٢٥٠٠ هكتار، وقد بلغت الغلال بالمتوسط عن كل هكتار ٣,٨٠٠ طن حنطة، اما المزرعة التعاونية (لينين) فقد بلغ متوسط غلتها ٤,٧٠٠ طن حنطة في كل هكتار.

ويزرع الذرة الصفراء في القفقاس بشكل مبذول وينتج فيها أجود انواعه بعطاء خصب جداً وكذلك الشعير والجلبان والبقول والخضروات والفواكه والشمندر السكري الذي يؤمن جانباً كبيراً من احتياج الاتحاد السوفياتي للسكر، وبساتين الفواكه بجميع انواعها حتى المشمش والحمضيات تجود بشكل جيد جداً على السواحل وفي جنوب القفقاس.

الثروة الحيوانية: ان جميع انحاء بلاد القفقاس ذات شروط مشجعة جداً لتربية الماشية بجميع انواعها لكثرة مراعيها وأعشابها فهي تستر الجبال والسهول واراضي الغابات واطراف المزارع لذلك تربى فيها قطعان الغنم والماعز والبقر والجواميس بكثرة والبقر القفقاسي الأصيل من أضخم انواع البقر في العالم كله [١] ، كما كانت تربى فيها قطعان الخيول،[٢] اما الحمير والجمال فقليلة والجراكسة لايعنون بها، ناهيك عن حيوانات الصيد البري كالغزلان والأيائل والأرانب والخنازير البرية وامثالها، اما عن الطيور الدواجن فكثير منها منتشرة بكثرة زائدة لسهولة تأمين غذائها ولايكاد بيت يخلو من عشرات او مئات طيور الدجاج والهند و البط والوز والحمام، أما طيور الصيد البرية فهي أوفر بكثير.

لذلك فالقفقاس يعدّ من اهم مصادر اللحم للشعب السوفياتي، فقد ورد في المجلة ان مزرعة تعاونية تربي ٧٥٠٠ رأس من البقر منها ٣٢٠٠ بقرة حلوب و فيها ١٦٠٠٠٠ من

---

١ ـ هنا ذكر ما ورد في مجلة الاتحاد السوفياتي عن وجود اضخم نوع من البقر في العالم.

٢ ـ هنا يذكر الخيول الأصيلة الكريمة وهي (آلب ـ فاره بسوغ ـ بروبل ـ بجقان ـ شولوخ) مع ذكر الصفات لنوع الآلب وهي القوة والضخامة والسرعة ، وفاره يسوغ خيل ضامرة جميلة سريعة كالريح .

فراخ الطيور وقطيع اغنام ٦٠٠٠ رأس من نوع مارينوس القفقاسي الرفيع التيلة وينتج ٧,٥ طناً من اللحم من كل ١٠٠ هكتا من الأرض المحروثة، وانها قد باعت للدولة ١٢٠٠ طن من اللحم و٥٥٠٠ طن من الحليب وثلاث ملايين بيضة.

وحدث مثل ذلك عن الثروة السمكية، في بحري الخزر والأسود والانهار والبحيرات الداخلية.

الثروات الدفينة: لقد مر معنا ماكتبه مارشال الاتحاد السوفياتي اندريه غربتشكورفي كتابه عن ثروات القفقاس وخاصة البترول ونضيف الى ذلك انهم قد اكتشفوا بعد الحرب العالمية الثانية ثروة نفطية هائلة في منطقة القوبان وذكرت مجلة الاتحاد السفياتي الخبر بقولها ان سهول القوبان اصبحت تشبه الغابة من كثرة ما ارتفعت فيها سلالم الآبار البترولية، ويقول يقال ان البترول دم الأرض"، فإذا كان هذا الكلام صحيحاً فإن القوبان أغنى منطقة في العالم بالدم" نعم في العالم **وليس في الاتحاد السوفياتي فحسب.**

ومناطق البترول في القفقاس الشمالي هي مناطق باكو وغروزني وسونترقال ومزدوك ومايكوب والقوبان، كما اكتشفت حقول لها في جورجيا وجنوب أذربيجان.

أما الثروة المعدنية فحدث عنها ولاحرج وقد مر بنا حديث المارشال عن مناجم معدن المنغنيز كما توجد فيها مناجم الحديد ومنذ أقدم عهود التاريخ عرف القفقاسيون بأنهم اول من استعمل الحديد في الصناعة وكانوا يستخرجون الحديد الخام بوسائلهم البدائية من المناجم السطحية وكذلك معدن الذهب والفضة فقد اشتهرت صناعاتها منذ أقدم العهود في جميع انحاء القفقاس الشمالي والجنوبي ومنها ارمينيا، والصاغة القفقاسيون كانوا من امهر الصاغة بوسائلهم الاولية؛ ولقد اكتشف فيها انواع اخرى من المعادن كالألمنيوم والتوتياء والقصدير والكوبالت وسواها بشكل وافر وتجاري(*)

أضف الى ذلك مقالع الاحجار الجميلة النفيسة وقد جاء في مجلة الاتحاد السوفياتي في العدد ٧٣ سنة ١٩٦٣ الصفحة ٣٠ مايلي:

سفانيتيا : إذا قسنا على خريطة القفقاس خمسين كيلو متراً جنوب شرق البروز العملاق وقفنا على سفانيتيا العليا ناحية ميستيسكي جمهورية جورجيا الاشتراكية، وهذا الاقليم يشبه من أعلاه ورقة شجرة عرقها الاوسط نهر (انغوري) وعروقها الجانبية روافده والورقة تتطاول في قمتها الى علو كيلو متر ونصف والانهر لا تسيل بل تتساقط من الجبال مندفعة عبر المضايق والفجاج الى الوادي.

سفانيتيا رائعة بجمالها الخاص، ضفاف نهر انغوري الصخرية مغطاة ببساط من الغابات،

(*) من الكتاب التركي صفحة ٢٢ ، المعادن في القفقاس : بترول ـ فضة ـ الفحم الحجري ـ الحديد ـ نحاس ـ قصدير ـ جنكر ـ والمالغانيز ـ زئبق ـ ذهب ـ غرافيت ـ رصاص سولفات دوسود ـ سودكوستك ـ بوتاس ، والفضة في سادون تغطى احتياج روسيا كلها (عام ١٩٥٥) .

في اسفل قرب الماء فجوات مبرقشة هي عبارة عن حقول صغيرة من الحنطة والذرة الصفراء مكتسبة من الجبال، وفي الا على مراع جبلية وجليديات زرقاء سماوية وذرى ثلجية تناطح السحاب.

لكن طرق هذه الجبال ليست في غرابة طابعها وحسب؛ ولكن في عناصر اخرى من هذه المنطقة.

وكانت القيصرية أمانة منها لسياستها القائمة على **الاستبداد بالأطراف القومية.** لاتكترث بمصير (الغرباء) و السكان الاصليين (كما كانوا يسمون رسمياً آنذاك الشعوب الصغيرة او الضعيفة التطور في روسيا .

قرب قرية خايشي اكتشف الجيولوجيون السوفييت مكمناً ضخماً من الباريت ومن المقرر بناء مصنع كبير للتركيز في خايشي .

و في قرية (رينري) معمل قوي للمرمر يعمل منذ القديم، ومرمر رينري من صنف عال وقابل للصقل بشكل رائع، وقابل للقطع بسهولة، واحتياطاته تقدر بملايين الأطنان، فإن طبقة دينري تمتد عشرات الكيلو مترات .

ومن الممكن ان تقع العين على مرمر سفانيتيا في كثير من ورشات البناء في البلاد فمنه تزدان مثلاً عمارة جامعة موسكو ومترو العاصمة.

ومن مجلة قفقاس دركيسي عدد شهر نيسان ١٩٥٣ التي كانت تصدر باللغة التركية أنقل المعلومات التالية. (ص ٢٣ و ٢٤) .

النباتات والحيوانات: إن النباتات في جبال القفقاس تنمو على ارتفاعات لا تصل اليها في جبال اوربا. وفي جبال القفقاس انواع من النباتات تجود وتزدهر بكثرة أعظم مما في جبال الالب والبيره نه والنباتات بصورة عامة في القفقاس تشابه نباتات فرنسا الغربية اكثر من مشابهتها لنباتات حوض البحر المتوسط، ومع ذلك فإن مناطق بوتي وصخوم وكوتائيس تحتوي على نباتات حوض البحر المتوسط وغرب اوربا خاصة في سواحل البحر الأسود وبحر الخزر التي تتأثر بالإقليم البحري.

ففي اوربا لاتزرع الكروم ولاتعيش في ارتفاعات تزيد عن ٩٠٠ م عن سطح البحر ولكنها تجود في القفقاس حتى ارتفاع ١٦٠٠ م عن سطح البحر وتوجد بكثرة أما القطن فيزرع حتى ارتفاع ٦٨٠ عن سطح البحر، أما الحبوب فتجود وتخصب حتى ارتفاع ٢٣٠٠ م عن سطح البحر على جانبي السلسلة الجبلية وتنتج انواعاً جيدة ممتازة ، وتصدر قفقاسيا الشمالية سنوياً ١٥ مليون طناً من الحبوب ويزرع الشاي في مناطق عدة ويعطى محصولاً وافراً ، وفي قفقاسيا يعطى اهمية كبرى لزراعة نبات دوار الشمس، كما اشتهرت اخيراً بزراعة التبغ وتنتج منه انواعاً ممتازة ومحصولاً وافراً واخصب الأقاليم واكثرها ملائمة للزراعة هي منطقة الأبخاز

(أباظة) ومنطقة منغرل في كرجستان وذلك لتأثرها بأقليم البحر الأسود، وكذلك في الشرق بساحل بحر الخزر.

تغطي الغابات السلسلة الجبلية الأصلية على امتدادها بعرض ٢٥ ك م من كل جانب وتغطي سفوح جميع الجبال الفرعية في الشمال والجنوب في كرجستان وارمينيا واذربيجان وتحتوي على أجود الانواع لصناعة الأخشاب وتمتاز الجبال على ساحل البحر الاسود بجمال مناظرها وتنوع الاشجار المثمرة التي تنمو فيها وتعطي اجود ثمار الفواكه .

اما الحيوانات الوحشية في القفقاس فتشبه اقطار اوربا ففيها الذئاب والخنازير البرية والدببة والضباع والأفاعي والحيوانات ذات الفراء كالثعالب وابن آوى والأرانب وانواع كثيرة من الطيور اللاحمة وطيـور الصيـد والحشرات المختلفة وأهمها النحل الذي يملأ فجوات الاشجار و الصخور في الجبال بالعسل اللذيذ الشهي الفائق الجودة وتربية النحل منتشرة فيها بشكل واسع لوفرة المراعي وتنوع الازهار ذات الرائحة الذكية. وقد يصادف نادراً في القسم الشرقي من قفقاسيا الجنوبية النمر والأسد والفهد .

الأهمية السياسية والعسكرية للقفقاس بالنسبة للدولة العثمانية وايران:

ان كلتا الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين قد وقعتا معاً في نفس الاخطاء الفاحشة المهلكة التي أدت الى انهيارها وفقدان قوتها ومكانتها الدولية وذلك لضيق أفق النظرة السياسية الى الأمور الهامة التي تتعلق بمقدرات البلاد والعباد، فقد انصرفتا الى حروب مذهبية سنية وشيعية وفي سبيل بسط النفوذ على رقعة اسلامية صغيرة بينهما، كما انصرفتا الى انهاك قواتهما واضعاف قدراتهما في حروب توسعية جانبية ضد دويلات مجاورة مسالمة لا خوف منها ، ولا فائدة من الاستيلاء عليها، ولم تستطيعا معرفة مصادر الأخطار الحقيقية التي تهدد بكل شدة وقوة كيانها الذاتي واستقلالها وحرية شعوبها والبلاد الاسلامية جمعاء التي كانت تحت لواء امبراطورية هاتين الدولتين القويتين آنذاك، ولم تستطيعا أبداً تقدير الموقع الحربي الهام للقفقاس ولا القدرة الدفاعية القوية التي تمتلكها شعوب القفقاس.

استولى القيصر الروسي ايفان الرهيب عام ١٥٥٢ م على خانية قازان وفي عام ١٥٥٤ على خانية أجدرهان، وبذلك قضت على وجود دولة الجيش الذهبي التي كانت تمنع توسع الروس نحو الجنوب وأشرفت قواتها المنتصرة الكثيفة على حدود القفقاس مفتاح البلاد الايرانية والتركية كلها.

وقد استنجد الأتراك والتتار والمغول في جنوب الروسيا وفي القفقاس بالسلطان سليمان القانوني وهو في اوج قدرته ومجده كما استنجد به الأندلسيون العرب فلم يهتم بهم جميعاً لانه كان يعتبر هذه العناصر منافسة خطرة للدولة العثمانية

وأما برنامج الصدر الاعظم الصوقوللي محمد باشا في تخليص قازان وأجدرهان من

الروس وربط نهري الدون والفولغا بقناة مائية تستطيع بواسطتها عبور السفن الحربية والتجارية من البحر الأسود الى بحر الخزر لتأمين حماية بلاد التركستان الوطن الأم للأتراك، فقد توقف عن التنفيذ وقضي على هذا البرنامج الهام جداً بسبب رعونة خانات القرم وتهاون بل عدم اهتمام السلطة العثمانية وقصر نظر ساستها وضيق افقهم، وكان ذلك سبباً مباشراً لتهديد الخطر الاستعماري الروسي والأوربي للقفقاس اولاً ، ثم بلاد إيران وتركيا بالذات.

ولولا أن القفقاسيين قضوا عام ١٥٩٤ م على حملة البرنس خوفوروستين المكونة من ٢٠ ألف جندي نظامي روسي مجهز سار بها قاصداً جنوب القفقاس ، لكانت القوات الروسية تهدد البلاد التركية من حدودها الشمالية في جبهة قارص قبل ثلاثة قرون .

وإن القيصر بطرس الأول حينما انحدر بجيوشه إلى باكو ودربند ، إنما كان يقصد ضرب البلاد العثمانية والايرانية من الخلف ومن أضعف النقاط فيها، وكما صنع في معاهدة بيروت فقد جعل السفير الفرنسي واسطة للصلح ، واتفق مع العثمانين ضد الايرانيين ، وفي كتاب (بناء الدولة التركية) يشار إلى هذه الحادثة بالتعليق التالي "إن التنازل وترك أتراك أذربيجان والقفقاس الى الروس انما كان يعني تسليم مضيق دربند وفتح طريق الأناضول للجيوش الروسية" .

وكذلك فإن جودت باشا في تاريخه انتقد هذه الأوضاع بقوله: كان على الدولة العثمانية بدلاً من ان تصرف قوتها وتبعثر قدراتها في بلاد المجر والكروات بحروب لافائدة منها، كان عليها ان توجه قوتها لتخليص اتراك قازان واجدرهان وحماية قفقاسيا والتركستان وكان ذلك سيكسبنا سلامة وبقاء قفقاسية التي يشعر سكانها بالأخوة نحونا وبالتبعية للخلافة الاسلامية بسبب رابطة الدين، وكان من الممكن ان تصير هذه الأقطار مع القرم كسائر الولايات العثمانية الاخرى، بل ان تركستان الكبرى كان من الممكن ان تنضم الى الدولةالعثمانية، وبذلك كان سيكون في الامبراطورية العثمانية العنصر التركي اكثرية في النفوس، ان القيصرية الروسية التي اغلقت طريقنا الى الشمال وتسلطت على ابواب القفقاس، امكنها بعد ذلك ان توجه جميع قواتها الى تركيا في جبهة الروم إيلي (البلقان)؛ والخطأ الذي وقعنا فيه اظهر نفسه بكل قوة في حرب عام ١٧٦٨ ولكننا لم نعتبر ولم نتدبر وفي عام ١٨٧٨م فأن الجيوش الروسية التي استولت على ادرنة ووصلت الى يشيل كوي في مشارف استانبول، انما كانت الجيوش التي قدمت من القفقاس بعد احتلالها، والتي كانت مقيدة هناك قبل احتلالها.

والآن ظهرت اهمية القفقاس بالنسبة لايران بصورة اوضح واخطر، فعندما تنازل الشاه محمد عام ١٨٢٨ م عن نفوذه في القفقاس للروسيا، لينصرف بعدها الى غزواته المذهبية الخرقاء كان سبباً مباشراً لاستعمار البلاد وضياع قيمتها الدولية.

وأخطاء هاتين الدولتين القويتين آنذاك، كانت سبباً في استعمار جميع البلاد الاسلامية في

الشرق الأوسط، والأدنى وآسيا الوسطى وشمال افريقيا حتى الهند، والحقيقة المؤلمة ان ايران وتركيا رغم مظاهر استغلالها بسبب تنافس الدول الاستعمارية وتصادم مصالحها، فقد وقعتا تحت النفوذ الروسي الانكليزي، ولقد اصبحت ايران محمية انكليزية حتى نالت استقلالها اخيراً، ولولا اهمية المضائق التركية والتناحر الروسي الانكليزي الفرنسي لكانت تركيا الاناضولية بالذات مستعمرات مقسمة بين اليونان والروس والإنكليز والفرنسيين والمؤرخ الانكليزي الشهير (بدلر) كتب بعد احتلال الروس للقفقاس يقول:

" يقول احد النقاد الانكليز ان هذه الحروب الطويلة الاسطورية التي خاضها القفقاسيون هي مدار اعجاب وتقدير كل انكليزي نعم إن هؤلاء الرجال قد جاهدوا فقط في سبيل كيانهم ووطنهم ودينهم ولكنهم في الوقت نفسه وبطريق غير مباشر وبدون علم منهم، انما كانوا يدافعون عن مصالح انكلترا ونفوذها في الهند، وكانوا سداً متيناً قوياً امام التوسع الروسي".

وحسب تعبير السير هنري رافيلينسين "طالما كان الجبليون وقوفاً في الجبهات فقد كانوا يمنعون الامواج التوسعية الاستعمارية،فلما ازيل هذا الشعب الباسل من ميدان القتال، انحدر الروس الى وادي نهر آراس بدون اية مقاومة ذات بال، ولم تبق امامه اية قوة شعبية او عسكرية تستطيع صد ز-حفه التوسعي .

وقد صدقت الحوادث هذه التوقعات واثبتت صحتها بسرعة فائقة:

في عام ١٨٦٤ م تم استيلاء الروس على قفقاسيا الشمالية.

في عام ١٨٧٤ م استولت روسيا على تركستان الغربية

في عام ١٨٧٥ م استولت روسيا على بخارى

في عام ١٨٧٦ م استولت روسيا على خيوه

في عام ١٨٧٧ م استولت روسيا على تركستان الوسطى

وفي هذه السنة نفسها ١٨٧٧م استولت روسيا من اراضي الدولة العثمانية على (إيغدير - قارص - آرتغين - أردهان - باطوم) وهكذا انهارت هذه الأقطار بسرعة عجيبة.

وكما فرض الروس نفوذهم السياسي على ايران، فإن القيصر نقولا اعلن نفسه وصياً على الرجل المريض " الدولة العثمانية" ووريثاً له.

★ ★ ★

معلومات إضافية جغرافية

الجبال: ان الجبال بركانية الصخور وفيها العديد من الفوهات البركانية الخامدة، وفي مواجهة منحدراتها الشمالية توازيها جبال هرمة من الدور الثاني.

تستر قمم الجبال الثلوج الدائمة والجموديات الابدية وتشغل مساحة آلاف الكيلو مترات المربعة.

الأمطار : تنزل بوفرة في القسم الغربي الأوسط ، أما منطقة الداغستان فأمطارها قليلة وتشح في بعض السنين، وفي اواسط تشرين الأول تبدأ الثلوج بالهطول.

تختلف درجات الحرارة في الأقسام الثلاثة فالقسم الغربي يقع تحت تأثير البحر الأسود واقليمه معتدل رطب ، أما الأوسط فجاف معتدل، أما الشرقي فقاري شديد، وتتراوح درجات الحرارة في الداغستان في بعض الاحيان من -٤٠ درجة الشتاء الى + ٤٨ درجة صيفاً.

في السهول الشمالية للمنطقة الغربية والوسطى تتروح درجات الحرارة ما بين - ٦ و + ٢٦ درجة وقفقاسية الشمالية تصدر ٤٠٪ من انتاجها للحبوب و المساحة المزروعة بالحبوب كان في عام ١٩٢٣ مقدار ١٠٠٠٠٠ هكتار والانتاج ٥ مليون طن وللقمح القفقاسي صفات وخصائص جيدة تجعله مرغوباً جداً في الأسواق العالمية، وفي عام ١٩٢٧ م كان القمح يشكل ٥٥٪ من انتاج الحبوب، وفي الهضاب الجبلية يعنى بزراعة الذرة الصفراء التي تشكل ٨٥٪ من المزروعات وفي القسم الغربي تكثر زراعة (عباد الشمس) والتبغ الممتاز النكهة وقد بلغ المحصول منه عام ١٩١٧ م ٣٠٠٠٠ طن والمساحة المزروعة بالقطن عام ١٩٣٠ بلغت ١٠٠٠٠٠ هكتار، وبلغت مبيعات العسل ٥ ملايين روبلاً والكروم فيها كثيرة، وتربية دودة القز وصناعة الحريـر رائجـة بكثرة، أما الفواكه والخضروات ومعلباتها فتباع حتى في الاسواق العالمية خارج (الاتحاد السوفياتي وروسيا)

أما المواشي فهي ترعى في أحواض الانهار والوديان الدافئة شتاءً، أما في الصيف فتنتشر في السهول والجبال وحسب إحصاء عام ١٩١٥ كان في قفقاسيا الشمالية (٦٢٩٩٩٠) جواداً و (٢٠٣١٧٣٢) من البقر و (١٥٧٩٥٧) من الجاموس و (٤٧٢٣٢١٤) رأساً من الغنم و (٥٢٢٥٧٩) رأساً من الماعز كذلك (٣٣٦٧٠٠) رأس خنزير (وسلمت للسوفخوزات).

والغابات تشكل ٣٥٪ ، وقد بلغت مبيعات الأخشاب عام ١٩٢٦ م مقدار ٢٤٤٠٠,٠٠٠ روبلاً. المياه المعدنية مبذولة وأشهرها بياتيغورسك استنوكي جلزنوفودسك كيسلوفودسك وبلغ عدد الزيارات للعلاج عام ١٩٢٨ م ٨٢,٥٠٠ مريضاً وفي بلاد الجاجان سرنوفودسك وفي الداغستان تالغي

الجموديات والبحيرات الجبلية كثيرة جداً ومحاطة بمناظهر خلابة من الغابات الشامخة

والأعشاب الندية والأزهار البرية ذات الروائح الزكية والبهاء والرونق.

وقد بلغ مقدار الصيد البحري في الأعوام قبل ١٩٤٠ م سنوياً ٦٠٠٠٠٠ طن والمبيعات ٦,٥ مليون روبلاً.

البترول : ذكرنا عنه القدر الكافي ونضيف انه قد بلغ محصول البترول عام ١٩٣٣م مقدار عشرين مليون طن انتاج الفضة من منجم سادون بلغ قبل الحرب العالمية الأولى ٢٥٠٠٠ طن ومن الجنكو ٣٠٠٠ طن ومن الرصاص ١٥٠٠ طن وفي الداغستان في قورين منجم الزئبق وفي البروز منجم النحاس تنتج كميات وافرة، وفي الداغستان مناجم سلفات الصوديوم وسودكوستيك وفي نالجيك البوتاس (وكلها من القطاع العام) .

أما الجلود والأصواف والأقطان والأقمشة فأن صناعاتها متقدمة كثيراً ومعمل الكونسروة في الداغستان ينتج سنوياً ١٥ مليون علبة وفي أوستيا ٣٠ مليون علبة قبل عام ١٩٤٠ م كذلك صناعة النشاء والسكر ومعمولات السكاكر وصناعة البلور تتوم بها معامل نشطة تنتج منها كميات كبيرة جيدة (وكلها لصالح الدولة) .

في العدد ٤ من المجلة معلومات عن مناجم المعادن والمياه المعدنية ومقدارها ومقارنتها مع الأوربية وفيبشي .

النفوس: (من كتاب قادرجان قافلي صفحة ٢١)

إن سكان قفقاسيا الشمالية ينعتون على العموم بالجبليين وهم جميع قبائل الجركس وفيما يلي جدول إحصاء رسمي جرى في عام ١٩٢٤ و ١٩٢٦ ونشر ببيانات رسمية:

الولايات	المساحة بالكيلو مترات المربعة	النفوس	كثافة النفوس بالكيلومتر مربع واحد
داغستان	٥٨٩٠٠	١,٢٥٦٠٠٠	٢١
جاجانيستان	١٢٣٠٠	٢٤٥٠٠٠	٢٠
سونخ	١٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٠
إينكوش	٣٧٠٠	١٥٢٣٠٠	٤١
أوستيا	١٠٤٠٠	٤٢٣٩٠٠	٤١
تيرك	٢١٢٠٠	٥٠٨١٠٠	٢٤
قبارداي ـ بالقار	١٢٠٠٠	٣٥٩٢٠٠	٢٩
قاراشاي ـ جركس	١٣٣٠٠	٢٤٢٤٠٠	١٨
أرمافير	٩٦٠٠	٣٨٧٩٠٠	٤٠
مايكوب	١١٩٠٠	٢٩٢٣٠٠	٢٤
آديكة	٦٠٠٠	٢٤١٨٠٠	٤٠
البحر الأسود	١٥٥٠٠	٢٩١٠٠٠	١٩
المجموع	١,٧٥٨,٠٠٠	٤,٤٢٩,٩٠٠	٢٦

* يتضمن أغلب هذه الأرقام الروس والأكرانيين أيضاً ونسبتهم ٤٠ ـ ٦٠٪ الآن .

الجموديات ـ في النصف الغربي من قفقاسيا ـ واهمها (من الدفتر المخطوط باليد)

١ ـ جمودية (بيزنجي) او (أولو) بين (دابخ ـ تو) و (جانغا ـ تو) ويبلغ طولها ١٦ كيلو متر وارتفاعها عن سطح البحر ١٩٦٠ متراً .

٢ ـ جمودية (نسيا) على مسافة ٩ كيلو متر من (آداي ـ خوخ) ارتفاعها عن سطح البحر ١٩١٩ م

٣ ـ جمودية (ديغدورال) في قازبك وطولها حوالي ٤ كيلو مترات وترتفع عن سطح البحر ٢٢٥٩ متراً .

القومية	النفوس	النسبة المئوية بالنظر لمجموع النفوس العام
الجبليون (جركس)	٣,١٩٠,٠٠٠	٪٧٢
روس	٥٨٠٠٠٠	٪١٣,١
اوكرا نيون	٢٥٠٠٠٠	٪٥,٦
أرمن	١٤٨٦٠٠	٪٣,٣
ألمان	٦٠٠٠٠	٪١,٤
روم	٣٠٠٠٠	٪٠,٧
بولونيون	١٥٠٠٠	٪٠,٣
قوميات أخرى مفرقة	١٥٦٣٠٠	٪٣,٦
المجموع	٤٢٢٩٩٠٠	٪١٠٠

★ ★ ★

من دائرة المعارف البريطانية صفحة ٥٦ العنوان (نباتات اواسط غربي قفقاسيا) :

في هـذه المنطقـة تكـون النباتات اكبر والأزهـار اوفر منها في جبال الالب وفيها تكثر غابات الزان واشجار الخنشار الضخمة. وكثير من النباتات العشبية التي تزهر في حدائق انكلترا تنمو هنا نمواً عجيباً. وتنمو هنا ايضاً الكثير من البهارات. وكذلك تزهر الأزهار الجميلة حتى ارتفاع (٦٠٠) م عن سطح البحر، وتنمو أشجار الجوز حتى ارتفاع ١٦٢٠ م والعنب والتوت حتى ٩٦٠م والليمون حتى ارتفاع ١٢٠٠ م في الساحل واعلى مستوى للأشجار هو ٢٢٥٠م وللأعشاب النامية ٢٥٥٠ م وللمروج العشبية ٢٧٠٠م عن سطح البحر.

الحيوانات البرية: يوجد في الجنوب عند الجبال الغزال والارانب والدب والذئب والفهد والنمر والثعلب والهر الوحشي والخنازير البرية. وفي غابات الشمالي الشرقي الوعل والأسد والنمر، والمنطقة الالبينية تشتهر بوعولها وديكها الهندية. وفي الشرق الغابات غنية بوعولها ومعزها وثعالبها ذات الفراء الطويل الناعم، وفي سهولها تكثر الذئاب والنمور.

كان القفقاس يعّد قديماً من القارة الآسيوية، وكذلك القسم الشرقي من روسيا الحالية وكانت حدود أوربا الشرقية تتوقف عند نهر الدون.

وذلك خلافاً للجغرافيا الحديثة التي تعتبر القفقاس حتى حدود تركيا وايران وكذلك روسيا حتى جبال الاورال، تعتبرها من القارة الاوربية.

ولقد ذكر مؤرخو اليونان القدماء، ومنهم **هيبوقرات** في القرن (٤ ـ ٥) قبل الميلاد وجود قبائل بدوية في سهول القفقاس الشمالية تتنقل على عربات ذات اربع عجلات يقودها عدد من الثيران، وترعى قطعان الغنم والأبقار والخيل وتعيش على البانها ولحومها، وتضرب في تلك الارجاء طلباً للكلأ والمراعي.

وذلك يدل على وفرة المراعي والمواشي في القفقاس وقابليتها الطبيعية لتربية الحيوانات والزراعة.

على ان السهوب الشرقية المحاذية لبحر الخزر شمال نهر قوما فيها اقسام رملية صحراوية واسعة وهي قليلة الأمطار لايعيش فيها إلا قلة من العشائر البدوية.

ولقد تحدث سترابون عن خصوبة الارض في القفقاس وخاصة عن منطقة كولخيديا التي زراها وقال ان الارض عندهم تعطى في السنة موسمين وثلاثة واحياناً اربعة مواسم.

فأما العسل القفقاسي وصفاؤه ورائحته الزكية وجودة طعمه فيتحدث عنها كل من زار القفقاس قديماً وحديثاً وتربية النحل واسعة الانتشار خاصة في القسم الغربي الواقع تحت تأثير البحر الأسود، وذلك لوفرة الأزهار البرية وتنوع وطيب رائحتها.

وللصيد البري اهمية كبيرة اقتصادية لوفرة حيوانات الصيد للحوم والفراء، وقديماً كانت حيوانات الصيد اكثر تنوعاً ووفرة، والمؤرخون القدماء يذكرون هذا ومما ورد عنهم وجود كلاب صيد ممتازة وان اثنين من اجمل واحسن كلاب الصيد في القفقاس اهديت الى العاهل اليوناني اسكندر المكدوني الكبير، وكذلك الحديث عن وفرة الصيد البحري وتنوعه، وأما عن المعادن بأنواعها وخاصة النحاس والحديد فهي كثيرة، في جبالها ومنحدرات الجبال الشمالية تحوي كثيراً من آثار المناجم المعدنية القديمة والآثار التي كشفت في مقابر القوبان تدل على ذلك حتى ان الرأي السائد عند علماء الآثار ان استعمال المعادن لأول مرة ظهر في القفقاس وان حضارة عيلام وسومر في وادي الرافدين ماهي الا امتداد للحضارة القفقاسية المعدنية.

ومعلوم ايضاً ان الذين اشتهروا بالصناعات المعدنية قديماً ووصلت مصنوعاتهم التجارية الى فينقيا وفلسطين هم قبيلة (حاليب) وهي قبيلة كرجية اشتهرت قديماً في صناعة الأدوات الفضية والذهبية والاتجار بها .

وان منطقة أذربيجان الحالية كانت تسمى قديماً (ألبانيا) الآسيوية لتفريقها عن ألبانيا الأوربية بلاد الأرناؤوط، وان قبائل توسقي الكرجية تشابه بالأسم قبيلة (توسقا) الأرناؤوطية.

وإن قفقاسيا الشمالية تؤمن احتياجات الجيش الروسي من الجياد واللحوم والحبوب.

وإن جبال القفقاس تكوّن سلسلة بركانية هامدة واسعة يكثر فيها الغرانيت والبروفير .

ويوجد في منابع القوبان مكامن للنحاس وفي وديان (آلا غير) مناجم للرصاص، والجنكو وكذلك الفحم الحجري، وفي منطقة منغرقلي في الجنوب توجد مناجم الحديد والنحاس بوفرة وفي قره باغ مناجم الرصاص والنحاس، وفي وادي رأس الملح في كوتائيس الفحم الحجري، هذا عدا عن الثروة النفطية الهائلة التي تحدثنا عنها.

وأما عن المياه المعدنية فحدث ولاحرج، ففي بياتفورسك توجد مياه معدنية كثيرة مختلفة (من مجلة تفقاس دركيسي العدد الأول كانون الثاني ١٩٥٣ ص ٦ و ٧) . وحسب الأحصاء الأخير ففي قفقاسيا (٦٠٠) نوع من المياه المعدنية،ودرجة حرارة المياه الحارة تتراوح ما بين +١٠ الى +٦٢درجة وبينها الحديدية والكبريتية والقلوية والآسيدية، وفي بعضها اليود والبروم .

وفي مسافة ٣٠ ـ ٤٥ كيلومتراً في الشمال توجد انواع من المياه المعدنية تضاهي وتفوق مياه فيشي وماريناباد وشوالباش وله شون .

وقد اشتهر القفقاسيون بأنهم مزارعون من الدرجة الأولى حتى ان المستر جيمس بيل الذي زار البلاد عام ١٨٢٦ م وهو انكليزي يصف الحقول الجركسية بأنها مشابهة لمزارع يوركشاير في انكلترا، وفي كثير من المحلات ينمو نبات القمح الى ارتفاع ١٨٠ سنتمتراً .

من كتاب قادرجان قافلي (من قبل عام ١٩٢٠م) .

أهم المرافىء على البحر الأسود: نوفوروسيسكي - طؤابسهِ - صوجي - صخوم
وفي ساحل بحر الخزر: بتروفسكي - أجدرهان- أستراخان - باكو - دربند

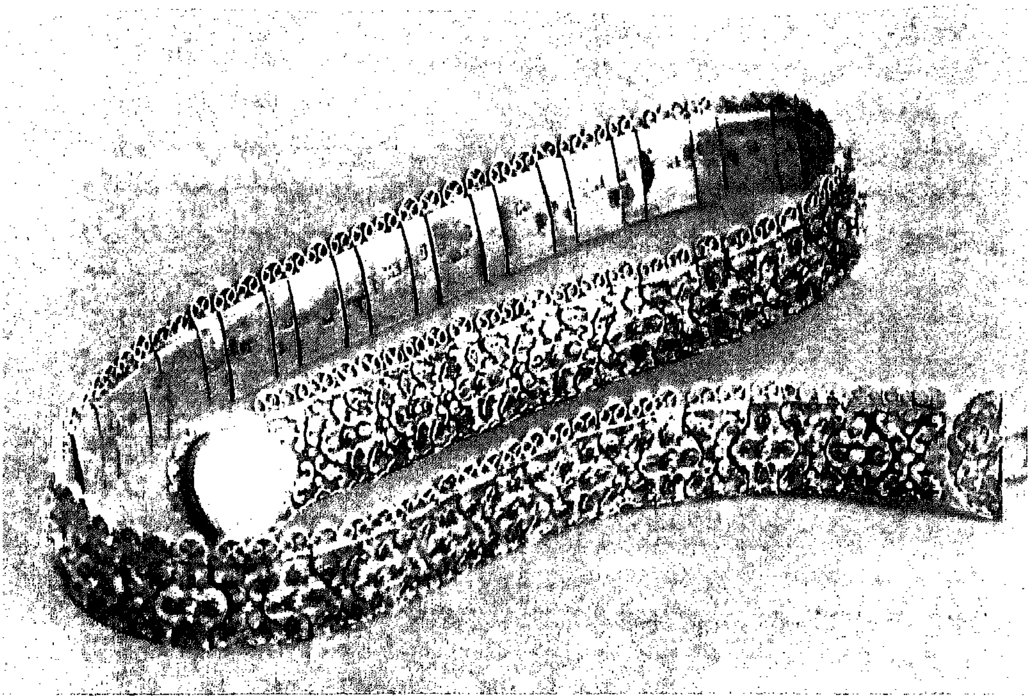
أهم البلدان

سونج قاله : نفوسها (٢١٠) ألف نسمة من منطقة الجاجان وهي منطقة بترولية
تيرك قاله : نفوسها (٨٠) ألف نسمة من منطقة الأوسيت والأينكوش على ضفة تيرك
ستاوربول : نفوسها (٦٠) ألف نسمة وهي الى الشمال من تيرك قاله

وكثيرة هي البلدان التي لاتقل نفوسها عن (٣٠) ألف نسمة مثل بتروفسكي - مايكوب - أرمافير - صوجي - نوفوروسيسكي

وهنالك الكثير من البلدات التي لا تقل نفوسها عن ستة آلاف نسمة كما ان قراها كبيرة ووسطياً فيها ٥٠٠ أسرة.

هذه المعلومات تعود الى الفترة ١٩٣٠ - ١٩٤٠ م



حزام نسائي . فضة مذهبة . جلد . خلطة خاصة . القرن التاسع عشر متحف جمهورية كبردا

الجركس

الجركس هم الشعب الذي وطنه الأصلي قفقاسيا الشمالية. وبمواطنهم تمتد مع السفوح الشمالية لسلسلة جبال القفقاس ويمكننا تحديد حدودهم الجنوبية بخط يمتد من شبه جزيرة أبشيرون على ساحل بحر الخزر شرقاً الى ميناء صخوم على البحر الأسود غرباً،أما حدودهم الشمالية فكانت قديماً تمتد حتى المنعطف الذي يتقارب فيه نهري الفولغا والدون والذي حفرت فيه السلطات السوفياتية قناه توصل النهرين ببعضهما ويسمح لعبور السفن الصغيرة من البحر الأسود الى بحر الخزر .

والعرب يقولون جركس = شركس = سركس والأفرنج يقولون سيركاس = كيركاس سيركاسين؛ وذلك حسبما تلفظ الاسماء مع بعض التفاوت حسب لهجات الناطقين .

وقد تضاربت أقوال مختلفة في هذه التسمية سنتعرض لها في هذا البحث .

١ ـ يقـول المؤرخ الروسي الكساندرباشماكوف في كتابه المطبوع عام ١٩٣٧م في فصل [الآثار الدفينة للميديترانيين] مايلي:

" خلال مدة لم نتمكن من تحديدها بالضبط ولكن في ظرف يمتد من خمسة آلاف"
" الى ألفين سنة قبل المسيح، كانت سواحل البحر الأسود كلها محاطة بشعب كاس"

٢ ـ ويقول العالم التاريخي [جورج مانتادن] .

" ان بقية الشعب الذي اوجد الحضارة الاوربية السابقة للمدينة الهنداوربية يجب التفتيش عنهم في قفقاسيا.

٣ ـ يقول عالم اللغات [بنغي] مايلي:

" ان المنطقة المحصورة بين حوض الدانوب وبحر الخزر هي مهد ومنشأ اللغات الاوربية القديمة"

٤ - المؤرخ سترابـون الذي عاش في القرن الاول للميلاد يسمى الجراكسة [جيكس] او [جيكت] وفي هذه التسمية توجد كلمة [كاس] محرفة باليونانية.

٥ - والمؤرخ [بلين] يسمى الجراكسة [سرست=كركس] ويذكر علاوة على ذلك ان قبيلة ققفاسية كانت تسكن في شمال هؤلاء تسمى [سيراكس]

٦ - اما الايرونيون الاستين وهم من اقدم سكان القفقاس، فيسمون الجراكسة [كاساك = قازاخ] [كشك معناها السهليون بلغة الايرون]

٧ - ومؤرخو بيزنطه قد اصطلحوا على تسمية بلاد الجراكسة (قازاخيا) .

٨ - والمؤرخون الروس اطلقوا قديماً على الجراكسة اسم [قاسوغي] كما انهم كانوا يطلقون على قبائل القوزاق التي كانت تسكن شمال نهر القوبان اسم [سركس]

٩ - كذلك المؤرخ الروسي [قسطنطين بوغرانوري] كان يسمى القبائل الجبلية في القفقاس باسم [قازاخ] وبلادهم [قازاخيا]

١٠ - والمؤرخون العرب يسمون الجركس [سركس - سراكس . شركس - جركس]

١١ - والداغستانيون معروفون قديماً باسم [ليكس = ليك]

واستناداً على ماسبق فإنه بوسعنا ان نؤيد بكل قوة ان سكان ققفاسيا الاول كانوا معروفين باسم شعب [كاس]

وعلى هذه التسمية اتفق قدماء المؤرخين وحديثوهم وتوافقت الاسماء القديمة مع الاسم الجديد لشعب [جركس - جركاس] وبلادهم [كاف كاس] بالنسبة للشعوب كلها قديماً وحديثاً .

على انه جدير بنا ان ننوه ان اسم [كاس = كاز = قاس = قاز] قد نسي منذ زمن بعيد، ولكنه بقي مركباً مع أدوات النسبة او مع اسم اخر ومحرفاًبسبب لهجة الاقوام الذين يلفظونها واحرف الكتابة التي يكتبون بها؛ حتى الجراكسة نسوا مصدر اسمهم القديم .

ولقد طال الجدل والتخمين حول مصدر اسم جركس بشكل غريب لا يتفق مع الواقع ويبتعد عن التاريخ والحقيقة .

ونجزم هنا، ان هذه الكلمة المستعملة حالياً في تسمية شعب شمال القفقاس، ما هي الا كلمة من مقطعين هما:

[سير - كاس] والمقطع الاول كان نعتاً او ما شابه ذلك أضيف على المقطع الثاني الذي هو الاسم القديم لهذا الشعب، ثم لفظه كل قوم حسب لغتهم .

وفي ذلك الدليل السكاني على ان الجركس هم بقايا شعب [كاس] اول من سكن بلاد القفقاس، وانهم قد حافظوا على قوميتهم عبر الدهور ورغم الأحداث والزمان.

القبائل الجركسية الحالية

كان اسم جركس يطلق على جميع سكان قفقاسية الشمالية شرقيها وغربيها، ولكن بعد ما غلبت العناصر التركيةسكان الداغستان كثرة وحكماً جعلوا يعتبرون سكان الداغستان جميعاً من الأتراك، كما حدث في أذربيجان التي كانت تسمى [ألبانيا] عند اليونان والرومان وبمرور الزمن واختلاط الجركس بالأتراك وتأثرهم بهم استترك القسم الكبير منهم، وأصبح اكثر الباقيين يميلون الى الاعتقاد بأنهم اتراك، حتى صاروا في العهد الاخير هم انفسهم يخصون باسم جركس سكنة قفقاسية الغربية [الآديكة] ويقولون عن انفسهم انهم [داغستان] مع ان كلمة داغستان كلمة تركية تعني [البلاد الجبلية] والروس يصفون القفقاسيين بأنهم [جبليون]

أما بعد الاحتلال الروسي، ثم العهد الشيوعي، فقد انحصر اسم جركس في بقعة صغيرة متوسطة هي منطقة قبيلة بسلاني فسموها باسم [جركاسكي] الا ان الأجانب لا يزالون يستعملون اسم [جركس] على سكان شمال القفقاس.

والقبائل الجركسية الرئيسية الموجودة حالياًهي:

أولاً: القبائل الشرقية:

١ ـ **الداغستانيون:** لزكي ـ لاخ = غازي قوموق، أندلال = آوار

٢ ـ **الجاجان:** نوخجي، ججن، غالغاي، إينكوش ، توش .

ثانياً: القبائل الجبلية في الوسط :

٣ ـ **قوشحه** : حسبما يسميهم الآديكة، وهم الاوست ومنهم الديغور والآستين.

٤ ـ **قره شاي** ويغلب فيهم العنصر التركي وموطنهم قرب جبل ألبروز.

ثالثاً: قبائل الآديكة في الوسط والغرب:

٥ ـ قبارطاي ـ بسله ني ـ فرعان لقبيلة كبيرة يتكلمان لهجة واحدة.

٦ ـ جمكوي = كمركوي ومن فروعها [مه خوش ـ يجر قواي ـ آدمي] .

٧ ـ حاتقواي .

٨ ـ بظه دوغ وفرعاها ججناي وخميشي .

٩ ـ آبزاخ ولهم عشائر كثيرة .

١٠ ـ شابسوغ ـ نتخواج ـ فرعان لقبيلة كبيرة يتكلمان لهجة واحدة .

١١ ـ جيخ = زيك وهم الأوبوخ والبراقي .

رابعاً : المنطقة الجبلية في القسم الجنوبي الغربي على ساحل البحر الأسود:

١٢ ـ أبخاز ـ أباظة ـ آذيغة ـ باسخيغ = باسك. وطبعاً لكل من هذه القبائل فروع تالية كثيرة.

اللغات التي يتكلم بها قبائل الجركس.

القبائل الشرقية ـ ويتبارز فيها لغات اللزكي الجاجان والآوار

القبائل الجبلية ـ الاوست لهم لغة خاصة قريبة من الفارسية القديمة

ـ القرشاي ايضاً لهم لغة خاصة قريبة من احدى اللهجات التركية

قبائل الآديكة يتكلمون لغة واحدة ويختلفون في اللهجات، فقبائل [حاتقواي ـ بظه دوغ ـ جمكوي ـ أبزاخ] لهجتهم مثلاً كلهجة سوريا ولبنان اما الشابسوغ وكذا القبرطاي فلهجاتهم أكثر اختلافاً كلهجة سوريا ومصر ، أما عن قبيلة الزيك الأدبرخ فلهم أيضاً لهجة قريبة من الآبزاخ ويقال إنه كانت لهم قديماً لغة خاصة .

قبائل الأبخاز : يتكلمون لغة خاصة بهم ، لا يفهمها الآديغة ، ولكنها حسب قول علماء اللغة قريبة منها في الأصل .

وعدا هؤلاء يوجد في قفقاسيا الشمالية عناصر تركية وتتريه ومغولية ، كما دخل بينهم بعد الاحتلال الروسي عناصر من القوزاق والروس كبيرة وجاليات من الأرمن واليهود والألمان والبولونيون وغيرهم من الأقليات الصغيرة .

تقولات حول اسم الجركس

١ ـ يقول الأتراك ان اسم جركس اطلقه عليهم [اوغوز خان] المعاصر لسيدنا ابراهيم عليه السلام بإعتبار براعتهم في الجندية، لأن جري بمعنى جندي باللغة التركية، ومقطع [كِس] بمعنى الرجل، فيكون معنى كلمة جركس هو [الجندي الرجل].

إلا أن كلمة [كِس] بمعنى رجل هي كلمة فارسية دخيلة على اللغة التركية الحديثة.

٢ ـ وهناك قول ثان لبعض مؤرخي الترك المحدثين (تاريخ أماسيا جزء٢ صفحة ٤٧) إن [أتيغ خان] ابن [كمير خان] الملك الحثي الذي استولى على آسيا الصغرى كان قد تزوج [جيرغاس]بنت [كون خان] بن [أوغوز خان] فإشتهرت أنسال أتيغ خان من زوجة جيرغاس بإسم [جركس] بنوع من التحريف.

٣ ـ وذكر البستاني في دائرة المعارف [جزء ١ صفحة ٤٤٠] ان مؤرخي القرون الوسطى يذكرون الجراكسة بإسم [سيراكس] ثم قال " وشركس كلمة تترية معناها قطاع الطريق أطلقها عليهم التتر".

فكأن البستاني استخلص ذلك من كلام [جول هنري كلا بروت]ذلك العالم الالماني الذي كانت دولة الروسيا انتدبته ليقوم بتحقيقات علمية في القوقاز في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد حيث يقول في مؤلفه المشهور عن القوقاز و المطبوع سنة ١٨٢٣م مايلي: " والاحتمال الغالب ان لفظة جركس مركبة من كلمتين تركيتي الأصل [جر] بمعنى الطريق و[كس] بمعنى القطع فيكون التركيب جركس بمعنى قاطع الطريق أطلقها عليهم التتر" وتجويز هذا التخريج مستغرب جداً من عالم مؤرخ، وإن كان ذكره على سبيل الاحتمال لا الجزم، واغرب منه تحويل البستاني ذكر الاحتمال الموهوم الى الجزم والقطع .

والحق ان هذا التخريج خطأ صارخ فأن [جر] لا تأتي في أية لهجة من لهجات الاتراك بمعنى الطريق ابداً، كما لم ترد بهذا المعنى في اي معجم من معاجمهم على كثرتها مابين قديم وحديث، ثم ان كلمة [كَسْ] بمعنى [اقطع] صيغة أمر ولاتفيد معنى القاطع إلا إذا ألحقنا بآخرها نوناً وقلنا [كسن] .

ولغة الترك وإن كانت تشارك لغة الفرس في ان المادة الأصلية فيهما هي صيغة الامر بيد أن المادة الأصلية في لغة الفرس إذا ركبت مع كلمة اخرى تتقدم عليها يزول عنها معنى الأمر، وهو يفيد عندها معنى اسم الفاعل بخلاف اللغة التركية فإنه لايجري فيها مثل هذه القاعدة أصلاً كما لايخفى على من له المام باللغتين فلا يكون لهذا التخريج وجهة صحة لا من حيث الأفراد و لا من حيث التركيب .

٤ ـ ويذكر ابن خلدون والبدر العيني وغيرهما من ثِقات المؤرخين العرب ان الجركس لهم

اربع قبائل هي [تركس]،[آراكس]،[كسا] و [آص] وتتفرع من تلك القبائل الأربع بطون وأفخاذ كثيرة ذكروها فعلي هذا يقرب جداً ان يكون التلقيب [جركس] اتى من جيرانهم الفرس بمعنى [الرجال الأربعة] ذلك لأنه ورد في كتب التاريخ العربية القديمة إطلاق اسم [جهاركس] و [جاركس] و[جهار] بالفارسية أربعة [وكس] بمعنى رجل .

- فقبيلة [تركس] هم سكان ضفاف نهر [تيرك] في الشمال الشرقي من جبال القوقاز ويقال لهم ايضاً [ثركس] و[سركس] و [ثراكه] الى الفاظ اخرى متقاربة .

وهكذا نرى ان اسم [سركس = جركس] هو اسم سكان الداغستان حتى بعد الفتح العربي.

- وقبيلة [أراكس] هم القاطنون دون نهر [أركس] القديم في مصب نهر [الرس] ونهر [كر] في بحر الخزر الى الجهات الواقعة في الجنوب الشرقي من الجبل المذكور قبل استيلاء المغول والسلجوقيين على تلك الجهات.

وهذا يدل على ان الجركس هم ايضاًسكان البانيا القديمة او اذربيجان الحالية.

- وقبيلة [آص = آس] هم أل [لان] كما يذكره الحافظ الشهابي العجمي في ذيل كتابه [لب اللباب] وهم مقيمون في الجنوب الغربي من قمة جبل البروز حتى البحر الاسود .

وهكذا نجد ايضاً ان القوشحة آستين هم ايضاً من الجركس .

- وقبيلة [كسا] يقال لهم ايضاً [كاساك] و [كساق] وهم وراء جبل البروز في الشمال الغربي من جبال القوقاز الى سهول نهر القوبان وتلك الجهات .

وهؤلاء هم الآديكة الذي يكاد ينحصر فيهم اسم جركس في هذا الوقت.

وتلك القبائل الأربعة تتدرج ضمنها جميع البطون والأفخاذ القوقازية الأصلية، وكان اطلاق اسم الجركس على هذا المعنى الأعم قديماً، وكان لفظ الجركس والقفقاسي بمعنى واحد، ثم خصته الروس بقسم من سكان شمال القفقاس لأغراض سياسية خاصة حتى تم تناسي الإطلاق الأعم، واشتهر الاطلاق الاخص في المدة الاخيرة.

وما ورد في هذا التعليق المتقدم قد استخلصناه من كتاب الفتوح وكتاب المسالك والممالك ومن مؤلفات أخرى لثقات مؤلفي العرب .

ومن المفيد ان نشير هنا الى ان اسماء اخرى عديدة قد اطلقت قديماً على شعب القفقاس سنتعرض لذكرها في أبحاثنا القادمة .

وأضيف هنا انه ان كان لابد لنا من القول بوجود مقطع [جهار] وهو الأربعة بالفارسية فأن [جهار كاس] معناها [الأربعة الكاسيون] وهي القبائل الأربعة الحاملة لأسم كاس [تركس - أركس - كسا - آس]

ولنا ان نشير اخيراً ان جميع قبائل الجركس الذين اوردنا اسماءهم في القائمة المارة صفحة [٣٩] يقبلون جميعاً هذه التسمية المشتركة ويعترفون بها ويفخرون بها ويقولون بزهو واعتزاز

[أنا جركسي] .

بل أنهم في الوقت الحاضر، خاصة في تركيا والبلاد العربية، الاوطان الجديدة للمهاجرين منهم، يتقبلون جميعاً بدون اعتراض اسم [آديكة] وينتسبون بفخر لهذا الاسم الذي اضحى الاسم القومي اليوم للجراكسة؛ إلا من داخله الريب والظنون بمنشأ قوميته ممن اصابتهم الدعايات الروسية المغرضة بالفتنة وعدم اليقين .

٥ ـ وهنالك مقال اخر حول اسم الجركس اخترعه ووضعه المماليك الجراكسة في مصر، ومفاده ان كسا بن عكرمة اقترف ذنباً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهرب مع قسم من عشيرته واستقر في القفقاس وقيل [سراكسا] ليلاً ثم تحول الاسم الى سركس او جركس .

٦ ـ والأغرب من ذلك، ان بعضاً من الاشخاص من عشيرة عنزة البدوية في سوريا كانوا يقولون للمهاجرين الجراكسة " نحن وانتم اقرباء فنحن العنّاز وانتم المعّاز" ولا اعلم من اين اتوا بهذه الفكرة.

إن اسم القفقاس يدل على ان جبال القفقاس هي في موطن شعب الكاس، وان شعب الكاس هو الذي يقيم في القطر الذي فيه جبل القفقاس .

وفيما يلي من الأبحاث معلومات مفصلة عن قبائل الجراكسة في القفقاس وعن مواطنهم واصولهم .

* * *

راجع الصفحة ٣٤١ من هذا المخطوط (مجموعة تاريخ القفقاس) . إذا راجعنا دائرة المعارف الفرنسية في القرن التاسع عشر، نجد فيه عند البحث عن قفقاسيا ان اليونان كانوا يطلقون قديماً على الجراكسة اسم آنت .

أما سترابون فيسمي الجراكسة جيكس = جيكت وادريان يسميهم تسوخي وبلين يسميهم سرست = كركس ، كما يسمي قبيلة آخرى [سيراكس] كانت تسكن شمال الكركس.

وقد ورد في الخريطة التي رسمها [لاب] اعتماداً على خريطة بطليموس وبلين التي ظهرت من قبل، اسم [انتيخه] عند اتصال نهر لابا بنهر القوبان الخ..

ففي هذه المعلومات الاسم الصريح للجركس، والآديكة في تلك العهود التاريخية القديمة، فلا حاجة للتقولات الأخرى.

الآديكة (قفقاسيا في التاريخ ص ٧٨)

يكتب هذا الاسم بالحروف العربية [آديكة] أو [آدغة] واللفظ الصحيح بدلاً من الكاف أو الغين حرف باللغة الجركسية لفظه بين الكاف والغين واعتقد ان هذا الحرف لا يوجد الا في اللغات القفقاسية .

والآديكة هم سكان قفقاسيا الشمالية الغربية من الجراكسة، وعليهم انحصر اسم جركس في الأيام الأخيرة كما اوضحت ذلك، ولقد ذكرت في السابق قبائلهم وعشائرهم الكبرى في القائمة صفحة ٣٩ وهم القبائل رقم [٥ - ١١] اي سبعة قبائل كبرى .

واسم [آديكة] هو الاسم القومي لجراكسة حوض نهر قوبان والقسم الاوسط والقسم الشمالي من ساحل البحر الأسود .

وقد كانت هذه التسمية معروفة قديماً لدى الأغريق والرومان، إذ وردت في آثارهم ولتحري أصل هذا الاسم نورد ما يلي :

١ - كان البيزنطيون يطلقون على دلتا نهرالقوبان اي نهاية شبه جزيرة تامان اسم [آتيخه]

٢ - في الموقع الذي يرفد فيه نهر اللابانهر القوبان مكان يسمى [آنتيا]

٣ - يعرف المؤرخ سترابون منطقة نهر القوبان باسم [آنتيكيتس د ه س] ومعنى هذه التسمية واضح باللغـــة الجركسية وهـــو : (المقيمون في وادي الآنت) مع ملاحظة أن المقطع (تيس) هو أداة نسبة في اللغة اليونانية .

فنستخلص من هذا كله ان أصل كلمة آديكة هو [آنتخه] بمعنى [الآنتيون] ولنا في الابحاث القادمة بحث عن قوم الآنت.

★ ★ ★

وقد جاء في كتاب تاريخ القوقاز ل مت عزت باشا صفحة ٨٢ مايلي:

مذكـــورة في القامـــوس الكبيـر الذي جمع ونشـر بمعرفـة لجنــة علمية برئاسة العالم [جون تروس] بالجزء الثاني صفحة ٩٥ ما يأتي :

[أديغة] اسم الجراكسة الأصلي، ومعناه نجيب، أصيل ، أنسان نبيل ، والجراكسة من السلالة الآرية ، وكلمة [آري] معناها باللغة السنسكريتية الهندية أصيل ، نجيب ، ومنها اشتقت كلمة [اريستوقراط] المدلول بها على النبلاء ذوي الأصالة .

والواقع ان الجراكسة يستعملون هذه الكلمة للدلالة على معنى [الانسان الكامل] .

فإذا أعجبهم شخص بأخلاقه ورجولته قالوا : [كأنه آديكة] أو [أنه آديكة تماماً] ؛ وإذا اقترف احدهم نقيصة يعيرونه بقولهم [أنت لست آديكة] و [لاتحمل صفات الآديكة] .

وتقاليدهم هي بمثابة القانون الاجتماعي عندهم ويسمونها [آديكة خابزة] بمعنى [عادات الآديكة] وهذه العادات تنظم عندهم جميع نواحي الحياة والتربية القومية الجركسية.

وهذه التقاليد معروفة ومرعية الاجراء عند جميع الجراكسة غربيهم وشرقيهم، لا فرق بينها الا في بعض النواحي الجانبية التي لا تمس صميم هذه العادات .

وفي وقتنا الحاضر عمّ هذا الاسم جميع قبائل الجركس، وذلك فيما بينهم ، فالجركسي يقصد بكلمة آديكة جميع الجراكسة بما فيها الداغستان واللزكي والجاجان والقوشحه آستين والقره شاي والأبخاز (أباظه) أما اسم جركس فقد عم استعماله لدى المهاجرين حتى على العناصر التركية القفقاسية مثل النوغاي والزيبك وسواهم ممن تجركسوا فعاشوا مع الجراكسة وحاربوا معهم وهاجروا معهم، بل وهم انفسهم يتقبلون فكرة انهم من الآديكة .

ومن المفيد ذكر الملاحظات الكلامية التالية:

١ - في اليونان تسمى مقاطعة أثينا [أتيكا] وفي مصر تسمى منطقة بين البحر الأحمر ونهر النيل بلاد ال[آتيك] وفي ايطاليا يوجد نهر يسمى [آديخ]

٢ - يذكر السائح العربي المسعودي: انه وجد في حوض نهر القوبان قبيلتا [حت] و [احمت]

ويلاحظ وجود تشابه بين كلمة آديكة وحاتخه، والمقطع الثاني [خه] أداة جمع فمعناها [الحاتيون]

٣ - ورد في آثار البيزنطين ان الكيركاس يطلقون على انفسهم اسماء آنت وآديكة.

من الملاحظ ان جميع هذه التسميات تشترك في أصل واحد تتلخص في اسماء [حات - آت - أنت] فلو اضفنا اليها ضمير الجمع في اللغة الجركسية [خه] وهي تلفظ مثل الخاء الألمانية ، لحصلنا على الكلمات [حاتخه - آتخه - آنتخه] ونرى بجلاء قربها من كلمة [آدغة] التي هي الاسم القومي للجراكسة حالياً .

★ ★ ★

دراسة جيولوجية

ونحن في دراسة تاريخ القفقاس القديم والحديث ارى من اللازم التعرض بإقتضاب للحوادث الجيولوجية التي اثرت في جغرافية تشكل الأرض، لأنها ذات مساس مباشر بتوزع السكان وانتقالهم في انحاء الأرض وتشكلاتهم البدنية والعرقية والقومية .

الجموديات: تقريباً خلال امتداد ٥٠٠ ألف سنة من الزمن تعرضت الكرة الارضية الى اربعة جموديات كبيرة، وعدة جموديات موضعية صغيرة كانت تحصل في الفترات الزمنية

الطويلة التي تفصل الجموديات الكبيرة، على ان المتفق عليه ان الجمودية الرابعة الاخيرة لم تعقبها سوى جمودية صغيرة واحدة وتسمى بالجمودية الخامسة وقد امتدت حتى ماقبل ٢٥ ألف سنة من زمننا هذا او ما قبل المسيح .

الجمودية الرابعة: يقدر العلماء انها دامت زمناً اطول وغطت مساحة من الارض اوسع بكثير من سابقاتها، وعلى ذلك فتوزع الحياة والاحوال الطبيعية في النصف الشمالي من الكرة الارضية تخضع للظروف التي أحدثتها هذه الجموديات خاصة الرابعة والخامسة .

في هذا الدور كانت الجموديات تغطي كاملاً ما وراء خط العرض الخمسين شمالاً، وتنحدر الى الجنوب من المناطق الجبلية والهضاب العالية فقط، ويمكننا تحديد الخط الخمسين كما يلي:

اعتباراً من الشرق خط يمتد من جنوب بحيرة بايقال السيبرية وبحيرة آرال التركستانية الى بحر الخزر والبحر الاسود الى الأقسام الشمالية من جبال الكاربات في اوربا وعلى امتداد ذلك نحو الغرب حتى ساحل المحيط الاطلسي وما يقابل ذلك من امريكا الشمالية.

اما امتدادات الجمودية نحو الجنوب فهي الجبال التي تسيج الصين من الشمال وهضاب بامير وجبال هملايا وجبال ايران الشمالية وكتلة جبال آرارات والأناضول وكتلة جبال الكاربات وامتداداتها ومايوازي ذلك من اوربا الغربية.

والمفروض أن شمال هذه المناطق كانت مستورة بالجموديات الهائلة وقد نجم عن ذلك.

١ ـ فقدان شروط الحياة في مساحات واسعة من الأرض، ثم ان امتداد الجموديات في المناطق الجبلية الى الجنوب حصرت بينها مساحات واسعة متفرقة من الأرض تحيط بها الجموديات وتعزلها عن بعضها عزلاً تاماً.

٢ ـ ان الرطوبة والتغييرات الجوية التي أحدثتها وهبت الحياة لكثير من المناطق القريبة منها مثل صحاري غربي الصين وصحاري تركستان وايران وبلاد العرب والصحراء الكبرى في شمالي افريقيا.

لهذا السبب نجد ان أحواض الانهر الكبرى مثل النيل والفرات ودجلة والغانج ويانغسي في الصين تشكل المهود الأولى للإنسانية والمدنيات البشرية الاولى و منها صدرت موجات الهجرات والانتشار الى أطراف المعمورة.

أحوال البحار والأراضي: كانت قارة آسيا مرتبطة بقارة امريكا عن طريق اليابسة قبل حصول مضيق بهرنك الحالي، وكانت اوربا تتصل ارضاً بجزيرة ايسلاندا ثم غروئلاندا، كما انها كانت تتصل بالقارة الافريقية بجسرين ارضيين احدهما في مكان مضيق جبل طارق الحالي، والثاني امتداد شبه الجزيرة الايطالية عبر مضيق مسينا حتى سواحل تونس، وعلى ذلك فإن البحر الابيض المتوسط كان مقسوماً الى بحرين داخليين شرقي وغربي، وكان وادي نهر

البو حينذاك بحراً.

وكانت افريقية متصلة بآسيا عند مضيق باب المندب وكان البحر الأحمر بحراً داخلياً.

وكانت بلاد المجر الحالية بحيرة داخلية تفصلها عن البحر الأسود جبال الكاربات ولم تكن مضائق البوسفور والدردنيل موجودة، وكان البحر الأسود يتصل ببحر الخزر في القسم الشمالي من القفقاس وبحر الخزر يتصل ببحيرة آرال في أواسط آسيا، وعلى ذلك فالمساحة الواسعة التي تمتد من البحر الأسود حتى بحيرة بالخاش كانت بحراً داخلياً.

وكان خليج البصرة يمتد داخلاً حتى موقع [حيت] على نهر الفرات، وموقع سامراء على نهر الدجلة فيتضح لنا إذاً ان القارات الاربع كانت متصلة ببعضها، وان الصحارى الواسعة التي نراها اليوم كانت مناطق ممطرة وذات طبيعة حائزة لجميع الشروط الحياتية للحيوان والإنسان.

الوضع الجيولوجي في قفقاسيا

مما لا شك فيه ان قفقاسيا كانت تحت تأثير الاحوال الطبيعية التي ذكرناها آنفاً، فمثلاً حينما كان البحر الأسود و آزاق متصلين ببحر الخزر، لم تكن هناك سهول قفقاسيا الشمالية. او حتى لم تكن المجاري الأصلية لنهري، تيرك والقوبان، وان بحيرات ومستنقعات مانيج هي آثار باقية من ذلك البحر الذي انحسر، وعدا ذلك فإن منطقة بلاد الجاجان حاصلة من انزلاق وانهيار الجبال المجاورة،وعلى ذلك فإن نهري أمسا وآرغون حاصلان بعد هذا الهيلان .

وإذا كانت السهول الشمالية بحراً والاقسام الجنوبية مستورة بالجليد فمن الطبيعي ان شروط الحياة البشرية كانت مفقودة فيها، وإن بني الانسان ما سكنها الا بعد انتهاء ذوبان الجموديات ثم انحسار المياه عن السهول الشمالية، ثم جفاف تلك البقاع واكتساب الشروط النباتية .

ومع هذا فقد عثر في القوبان مؤخراً على جمجمة يرجح انها لانسان من فصيلة (نائندرتال) الذي يشبه القرد والذي عاش في الدور الجيولوجي الرابع، والمعقول ان هذا المخلوق تغلغل الى هناك في الفترة التي سبقت دور الانجماد الرابع ثم اندثر وانقطع في دور الانجماد الاخير. ومنذ ٢٥ الف سنة اخذت الجمودية بالذوبان، ومن المعلوم ان ذلك سيتسبب في تبدلات هامة في طبيعة الأراضي والطقس والأقليم، وان الجليديات الذائبة ستشكل سيولاً هائلة وستغمر جميع المساحات التي تنحدر اليها ولاتجد منفذ خلالها بين الجبال والهضاب وستشكل بحيرات كبيرة ومستنقعات واسعة، كما ان هذا الذوبان سيتسبب في انهيارات وهيلانات كثيرة في الجبال، وفي حدوث أخاديد ووديان تشقها المياه لتجد خلالها طريقاً الى البحار. ثم ان الاقليم نفسه سيتبدل من البرودة الشديدة الى الاعتدال والحرارة، وعلى ذلك فستتأثر المناطق القريبة من الجموديات، فبعد ان كانت معتدلة كثيرة الامطار فستصبح اقل امطاراً واشد حرارة مما سيعرض كثيراً من المناطق لفقدان الخصب وشروط

الحياة، كما حدث فعلاً في الصحارى التي تحدثنا عنها.

ثم ان المناطق التي انكشفت بعد زوال الجموديات ستتكشف عن اراض جديدة تهبها الطبيعة الحياة والنماء وستجف تلك المياه الراكدة التي كانت بحاراً ومستنقعات شيئاً فشيئاً وتتحول تدريجياً الى أراض تتوفر فيها شروط العيش والحياة .

على ان هذه التبدلات ستجري ببطيء شديد، وتستغرق آلاف السنين، وعندما تتزين تلك الأراضي بالأعشاب والنباتات سيزحف الحيوان والانسان تدريجياً الى هذه الأفاق الجديدة التي تكشفت للحياة .

وكانت الأرض لا تزال في حالة غليان شديد من فوران البراكين وحدوث الزلازل الشديدة التي ساهمت بقسط كبير في حصول تبدلات هامة في قشرة الأرض من ارتفاع الجبال والانخسافات؛ وعلى ذلك فبلاد القفقاس لم تصبح قابلة للحياة إلا في حقبة تتراوح بين [١٥ - ٢٠] ألف سنة من زماننا هذا؛ وان الحيوان والانسان تسرب اليها في تلك الحقبة، وان السلاسل الجبلية أو قسماً كبيراً منها تشكلت في تلك الحقبة وانخسف بحر الخزر (قزوين) الى ما تحت مستوى البحر، وظهرت السهول الشمالية والهضاب الخصبة .

وانه الى هذا الحد لم يكن يعيش فيها الا الحيوانات القطبية، وربما كان يعيش فيها بعض الجماعات القليلة من الانسان القطبي الذي تأقلم مع ذلك المحيط المتجمد، كما يعيش اليوم الأسكيمو في شمالي سيبريا وألاسكا، ولقد شوهدت في جميع أنحاء أوربا آثار لهذا النوع من الانسان الذي كان يعيش في الكهوف .

لذلك يقال ان الانسان انتشرفي جنوب القفقاس قبل شماليها قادماً اليها من شمال ايران وسوريا والعراق، وهي المنطقة التي يسميها المؤرخون [ميزوبوتاميا] .

نشوء الانسان وأجناسه

لا توجد معلومات قطعية تحدد زمن نشوء الانسان و تكونه، ولكن تقّبل وجود الانسان قبل دور الانجماد الأول، على اننا مضطرون للحكم بأنه قد انعدم وجوده في مناطق الجموديات او كاد خلال ذلك الحقب .

وعلى ذلك فالبشر الذي يعيش على وجه الأرض اليوم هو من أنسال الذين عاشوا خارج نطاق الجموديات .

وعلى كل حال فأن العلماء يصنفون الأجناس البشرية كما يلي :

١ ـ فصيلــة بيتكان تروبوس ـ وهو فصيلة الحيوان او القرد الذي يشبه الانسان، وقد وجدت آثاره اولاً في جاوه ثم في الصين ثم في روديسيا بأفريقيا ويقدر عمر إنسان جاوه هذا ب

[٣٠٠ ألف] سنة.

٢ ـ فصيلة نياندرتال ـ وقد وجدت جمجمته في نياندرتال بالقرب من دوسلدورف بألمانيا ويقدر عمره بـ [٤٠] ألف سنة وقد انقرض نسله.

٣ ـ فصيلة هوموسابين ـ الانسان العاقل وكان بنو الانسان من هذا الجنس الجديد يسكنون الكهوف بادىء ذي بدء مثل اسلافهم، ولكن كانت لهم استعدادات ذهنية وعقلية جديدة؛ وفي اواخر عهدهم ظهرت القسي والسهام والمساكن المصطنعة من الخشب والأغصان المطلية بالأدم.

وقد ذهب معظم الباحثين الى ان المسرح الذي ظهرت فيه طلائع التطور الانساني هو اواسط آسيا قبل ان تظهر فيها شاهقات الجبال.

ومن الفروض القوية انه ظهر في ميزوبوتاميا والشمال الافريقي ثم انتشر نحو الجنوب أولاً فالشمال، واننا نجد اليوم اناساً في جنوب افريقية وجزائر الهند الشرقية واوستراليا اناساً يمثلون هذا الانسان الاول وهم الاقزام السود ومن يليهم.

وقد جدت تطورات على فصائل هذا الانسان حسب المناطق التي انتشر فيها بتأثير من الطبيعة وطبيعة الحياة. والعلماء يقسمونهم يقسمونهم الى ثلاثة فصائل حسب تطورهم.

١ ـ انسان كرومانيون ـ أول ما وجدت آثاره في مغارة اسمها [كرومانيون] في منطقة الدورد في فرنسا، وقد حل هذا الجنس في اوربا حوالي سنة [٢٠ ألف] سنة قبل الميلاد وهو انسان وسيم جسيم ذو قوة عظيمة يترواح طوله بين [١٨٠ -١٩٣ سم] وهو نموذج من البشر مستطيل الرأس جداً أبيض الإهاب له ملامح قوية بارزة.

٢ ـ انسان غريما لدي ـ اول ماكشف من آثاره كان في موقع غريمالدي بفرنسا وهو انسان صغير الجسم مدور الرأس أسود اللون مفلفل الشعر ملامحه زنجية.

٣ ـ الألبين ـ أو الأناضولي ـ أو الديناري ـ أو فصيلة عراض الرؤوس وهم أناس ذو رؤوس كبيرة عريضة وهم على الأعم بيض اللون أو سمرها وشعرهم داكن في الغالب، وهم متوسطو الطول؛ ومنهم ذوو الرؤوس الهرمية والأنف الكبير، وقد يطلق عليه أيضاً اسم [الباميري] ؛ ومنه نشأ العرق الأصفر الذي اكتسب صفاته الخاصة.

نشوء العرق الأبيض:

من الثابت علمياً ان العرق الأيض من البشر نشأ في الساحة الوسطى المحصورة بين نهر الأندوس شرقاً والمحيط الاطلنطي غرباً، والتي عصمت من تأثير الجموديات، والتي كانت تتمتع بإقليم معتدل او بارد ويمكن تحديـد هذه المنطقـة وحسب الاسماء الجغرافية الحالية بالأقاليم التالية [شمال الهند ـ افغانستان ـ بلوجستان ـ ايران ـ تركستان ـ ميزوبوتاميا ـ الاناضول ـ حوض المتوسط]

وقد ظهر في هذه الساحة نوعان من الانسان الأبيض هما الكرومانيون والألبين ، ومن اختلاطهما نشأ الانسان الابيض الحالي.

على اننا نشاهد آثاراً لإنسان الغريمالدي في كل بقعة مع آثار الكرومانيون والألبين، ولكن نزوح الغريمالدي الى الشمال البارد كان قليلاً نسبياً، ومع ذلك فقد ترك آثاره في المظاهر الفيزيونومية العرقية للعرق الأبيض.

تقسيم البشر الى ثلاثة عروق أو أجناس:

قسم المؤرخ الدكتور كين في كتابه [شعوب العالم] الناس الى أربعة اجناس:

١ - العرق القفقاسي - وهم البيض والسمر

٢ - العرق المغولي - اي العرق الاصفر وهم الصينيون ومن بجوارهم

٣ - العرق الزنجي - اي العرق الاسود

٤ - العرق الأحمر - وهم سكان امريكا القدماء.

فأما عن هذا العرق الرابع الأحمر فقد تبين انه اضيف خطأ، ذلك لأن سكان امريكا القدماء كانوا يدهنون اجسامهم بصباغ احمر فسماهم المكتشفون بالهنود الحمر، والحقيقة انهم - من العرق الابيض والأصفر، لذلك فأننا نلغي العرق الأحمر ونضيف الى الاجناس الثلاثة [الأبيض والأصفر والأسود] الصنف الماليزي الذي هو خليط مولد من هذه الاجناس الثلاثة بنسب مختلفة، وقد أخذ المؤرخون بتسمية العرق الابيض بالقفقاسي ولايزال قيد الاستعمال في كتب المؤرخين الغربيين.

والعرق القفقاسي قد استحق ان يشمل في التسمية العرق الابيض كله، لما كان يمتاز به من صفاء البشرة، وجمال الوجه وتناسق الأعضاء، ولاتزال البلاد العربية والشرقية عامة تضرب المثل بجمال الكرجيات والداغستانيات القفقاسيات.

قال احد المؤرخين الغربيين:

يعتقد دائماً ان القفقاس مأهولة بأميز النماذج التي تحمل اجمل صفات العرق الأبيض ويدور الحديث دوماً عن جمال ولطافة القفقاسيين؛ ان اسم قفقاسي مرادف دوماً لكلمة [العرق الهندو اوربي] الأبيض، وان منشأ ومهد العرق الأبيض الممتاز في آسيا واوربا هو قفقاسيا

وكتب سائح عربي زار القفقاس في القرن التاسع بعد الميلاد يصف سكان البلاد: هذا الشعب جميل الصفات يدين بعقيدة [ماغه] وليس من الممكن اطلاقاً ان تصادف شعباً اكثر منه تكاملاً في الأوصاف، أو اكثر نقاء بشره منهم ، كما لا يوجد رجال اجمل من رجالهم ولا نساء افتن والطف من نسائهم، وليس في العالم لهم نظير في طول الجسم وتناسقه كما

لايوجد من يماثلهم في العقل والذكاء.

وقد ورد في كتاب مروج الذهب للمسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ للهجرة (القرن التاسع للميلاد) بحث [ذكر جبل القبج وأخبار الأمم] ذكر أمة الكشك صفحة ١٩٤ ما يلي:

وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع أنقى أبشاراً ولاأصفى ألواناً ولا أحسن رجالاً ولا أصبح نساءً ولا أقوم قدوداً ولا أدق أخصاراً ولا أظهر أكفالاً وأردافاً ولا أحسن شكلاً من هذه الأمة ..الخ

وقد استعمل اسم [كشك] هذا اكثر المؤرخين العرب وهو اسم يطلقه الأيرون والاستين على الجراكسة، فالجراكسة يسمونهم (قوشحه) بمعنى جبليين وهم يسمون الجراكسة [كشك] بمعنى سهليون او سكان السهل.

وقد قال احد العلماء الاجانب في حديث له عن الجراكسة:

من الواجب على كل عالم تاريخي ان يحمل في نفسه شعوراً عميقاً نحو هذا الشعب الذي حافظ الى الآن على نقاء العرق القفقاسي الأبيض.

وعلى هذا ففي هذه المواضيع تكون كلمة العرق القفقاسي بديلة عن كلمة العرق الأبيض.

كتلتا العرق الأبيض:

يمكننا تقسيم عناصر الجنس الأبيض الى كتلتين ـ شرقية ـ غربية ـ وان نجعل الحد الفاصل بينهما بحر الخزر وهضبة ايران.

وبما ان هاتين الكتلتين عاشتا في اتجاهين يختلفان كثيراً من حيث الأقليم والمظاهر الجغرافية الاخرى، فقد تمايزتا عن بعضها بعدد من الصفات المميزة الخاصة بكل كتلة وحدها وعلى ذلك فقد تسمت الكتلة الشرقية باسم [كتلة الهندوأوربية] اي الهندي الاوربي اما الكتلة الغربية فقد اختلف العلماء في تسميتها.

آ ـ اسم يافثيين ـ نسبة الى يافث بن نوح عليه السلام وقد اطلقه عليهم العالم [مار] ورضي بهذه التسمية المؤرخون الكتابيون كما قبلته المدرسة الروسية.

ب ـ اسم آلاروت ـ وقد اشتق هذا الاسم من جبال آرارات وقد وضع من قبل العالم [هومل]

جـ ـ اسم كاس ـ هذا الاسم مشتق من اسم القفقاس وسكانه القدماء وقد وضعه العالم [أ.وريت]

ومما يسترعي الانتباه ان كل هذه التسميات مستوحاة من محور [القفقاس ـ العراق] ومع العلم ان الكتاب المقدس يجعل من جبال آرارات موطن نوح وابنه يافت والتي اوحت بالاسمين الاولين، فأنه لا يسعنا الا التوقف امام التسمية الثالثة والتمعن في مدلولها، لأن ذلك يرجع بنا الى تاريخ قديم في منشأ شعوب الكاس كما سندرس ذلك في بحث قادم.

أصناف لغات العرق الأبيض:

لعل ذكر تصنيف لغات العرق القفقاسي الأبيض لا يخلو من الفائدة في هذا المقام، لذلك أثبتها فيما يلي كما جاءت في كتاب طبقات الأمم لجرجي زيدان صفحة ١٣:

أولاً ـ اللغات الآرية.

١ ـ الآرية الآسيوية لغات جنوب آسيا ومنها السنسكريتية وفروعها الهندية ثم الفارسية والأفغانية والكردية والبخارية والأرمنية والأوستية.

٢ ـ الكلتيةـوهي لغات جزائر انكلترا (ماعدا البريطانية)؛ وتسمى هذه اللغة نسبة الى أقوام الكلت، ومن فروعها اللغة الايطالية القديمة التي منها اللغة اللاتينية وفروعها، ولغات فرنسا واسبانيا والبرتغال.

٣ ـ **الوندية**: وهي لغات روسيا وبلغاريا والمجر وبوهيميا.

٤ ـ التيوتونية ـ او الهندية ـ الجرمانية: وهي لغات المانيا وبريطانيا وهولندا والدانمارك وايسلاندا.

٥ ـ **الهللينية** : اللغات اليونانية القديمة ومحصلتها الحالية.

ثانياً ـ اللغات السامية:

١ ـ اللغة العربية ـ وهي لغات شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب والشمال الافريقي واقساماً من افريقيا الاستوائية.

٢ ـ اللغة العبرانية ـ وهي لغة بني اسرائيل، ومنها قديماً اللغة الفينيقية واللغة القرطاجية.

٣ ـ اللغة الآرامية ـ وفرعاها السريانية والكلدانية ويتكلم بها حالياً بقايا السريانيين والآشوريين.

ثالثاً ـ لغات الأورال ألطائية:

وهي اللغات التي تتكلمها الشعوب المحصورة بين جبال اورال وجبال ألطاي وهي حالياً شعوب خليط من الأبيض والأصفر، ومن لغاتهم الحالية:

لغات الفنلنديين ـ واقسام من النرويج والسويد وروسيا وسواحل بحرالبلطيق، وكذلك اللغات التركية و المجرية ـ وربما كانت اليابانية منها.

الخلاصة

علمنا ان الانسان كان يعيش حياة بدائية جداً في ادواره الاولى تقرب من حياة الحيوانا اللبونة، لذلك كانت كل اسرة تعيش لوحدها، وتنصرف في الاتجاه الذي توجهها، المصادفة والعوامل الخارجة عن إرادتها من طبيعية وغيرها وهي في كل ذلك تفتش عن الغذاء وتسعى لتأمين الحياة.

كان الانسان يتهرب من قسوة الطبيعة كالبراكين والفيضانات والبرد الشديد، ويبتعد عن المناقع الخطرة، والأدغال الكثيفة خشية الوحوش الكاسرة؛ وكان يأنس الى شواطىء الانهار ومسايل الغدران لما يجد على شطآنها من الغذاء، فهناك الاعشاب المختلفة والاشجار المثمرة والأسماك والطيور والطرائد الواردة واشجار باسقة يأوى بين فروعها. وفي بادىء الامر كانت الاسرة تنقسم على نفسها دائماً، فالأفراد الذين يكبرون يحملون رؤوسهم فرادى او ازواجاً في اتجاهات مختلفة حسبما تسوقهم المقادير وتجتزبهم موارد الغذاء، والأباء يضاجعون بناتهم والأبناء امهاتهم واخواتهم تماماً كالبهائم، ان لم يكن كلهم فجلهم، وزواج الاخوة من الاخوات كان امراً شائعاً حتى العهود الاخيرة عند المصريين والاغريق وكان المصريون القدماء ينادون زوجاتهم ومحبوباتهم بيا أختي، وفي عهد البطالسة تزوجت الملكة كليوباترا المشهورة ثلاثة من اخوتها على التوالي، ولعل بعض القبائل المتوحشة التي لا تزال تعيش على الفطرة لديها هذه العادات الذميمة.

وكانت الجبال والأنهار العريضة هي التي ترسم خط المسير للانسان في ارتحاله، لانها عقبات كؤود يصعب اجتيازها فهم يماشونها في حلهم وترحالهم لايفكرون في تجاوزها الا بعد ان يعيشوا في جنباتها اوقاتاً طوالاً فيألفون محيطها وطبيعتها ويتعرفون على مسالكها، وقد تضيق بهم سبل العيش دونها فيحاولون اجتيازها سعياً وراء الرزق والأمن في آفاق جديدة من هذا العالم العريض.

وكان هذا الافتراق والتباعد سبباً لتشكيل جماعات متفرقة متباعدة تختلف عن بعضها في اللغة واللسان، لأن كلاً منهم كان ينسى؛ او الاصح لا يتاح له ان يتعلم او يعلم اولاده، كثيراً من الكلمات التي تعلمها من ابويه، كما ان اولاده من بعده كانوا يضيفون الى لغتهم كلمات وتعابير جديدة تدعوهم اليها الحاجة، كما يسمون الاشياء التي يرونها بما يخطر على بالهم من أسماء، ولنا المثال بالأطفال عند بدئهم النطق، كيف ينطقون بكلمات محرفة وألفاظ يخترعونها في تسمية الأشياء والتعبير عما يريدونه ولكل طفل لغة خاصة به في ذلك الدور من حياته .

وهكذا تشكلت اللغات العديدة، وكانت في البداية محدودة الألفاظ والأغراض، ثم توسعت على مر الدهور والاحقاب، كما انها تعرضت على مدى الازمان لكثير من التبدلات

حتى تبلورت واستقرت على ما هي عليه اليوم في انحاء العالم و على السنة شعوبها، آلاف من اللغات المختلفة المتباينة، المتباعدة منها والمتقاربة، رغم انها من ارومة واحدة هي الانسان .

ومعلوم أن للإقليم تأثيراً مهماً على حياة الانسان، لذلك فالانسان القزم الاسود الذي خرج من المنطقة الاستوائية، وراح يزحف الى الشمال مقترباً من المناطق الباردة خلال عشرات الآلاف من السنين، كان يتطور بتأثير الأقليم والحياة الجديدة جيلاً بعد جيل، وبدأ لونه يكشف وجسمه يكبر تدريجياً ورأسه يستطيل وينمو، كذلك فإن قسوة الاقليم البارد اجبرته على اعمال الفكر للتوقي من اضراره وحماية حياته من عنف الطبيعة وتأمين معيشته في مواسم الشتاء خاصة، وهنا بدأ فكر الانسان بالعمل والملاحظة؛ وهكذا تولد عنده حاسة [الشعور] ومن ثم [التفكير] .

جرى كل ذلك خلال احقاب طويلة الأمد، وعلى موجات صغيرة متوالية لأن انتقال الانسان من اقليم الى آخر كان يستغرق العشرات بل مئات الاعوام، هجرات متقطعة صغيرة بلا هدف معين ولانظام، تندفع في اتجاه المجهول، تفتش عن آفاق جديدة للحياة، وقد وضعت مصيرها ومستقبلها في كفة القدر .

ونتيجة لهذه الحياة الشاقة المحفوفة بالأخطار، والتي تتجلى في غضبات الطبيعة الثائرة او تتمثل في مداهمة الحيوانات المفترسة والحشرات السامة القاتلة وخاصة في الليالي المظلمة،فقد تولدت عنده فكرة التخوف من هذه القوى الهائلة التي لا قدرة له على دفعها والتي لا يعرف مصدرها،فتولدت عنده فكرة الارواح الشريرة والقوى المجهولة القادرة،وعن هذا بدأت الأفكار العقائدية أو الدينية بالظهور،وتولدت فكرة التوقي من شرورها وإكتساب رضاها بتقديم الهدايا والقرابين لها وبتقديسها،فشرعت الشعائر التعبدية بالظهور في المجتمعات الأنسانية بمظاهر مختلفة ونمت هذه الشعائر والمعتقدات، وتغيرت وتبدلت حسب عوامل ظروف الزمان والمكان والأحداث، فظهرت بشكل معتقدات دينية عديدة، ربما كانت بكثرة اللغات التي تكلمها الانسان منذ نشوئه أو أكثر.

ولقد علمنا ان الانسان الاول قد نشأ على اكبر الظن، في جزر الهند الجنوبية الشرقية او الأندنوسية، وكان قزماً زنجياً، وكانت تلك الجزر متصلة مع بعضها ومع القارات المجاورة، فراح هذا الانسان البدائي بالنزوح الى جميع الجهات، وخاصة كان اتجاهه نحو الشمال حيث القارة الواسعة الوفيرة الخيرات، وقد اتبع في تقدمه هذا ثلاث اتجاهات .

١ ـ عن طريق امتداد شبه جزيرة مالاقا في الهند الصينية الى الصين والتيبت وهضاب البامير وسهول المغولستان؛ وتشكل منهم العرق الأصفر.

٢ ـ عن طريق امتداد شبه جزيرة الهند الى هضبة ايران فالشرق الأدنى او الأوسط، ولقد تشكل منهم العرق الأبيض .

٣ ـ عن طريق جنوب القارة الأفريقية حتى سواحل البحر المتوسط، وقد ظل لونه اسوداً

رغم تطور جسمه وجمجمته؛ وهم الزنوج والسودان .

وراحت هذه الفروع الثلاثة بعد تكاثرها وتجاورها في الإختلاط ببعضها واحدثت موجات من الهجرات بينها، فتشكلت الأجناس المولدة المختلطة من هذه الأخلاط، وبمرور الزمن ودوام سير التطور ظهر في الوجود، وفي عهد الجمودية الأخيرة، انسان الكرومانيون والألبين والغريمالدي الذي يمثل القسم غير المتطور إلا قليلاً، وكانت هذه الأجناس الثلاثة تجاور بعضها وتتأثر ببعضها في ارتحالها، فأينما وجدت نوعاً ترى الى جانبه آثار النوع الأخر،ولكن بنسب تختلف كثرة وقلة حسب المناطق. وفي الفترة التي تفصل الجمودية الثالثة عن الرابعة، كان القسم الشمالي من الكرة الأرضية يتمتع بمناخ دافیء، بل حار لأسباب لم تتأكد بعد، فكثرت فيه الغابات ونمت نمواً هائلاً كما في المناطق الحارة، وانتشرت بينها الحيوانات بجميع انواعها، حتى الضخمة ذوات الثدي والعظايا المتقرضة كالماموت [فيل ضخم منقرض] والكركدن وبقر الماء وقطعان الأبقار والخنازير والابل والخيل والغنم والماعز وسواها وكلها كانت برية وحشية، وكذلك الايائل والغزلان والارانب والثعالب وما شابهها، وكذلك الوحوش المفترسة كالأسود والنمور والدببة والذئاب والضباع واضرابها.

في هذه الفترة دخل الى أوربا، عن طريق البرازخ البرية التي كانت تصل اوربا بأفريقيا والاناضول، دخل الانسان الغريمالدي الصغير الجسم الاسود اللون، وكذلك الانسان الكرومانيون الفارع الجسم الطويل الرأس وانتشر في الشمال الاوربي.

فلما عادت الجمودية الرابعة الى تغليف القسم الشمالي من الأرض ، رحلت عنه الحيوانات الاستوائية او بادت ولم تبق غير ذات الفراء التي تأقلمت مع المحيط .

وكذلك بنى الانسان، فقد نجا بنفسه من استطاع العودة الى الجنوب، على ان بعضاً من الناس استطاعوا ان يتأقلموا مع المحيط الجديد، كما هي حالة الاسكيمو الى اليوم في الاقطار المتجمدة من سيبيريا وآلاسكا، وقد نشاهد هؤلاء يلبسون الفراء، ولكن الناس كانوا بادیء امرهم عراة، على ان الانسان يستطيع ان يعيش في الجليد عارياً بعدما يتأقلم مع المحيط، والمثال على ذلك قبائل [ياغان] التي تعيش عراة تماماً في ذلك الصقيع ولا يتقون الزمهرير الا بقطعة من الجلد يعلقونها في رقابهم لكي يستروا بها الجانب الذي تهب عليه الرياح الثلجية؛ وكذلك القبائل الآرية البربرية التي طغت على اوربا وحاربت روما، فقد كانوا يحاربون وهم عراة تقريباً في الشتاء القاسي والثلج يغطي البسيطة .

لذلك فالعلماء يقولون استناداً إلى الأثار المكتشفة، ان قسماً من الكرومانيون عاشوا في العصر الجليدي بتلك الأصقاع وتأقلموا مع المحيط وألفوا مناخه، وان النورمان الشماليين هم من سلالة أولئك الكرومانيون الأوائل .

وعلى كل فقد كان في الشمال الاوربي اناس يعيشون في الكهوف يسميهم المؤرخون

بنعت [الصيادين المهرة] أو [الفنانين] نظراً للرسوم الجيدة التي تركوها على جدران تلك الكهوف، على ان هؤلاء قد تبعثروا وزال كيانهم واندثر بعد زوال الجمودية الأخيرة، ولعلهم راحوا يلاحقون الطرائد وحيوانات الصيد في اتجاهات مختلفة خاصة على حزام الطينة الصفراء الخصبة ذات المراعي الخضراء الواسعة الشاسعة التي ترعى فيها حيوانات الصيدالسائمة قطعاناً بالألوف، وبذلك انتشروا في السهول الاوراسية في شمال القوقاز والتركستان؛ وعاشوا هناك احقاباً طويلة؛ ويقول الاوربيون ان هؤلاء هم الآريون الأوائل؛ فهم اوربيون أولاً وآخراً .

ولكن مما لا شك فيه ان الاناس الذين كانوا يعيشون في بلاد ايران وتركستان وسوريا والعراق والأناضول، قد ساهموا بأعداد و أرتال اكبر في هذا الزحف على حزام الطينة الصفراء، والعرق الأصفر ايضاً قدم من جهات البامير وساهم بقدر كبير في هذا الزحف ولكن من الشرق الى الغرب.

وعلى كل فالشواهد الانسانية تدل على ان الانسان الابيض قد امتد شرقاً حتى اختلطت فصائل منه بالعرق الأصفر في مناطق ألطاي وبلاد المغول ثم تجاوزه الى منشوريا وكوريا واليابان وأمريكا الشمالية، وجزائر المحيط الباسفيكي واختلط بسكانها وتكون الجنس المولد الملز.

إن زوال الجموديات وآثارها التدريجية، أحدث على وجه الأرض اعراضاً جغرافية مهمة جداً، فمثلاً هناك مناطق واسعة كانت مراع خصبة بسبب قربها من المنطقة المتجمدة الباردة، وكان بني الانسان و الحيوان يجد فيها كل مقومات الحياة، ولكنها بعد انحسار الجمودية الأخيرة بقرون طوال تحولت الى بوادي جرداء وصحاري قاحلة ليس للحياة فيها من أثر، وأولها ظهور الصحراء الكبرى وصحراء بلاد العرب والهند، ومن ثم صحارى ايران وتركستان والصين وبلاد المغول، وما يقابل هذه وتلك في القارة الامريكية .

وهكذا بدأت المناطق القابلة للحياة بالضيق والانكماش، بينما بدأت بالظهور من الشمال مساحات شاسعة تستقبل الحياة .

وكان هذا عاملاً مهماً جداً في سوق الكتل البشرية على الهجرة الى الشمال، على شكل موجات تتالى خلال آلاف السنين؛ وكانت الجماعات البشرية تتسلل رويداً رويداً الى الشمال عبر الأراضي والهضاب التي منحت الحياة من جديد تنشد العيش في الأفق الجديد المجهول.

أما المناطق التي بدأت بالجفاف ، فقد خلت من السكان رويداً رويداً إذ بدا سكانها تبعاً لإزدياد الجفاف، في الارتحال عنها والانتشار الى جميع الجهات لترود المناطق التي تتوفر فيها الشرائط الحياتية من ماء وخصب ونماء، فزحفت على مدى الدهور جماعات منها نحو الشمال ايضاً .

وهكذا انسابت جماعات من الايرانيين البيض الى التركستان، ومن ثم اختلطت مع الشماليين وانتشرت الى الشرق واختلطت بأقوام العرق الأصفر في أحواض نهري تاريم

وينيسه ي وتكون من هذا الاندماج شعوب الأورال ألتاي .

وبطبيعة الحال فأن هذا الزحف البشري نحو الشمال دفع بعض الفصائل القادمة من منطقة ميزوبوتاميا للتوغل في وديان جنوب القفقاس. وراحت تعيش وتتكاثر في جنباتها وتمتد فروعها شيئاً فشيئاً الى الشمال عبر السلسلة الجبلية القفقاسية .

ولو أخذنا بنظر الاعتبار الحالة البدائية التي كان عليها الانسان في ذلك الزمن الغارق في القدم، والدوافع الحياتية القاهرة التي كانت تسوقه للتجوال والارتحال، والى المشاق والأخطار التي كان يتعرض لها في حله وترحاله، والى البطء الشديد في تكاثره وتناسله ومعيشة اطفاله، بسبب العوامل القاهرة من الأمراض والأخطار لامكننا ان نتخيل تقريباً، الكيفية التي تم بها ذلك الانتشار في ذلك المدى الفسيح من أقطار الدنيا، والزمان الطويل المديد الذي استغرقه منذ خروجه من موطنه الأول، حتى عم سائر نواحي الكرة الرضية.

نظرات في نظرية داروين

ومعلوم ان خلاصتها : أن المخلوقات جميعاً (النبات والحيوان) قد ظهرت أولاً بشكل مخلوقات أميبية في المناقع، ثم تطورت تدريجياً فتحولت الى ما نراه اليوم من المخلوقات الحية على وجه البسيطة وما اندثر منها.

وأن بني الانسان قد تطوروا من حيوانات تشبه القرود الى قرود تشبه الانسان ثم صاروا أناساً.

وان الحيوانات كذلك سارت في طريق التطور، وأن الحصان كان بحجم الثعلب، وان الفيل كان ذا خرطوم كخرطوم الخنزير، الى آخر ما هنالك.

وقد ظهر الأن للعلماء وجود تطرف ومبالغات في نظرية داروين فالتطور يحصل بشكل محدود ويشمل الفصيلة الواحدة.

والأصح الذي تقبله النفس البشرية ويؤيده المنطق العلمي هو ماجاء في الكتب المقدسة من خلق آدم وحواء، وان نوحاً ومن كان معه في السفينة كانوا بشراً سوياً وبيض البشرة. وكان لهم حضارة زراعية وصناعية وتربية للحيوانات، وعمران وديانات ومعلومات ثقافية، راقية بالنسبة لذلك العهد، ومن ثم ظهر من نسلهم العرق الأصفر والأسود.

وإن كان لا بد لنا من الأخذ بنظرية التطور الطبيعية، فإن التطور الذي طرأ على اعقاب هؤلاء القوم إنما كان تطوراً الى الوراء أي الى الأردأ.

فانقسام الأسر وضربها في مجاهل الأرض بعيدة عن بعضها وانشغالها بتأمين المعيشة والمحافظة على الحياة، عاد بها الى حياة وحشية اولية نست معها حضارة أجدادها الأولين، وراحت تعيش كالبهائم.

فالجماعات التي وصلت من هجرتها الى الغابات الموحشة في المناطق الاستوائية وما جاورها، كانت تعيش في خوف دائم ورعب شديد من الحيوانات الوحشية المفترسة والحشرات القاتلة الكثيرة في تلك المنطقة، ووسائل المقاومة لدى الانسان ضعيفة الى جانبها، وهذا الرعب والتحسب الدائم يوقف العقل والتفكير عن الانطلاق، بل يسوق الى الجنون احياناً والى مايشبه الجنون غالباً خاصة عند أغلب الصغار والأحداث والنساء؛ ويساعد على هذا الركود العقلي شدة الحرارة، وعدم الحاجة الى الملجأ الدافيء واستعمال النار.

وهناك المؤثرات النفسية التي تظهر آثارها في نسل الانسان، والتي نرى آثارها كثيراً، وبشكل واضح في بعض الولادات الشاذة والأطفال المشوهين، أو الأطفال الذين يولدون وعليهم شارات من الحالة النفسية التي كان عليها الوالدان . .

وقد ورد في التوراة ان موسى عليه السلام حين كان يرعى الغنم، كان المتفق عليه ان الخراف الملونة له والبيض لسيده، لذلك كان يعمد الى إسناد عصي ملونة بتقشير قسم من

قشورها الى جانب البئر الذي يرد منه القطيع في أيام سفاد الغنم، وبذلك كانت النعجات تلد الكثير من الخراف الملونة.

على كل فإن الحوادث الواقعية تجعلنا نؤمن بحقيقة تأثير الحالة النفسية في النسل .

والناس الذين يرون الوحوش ومنها القرود والغورلا وامثالها، ولا تبارح خيالاتها أذهانهم لا بد أن يتأثر نسلهم من هذه الحالة النفسية.

ولعل هذا السبب، وحرارة الإقليم، واسوداد جلودهم من أشعة الشمس وغيرها من العوامل تضافرت فحولت الانسان الأبيض الحنطي الى أسود في المنطقة الاستوائية، كما حولته المناطق الثلجية الى انسان شديد البياض أشقر الشعر.

وكذلك تضافرت مؤثرات عديدة، منها نوع الغذاء الذي كانوا يكثرون من تناوله، في حصول العرق الأصفر.

استيطان الانسان في القفقاس

هناك بعض النظريات القائلة بأن سكان القسم الشرقي من القفقاس وهي مناطق ارمينيا و أذربيجان والداغستان قد دخلوها من الجنوب أما سكان القسم الغربي وهم الآديكة والأبخاز (الأباظة) والكرج فقد انحدروا اليها من الشمال .

والكلام عن القسم الشرقي ينطبق حالياً على الأرمن والأذربجانيين الأتراك والقبائل الداغستانية التركية الأصل، أما عن الشعب القفقاسي القديم فيما قبل الميلاد فإن النظرية الأكثر اتفاقاً مع القواعد التاريخية والمنطق هي:

إن شعب القفقاس نشأ من اولى الأقوام التي دخلتها من الجنوب قادمة من ميزوبوتاميا ولعلهم وجدوا فيها جماعات قليلة جداً ممن عاشوا فيها عصور الجمودية الأخيرة فتمثلوهم ومن ثم اختلطوا مع اولى الاقوام التي انحدرت اليهم من الشمال بعد جفاف البحار والمستنقاعات التي تشكلت في شمال القفقاس حين ذوبان الجمودية.

وقد دلت التحريات على ان الألبيين الذين يعيشون اليوم في اوربا، والألبيين الذين يكونون السكان الأصليين للقفقاس هم من منشأ وأصل واحد.

إن وجود آثار الانسان في مدارج الانهار القفقاسية دلت على وجود الانسان فيها منذ [١٥ ـ ٢٠] ألف سنة من زماننا هذا.

إن آثار مدارج الانهار[Megalitik] هي الآثار الموجودة على وبين الصخور الكثيرة الهائلة التي جرفتها السيول فوجود الآثار البشرية فيها وبينها دليل على وصوله الى تلك الأصقاع قبل

ان تدفن تلك الصخور تحت التربة.

وقد أدت الحفريات في مدرجات الانهار الى اكتشاف أدوات وخناجر صوانية مصنوعة صناعة ابتدائية خشنة وغريبة الأشكال تعود للعهد الموستيري.

مما يدل على ان الانسان كان يقطن في القفقاس ما بين الجموديتين الأخيرتين.

ويذهب الباحثون إلى أن اولئك السكان القدماء كانوا يعيشون جماعات صغيرة وفي أحوال معاشية متأخرة داخل الكهوف والمغارات الطبيعية، وكان الصيد يؤلف العنصر الرئيسي في غذائهم، فكانوا يقضون حياتهم في مطاردة الطرائد وصيد الحيوانات ومغالبة الوحوش .

ومعلوم ان بلاد القفقاس بلاد بديعة غنية بطبيعتها فيها السهول والمراعي الخصبة والغابات الفارهة والانهار الثرة الدافقة وهواؤها صاف عليل، فمن مر بها لا يريد مغادرتها، لأنها تحوي جميع الشرائط الحياتية على مستوى عال يساعد على العيش برفاه وعلى تكاثر النفوس .

إن سكان شرق بحر الخزر وغربيه قد عاشوا في عزلة عن بعض أحقاباً عديدة قبل ان ينتشروا في الشمال وقبل بدء موجات الهجرات من الشرق الى الغرب، وبذلك اكتسبوا صفات وحضارات مميزة خاصة حسب المحيط الذي عاشوا فيه .

لذلك فإن اختلاط الجنوبيين بالشماليين في القفقاس وتفاعل معلوماتهم الحياتية التي اكتسبوها في شرائط حياتية واقليمية مختلفة، ثم انصرافهم معاً احقاباً طويلة لتأمين حاجات الحياة، كل ذلك سبب لانكشاف بداية حضارة انسانية ومدنية جديدة في بقعة تحوي جميع المؤهلات للتقدم الحضاري، فظهرت فيها اولى الحضارات البشرية .

ومضت آلاف السنين على هؤلاء الاقوام اندمجوا خلالها واكتسبوا خصائص جسمانية ومميزات فزيونومية وفكرية موحدة خاصة بهم وتطبعهم بطابع قفقاسي خاص .

ولا مراء في ان المخاصمات و الحروب القبلية كانت موجودة بينهم، وتلك ولا تزال، من الأسباب الملازمة لاندماج الاقوام مع بعضها ولتكوين شعب جديد موحد في قطر من الاقطار، وكل قوم هي في الحقيقة، محصلة ذلك التناحر على الحياة الافضل والتنافس على السيادة بين طوائف وعناصر ذلك القطر؛ فكأن المجادلات والحروب هي النار اللاهبة التي تصهر مختلف العناصر في بوتقة الوطن لتشكل منهم سبيكة واحدة، هي الشعب الواحد في الوطن الواحد.

وهكذا تكون شعب قفقاسي صميم.

في هذه الفترة من نشوئهم ، استأنسوا بعض الحيوانات واهلوها، فظهرت جماعات تمارس بعض انواع الزراعة بشكل ابتدائي يسير دوماً نحو التحسن، كما حسنوا مساكن الكهوف، وبنوا من الأعمدة والأغصان المتشابكة المطلية بالطين بيوتاً لهم.

وهكذا تشكلت جماعات من المزارعين وجماعات من الرعاة واخرى بين هاتين ولعل حياة الكهوف اوجدت مجتمعات صغيرة اكثر تكتلاً وتعاوناً في سبيل العيش فتكونت جمـــاعات

[النار الواحدة] او كما يقول الجراكسة [طائفة القدر الواحدة]
ولعل هذه الفترة كانت اولى الفترات التي عهد فيها الى المرأة بوظيفتها الأزلية في الحياة، وهي التفرغ لتربية الأولاد والمحافظة على المسكن.

ولعل جماعة جامعي الأقوات من النباتات، خاصة النساء، اهتدوا الى ملاحظة ومعرفة اول فكرة عن الزراعة وبدت عندهم بوادر مزاولة الزراعة لأول مرة ولعل قسوة البرد في الشتاء أجبرهم على اعمال الفكر للتوقي من شدته، وفي سبيل معاشهم وحياتهم خلال الشتاء الطويل المرير، فبدأت ملكة التفكير بالتيقظ والقوى العاقلة بالتحرك، فبدؤا باستعمال النار للتدفئة ولبس جلود الحيوانات وبناء المساكن واعمال النسج وادخار الأقوات.

إن مجادلة الطبيعة ومغالبة الحيوانات الوحشية تجبر على اعمال الفكر واشغال العقل للتوقي منها والتغلب عليها.

وظهرت عندهم حضارة العصر الحجري بشكل بارز، وألموا بكل مخترعات عصرهم من صناعة الفخار والحجر والخشب، وأعمال النسج الخشنة واستعمال الجلود كملابس وأثاثات واخترعوا القسي والسهام والرماح الصوانية، ولعلهم اخترعوا العجلة وشدوا اليها الثيران والخيل.

ولما تزايدت كثافة السكان على مر الدهور، وتكاثرت الطوائف القبلية، وذر قرن الخلافات الجماعية بينهم، وراحت فصائل من الجنوبيين في تركستان والقفقاس تصعد الى الشمال على فترات ولعل ضغوط هجرات قادمة من الجنوب من الأناضول وسوريا والعراق وبلاد العجم كانت تدفعهم الى الشمال وبذلك انتشروا في السهوب الأوراسية[1] وصاروا يتوسعون شرقاً وغرباً وشمالاً حتى وصلت فلولهم شرقاً الى منشوريا واليابان وكندا، كما ان القفقاسيين منهم عبروا نهر الدون غرباً وانتشروا في شمال البحر الأسود والقرم وتوغلوا في اوربا الى اقصى الغرب وجزر المحيط الاطلسي وهؤلاء هم (الإيبيريون) ثم [الكلت] سكان اوربا الشمالية ما قبل الآريين. أما اوربا الجنوبية فكانت مأهولة منذ عهد الجموديات بشعب خليط من الغريمالدي والألبيين يسمى فصيلة حوض المتوسط.

وقد جـرى بلا شك اختلاط وتفاعل بينهم و بين الايبيريين والكلت على آماد طويلة من الزمن.

أما القفقاسيون الذين استوطنوا في القرم وشمال البحر الأسود بكثافة أكثر فهم الكيمريون والترريون الذين أقاموا حضارة زاهية في العصور الأولى للتاريخ.

على ان حزام الطينة الصفراء والمناطق الشمالية هذه لم تكن خالية تماماً من السكان فقد

(١) السهوب الأوراسيه هي السهول الأوربية الآسيوية المعروفة اليوم بسهول الاستبس وتمتد من الشمال الأوربي إلى جنوبي الروسيا وشمال التركستان والصين وتعرف ب (حزام الطينة الصفراء) .

كان فيها جماعات قليلة من الصيادين يسكنون الكهوف وهم من فصيلة انسان الكرومانيون ويسميهم المؤرخون [الصيادون المهرة الفنانون] لأنهم تركوا أثاراً من الرسوم والنقوش البارعة على جدران الكهوف، أطلعت المكتشفين والمدققين على الكثير من احوال ومخترعات ذلك العهد القديم.

لقد ابتدأت هذه الهجرات في الدور الحجري، ويستدل على ذلك بمكتشفات العصر الحجري التي عثر عليها المنقبون في انحاء مختلفة من اوربا، فإن مساق سيرها وانتشارها يشير الى انها جاءت من القفقاس؛ لأن توالي خط مسيرها في انتشارها يشكل خطوطاً على شكل المروحة تلتقي نهاياتها جميعاً في القفقاس.

ولا شك ان هذا الانتشار لم ينحصر في الاتجاه الى الشمال فقط بل كانت فصائل منهم تتجه الى الجنوب وتسير الى جهات مختلفة مثل البورشقور الذين ساروا بمحاذات الساحل الجنوبي لبحر الخزر الى الشرق واستقروا في تركستان الجنوبية، وفصائل اخرى انحدرت الى الأناضول وميزوبوتاميا.

وقد توالت موجات الهجرات من والى القفقاس حتى القرن التاسع الميلاد كما سنرى ذلك في الأبحاث القادمة.

مراكز الحضارات القديمة

إن الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها في المدرجات النهرية في الساحات التي ظلت خارج تأثير الجموديات، أدت الى تصنيف المدنيات القديمة وحصرها في المراكز التالية:

١ ـ حوض نهر النيل في مصر.

٢ ـ حوض الرافدين [نهري دجلة والفرات في ميزوبوتاميا] .

٣ ـ آسيا الصغرى [بلاد تركيا الحالية في حوض نهري قيزيل ايرماق وسقاريا] .

٤ ـ حوض الاندوس [نهر السند في الهند] .

٥ ـ جزيرة كريت [وتسمى ميكه ن وحضارتها الحضارة المينوية] .

٦ ـ أحواض انهار الصين .

ففي هذه المراكز ظهرت آثار تعود الى الدور الذي عاشه انسان النياندرتال الذي يشبه القرد، وإن تعاقب موجات الحضارة الانسانية منذ ابتداء الخليقة في هذه البقاع، وانحصار الأثار في أحواض الانهار وتعاقب الحوادث الجيولوجية، أدت الى انجراف تلك الآثار الى البحار، او دفنها في اعماق التربة، مما جعل أمر الكشف عنها عسيرا جداً .

على أن احواض النيل ودجلة والفرات قد تمخضت عن آثار كثيفة للدور الذي عاشه فصيلة الكرومانيون، وتعود هذه الآثار الى زمن يتراوح بين [١٠ ـ ١٥] الف سنة قبل الميلاد،

ولم تكتشف حتى الأن اية أثار مدنية اقدم من هذه في اية بقعة اخرى ، من بقاع العالم، وعلى اساس هذه الاكتشافات يمكننا الحكم بأن ميزوبوتاميا ومصر المهد الأول لنشوء وتطور ورقي اول حضارة صنعها بني الانسان.

ولم تظهر هذه البوادر في هذين المركزين في وقت واحد، فأن حوض نهري دجلة والفرات كان قديماً اقسامه العليا بحراً، ثم ملأته انجرافات التربة وحولته الى مناقع وخلال آلاف السنين تحول الى مانراه عليه اليوم، وعلى ذلك يمكن حصر اقدم مراكز الحضارة في حوض نهر النيل بمصر وفي موقع [سوزي] الأثرية شرق نهر الدجلة جنوب العراق، وعليه فالمدنيات المجاورة مثل مدنية حوض البحر المتوسط والهند والصين وجزيرة كريت ماهي الا انتفاضات تأخرت عن تلك وتأثرت بها أو انها نتيجة مباشرة لامتداداتها.

أما الساحة التي كانت مغطاة بالجموديات فمراكز الحضارات القديمة فيها تشتمل على شرقي بحر الخزر في تركستان وغربيه في القفقاس ومراكز الحضارة فيها:

١ ـ في تركستان موقع آننو وموقع أستراباد.

٢ ـ في القفقاس ثبت ان شمال القفقاس قد تأخر كثيراً عن جنوبيه في الدور الحجري بسبب تأخر زوال آثار الجموديات وانه انتقل اليه من الجنوب.

ولكن ثبت ايضاً ان شمال قفقاسيا سبقت جنوبيها في استعمال المعادن فقد أثبتت الاكتشافات الأثريـــة والتحريـات التاريخية ان استعمال المعادن ظهر في شرق بحر الخزر وغربيه قبل [٦٠٠٠] سنة قبل الميلاد، وفي ميزوبوتاميا قبل [٥٥٠٠] سنة ق.م وفي مصر قبل [٥٠٠٠] سنة ق.م ويفهم من ذلك ان اول مركز لاستعمال المعادن كان القفقاس.

الحقيقة ان حوض النيل وميزوبوتاميا هي المناطق الاكثر ملائمة للإكتشافات الحضارية والتطورات المدنية لانها نقاط تلاقي القارات الثلاث للعالم القديم ومهد نشوء الانسان الأبيض الذكي واحسن الأقاليم مناخاً في دور الجموديات وبعدها، ولذا كانت مراكز لهجرات الشعوب وتلاطمها فأصبحت مركز تجمع الحضارات الانسانية الاولى وتطورها وانطلاقها الى سائر أرجاء الأرض. وهذه الفرضية ليست مجرد تكهنات بل تستند على قواعد علمية فمثلاً ثبت للعلماء ان صفة [التفكير] عند الانسان ظهرت بوادرها الاولى في الهند ولكنها تكاملت في ميزوبوتاميا وانطلقت منها.

ان ظهور الأنبياء في هذه المنطقة، والذين كانوا بلا شك اساتذة البشرية وقادتها الحقيقيين نحو الافكار الانسانية السامية، الذين اثروا في النهضة الفكرية والعلمية والروحية اعظم الأثر، وساروا بالانسانية خطوات واسعة الى المفاهيم الفاضلة النبيلة والعقائد النيرة والأفكار الاجتماعية العادلة؛ كل ذلك يجعلنا نجزم بهذه الفرضية.

على انه في مجال الانتباه لوجود المعادن، واستخدامها لا بد من الاشارة إلى أن لبرودة

الأقاليم والاضطرار الى ايقاء النار القوية اشهراً طويلة من السنة، مساهمة كبرى في اكتشاف المعادن الأولى التي تذوب في النار بسهولة. ولعل النيران جعلت تذيب المعادن الطرية التي توجد في الصخور التي توقد عليها وبجانبها وتسيل في الأرض ثم يعثرون عليها بين الرماد حتى اكتشفوها واستعملوها.

وهذه الظاهرة تنطبق على القفقاس ذي الإقليم الشتوي الطويل البارد والغابات الكثيرة، أما في مصر ووادي الرافدين فالنوء دافيء بل حار وشروط التدفئة اسهل بكثير.

منشأ ومهد شعب كاس

ورد اسم كاس في التواريخ القديمة في عدة مناسبات منها:

١ ـ كاس او كيركاس في شمال القفقاس على الساحل الغربي لبحر الخزر، وعلى ذلك فالغربيون يسمون بحر الخزر او بحر قزوين بالبحر الكاسبي.

وقد جاء في كتب التاريخ العربي ومنهم ابن خلدون وجود اربعة قبائل في القفقاس أسماءها أركس تركس كسا آس.

٢ ـ الكاسيون الذين احتلوا بابل عام ١٨٠٠ ق.م إبان قوة الدولة الحثية، وحكموها ستة قرون.

٣ ـ الكاسكاس الذين كانوا يغيرون على الحثيين من حدودهم الشمالية.

٤ ـ الكاسيون من الآريين الذين دخلوا الهند وشكلوا فيها الحكومة الكاسية في مقاطعة بنارس.

٥ ـ الكاساك أو القوزاق في جنوبي الروسيا بأوكرانيا والدون. (وأخذت التسمية من اسم الشراكسة كاسوغ) .

٦ ـ القومية الكاكاسية في الصين في مقاطعة سينغ يانغ حالياً.

ولنا الآن ان نتساءل : من اين جاءت هذه التسميات المتشابهة؟ .. وما هو الشعب الأصلي الذي يحمل اسم كاس = كاش هذا؟؟..

إن كل الدلائل توجه انظارنا نحو القفقاس، فأن هذه الكلمة قد اندمجت في وجود وبنية القفقاس والتصقت في كيانها منذ القدم وفي جميع أدوار التاريخ، مما يجعلنا نعتقد ان سكانه الأصليين كانوا يحملون هذا الاسم، وانه ظل ساريا علماً عليهم لم يفكر احد بتبديله، مما يدل على إن سكان القفقاس الأصليين إلى اليوم وهم الجركس (وربما السفان أيضاً) ، هم من نسل ذلك الشعب القديم .

واسم كاس هذا يدخل حالياً في أسماء قفقاسية عديدة. مثلا:

١ ـ قفقاس : يلفظ هذا الاسم، وغيره، بأشكال مختلفة حسب الأقوام التي تنطق به فيقال: [قفقاس ـ كافكاس ـ كاوكاز ـ قاوقاز] وما شابه، وعلى كل فإن هذا الاسم مكون من مقطعين [كاف ـ كاس] وتركيب هذا الاسم بعين موقع جبل [قاف] بهذه الاضافة التي

تنبيء عن انه جبل قاف الموجود في بلاد قاس، وهذا نفسه يدل بجلاء على ان شعب كاس وبلاد الكاس في موقع جبل قاف.

٢ ـ كاسبك = قازبك = قازبج ـ من اعلى جبال القفقاس ويمكن تحليله على الوجه السابق.

٣ ـ بين الأقوام القديمة والحديثة في القفقاس عناصر تحمل اسماء [سيركاس ـ سيراكس ـ كاساك ـ كيرقاش ـ جيركاس ـ جركس] وكلها تحمل مقطع كاس .

٤ ـ بين اسماء العائلات والأفراد الجراكسة اسماء كثيرة لا تزال قيد الاستعمال مثل: [قاسوق ـ قسي ـ قاسبوت ـ قاسبولات ـ قا سبي ـ قازبج ـ ألقاس ـ قازه ـ قزبي ـ قوزوق] وغيرها وكلها تحمل مقطع كاس كأساس للأسم .

ويجلب انتباهنا من بين الأسماء التي اوردناها الأسماء الثلاثة التالية:

آ ـ كيركاس : وهو اللفظ الغربي يطلق على الجراكسة من قبل الأوربيين، وإذا علمنا ان مقطع [كير..] يعني باللغة اللاتينية [حقيقي] كما انه يعني باليونانية [سيد] فأنه يتبين لنا ان معنى هذه الكلمة هو [الكاس الحقيقي] أو [سيد الكاس] .

ب ـ كاسبي : كان اسماً لشعب تاريخي قديم يعيش بجوار بحر الخزر، وإذا علمنا ان مقطع [بي] في اللغة الكرجية ما هو إلا أداة نسبة، يكون معنى هذه الكلمة هو [الكاسيون].

جـ ـ كاساك = قازاق ـ هم الأكرانيون : ومقطع [آك] في اللغة السلافية الروسية هي أداة نسبة وربما معنى كاساك هو [الكاسيون] ومعلوم ان المواطن الأولى للقوزاق هي حوض نهر الدون شمال القفقاس وعليه ربما كانوا قفقاسيون ارتحلوا الى الشمال الغربي منذ القديم (ولكن لغتهم سلافية).

القوزاق لا يزالون الى اليوم يشبهون الجراكسة الى حد كبير في ملابسهم وأسلحتهم وعدة خيلهم وفروسيتهم وفي كثير من مظاهر حياتهم .

هم ليسوا من الروس، ولكنهم كانوا مسيحيين، فلما استولت الروسيا على بلادهم استغلوهم ابشع استغلال واستخدموهم في محاربة الجراكسة المسلمين بأيقاد النعرة الدينية عندهم وازجاء الوعود الكاذبة لهم .

القوزاق لا يعتبرون انفسهم من الروس، وقد قاوموا الاحتلال الروسي لبلادهم بشجاعة، كما ثاروا على حكومة روسيا من بعد مراراً .

بناء على ما مضى من الايضاحات فالعلاقة الوثيقة بين الكاسيين وبلاد القفقاس والكيركاس سكان القفقاس ثابتة بلا مراء. وهكذا نكون قد اهتدينا الى مادعى المؤرخين لإطلاق اسم [الكاسيون] عل العرق الأبيض الغربي، والى الموطن الأصلي لشعب الكاس الذي نحن بصدد تعريفه .

وبهذه المناسبة فقد تمر بالخاطر مقارنة مستوحاة من اسطورة [كاوس] اليونانية التي مر بنا

ذكرها وكلمة [كاوس] تفيد باليونانية معنى اندماج وتلاحم المواد الأولية وتشير الى الهيجانات البركانية والزلازل التي تعرضت لها الكرة الأرضية في ادوارها الجيولوجية أفلا يمكن ان كلمة [كاوس] هي نفس كلمة [كاس] فرقت الدهور بينهما ولكنها ظلت تعيش في اعماق الذكريات وتبرز بهذه الأسطورة الى الوجود!

وفي الأساطير والحكايات الجركسية القديمة، نجد ما يشابه هذه الأسطورة، فقد جاء في إحداها مايلي: " في زمان لم تكن الأرض قد تصلبت فيه بعد، وكان السماء في طور التكوين، وكان " أواشحه ماف (جبل البروز) بارتفاع جذع نملة فقط، وكان نهر بسيط (قوبان). " بعرض يستطيع معه طفل ان يتخطاه، في ذلك الحين.. كنت أنا راكباً حصاني الأبيض واتجول في سهل [كوره ي] . ولهذه القصيدة شكل ثان:

حينما كانت الأرض شعلة من نار متأججة، والسماء آخذة في التكون غارقة في بحر من الدخان والسديم، وحينما كان جبل [بشتاو] لا يزيد ارتفاعه عن مسكن نملة ونهر [قوما] يجتازه طفل بقدميه، قطعت رغم شيخوختي هذه تسع صحاري، والمكان الخالي من الأنس، ووصلت الى تل [قوده ي كايه]

وهناك حكاية أطفال تتعرض لهذه الفكرة، ومفادها ان ثعلباً وسلحفاة وجدا طبقاً من العسل، و كانت الكمية قليلة لا تكفي لاشباعهما، فقد اتفقا على ان يستأثر بها أكبرهم سنا . حسب تقاليد الجراكسة. و على ذلك فقد بين الثعلب كبر سنه بقوله: وهي فصاحت السلحفاة قائلة : آي أي ايها الملعون تلك القطع الجامدة التي كنت تقفز عليها ما هي إلا ظهور فراخي.

كانت الأرض في حالة بين الميوعة والتخثر	Mi Svir mici mipbtsvo
بالكاد قد بدأت بالتخثر والتجمد	Pvtsven quediye yejago
وعلى تلك القطع المتجمدة منها	A.. pvtsvago xetxeme
كنت اتنقل قافزاً من واحدة الى اخرى	Satepvcveze Sizekvuestig

وهكذا فازت السلحفاة بكبر السن لأنها كانت أماً بينما كان الثعلب شاباً، وأكلت طبق العسل.

فالمشابهة في موضوع تكون القشرة الأرضية موجودة في هاتين الاسطورتين المارتين ولكنها ليست في الواقع نظرية تكون القشرة الأرضية العلمية، بل تعني تكون وظهور الأرض القفقاسية من تأثير الجموديات والزلازل التي حدثت فيها؛ وهذا يبرز لنا بوضوح عمق هذه الذكريات المترسبة في أغوار الماضي السحيق ، والتي تشد الجراكسة الى وطنهم قفقاسيا.

وبعد هذا كله يحق لنا ان نربط بين اسم [كاسيون] الذي اطلقه العلماء المؤرخون على الانسان الذي عاش في اوربا قبل الآريين، وبين اسم [العرق القفقاسي] الذي اطلقوه على الجنس الأبيض كله، ونستدل منه ان هؤلاء العلماء كانوا يهدفون بهذه التسمية الدلالة على مكانتها التاريخية العريقة ومدلولها الواسع الشامل.

سكان اوربا القدماء

دخل الانسان الى اوربا من ثلاث جهات.

أولاً ـ الطريق الجنوبي: قادما من القارة الإفريقية وعن طريق برازخ اسبانيا وايطاليا وكان هذا الانسان قزماً اسوداً على الأغلب من فصيلة غريمالدي، ولعل بعض فصائله كانت قد اكتسبت سمات الألبيين، وقد انقطع تواردهم بعد الانهدامات التي كونت البحر المتوسط ومضيق جبل طارق، والعوامل الطبيعية خاصة في فترة الجمودية الأخيرة قضت على الكثير منهم وعلى ذلك فهم في فترة تبدأ قبل المسيح بعشرة آلاف سنة لم يكونوا يشكلون كثافة ذات أثر كبير وعلى كل فانهم كانـوا اكثـر مايكـون في اسبانيا ثم ايطاليا ثم اليونان، ولقد عثر المنقبون على آثار الاقزام الزنوج عند محطـة [شوايزر بيلد] في سويسرا كما عثروا في كهف [بلسي روسي] قرب منتوان بجوار الريفيرا بفرنسا على عظام زنوج كثيرة لها فكاك بارزة ووجوه منبسطة واذرع طويلة جداً واعقاب بارزة.

ثانياً ـ الطريق الشرقي: من جهة الاناضول عن طريق برازخ البوسفور والدردنيل والقادمون من هذا الطريق كانوا على الأغلب من فصيلة الألبيين المتوسطي الطول العريضي الرؤوس أو طويليها وذوي البشرة السمراء والبيضاء، وقد انتشر هؤلاء بسبب الجمودية في جنوب قارة اوربا واختلطوا بالغريمالدي وتكون منهما عرق أسمر، وقد انتشروا حتى اواسط اوربا من جنوب فرنسا الى جبال الكاربات وحوض نهر الدانوب.

ثالثاً ـ الطريق الشمالي ـ من شمال البحر الأسود ـ ويغلب على هؤلاء إنسان الكرومانيون الفارع الطول الأبيض البشرة ذو الرأس الطويل من الجبهة الى القفا، ولعل قدوم هذا الجنس كان بعد زوال الجمودية الأخيرة.

وكان الانسان الألبي يتأثره دائماً ويتبعه حيثما وجد.

ومن امتزاج هذه الفصائل تكون في الجنوب الأوربي شعب جديد متوسط الطول أسمر اللون فاتحه وهو مايسمى بشعب حوض المتوسط [ميديتراني]

وفي الأقسام الشمالية وعلى حزام الطينة الصفراء كانت تعيش جماعات من الإنسان طوال القامة بيض الأهاب يميلون الى الشقرة وهم أوائل الآريين.

الكلت أو القلت ـ سكان اوربا الوسطى ـ

يظهر انهم اقدم الامم الأوربية التي هاجرت من الشرق الى اوربا، وحالياً يقيمون في القسم الغربي من اوربا على شواطىء الاتلانتيك، وكانت لهم ديانه وثنية تسمى بالدويدية.

بالنظر لحروف الهجاء الذي يغلب على لغتهم فأنهم يقسمون الى قسمين:
آ - قلت ق : دخلوا اوربا قبل غيرهم ومقرهم حالياً ايرلاندا.
ب - قلت ب : جاؤوا الى اوربا ثانيا، عن طريق حوض نهر الدانوب واستوطنوا في جبال الألب وايطاليا واواسط اوربا خاصة القسم الغربي منها وجزر بريطانيا ويظهر انهم وصلوا الى ايرلانده واختلطوا مع القلت ق.

والكلت كلمة استعملها الأغريق والرومان قديماً علماً على بعض شعوب اوربا الوسطى الشمالية، وهذه الكلمة تكاد تكون علماً جغرافياً لاقومياً في الحقيقة.

والكلت طوال القامة شقر الشعور زرق العيون بيض البشرة، وهناك الى جانبهم اناس آخرون قصار القامة دكن أي سمر اللون، وهم يدعون انهم اصل القلت، فيهم الاطول جسماً مثل قلت جبال الالب والبلقان والأقصر جسماً مثل قلت سويسرا.

وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا ان بين المتكلمين باللغة الكلتية عدة اجناس بشرية تعادل تلك التي نجدها بين سكان اوربا بأسرها والتدقيقات على المظاهر الجسمانية تدل على ان الكتاب القدماء بنعتهم [الكلتيين] جميعاًبهذا الاسم لم يقوموا على اساس من التدقيق العلمي.

يصف افلاطون الكلت بانهم قوم نزاعون الى القتال مع شغف شديد بالخمر، ويطري ارسطو ما جروا عليه من الاكتفاء بإلباس اطفالهم قميصاً خفيفاًفحسب في الجو البارد حتى يشبوا صلاب العود.

وينقل استرابون رواية عن افورس مفادها ان القلت كانوا يعاقبون شبانهم اذا استسلموا للبدانة استسلاماً يعجزهم عن التمنطق بحزام من قياس معلوم.

اللغات الكلتية:

كان للكلت لغة خاصة بهم قائمة بذاتها، ولها لهجات مختلفة يتحدثون بها في أقاليم مختلفة من اوربا حتى الأن ومنها
آ - لهجة السلت - مستعملة في جزيرة ايرلاندا
ب - لهجة الأرز - مستعملة في ايقوسيا شمال جزيرة بريطانيا
ج - لهجة الكيمري - مستعملة في اواسط جزيرة بريطانيا واقليم بريتوني في فرنسا.
د - لهجة القوريني - مستعملة في بلاد الغال - اقليم ويلز- في اواسط بريطانيا ويقدر عدد الذين يتكلمون لغة الكلت من سكان اوربا حالياً من [٦ - ١٠] ملايين نسمة، وكان الرأي السائد انهم من سلالة قفقاسية. (إذ عاشوا فترة من الزمن في القفقاس) .

وتوجد ايضاً حالياً في اوربا الوسطى اقوام عدة متحدرون من سلالات قفقاسية ومحافظون على لغاتهم القديمة وتقاليدهم حتى على أزيائهم ومن هؤلاء:

١ ـ هوتسول ـ هذا الشعب يعيش في بلاد المجر ويمتازون عما جاورهم من الأقوام السلافية ولقد اثبت علماء الانسال انهم من السلالة القفقاسية .

٢ ـ ومما يلفت النظر قوم الباسك سكان جبال البيرنه فهم يختلفون عما جاورهم من امم اوربا لغة وعادات واسمهم القومي يشبه كثيراً اسم قبيلة [باسكيغ] الجركسية من الأبخاز. لقد أثبت التحليل اللغوي مؤخراً أنّ لغتهم قفقاسية .

٣ ـ شعب الأتروسك التوسكانيين في ايطاليا الذين شكلوا مدنية زاهرة قبل الرومان كانوا يختلفون عن الأمم اللاتينية وهناك آراء تربطهم بالسلالة القفقاسية .

٤ ـ وثابت في التاريخ انه قد حل قديماًفي بلاد اليونان في عصور الفرسان اقوام نزحوا من آسيا الصغرى ومنهم قبيلة [آشه] المذكورة في تاريخ [دوري] ومما يلفت النظر ان هيرودوت واسترابون قد اوردا ضمن القبائل الجركسية اسم [آخه] ثم ان المعنى الصريح لهذه الكلمة باللغة الجركسية[المعذور في يده] أو [السلاح] وهي تسمية دارجة لحد الآن أو سكان ساحل البحر (آ ـ خه ـ ي) .

٥ ـ وعلى ذكر بلاد اليونان فأن مما يجلب الانتباه هذا التشابه بين اسم [آتيكة] المقاطعة اليونانية وبين كلمة [آديكة] الاسم القومي للجراكسة الغربيين ولقد ثبت للمؤرخين بأن الحضارات الاوربية القديمة تستند إلى شعوب أخرى سبقت مجيء العرق الآري، وقد اظهرت التنقيبات الأثرية وجود سلسلة متتالية من آثار العصر الحجري تبدأ من الهند وتمر بالقفقاس والقرم الى شمال البحر الأسود حتى غربي اوربا ومنها الى ايرلنده وايسلنده وان هذا الخط الأثري الذي يربط جزيرة ايسلنده بالهند قد احدثه اقوام المانهريون والدولمه ن، ويعتقد انه عائد لعرق واحد.

كما تبين ان الباسك هم بقية فصيلة قديمة ويرتبطون بقدماء [راسنا ـ اتروسك] الايطالية ومنهم الى آسيا الصغرى وينتهي نسبهم الى القفقاس .

ولقد عثر في أواسط اوربا على آثار تنتشر حتى شبه جزيرة يوتلاند .

وهي آثار تعود لما قبل الآريين وقد حكم اكثر المدققين بأنّ هذا الشعب يرتبط بالألبيين القفقاسيين وانهم من الشعب الكيمري .

وهذه السلاسل الأثرية تربط سكان حوض البحر الأبيض المتوسط بسكان حوض البحر الأسود مما يثبت وجود ارتباط قومي عنصري وقرابة جنسية وثيقة بين سكان هذين الحوضين.

الآريون

كان اول ظهور لفظ [الآريين] عند شعب [حرّي]إحدى قبائل شعب [الميتاني] شمالي بلاد [آشور] وكان هذا اللفظ اسماً اطلقته على نفسها مجموعة الأقوام الضاربة بقرب

شواطىء بحر قزوين، او التي كانت اصلاً هناك

أما في زماننا هذا فإن اسم [آريون] يطلق من قبل المؤرخين على الشعوب القديمة العائدة من [الميتانيين - الحثيين - الميديين - الفرس - الهنود القدا] وهو يطلق على الشعوب الهنداوروبية في قارتي آسيا وأوربا.

والآريون قد بدؤا بالهجرة الى اوربا في القرن الثامن قبل الميلاد حسبما هو معلوم في العهد التاريخي، وكانت هجراتهم بشكل جماعات كثيفة، اولهم الأسكيت، وقد دفعوا امامهم الى غرب القارة الاوربية جموعاً كبيرة من الكيمريين القفقاسيين وكذلك آريو حزام الطينة الصفراء من الروسيا والبلطيق.

وقد قضى هؤلاء الآريون الوافدون على الشعوب القلتية.

وقد ورد في كتاب تاريخ العالم المجلد الثاني صفحة ١٩٦ ما يلي عن سهول شمال القفقاس كان يقيم في السهول المرتفعة في روسيا الجنوبية حيث توجد رواسب عميقة من التربة الصفراء قبيلة من المزارعين، كانت حضارتها من بعض النواحي اسمى من حضارة الدانوبيين فقد كانوا بوجه خاص يعرفون النقش على الزهريات وبناء المنازل القائمة على الزاوية وكانت لهذه المنازل دعائم تسند حيطان المدر والأغصان المتشابكة.

وهؤلاء ايضاً امتدوا الى الغرب عبر جبال الكريات واحتكوا بالدانوبيين.

وفي ناحية شواطىء البحر الأسود الشمالية كانت تقيم قبائل بدوية من الفرسان والرماة وكانوا قد أخذوا بطرف من حضارات ما بين النهرين والأيجيين الراقية .

ومن المحتمل ان سكان السهوب هؤلاء، هم الآريون الذين اشتقت من لغتهم اللغات الانكليزية واللاتينية واليونانية والفارسية واللهجات الهندية ولغات أخرى كثيرة.

وفي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد بدأ جفاف ، حمل هؤلاء الآريين على الانتشار الى الغرب، وادخلوا الخيل معهم الى اوربا وشواطىء بحر الشمال، وهؤلاء لم يكونوا يستقرون في مكان، ولكنهم كانوا يدفنون موتاهم ويسترونها بكومة من التراب .

والغريب ان صفة البيوت المصنوعة من الأغصان المتشابكة المطلية بالمدروذات الدعائم والمساند تطابق تماماً بيوت [النارت] في الأساطير الجركسية التي يرد فيها [ان بيوت النارت الكبرى ذات جدران متمايلة يسندها العديد من الدعامات دوماً] كما ان عادة ستر القبور بأكوام من التراب كذلك كانت من عادات النارت وكلما كان الميت عزيزاً كلما كانت كومة التراب كبيرة حتى تصبح بعضها تلالاً مرتفعة.

الكيمريون

أثبتت الدراسات التاريخية انه فيما بين الألف الرابع والثالث قبل الميلاد كان البحر الأسود محاطاً بثلاث فصائل من شعوب الكاس وهم:

١ ـ الكيمريون ـ شمال البحر الأسود وغربيه في القرم واوكرانيا ورومانيا وبلغاريا.

٢ ـ القفقاسيون الجركس ـ بين البحر الأسود وبحر الخزر.

٣ ـ الحثيون ـ جنوب البحر الأسود في الأناضول ـ وشمال سوريا.

والكيمريون شعب قديم اسس في الفترة ما بين الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد دولة عظيمة الشأن في القفقاس وشمال البحر الأسود وكانت لهم حضارة ومدنية خاصة بهم.

ولم يكن معروفاً من تاريخ الكيمريين سوى ما كتبه عنهم المستعمرون اليونانيون الذين بدؤا بإنشاء المستعمرات التجارية على شواطىء البحر الأسود في القرن الخامس قبل الميلاد، وتلاه من بعد المؤرخ سترابون في القرن الأول للميلاد وما تلاهما من المؤرخين.

والمعلومات التي كتبها اليونان عن الكيمريين محدودة لا تعدو اشارات عابرة عن علاقاتهم معهم، ولكن التنقيبات الأثرية القليلة التي أجريت مؤخراً في القفقاس وشمال البحر الأسود وشبه جزيرة القرم (المسماة باسمهم) اثبتت ان هذا الشعب كان ذا حضارة زاهية تعد من اعرق المدنيات القديمة، مما أثار وجذب انتباه المؤرخين اليهم بشكل جدي.

واسم الكيمريين يرد في التواريخ اليونانية والرومانية القديمة بالفاظ مختلفة قليلاً مثل [كيمري ـ غومري ـ شومري ـ سومري سيمري] وامثالها.

وقد اعتمد المؤرخون في استنباط تاريخ الكيمريين على الاكتشافات التي عثر عليها في ثلاث مناطق هي:

١ ـ موقع اونيته على نهر ألبه في الغرب

٢ ـ موقع فاتيانوفو في اعالي نهر الفولغا

٣ ـ حوض نهر القوبان في القفقاس

وآثار القوبان هذه، تدل على ان الكيمريين قد توصلوا فيها الى استعمال المعادن ببراعة، وسنتعرض لتفصيلها ودراستها في نهاية هذا البحث.

منشأ الكيميريين وعلاقتهم بالقفقاس.

أولاً: ورد في الأثر القديم بالتوراة ان العرق الأبيض هو من نسل يافث بن نوح، ولقد اختلف العلماء الكتابيون او اليافثيون في كثير من تفصيلات كيفية نشوء وانتشار هذا النسل، ولكن الذي لا خلاف فيه هو ان:

يافث بن نوح ـ اعقبه ابنه غومر ـ واعقب هذا ابنه تورغوم ـ ثم ابن هذا يتراس والتوراة تشير

الى ان بلاد الاناضول والقفقاس كانت موطناً لنسل يافت، وعلى ذلك فالكيمريون اخذوا هذا الاسم عن [غومر] وانهم في الحقيقة سكان القفقاس الأوائل.

ولا بد من الاشارة الى انه قد وجدت عناصر تحمل هذه التسمية في الاناضول والعراق وبقاع من اوربا، مما يدل على ان عناصر كثيرة من الكيمريين انفصلت عنهم وتغلغلت في اصقاع اخرى.

ومن المفيد التذكير ان العلماء يسمون اليافثين [كاسيون] و [آلارتيون] وقد ذهب كثير من المؤرخين الى ان الكيمريين والكيركاسيين يتقاربون لدرجة الأخوة او لدرجة ابناء العم.

ثانياً: اثبتت الدراسات والتتبعات الاثرية ان الكيمريين كانوا يشغلون القفقاس الشمالي وشبه جزيرة القرم وشمال البحر الأسود وحوض نهر الدون، في الوقت الذي أنشأ فيه اليونانيون مستعمرات في تلك الجهات.

وقد دلت الأثار المكتشفة في موقع [تريبولي] على انه في عام [٢٥٠٠] قبل الميلاد كانت توجد في حوض نهر الدنيبر نهضة زراعية وصناعية راقية، ثم انقطعت هذه المدنية فجأة.

ويقول المؤرخ الروسي الكساندر باشماكوف الذي اهتم كثيراًبهذه الاكتشافات ان مؤسسي هذه الحضارة التي ظهرت آثارها في تريبولي هم اجداد السلافيين الذين كانوا يدعون[نورس] فأما الذين اخرجوهم من تريبولي فهم الكيمريون ومن بعدهم الكيركاس الذين قدموا من القفقاس.

ثالثاً: يختلف المؤرخون في هل كان المركز الرئيسي لهذا الشعب في القفقاس شرق مضيق [كرتش] ام في غربيه في القرم؛ وبعضهم يدعى انه كان في موقع [كرتش] على الضفة الشرقية لهذا المضيق، وان اسم [كرتش] ما هو الا تحريف اسم كاس او كيركاس؛ وان بقاء هذا الاسم لحد الآن دليل على ذلك.

والبعض الأخر يذهب الى ان العاصمة الكيمرية كانت في الموقع الذي يسمى حالياً [تيموروق] على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة تامان والذي كان قديماً يسمى [كيمركوي]

على كل حال فالثابت ان عاصمة الكيمريين كانت في منطقة مضيق [كرتش] وان هذا الشعب كان يشغل الجهتين القفقاس وشبه جزيرة القرم.

رابعاً : توجد الى الأن قبيلة جركسية من الآديكة في قفقاسيا وتركيا تسمى [كيمركوي] ويلفظها الآبزاخ منهم [جمكوي] وذكرنا وجود موقع [كيمركوي] في الساحل الجنوبي لبحر آزاق، وفي الداغستان توجد قرية [كيمري] وهي مسقط رأس الشيخ شامل الداغستاني المشهور.

خامساً: ان كلمة [أنت] التي وردت في تورايخ اليونان كإسم لقبيلة وموطنها في الدولة الكيمرية لا تزال تعيش في حوض نهر القوبان وفي الداغستان بنفس المدلول.

سادساً: ورد في تاريخ [اوائل سكان القرم] اسم قبائل [تور - توريت] وبالإضافة الى

وجود هذه الأسماء بين الجراكسة حالياً فإن الساحل المحصور بين نوفوروسيسكي وطوابسه يسمى ساحل تور.

سابعاً: إذا تتبعنا ما وصل اليه علماء الانسال في ابحاثهم الأخيرة، وخاصة العالم الروسي [بانتيوهوف] في كتابه[تقويم القفقاس] المطبوع عام ١٩١٠ م صفحة ٥٣٩ ، يتضح لنا ان الجراكسة الذين سكنوا من قديم الزمان سواحل بحر آزوف الشرقية وسواحل البحر الأسود وحوض نهر قوبان، ينتسبون أصلاً الى [الكيميريين].

ثامناً : يقول المؤرخ مورغان في الجزء الثاني صفحة ٢١٧ ما يلي: وهؤلاء الكيميريون حاربوا الأسكيت القادمين من آسيا حوالي القرن السابع قبل الميلاد في جهات شمال قفقاسيا الغربية وفي سواحل بحر آزوف الشرقية عند مرورهم منها والتوغل في روسيا واوربا .

ويقول في الصفحة ٢١٧: ويؤيد هذا الرأي ما جاء في آثار الآشوريين ايضاً الذين وجدوا قبل ظهور التوراة وتكلموا عن هؤلاء الكيميريين.

تاسعاً: يقول المؤرخ [ماسبرو] في كتابه [تاريخ الأمم الشرقية القديمة] صفحة ٣٩٢: ان الآشوريين كانوا يسمون جبال القفقاس في عهد السارغونيين بالجبال الكيميرية. وبأدراج هذه المقتطفات التاريخية نكون قد اعطينا فكرة واضحة عن الكيمريين ومنشأهم ومركز ثقلهم.

الساحات التي اشغلها الكيمريون:

ورد في انسيكلوبيدية اللاروس الكبير في شرح وتفسير كلمة [كيمريه ن] ما يلي:

الكيمريون شعب كان يسكن في السواحل الشمالية والشرقية للبحر الأسود، ما بين نهري الدانوب والفولغا، ولهذا السبب فقد سميت تلك البقاع [كيمريه ن] وقد تعرض الكيمريون في القرن الثامن قبل الميلاد للتضييق الشديد من قبل الأسكيت فهاجروا الى آسيا الصغرى واحتلوا بلدة [سارده] على ان ملكها [آليات] قد هزمهم .

وقد نزح قسم كبير من الكيمريين، خاصة شعبة [تره ر] منهم الى غرب أوربا واستقروا في شمال فرانسا وفي انكلترا، وان التشابه بين الجراكسة والكلت والغاليين في العادات والدين والأخلاق والبنية وسيماء الوجوه، تشابه ظاهر للعيان، وهذه القرابة والمشابهة تلاحظ بوضوح بين بعض الانكليز والفرنسيين والجراكسة ومن بقاياهم الموجودة حالياًفي اوربا :

١ ـ قوم يسمون [كيمبره] يعيشون في شبه جزيرة [يوتلاند] من بريطانيا.

٢ ـ في الجنوب الشرقي من بلاد اوربا، وفي بلاد الغال توجد بقايا أقوام تحمل اسماء [كيمراغيس ـ كيمريس] ومن المحتمل انهم يتصلون بنسب الى شعبه [ته ره ر] من الكيمريين الذين يعيشون في ايطاليا بعد ن هاجروا بسبب غزو الاسكيت.

٣ ـ تشاهد بعض العناصر المنتمية الى الكيميريين في سواحل تركيا الشمالية مثل مقاطعة

بافلاغونيا ومقاطعة سينوب.

كما كانت عناصر منهم موجودة قديماً في كابادوكيا وعيلام التاريخيتين، وحتى في شرقي بحر الخزر وهم البورشقور في تركستان، وهؤلاء من الكيمريين القدماء.

٤ - ولعل السومريين الذين قطنوا ما بين النهرين قديماً وأسسوا المدنية السومرية حضارة بابل القديمة هم من هؤلاء الكيمريين (ولكنه احتمال ضعيف بسبب اختلاف اللغتين) .

التشكيلات الإدارية

إن الوثائق التاريخيـة اليونـانية تبين ان الكيمريين كانوا منقسمين الى فئتين؛ فئة تحمل اسم [كيمري] ومواطنها القفقـاس والقـرم، وفئـة ثانية كانت في غرب الفئة الأولى في شمال البحر الأسود وتحمل اسم [ته ره ر] وان طراز الإدارة عندهم كان يشبه ما نسميه [الاتحاد الفيدرالي] وعاصمتهم في [كرتش]

ومن قبائلهم المذكورة [سند - داندار - ماؤت - توره ت...] ولدى دراسة التاريخ الحثي نجد تشابهاً في شكل الإدارة وتشابهاًفي اسماء القبائل وبينها وبين قبائل الجركس قديماً وحديثاً كما سيأتي ذكر ذلك .

إضمحلال الدولة الكيميرية:

في الفترة ما بين [٨٠٠ - ٧٠٠] ق.م تحرك الاسكيت من اواسط آسيا وهم قوم بدو رحل من الفرسان متوحشون ومحاربون أشداء، فاجتاحوا بلاد ايران وقضوا على مملكة ميديا ونهبوا ودمروا بلاد آشور وسوريا ثم اتجهوا نحو الشمال مخربين مدمرين واجتاحوا قفقاسيا سفاكين سلابين فقضوا على الدولة الكيمرية وسببوا الهرب وهجرة جماعات كبيرة منهم الى أصقاع اوربا والى بر الأناضول وبلاد الشرق الأوسط .

ويذكر أبو المؤرخين هيرودوت في سياحته الى القفقاس في العام [٥٠٠] قبل الميلاد وجود الأسكيت وسطوتهم، ومن ثم قضى عليهم السارماتيون القفقاسيون فتفرقوا واضمحلوا .

ولا توجد مصادر تاريخية تفصل وقائع حروب الأسكيت والكيمريين، على ان بعض المصادر تذكر ان الكيمريين القفقاسيين والقرميين قد حاربوا الاسكيت بكل شدة، ولكنهم غلبـوا على امرهم، وعلى اثر ذلك فأن الكيمريين الغربيين في شمال البحر الأسود، وهم شعبة [ته ر ه ر] القاطنين في احواض نهري الدنيبر والدنيستر، قرروا الهرب نحو الغرب، ولما اصر ملوكهم وقادتهم على الحرب، ثار الشعب عليهم وقتلوهم ومن ناصرهم ثم رحلوا هاربين الى أوربا بدون قيادة ولا نظام وتفرقوا في انحاء شتى من أوربا .

ويجزم أكثر المؤرخين ان الاتروسك منهم وكذلك الباسك، على ان الغالب ان الباسك أقدم بكثير وانهم هاجروا من القفقاس في العصر الحجري الأخير اي في فترة [٥٠٠٠] سنة قبل الميلاد.

وفئة من الكيمريين هربت الى الجنوب الى آسيا الصغرى [تركيا] وهم السيمريون وقد اثاروا كثيراً من الوقائع واشتركوا في مجادلات المنطقة فمثلاً: في عام ٧١٩ ق.م عاونوا الملك الآشوري سارغون في حربه ضد الأورارطؤ وبذلك رجحت كفته، ولكنهم في عام ٦٧٧ ق.م انضموا الى الميديين وسببوا لانكسار الآشوريين واستيلاء ميديا على (مينوان) .

وكان بين ملوكهم من يحمل اسم [ايران] ولكن هذا الاسم كان لقباً فخرياً ، اما اسماؤهم الحقيقية فهي اسماء اناضولية، ومنهم مثلاً الملك توشيا وهذا الاسم كان يطلقه الاورارطؤيون على بحيرة [وان] في ارضروم .

أما طراز حياة هؤلاء الكيمريين في الأناضول، فهي انهم كانوا يعملون بالزراعة وامتدت معاملاتهم التجارية الى مصر، ونقلوا إليها محاصيلهم، حتى أن الفرعون بساماتيح قد استقبلهم وأكرم وفادتهم .

وأخيراً وتحت تأثير الضربات القاضية التي وجهها اليهم آليات اوكيفس ملك مملكة ليديا، انفرط عقدهم واندثروا .

★ ★ ★

من مجلة يني قفقاسيا ـ عدد ايلول عام ١٩٦٢ (ص١٥)

الآثار التاريخية القديمة في القفقاس (آركئولوجي)
وعلاقاتها بالآثار المصرية والسومرية والحثية القديمة

الدكتور وصفي غوسار

إذا نظرنا الى ما كتبه المؤرخون الأجانب، فإن قفقاسيا تعتبر مهد استعمال المعادن وصناعاتها النفيسة، وهم يذكرون ظهور هذه الصناعات فيها وانتشارها منها الى أوربا. إن المكتشفات الأثرية التاريخية التي ظهرت بالحفريات، والتحقيقات العلمية التي اجريت في القفقاس القت ضوءاً ساطعاً على تاريخ الحضارة الانسانية القديمة وقدمت لها خدمات كبيرة، ومن بين هذه المؤلفات القيمة العديدة، فأن مؤلفات المؤرخين مورغان وارنست شانتر، تحمل طابع الأهمية، وعدا ذلك فأن المتحف الأثري المقام في تفليس بجنوب القفقاس، والدراسات التي يجربها تعطينا مصادر جيدة تنير لنا طريق الاجتهاد.

يذكر المؤرخ مورغان، انه قد اكتشف في القفقاس العديد من المقابر العائدة للدور الحجري، وانه قد وجد فيها الكثير من الأدوات وادوات الزينة، وخاصة في حوضي نهر قوبان

ونهر تره ك، فقد اكتشف فيها آثار معدنية غنية تثبت ان هذه المنطقة مهد بداية استعمال المعادن، وانها وجدت فيها قبل ألفي عام من ميلاد المسيح ، وان صناعة البرونز والحديد قد انتقلت من هناك الى اوربا. انظر كتاب مورغان المجلد الأول صحيفة ٢٠٨ .

ويذكر مورغان انه اجرى تحقيقات ودراسات على الموميات الحثية المحفوظة في مصر وتيقن ان اصحابها من أصل قفقاسي، وان مظاهر الحثيين وملابسهم تشابه كثيراً ما لدى القفقاسيين الى يومنا هذا.

هذا وقد اثبتت التحريات التاريخية ان اجداد الجراكسة من الكيمريين كانوا يحكمون منذ ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد الشمال القفقاسي.

في الفترة ما بين ١٨٩٨ - ١٩٠٩ حُفر العديد من التلال الترابية الصنعية في حوض القوبان ومنطقة ما يكوب، ووجدت فيها المقابر وقد وجد فيها مدفوناً الكثير من الأشياء العائدة للميت كالأسلحة والأدوات والأواني، وآثاراً من الأطعمة والأشربة في أوان فخارية وحجرية.

كما وجدت الى جانب الهياكل العظمية للنساء والرجال والخيل والبقر والغنم بقايا العربات وشوهد ان هذه العجلات كانت تقاد بستة أزواج من الجياد، كما وجد فيها الكثير من الحلي المصنوعة من النحاس والفضة والذهب،كما وجد فيها العديد من التماثيل الفضية والحجرية.

فهذه الآثار، وخاصة أثار حوض القوبان، تشابه كثيراً الآثار الحثية.

إن أهم المراكز الحثية في عهد عظمتها هي في حوض نهر قيزيل ايرماق في تركيا وفي شمال سورية، فسلاح القاما (السيف المستقيم القصير) الذي اكتشف في القوبان وفي منطقة تريالتي، هي تماماً مثل مثيلاتها مما اكتشف من القاما الذهبية في آثار (آلاجاهيوك) في تركيا . وكذلك ما اكتشف في بلاد سومر جنوب العراق - والآن نجد ان الجراكسة والقفقاسيين جميعاً يتمنطقون بمثيلاتها جميعاً وفي الوضعية التي كانت لدى الحاثيين الأقدمين .

إن النصب التذكاري الذي أمر بنصبه الملك الثاني للحثيين [آنيتاش] لتخليد انتصاراته نقشت عليه إله الجبال وإله البرق بوضع التقديس، وهذا يذكرنا بأن القفقاسيين الشماليين يعبدون إله البرق، كما أن اللوحة الذهبية التي وجدت في مايكوب تحتوي رسم السلسلة الجبلية ومن أهم الآثار المكتشفة في تل مايكوب حليتين فضيتين، وقد دققها علماء الآثار زمناً وتناقشوا في مدلولاتها طويلاً، وعدا ذلك فإلى جانب القاما التي تشبه ورق الدفلى وجدوا حجرة مسن وحزام جلدي، وهذا مما يدعو الى الاهتمام لأنها تشابه القاما والحزام المعلق به حجر المسن الى يومنا هذا في اللباس الجركسي القومي(*) .

وقد عثر في المقابر المكتشفة في شمال القفقاس عدا عن سلاح القاما على أعتدة حربية

(*) انظر كتاب ذهب الكوبان للمزيد من المعلومات .

كاملة هي السيف والقسي والسهام والتروس والمغافر والدروع؛ ولم يصادف وجود مثل هذه الأدوات الحربية في المدافن القديمة للشعوب الاخرى في العالم.

ومن هذا كله يظهر بوضوح أن قدماء الجراكسة كانوا يعتقدون بخلود الروح وبعث الموتى لذلك كانوا مع الميت يدفنون معه جميع لوازمه ومايحتاج اليه في الدنيا الأخرة - كما كان عند قدماء المصريين وبعض الشعوب الاخرى وانهم كانوا يقدمون الأضاحي قرابين للميت لكي يخلصوا روحه من العذاب.

كانت المدافن التحت أرضية تبنى بشكل مربع أو مستطيل مدخله من عند الرأس وقد وجدت فيها نقوش تزينية بينها الصلبان، ولكنها ليست الا نقوشاً لأنها رسمت قبل الميلاد بمئات السنين.

وفي القفقاس الشمالي عثر في المقابر على خلاخل (سوار بدون جرس) وحلق للآذان مصنوعة من الذهب والفضة واسورة وخواتم؛ وفي عهد متأخر ظهرت لديهم المشدات (كورسية) والأحزمة المعدنية، كما ثبت ان ابرة الخياطة والمشط ظهرت أولاً في القفقاس .

يخمن علماء الآثار عمر الآثار المكتشفة في مايكوب بحوالي [٢٥٠٠] سنة قبل الميلاد ولكن اللوحة الذهبية التي عثر عليها وفيها رسم السلسلة الجبلية والنهران اللذان يصبان في البحر في مصبين مختلفين كما تحتوي على رسوم بعض الحيوانات، والتي تقرر انها تمثل سلسلة القفقاس ونهري الفرات والدجلة، تدل على ان هذه الخارطة تعود الى عهد أقدم من ذلك، لأن دراسات علماء الجيولوجيا، ظهرت ان عهد انصباب الرافدين في البحر بمصبين يعود الى [٣٥٠٠] سنة قبل الميلاد(*) .

ومن هذا يتبين وجود علاقة وثيقة بين الجراكسة والسومريين في بلاد الرافدين فأما ان الجراكسة قدموا أصلا من ميزوبوتاميا، واما ان السومريين انحدروا الى سومر من القفقاس، والرأي الثاني أرجح إذ ثبت ان السومريين قوم جبليون انحدروا الى بلاد سومر من الجبال الشمالية وهم يعرفون الزراعة وارواء الأراضي وتصنيع المعادن، عدا الحديد، وتربية المواشي وبناء المدن.

فإذا أخذنا بهذا الرأي يثبت لدينا صحة الرأي القائل ان القفقاس هي مهد ظهور الحضارات الأنسانية الأولى، ومنها هاجر القفقاسيون في عهد سحيق يعود الى [٤٠٠٠ - ٥٠٠٠] سنة قبل الميلاد ونقلوا حضارتهم الى سومر وواد نهر النيل .

في قرية (ستاروميشسكايا] بالقوبان عثر على تمثال ثور، وفي قرية (كور وسنويا) في أبخازيا عثر على آثار تعود لدور [ميفاليتيك] وفي هاتين الطبقتين وجود مصنوعات نحاسية وبرونزية، وهي تتشابه تماماً في الموقعين .

وفي حوض نهر تيرك عثر على جمجمة تعود لإنسان النياندرتال في موقع (بسي فابه) أي

(*) تورجانينوف - اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس .

المياه الساخنة (بياتيغورسك) وأدوات من السيراميك وآثار تعود للدور النحاسي والبرونزي.

وفي الجنوب الغربي لبلدة (ولاديقفقاس) وكذلك في القوبان آثار ترجع الى العهد الحجري المصقول وبينها (توقا Toka) ذات أهمية كبيرة .

ووجدت في القوبان مدافن الدور الكلاسيكي (دفن الميت بعد طي اطرافه) كما اكتشفت فيها مدافن جماعية (دفن اشخاص عديدين في قبر واحد) كما وجدوا آثاراً تدل على تغسيل الموتى قبل الدفن .

وفي الداغستان بجوار بلده ودنو وجدوا مقابر دفن فيها اللحد في تابوت من الحجر مثلما شوهد في بلدة أور السومرية وبلدة آلاجاهيوك في الأناضول، ومثل ذلك في مقابر القوبان العائدة للدور النحاسي .

فالتحريات والدراسات اثبتت توالي أدوار [ميزاليتيك ـ ميغاليتيك ـ كالكوليتيك] في تسلسل منتظم مع احتواء دور استعمال الحديد.

وفي نفس الوقت فقد ثبت وجود مشابهة قوية بينها وبين الآثار المكتشفة في ميزوبوتاميا بخرائب بلدتي أور وسوسة وفي منطقة إيجة (حضارة ميكن) وفي استراباد من ايران .

وعثر في الحفريات بشمال القفقاس على رسوم للنسر والحصان والكلب والثور والانسان منقوشة؛ على ان المستغرب ان رسوم الانسان رسمت بدون رأس وكان ذلك بسبب عقيدة دينية بلا شك؛ وهذه تماثل بعض الآثار الحثية .

وحتى في بعض مدافن (الدولمن) في القفقاس الشمالي تصادف وجـود رسـوم انسان بلا رأس ولم يعثر في بلاد الجراكسة على قلاع، ولكن توجد في القرى الشرقية أبراج دفاعية لكل اسرة فهذه الأبراج العالية نوعاًلها نوافذ صغيرة (طاقات) للدفاع وتحتوي على الأغذية والمشروبات التي تكفي لمدة طويلة وفيها صهاريج لتخزين المياه.

على انه توجد في شبه جزيرة القرم الى يومنا هذا آثار قلاع يسمونها(قلاع الجراكسة وهي عائدة للقرن السادس الميلادي أنشأها الجراكسة الذين استولوا على القرم في ذلك العهد.

أما السد القفقاسي الكبير الذي يسمى بسد الأسكندر فهو عبارة عن جدار عريض مرتفع

من الدفتر المخطوط صفحة ٧:

في عام ١٨٣٣ م قامت اولى البعثات الأثرية في تنقيباتها بالقفقاس تحت إدارة [مسيو دوبريز دومونتيورن] واستمرت بنجاح حتى نهاية عام ١٨٣٤ م وقد نشرت نتائج اعمالها في ستة مجلدات كبيرة وأطلس واحد.

وفي الصفحات ١٧ ـ ٢٠ من هذا الدفتر بداية عن تقسيم أدوار الآثار المكتشفة في القفقاس وذكر بعض المعلومات عن تلك الآثار.

يعزل شمال القفقاس عن جنوبه ، وعرض السد يمكن ان تسير عليه عجلة يجرها جوادان، والغالب انه بني في الفترة [٤٥٠ ـ ٤٥٤] قبل الميلاد في عهد امبراطور روما [مارتيان] حسبما يذكر [بارتولد] .

" وفي الصفحة ١١٤ من هذه المجموعة ما كتبه عن هذا السد الروائي الشهير ألكساندر دوما فلا لزوم لإعادة ذكره .

وفي الحفريات التي اجريت في قوباجي بالداغستان ثبت ان صناعة الصياغة كانت منذ القدم موجودة هناك، وكانت الأسلحة المصنوعة في قوباجي قديماً قد اشتهرت في بابل والأورارتو وسائر الشرق الأوسط .

وهذه البلدة حافظت على شهرتها الصناعية للأسلحة والصياغة حتى العهد الأخير وكانت من مراكز صناعة الأسلحة في عهد الحروب الروسية والشيخ شامل .

يقول الدكتور البروفسور جورجي في مؤلفه [سومر] عند تعرضه لذكر القفقاس :

" ان الآثار القفقاسية تمتد بشكل سلسلة متوالية حتى الجزر البريطانية سلسلة غنية متجانسة ومتطورة وطويلة الأمد" .

ويضيف الى ذلك قوله، من المهم ان نتذكر ان الحضارة القفقاسية غير بعيدة عن الحضارة السومرية، فالآثار التي وجدت في مايكوب وغيرها من الأمكنة عثر فيها على آثار ذات قيمة تاريخية عظيمة .

فالآثار القفقاسية، وخاصة القسم الشمالي منها، تتكامل وتتجانس مع الآثار العراقية والمصرية والأناضولية منذ العهد [٣٠٠٠ . ٣٥٠٠] سنة قبل الميلاد وتترابط معها بروابط قوية.

حفريات أثرية حديثة في تفليس عاصمة كرجستان

نشر في جريدة زاريا فوستوكا الصادرة في تفليس النسخة المؤرخة ٢١ / ٦ / ١٩٦١ مقال عنوانه [من أعماق العصور] وموقع من قبل (ي. باريدزه) و (و. كوربنيدزه) ورد فيه:

في عام ١٩٦٠ شكلت إدارة المتحف الحكومي في تفليس خمس لجان للتنقيب عن الآثار فيما وراء القفقاس (جنوب القفقاس) وقد توصلت جهودها الى النتيجة التالية .

في السفوح الجنوبية لسلسلة القفقاس؛ وعلى الضفة اليمنى لنهر [غيربولا] عثر على كهف عائد لدور إنسان الباليوليتيك، وقد وجد في الكهف سن لانسان النياندر تال .

وفي قرية [كوهي] عثر على معمل وجد فيه الكثير من الأدوات القاطعة والمدببة للدور الحجي القديم، وجميعها مصنوعة من حجر الصوان .

وفي منطقة [لاغو] عثر في بعض القرى القديمة على آثار لدور آنيك القديم وفيئودال الجديد، تدل على طرق سقاية المزروعات قديماً؛ وهذا دليل على قدم الحضارة القفقاسية، وفي

منطقة [غوري] أظهرت الحفريات وجود سبعة طبقات لقرى قديمة، وأحسنها هي الطبقة الثالثة من الأسفل، وعثر بين آثارها على أدوات للحراثة من قرون الوعل، ومناجل حصاد من حجر الصوان وبقايا من الحبوب وكذلك (جوملكجيلك) وأعمال حجرية وبداية استعمال النحاس متمثله في رؤوس السهام والقامات النحاسية فهذه المكتشفات التي تعود الى ٣ ـ ٤ آلاف سنة قبل الميلاد تدل بجلاء على ان تصنيع المعادن وممارسة الزراعة وتربية الماشية قد ابتدأت في عهد باكر جداً في القفقاس .



معسكر شركسي (من ألبوم مطبوع في ستراسبورغ ١٨٤٥)

آثار مكتشفة من الحضارة القفقاسية القديمة

أولاً- الآثار المكتشفة في القسم الشرقي الأوسط من قفقاسيا الشمالية:

آ ـ آثار منطقة نالجيك الوسطى مواطن قبيلة القبارطاي:

١ ـ عثر في [بيتغورسك] التي يسميها الجركس [بسي فابه = المياه الحارة] على جمجمة يرجح انها من فصيلة النياندرتال، كما كنا أشرنا الى ذلك .

٢ ـ عثر في ربوة منخفضة بمنطقة نالجيك على [١٣٠] هيكلاً عظيماً ملوثاً بالأوكر، وهو نوع من التراب الفخاري، وكانت محتويات القبور تتألف من اسنان حيوانات وحشية وانيابها كالخنازير البرية، ومن تمثال حجري لامرأة مع أساور حجرية وخاتم نحاسي وعقد من العقيق.

٣ ـ عثر في مكان مجاور على أوان ذات قعر ردىء التدوير، واحجار من الصوان المسن المستعملة في صنع السهام، ولم يكن هناك اي اثر لعظام الحيوانات الأهلية.

٤ ـ وعثر ايضاً على آثار مهمة تعود للدور الحجري، واخرى تعود للدور النحاسي والبرونزي

ب ـ آثار منطقة مواطن الجاجان والاينكوش:

١ ـ جرت التنقيبات عام ١٩٣٦ م في أحواض نهري تيرك وآرغون فوجدت فيها آثار تدل على انها كانت مناطق سكن في الدور النحاسي والبرونزي وهذه الآثار تشبه الى حد كبير ما وجد في منطقة القبارطاي.

٢ ـ عثر في قرية [هاراشوى] على مقابر دفن فيها الموتى داخل توابيت حجرية.

جـ ـ آثار منطقة ياقساي؟؟

ـ في الحفريات التي اجريت عام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ في قرية [كوبك] عثر على طبقتين من الآثار .

١ ـ الطبقة السفلى: وجدت فيها قطعاً مصنوعة من احجار الصوان بأشكال (تمرنلر؟ قبصاقاجلر؟) ومطارق من الحجر المصقول، وقد استجلب النظر وجود فؤوس صيوانية مثقوبة في الوسط لضم مقبض خشبي، وفهم من ذلك ان هذه البقعة كانت موئلاً لتقدم الدور الحجري .

ولقد وجدت بينها ايضاً مصنوعات معدنية تبين الدور الانتقالي من العصر الحجري الى العصر المعدني .

٢ ـ الطبقة العليا: وجدت فيها آثار تدل على بداية استعمال المعادن، ومن بينها اوان نحاسية وبرونزية تحمل طابع الصناعة المحلية، والسيراميك، كانت هي التزيينات السائدة عليها،

ومما يجلب الانتباه وجود أوان ذات أرجل عالية مصبوبة من البرونز، وهذا يبين بوضوح انهم كانوا يصبون المعادن في القوالب .

ويلاحظ في شكل الأواني، لهذا الدور كونها مدورة كالكرة ذات قعر مستوي ورقبة وأسعة وهي مصنوعة باليد، والتزيينات الهندسية التي على سطحها جلبت اهتماماً زائداً .

د ـ آثار سواحل بحر قزوين (الخزر)

عثرت البعثات على رسوم العربات ذات عجلتين، والعجلات ذات أصابع، ثم حفراً خاصة لتخزين الحبوب، ورحى مطاحن يدوية، وايدي هاون، واسهم رؤوسها من حجر الصوان وهياكل عظيمة لحيوانات دفنت مع الأموات .

ثانياً ـ المكتشفات الأثرية في القسم الغربي من قفقاسيا الشمالية:

آ ـ جرى التنقيب في حوض نهر القوبان عام ١٨٩٨ ـ ١٩٠٩ م في مايقوب ونواح اخرى فكشفت بعض التلال الصنعية التي كانت مدافن للقدماء، وقد وجدوا انها تحتوي على ما كان يملكه الميت من أشياء عزيزة عليه، حتى الطعام والشراب، ووجد في بعضها الهياكل

في الصفحة ١٩٧ من المجلد الثاني من كتاب [تاريخ العالم]

١ ـ صورة بلطات فاخرة من الصوان مصنوعة بدقة عجيبة وهي من مكتشفات القوبان

٢ ـ صورة عن اللوحة الذهبية الرمزية المكتشفة في مايكوب، مع زهريتين من الفضة عليها رسوم بديعة تعود الى أكثر من [٢٥٠٠] ق.م

وفي الصفحة ١٩٨

صورة غطاء عربة مصنوع من الأغصان المتشابكة المطلية بالطين عثر عليها في مقبرة اولسكي بالقفقاس

وفي الصفحات ٢١٨ ـ ٢١٩

صورة لمصنوعات معدنية بديعة مما وجد في مايكوب يرجع تاريخها الى ٣٠٠٠ سنة ق.م وفيها ثلاثة ثيران ذهبية وفضية تخترقها قضبان، كانت تستعمل لأغراض دينية، وفيها إكليلان من الذهب مطعمان بوريدات ذهبية جميلة وفيها نماذج معدنية لصناعات نفيسة ودقيقة لما يسميه [الفن الاسكوذي] وما هو بالحقيقة إلا الفن القفقاسي فقد علمنا ان الاسكوذ كانوا بدواً رحلاً متوحشين .

وفي الصفحات ٥١ ـ ٥٢ من كتاب [قفقاسيا في التاريخ] للجنرال اسماعيل برقوق صوراً لأسلحة وأدوات معدنية بديعة الصنع.

العظيمة لرجل وامرأة، وفي اخرى بقايا عربات فهم منها انها كانت تقاد بستة ازواج من الخيل، كما وجدت بينها مصنوعات فضية وذهبية ونحاسية وتماثيل حجرية .

ومن بين الآثار التي وجدت في مايكوب، قطعتان ذهبيتان جلبت الاهتمام والتدقيق ودرات حولها ابحاث كثيرة، كما وجدت بينها حجر مسن وقطع تزينية للأحزمة وقاما (خنجر مستقيم) اشبه بورقة شجرة الدفنة، وهذه استرعت الانتباه الزائد لأن القطع التزينية للأحزمة وحجر المسن والقاما لا تزال مستعملة عند الجراكسة الى اليوم ويحملونها في أحزمتهم.

ب ـ كذا في منطقة القوبان (جنوب غرب بلدة ولا ديقفقاس)

عثر في هذه المنطقة على آثار هامة جداً، ومبذولة بكثرة مدهشة، حكم معها انها كانت مركزاً لصناعة البرونز، كما عثر على تزيينات برونزية، وفؤوساً حجرية مصقولة.

وبين هذه المكتشفات علاقة [جنكل] أعير اهتماماً كبيراً لخصوصية صناعته.

وان اختلاط الآثار الحجرية والمعدنية في هذه البقعة بشكل مبذول يكشف عن الدور الانتقالي من الحجر المصقول الى النحاسي فالبرونزي هذا ولقد عثر على مدافن تحتوي على هياكل عظمية لأشخاص عديدين كما شوهد في بعضها آثار لحرق الموتى.

ج ـ مكتشفات منطقة ابخازيا على ساحل البحر الأسود.

في الحفسريات التي أجـــريت في قــرية [كــراسنويا الكسنانـــدروفسكايا] في وادي [آشي] وجدت طبقتين من الآثار لدورين تاريخيين.

١ ـ الطبقة السفلى: عائدة للدور الحجري وأقوام[الدوله ن] وهم الاناس الذين كانوا يدفنون موتاهم تحت انضاد من الحجارة الضخمة ثم يطمرونها بكومة من التراب، وامثال هذه المدافن منتشرة في شمال اوربا ويسمونها مدافن [الدوله ن]كما يسميها البعض [مذابح الدرويدي] لانها تدل على ان ضحايا بشرية وحيوانية كانت تدفن مع الميت الغالي، وهذه العقيدة الدينية تسمى [الدرويدية].

٢ ـ الطبقة العليا: هي لدور يلي ذلك بأزمان طويلة، وفي كلتا الطبقتين وجدت أشياء مصنوعة من النحاس والبرونز، وهي تشبه الى حد كبير ما عثر عليه في القوبان.

وقد فهم من التدقيقات ان الدور الحجري [ميغاليتيك] ظل سائداً حقبة طويلة..

وفي مرحلة القوبان: ان الأرض كانت تفي الحاجة بما فيها من المعادن المنتشرة، وكانت الواردات الأجنبية قد توقفت،فأخذت المناجم المحلية تنتج للأسواق المحلية، وفيما يختص بصناعة النحاس وأدواتها فيرجع ظهورها الى سنة [٣٠٠٠] ق.م في القوبان وقد عثر في

مايكوب سنة ١٨٩٧ على آثار غنية جداً من النحاس يجلعها عل رأس طبقات العصر النحاسي، ويختص الألف الثاني قبل الميلاد بإنتاج غزير للأدوات النحاسية في منطقة الكوبان.

وقد جاء في كتاب تاريخ القوقاز تأليف مت يوسف عزت باشا مايلي:

تبين من المدافن القديمة في القوقاز أنهم كانوا يدفنون مع الموتى مقتنياتهم الثمينة واسلحتهم وغذاء لهم؛ وقد وجدت آثار الأطعمة في أوان فخارية داخل القبور، كما انهم كانوا يولمون الولائم لهم بعد موتهم بجانب قبورهم حسب مراسيم خاصة، ويفهم من ذلك انهم كانوا يعتقدون بخلود الروح .

وهذه العادة ظلت عند الجراكسة حتى عهد قريب جداً ويسمونها [حده اوس] بمعنى طعام الموتى، ولعلها ما زالت موجودة عند الجراكسة في قرى تركيا الجبلية النائية، وذلك انهم يقيمون مائدة حافلة يدعون اليها شخصيات القرية والقرى المجاورة واصدقاء الميت واقربائه؛ ويمدون المائدة، ثم يقوم البعض من اهل الميت بتمثيل اطعام الميت ورفاقه من الموتى فيدعونهم بأسمائهم ويمثلون .خدمتهم على المائدة كما لو كانوا يأكلون وهم احياء ويمثلون تغسيل ايديهم وصب الماء عليها؛ ومن ثم يجلس المدعوون من الأحياء الى المائدة فيطعمون منها .

وظهر ان اسلحتهم كانت قديما القاما والسيف والترس والقوس والقلنسوة والسهام، الحديدية المدبية والدرع المنسوج من زرد الحديد، حتى الخيل كان لها سرابيل من الزرد .

وكانوا يستعملون اقراطاً من الحديد ومن ثم الفضة والذهب يزينون بها آذانهم وشعورهم الطويلة المعقودة من الخلف ويضعون الخاتم في ايديهم وأرجلهم ويتمنطقون بأحزمة جلدية مختلفة العرض محلاة بقطع من الحديد ثم الفضة والذهب، تربط أطرافها بسيور من الجلد .

وهذا النوع من الحزام لا يزال الجراكسة يستعملونه مع ملابسهم القومية ومن الثابت أن الجراكسة أولئك اخترعوا إبرة الخياطة بمختلف الأحجام من البرونز فالحديد، وكذل الامشاط بمختلف الاحجام.

ومن المشاهد في آثارهم القديمة انهم رسموا النسر والعقاب والتيل [الوعل او الإيل] والحصان والخنزير البري والأسد والثور البري غير ان الانسان كان يرسم دائما بدون رأس؛ وقياساً على ان الاسلام ينهي عن الصور والتماثيل فإن المؤرخ مورغان يستنتج ان عدم رسم الرأس ربما يرجع الى اعتقاد ديني (صفحة ١٦٥ من كتاب مورغان) .

وهذا يذكرنا ان الحثيين كانوا يغتسلون ويتطهرون من الجنابة كما يفعل المسلمون، وان من يدخل المعبد وهو محدث،وخاصة الكاهن يجازى حتى الموت، كما انهم كانوا يعدون سؤر الكلب والخنزير نجساً ويجب تطهير الاناء الذي ولغ فيه .

وقد وجدت في شمال القفقاس عظام بشرية وعظام الخراف والخيل والثيران وبقايا قطع من أطباق الخزف على قبور الموتى، ولعل هذا يدل على انهم كانوا يضحون بالانسان والحيوان لأرواح الموتى .

أما قبورهم فمختلفة الأشكال، مربعة مستطيلة ومداخلها من جهة الرأس شمالاً لا من الجنوب.

هذا ومن المدهش انه قد اكتشف في قبورهم القسي والسهام المتعددة الاشكال، ومن الغريب ان طول النبلة يتراوح ما بين [١٨٠ . ٢٠٠] سنتيمتراً .

ولم تظهر عندهم آثار لنقود قديمة؛ الا ما ظهر من النقود البيزنطية التي سكها هرقل سنة ١٢٤ ميلادية، ثم نقود بيزنطية، ثم الدراهم الكوفية التي جاء بها المجاهدون العرب، ثم بعد ذلك النقود الوطنية التي سكها ملك الكرج (وكذلك النقود السندية) .

السد القفقاسي الكبير

في نهاية المجلد الثالث الذي كتبه المؤلف الروائي الشهير [الكساندر دوماس] عن القفقاس نص رسالة ارسلت اليه عام [١٨٣٣] ميلادية من قبل شخص يدعى [ديستوشف مارلينسكي] وقد ورد فيه :

إن ما يدعو الى الاستغراب الشديد ان هذا السد يحوي صفات مما ذكرها [دنون] عن اهرامات مصر، وهو عدم وجود اي قوس فيه، ومع اني تعقبت جميع السراديب، حتى التي تصل الى مراكز الجند والى منابع المياه، او التي تشكل مجاري المياه الى قلاع السد، فإنني لم اصادف فيها على اي أثر لأنحناء كأقواس الأقبية .

ومع أن أبواب بلدة دربند المتممة لهذا السور ذات اقواس ، فمن المعروف انها جددت ورممت في زمن كيخسرو ملك ايران وسميت [باب الأبواب] .

وهذا دليل على ان هذا السد القفقاسي قديم في بنائه كالأهرامات، لأنه انشيء في وقت لم يصل فيه الفن المعماري لبناء الأقواس والأقبية . انتهى.

ونظراً لمذكرات الكساندر دوماس عن سياحاته في القفقاس والتي تعرض فيها لوصف ذلك السد، فأن عرض السد يساعد على سلوك العربات فوقه، وطوله يمتد من بحر الخزر الى البحر الأسود (مسافة تزيد عن ستمائة كيلومتر) .

أفلا يدل هذا على مبلغ قدم هذا السد العظيم، الذي قد يكون سابقاً لبناء سد الصين الكبير ومعاصراً لإهرامات مصر ؟!..

وادي الرافدين

ـ أو مابين النهرين الفرات ودجلة ـ أو أرض الجزيرة (المعلومات التالية مأخوذة من كتاب تاريخ العالم المجلد الأول) .

المقدمة : لقد زعموا ان حضارتي الهنداوربية والصين عريقتان في القدم، ولكن البحث لا يؤيد هذا الزعم، ففي الهند إذا استثنينا بعض مراكز الحضارة ذات الصلة بالسومريين مثل [موهنجودارو] و [هارابا] في أقصى الشمال الغربي،فقد كانت آنذاك متأخرة .

أما أقدم منشأ للحضارات الانسانية الأولى فقد ظهرت في وادي النيل ووادي الرافدين وليس في مقدورنا ان نحدد بداية التاريخ المدون لأرض الجزيرة، بعهد سابق على النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد،شأنها في ذلك شأن وادي النيل سواء بسواء .

والأرض المحيط بالنهرين من بغداد حتى الخليج نسميها [أرض بابل] حتى لو كان الحديث عنها جارياً قبل قيام بلدة [بابل] وهذه تسمى بالتوراة سهل شنعار .

وكان النهران دجلة والفرات يصبان في الخليج بمصبين مختلفين آنذاك، وقد ارتد البحر نحو مائتي ميل من ذلك الحين .

وتقوم بلاد [عيلام = آلام] في الأرض الواقعة وراء دجلة في الجنوب الشرقي وعلى ساحل الخليج الفارسي بين دجلة وجبال ايران، وحاضرتها بلدة سوز أوسوسه لذلك يقال عنها ايضاً [ارض السوس] .

وبلاد السومريين [سومر] تقع غربها على ضفاف الفرات خاصة وقد تسمى [شومر] وفيها خليط من السومريين الآريين والآكديين، ثم الكلدانيين بعد انشاء بلدة بابل وقد قطنها العديد من القبائل السامية وغيرها من الأجناس القديمة، والى الشمال من سومر تقع بلاد آشور ثم الميتاني وغيرهم من الأمم .

أما الى الغرب في بوادي سورية فقد كانت تضرب فيها قبائل بدوية سامية اقرب ماتكون الى العرب وكان السومريين يسمونهم [آمورو = عموريين] بمعنى الغربيين .

ولقد قامت في هذا الوادي حضارة انسانية متقدمة منذ الألف الرابع قبل الميلاد وهي حضارة بلاد السوس وحضارة بلاد سومر .

وسأعرض فيما يأتي من الأبحاث نبذاً عن تواريخ مراكز الحضارات القديمة التي يقدر أنها ذات علاقة بالقفقاس بلاد الجراكسة والذي نحن بصدد كتابة تاريخهم .

عيلام او بلاد السوس

عيلام اسم ورد في التوراة بالسفر القديم ومعناه باللغة اليهودية [الأرض العالية] وتقع حاضرتها القديمة [سوسه] في موقع البلدة الحديثة [شوشا] وقد كانت مركزاً لدولة ذات حضارة، أنشأها شعب من الشعوب لا نعرف أصله، ولا الجنس الذي ينتمي اليه وهي من أزهى المدنيات المعروفة في تاريخ العالم .

وقد وجد المنقبون الأثريون في هذا الاقليم اثاراً بشرية ترجع الى عشرين الف عام، كما وجدوا آثاراً شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها الى حوالي [٤٠٠٠] ق.م وكانت لهم وقتئذ أدوات وأسلحة من النحاس وكانوا يزرعون الحبوب واستأنسوا الحيوان . وكانت لهم كتابة مقدسة ولهم مرايا وحلي ومزهريات جميلة مزينة بالرسوم من اشكال هندسة و رسوم الحيوانات والانسان، وقد وجد فيها أقدم ما عرف من عجلة الخزاف و عجلات المركبات .

ثم انتقل العيلاميون الى حياة السلطان والغزو، ففتحوا سومر وبابل ، ومن ثم دارت الدائرة عليها فاستولى عليها السومريون ثم الكلدان .

ومن ملوكهم المعروفة لدى المؤرخين [قدور نان شوندي] الذي استولى على قسم كبير من [آكـد] ثم اخضع جهـات اوروك، والتوراة تذكر الملك [قدور لا غامل] الذي حارب [سن موباليت] ملك بابل .

وقد دالت دولة عيلام في زمن حامورابي الكبير، على انهم عادوا يوالون غاراتهم على سومر وآكد حتى اوقفهم الكاسيون الذين حكموا بابل عند حدهم، ولم تقم لهم من بعد قائمة بسبب ظهور الدولة الآشورية ثم الدولة الكلدانية .

والعيلاميين في غالب الرأي من الايرانيين [هندوآري] على ان الدراسات تشير الى ان لغتهم من فصيلة لغات سومر والميتانيين التي هي لهجات من اللغة الحاثية، وجميعها ليست لغات سامية ولا هندية آرية (قصة الحضارة الجزء الثاني - ص ١١ و ١٢) .

وقد وجدت آثار مشابهة لآثار عيلام القديمة متناثرة على سفوح الجبال المطلة على السهوب الشمالية الواقعة وراء بحر الخزر وفي سجستان وفي مرتفعات ارمينية وآسيا الصغرى وفي بلاد الشام وفلسطين، والأواني الفخارية المتماثلة تدل على انتشار هذه الثقافة في مساحة واسعة قامت فيها محلياً مما يدل على ان هذه المدنيات القديمة كانت متصلة ببعضها اتصالاً حقيقاً.

فهذه الملاحظة الأخيرة التي تشير نحو الشمال توجه أنظارنا نحو قفقاسيا الشمالية (تاريخ العالم - المجلد الأول ص ٤٨٢) .

السومريون = الشومريون

أرض بابل هذه منطقة رواسب يزيد عرضها على مائة ميل، يتكون طرفها الشمالي من مراع وصحراء، وطرفها الجنوبي تكثر فيها المستنقعات .

ومنذ زمن قديم هبط السومريون والآكديون الى هذا الاقليم الحديث التكون من الرواسب النهرية، ثم جففوا قبل السنة [٣٥٠٠] قبل الميلاد الأراضي السفلى من مصبي النهرين دجلة والفرات، وجعلوها صالحة للزراعة، وانتشرت دساكرهم المبنية من لبن الطين المجفف على ضفاف الفرات، وجعلوا يزرعون الأرض ويروونها بمياه نهر الفرات بواسطة المجاري التي

(*) (اللغة الحثية هندية أوروبية ولكنها اقتبست الكثير من الكلمات الحاثية) .

شقوها، اما حوض دجلة فقد كان مرتفعاً عن مجرى النهر في معظم أقسامه (تاريخ الحضارة ـ المجلد الأول ٤٨٢) .

لقد انقضى منذ بداية التاريخ المكتوب حتى الأن ما لايقل عن ستة آلاف عام، وفي خلال نصف هذا العهد كان الشرق الأدنى مركز الشؤون البشرية التي وصل اليها علمنا، وإذا ذكرنا هذا اللفظ المبهم فأننا نقصد به جميع بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا، والبحر الأسود وغرب الهند وافغانستان وايران وتركستان؛ كما اننا سندمج في هذا النطاق وادي النيل (مصر)لأنها كانت شديدة الاتصال بهذا الشرق الأدنى، كما كانت مركزاً انتشرت منه هذه الحضارة الشرقية .

على هذا المسرح غير الدقيق التحديد، الأهل بالسكان وبالثقافات المتباينة نشأت لأول مرة في التاريخ الزراعة والتجارة والحيوانات المستأنسة والمركبات، وسكت النقود وكتبت خطابات الاعتماد، ونشأت الحرف والصناعات والشرائع والحكومات وعلوم الرياضة والطب والحقن الشرجية، وطرق صرف المياه، والهندسة والفلك والتقويم والساعات وصورة دائرة البروج، وعرفت الحروف الهجائية والكتابة واخترع الورق والحبر، وألفت الكتب وشيدت المكتبات والمدارس، ونشأت الآداب والموسيقى والنحت وهندسة البناء، وصنع الخزف المطلي المصقول والأثاث الدقيق الجميل، ونشأت عقيدة التوحيد ووحدة الزواج، واستخدمت مساحيق التجميل والحلي البديعة، و عرف النرد والداما، وفرضت الضرائب، واستخدمت المرضعات وشرب فيها الخمور .

وقصارى القول ان اوربا وامريكا استمدت منها ثقافتها على مدى القرون عن طريق كريت واليونان والرومان .

وقد كتب عن السومريين المؤرخ البابلي [بروس] حوالي عام [٢٥٠] ق.م معلومات اسطورية ولم تكشف آثار بلاد سومر الا عام [١٨٥٠] م بواسطة العالم [هنكنز]

وفيما يلي ملخصاً عما عرف من تاريخ السومريين:

في فجر التاريخ كانت كل مدينة تشكل دولة [دول المدن] وكانت المصالح المتعارضة للمدن توقع بينها العداوات والوقائع، ومن ثم بدأت تتشكل من توحيدها الممالك فالامبراطوريات .

واهم المدن السومرية في بداية عهدها والتي عرفنا امكنتها هي:

١ ـ اريدو ـ وموقعها الان ابوشهرين ٢ ـ اور ـ وموقعها في المقير ، ٣ ـ أرك ـ وموقعها الوركاء الحديثة ٤ ـ لكش = لكح في موقع سبرلا الحديثة ٥ ـ كش - أكشك شرق موقع بابل مباشرة ، ٦ ـ نعر = معر ، ٧ ـ نبور ، ٨ ـ كيش ، ٩ ـ لارسا ١٠ ـ أسن . وهي على الأغلب آكدية ومثلها بلدات مارى . حانا . تاركا. سيبار . آكاد ومن ثم بنيت بابل .

ونحن لا نستطيع تحديد الزمن الذي قدم فيه السومريون والأكديون وغيرهم من الأقوام

الى مابين النهرين، الا اننا نستطيع القول ان السومريين كانوا فيها حوالي عام [٤٥٠٠] قبل الميلاد .

وكان الآكديون يحتلون القسم الشمالي حيث يتقارب النهران وحاضرتهم بلدة أكاد أما السومريون فقد كانوا يسكنون جنوب الآكديين حتى ساحل الخليج وهم اصحاب المدنية السومرية العريقة (قصة الحضارة - الجزء الثاني ص ٩ و ١٠) .

والظاهر ان الشومري كان بطبيعته من ساكني المدن، لذلك بدأ الشومريون بإنشاء القرى على المرتفعات التي اكثرها صنعية من عملهم، ولقد تحولت هذه القرى الى مدن عامرة .

وليس في وسعنا رغم ما قام به العلماء من بحوث ان نعرف الى اية سلالة من السلالات البشرية ينتمي هؤلاء السومريون، او اي طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر؛ ومن يدري لعلهم جاؤا من بلاد آسيا الوسطى او من بلاد القفقاس او من ارمينية، وفي أرض آشور شواهد دالة على ثقافتهم الأولى، فلعلهم انحدروا من الشمال متعقبين في سيرهم مجريي دجلة والفرات، او لعلهم سلكوا طريق البحر. فقد روت الاساطير ان السومريين كانوا جوابو بحار.. او جاؤا من مصر او من عيلام وتدل آثارهم على انهم [من الجنس الألبي] قصار القامة ممتلئي الجسم، لهم انوف شمة مصفحة ليست كأنوف الاجناس السامية، وجباه منحدرة قليلاً الى الوراء، وعيون مائلة الى أسفل، وكان كثيرون منهم ملتحين وبعضهم حليقين وكثرتهم العظمى يحفون شواربهم .

ولما تقدم العهد بمدنيتهم حوالي الفترة [٢٣٠٠] ق.م حاول الشعراء والعلماء الشومريون ان يستعيدوا تاريخ بلادهم القديم، فكتبوا قصصاً عن بداية الخلق، وعن جنة أرضية بدائية، وعن طوفان مروع غمر هذه الجنة وضربها..

وتناقل البابليون والعبرانيون ثم الاسلام قصة هذا الطوفان (تاريخ العالم - المجلد الأول ص ٥٣٩ وقصة الحضارة الجزء الثاني ص١٣و ١٥) .

نستطيع ان نستخلص من الأثار المكتشفة انه في حوالي عام [٤٠٠٠] ق.م كان للشومريين على الدوام الغلبة في الجنوب . كما كان للآكديين الساميين الغلبة في الشمال، وكانوا جميعاً من سكان المدن وفلاحي الأرض، وقد بدؤا على الأقل يصنعون النحاس ويعملون منه ادوات لهم كما كانوا يستعملون الذهب والفضة وبعض انواع من الحجارة الكريمة كالياقوت والزمرد في صنع الحلي والعقود، كما انه كان الشومريين، على الاقل، قد استحدثوا كتابة على قواعد خاصة بهم (تاريخ العالم - المجلد الأول ص ٤٥٥) .

ملوك لكح = لكش في المدونات

أورنينا - حوالي عام [٣٠٠٠] ق.م: وهو اول شخصية حقيقية ظهرت في تاريخ شومر

وآكد، ويُرى في الصور الأثرية المكتشفة مرتدياً الثياب الشومرية ذات الشرائط المصنوعة على مثال فراء الغنم، والى جانبه حاجبه [انينا] وطائفة من اولاده .

ايناتوم الأول ـ حوالي عام [٢٩٠٠] ق.م وهو صاحب اثر [لوحة العقبان] وتظهر فيها صورته وهو يقود كتيبة من حملة الحراب الشومريين ذوي السلاح الثقيل في احدى المعارك التي لم تكن تنقطع بين لكش وأمّا [وبين باقي المدن المتنافسة] وفيها انه هزم أما وأور وأرك وكيش كما هزم العيلاميين (تاريخ العالم مجلد أول ص ٤٥٥ و ٤٥٦) .

اورو ـ كاجينا اشتهر بأنه مصلح اقتصادي، سن شرائع عادلة، وحد من سلطة الكهنة واستغلالهم للشعب وخفض الرسوم، وكان يقول انه [وهب الشعب الحرية]

ومن ملوك الأكديين:

سرجون ـ كانت أمّهُ من عاهرات المعبد ـ وقد غزا كثيراً من البلدان ، ونهب لكش واستولى على عيلام ووصل غرباً الى البحر المتوسط وتوسع في الشمال، وبسط نفوذه على السومريين جميعاً .

نارام سن ـ حكمه ما بين [٢٦٧٨ ـ ٢٦٤١] ق.م واهم اثر معاصر له هو لوحة النصر التي تخلد ذكرى انتصاره على [لولوبو] فيما وراء دجلة (قصة الحضارة الجزء الثاني ص١٧).

غزوة الجوتيين ـ ابتدأت في عهد الملك [شارجالشاري] ابن نارام سن، وهم قوم همج غزوا البلاد وتسلطوا عليها وظهر منهم زعماء او ملوك اتخذوا لقب [باتيسي] وهو لقب الكهان السومريين (تاريخ العالم ، م : ص ٤٥٧) .

جوديـا الحكيم ـ كان كاهناً لبلدة لكش وكان حـاكماً تابعـاً للجـوتيين في حوالي عام [٢٦٠٠] ق.م وقد اخرج الجوتيين من بلاده وأعاد الى سومر كيانها.

دنجي ـ ملك اور ـ حكم ما بين [٢٣٩١ ـ ٢٣٤٥] ق.م ودام حكمه [٥٨] سنة وقد استولى على عيلام وعلى كبادوكيا (قصة الحضارة الجزء الثاني ص ٢٠ و ٢١) .

وقد حل الضعف بعد ذلك بالملوك السومريين والآكديين والعيلاميين ايضاً .

عظمة بابل ـ العموريون ـ الآراميون ـ

في منتصف القـرن الثالث قبـل الميلاد، ظهر في بلاد الرافدين قوم سامي جديد من اولئك الذين يسميهم السومريون [عموريين] نزلوا اولاً في بلاد [ماري] على شاطىء الفرات " تل الحريري" ومن هناك انتشروا على ضفاف الخابور ثم انحدروا الى الجنوب ودفعوا امامهم الآكديين الى بلاد سومر في الجنوب مما سبب اختلاط العنصرين القوميين، وتقدم العموريون حتى قطنوا اخيراً بجوار موقع مدينة بابل في مكان اسمه [قادين ثيرا] ومعناها بلسان الأكديين [الباب الألهي] فترجم الآراميون الى لغتهم وسموها [باب ايلو] ومن ثم

تحولت الى [بابيلون - بابل] وبابل كانت آنذاك قرية صغيرة .

والعموريون الآراميون هم أقرب الأقوام القديمة الى الأمة العربية .

واستفاد العموريون من الفوضى والحروب الداخلية القائمة في البلاد فأقاموا لأنفسهم هناك دويلة؛ وفي عام [٢٢٢٥] احتلوا [بابل] وكان ملكهم [سومو آبوم] وقد ظهر منهم عشرة ملوك ونهضت بابل عمراناً واقتصاداً حتى صارت من اكبر البلدان، واشهر ملوك بابل هو سادسهم حامورابي العظيم ابن [سن موباليت] .

حامورابي - دام حكمه مابين [١٩٢٣ - ١٨٦٨] ق.م ويحدده مؤلف تاريخ العالم مابين [٢١٢٣ - ٢٠٨٠] ق.م كما هو وارد في جدول الأسر ومعنى [رابي] المقتدر وقد بسط نفوذه عل سومر وآكد وعيلام .

على ان اعظم اعماله هو نظامه الإداري الذي توجه بقانونه المشهور، ولكن بعد موت حامورابي بدا تفكك بطيء وتم انحلال الاسرة وحكمها في عهد اخر ملوكها شمسو دتانا الذي حكم مابين [١٩٥٦ - ١٩٢٦] ق.م وكان سبب هذا الانحلال غزوة قام بها الحثيون فقوضوا سلطان بابل من اساسه ، ومن ثم استولى عليها الكاسيون (تاريخ العالم ص ٤٥٩) .

الكاسيون في بابل(*)

جاء الكاسيون في غزوة قبلية الى وادي الرافدين حوالي عام [٢٠٧٢] ق.م لأنهم أغاروا في هذه السنة على بابل ولكن العموريين صدوهم عنها، فاستقاموا بجوارها ثم بدأت جماعات منهم تسكـــن البلدة بقصد التجارة والعمل حتى تشكلت فيها منهم جالية كبيرة، وفي عام [١٨٠٦] ق.م زحف ملك الحثيين [مورشيل الأول] على بلاد آكد وسومر وقضى على الدولة البابلية واخضع المنطقة كلها، وفي هذا الوقت استولت قبيلة كاس على بلدة بابل واعلن زعيمهم [جانداش] نفسه ملكاً على بابل، فأقره الملك الحثي على ذلك؛ كما ترك سومر وآكد لحكامها واصحابها القدماء، ثم قفل راجعاً الى بلاده .

وقد حكم الكاسيون بابل وما جاورها مدة [٦٠٠] سنة، ولم يكونوا يهتمون بتخليد اعمالهم بالآثار على الأحجار، ولكنهم احسنوا إدارة البلاد، وحافظوا عليها من الغارات الكثيرة التي كانت تتعرض لها، وقد تميز عهدهم بالهدوء والرخاء والعمران (ص ٤٥٩) .

الملك كرانداش وهو معاصر للفرعون [تحوتمس] وله معه علاقات ودية، ومنذ عهده تتصل اخبار الملوك الكاشيين ببعضها حتى انقراض دولتهم التي دامت ستة قرون وكانت

(*) (راجع كتاب الأناضول القديمة ، حيث فيه فصل عن التحليل اللغوي للغة الحاثية القديمة - الكاسية وتشابهها مع لغة شمال غرب القفقاس الشركسية) .

دولتهم لا تشمل في بادىء الأمر الا بلاد سومر وآكاد وآشور، ومن ثم خرجت بلاد سومر عليهم واستقلت، وكذلك استقلت بلاد آشور .

والواقع ان الكاشيين ألفوا طبقة خاصة تختلط فيما بينها فقط ولا تعاشر اهل البلاد ولم يميلوا الى التمثل مع محيطهم، فاكتفوا بالحكم العسكري وتركوا جميع المناصب السياسية والادارية لاهل البلاد، واحتفظت الاسرة الكاشية المالكة بعاداتها وتقاليدها مدة طويلة وتمسكت بعبادة آلهتها في بادىء الأمر، ثم مالت الى عبادة الآلهة البابلية (التاريخ والحضارة ص ١١٤) .

وكان من حسن حظ مدينة بابل ان استولى عليها شعب محارب حافظ على منزلتها وانقذها من الدمار الذي كان ينتظرها على ايدي اعدائها المجاورين .

وظهرت الدولة الميتانية على مسرح التاريخ حديثاً في ذلك العهد في شمال آشور وامتد نفوذها إلى جوار كركوك من املاك الكاشيين .

عمل الكاشيين: ادخل الكاشيون الخيل الى بلاد الشرق الأدنى ولم تكن معروفة قبلهم فيها، بل كانوا يستخدمون الحمير والثيران، ولم يحاول الكاشيون تأليه ملوكهم ولقد توسعت تجارة بابل في عهدهم حتى بلاد مصر، والكتابات المتبادلة (التاريخ والحضارة ص ١١٧) بينهم وبين ملوك مصر [اخناتون] أو [أمنحوتب الرابع] قد وجدت في آثار تل العمارنة بمصر.

انقراض الدولة الكاشية،

بعد القرن الرابع عشر قبل الميلاد اشتد نفوذ ملوك اشور فأخذوا يوسعون بلادهم نحو الجنوب ويزوجون بناتهم من امراء الكاشيين فيحمونهم في إبان الثورات .

والواقع أن السومريين والآكاديين لم يكونوا يحبون الكاشيين، لذلك يثورون عليهم بين وقت وأخر؛ وكذلك العيلاميون فقد كانوا يهاجمون البلاد .

وفي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أخذ الحثيون يتداخلون في شؤون المملكة الكاشية ويطلبون من وزيرها الاكبر ان يقبل البيعة للملك الذي ساعدهم على تولي ملك بابل ومن ثم تضعضع النفوذ الكاشي بالحروب التي شنها الآشوريون على ممتلكاتهم الشمالية، والهجمات التي وجهها العيلاميون الى ممتلكاتهم الجنوبية ومن ثم انقرضت الأسرة الكاشية، وانتهى الحكم الكاشي .

وتولت الملك من بعدهم أسرة عيلامية، ثم اعقبها اسر اخرى، الى ان استولى الآشوريين على بلاد بابل وضموها الى ملكهم .

والكاسيون قوم جبليون مثل السومريين والآكاديين، فهم كبار الجسم مكتنزي اللحم عريضي الرؤوس، كثيفي اللحى، على ان الكاسيين كانوا شبه همج، في طبعهم غلظة وقسوة، وكانوا قوماً محاربين .

أما العموريون فكانوا من الساميين كما قلنا، وهؤلاء يختلفون عن الجبليين بصفاتهم الجسمانية فهم ضئيلوا البنية مع شدة التناسق، مستطيلوا الرؤوس، ذووا شعر اسود متموج، خفيفوا شعر اللحية، تشوبهم سمرة جميلة في لون البشرة .

ويذهب بعض المؤرخين الى ان الكاشيين هم قوم [كيشه - كاسه] التي كانت قبلاً تعيش في شمال بلاد عيلام وانهم شكلوا جزءً من أجداد الشعب الكردي .

الديانة السومرية - وواقع الدراسة التاريخية للأديان يدلنا بكل وضوح ان الديانات هي التي أوجدت الكهنة والكهنة الحكام الذين انقلبوا ملوكاً وخلفهم كهنة مختصون بالدين .

وقد انتهى الينا اقدم دليل مباشر من الأدلة الخاصة بالديانات في مصر وارض بابل وكان دينا لقطرين متشابهين في أشياء كثيرة .

وكان لكل مدينة آلهة متعددة، بل كان لكل عائلة آلهتها الخاصة، وبسبب الفتوحات والاختلاط كانت الآلهة تختلط بعضها اختلاط الناس .

وقد برز من بين هذه الآلهة في سومر ثالوثان عظيمان:

الثالوث الأول . وهم [آن أو آنو - أنليل - انكي] والأول انو هو السماء وزوجة [انو] هي ابنة عشتروت، والثاني إنليل وقد اسماه الفينيقيون [بعل] وكانت [نن ليل] كبرى زوجاته وهي الام العظمى اما الثالث انكي فلقد كان رب الأرض والآشوريين أسموه [أيا = آي] وابنه [مردوق] (المصدر السابق ص ٦١٢) .

الثالـــوث الثاني . وهم [سن . شمــاش . عشتروت = ايستــار] فالأول [سن] او القمر [انزو] هو الابن البكر لأنليل ؛ اما شماش فهو الشمس وأما عشتروت فهي نيني او انيني السومرية او الزهرة (تاريخ العالم . مجلد أول ص ٦٦٩ - ٦٧٠) .

اللغة السومرية - ان اللغة السومرية زالت من الاستعمال الدارج في عهد الدولة العمورية ولكنها ظلت اللغة الدينية للبلاد [كاللغة اللاتينية في الكنيسة الكاثوليكية، واللغة اليونانية في الكنيسة الأرثوذكسية] وظلت دياناتهم وآلهتهم هي الأساس للعبادات والعقائد مع إضافة شعائر وآلهة جديدة، بل لقد تأثرت بها جميع الشعوب المجاورة كالآشوريين والحثيين والميتانيين، كما انتقلت بعض تعاليمها الى مصر ايضاً (قصة الحضارة - الجزء الثالث : ص ٣١)(*) .

أور = معناها باللغة الجركسية الثغر او الميناء

أُو = ثغر = فم والراء في الأخير مثل أل التعريف في العربية

إذاً أور = الثغر تماماً كما يستعمله العرب في الإطلاق على الميناء البحري وعلى فم الانسان معاً.

(*) (اقرأ إذا شئت الأصول الشركسية للغة السومرية تأليف منذر بج) .

الزيجورات : ان الشومريين في الأصل شعب جبلي كانــوا ينشؤن هيــاكلهم فــوق كل تــل عــال فلما استوطنــوا سهــول الفــرات كانوايقيمون ربوات اصطناعية ليبنوا عليها معابدهم ويسمونها [زيجورات] فمعبد بلدة اور مثلاً كان يرتفع الى ٢٢ م وسطح قاعدته [٦١ × ٤٥] متر تقريباً وله ثلاثة مصاعد، وفيه المئات من الكهنة والكتاب والعمال وكان الكهنة يعلمون الناس العلوم ويلقنونهم الاساطير والدين (تاريخ العالم ـ مجلد أول ص ٥٥٦) .

وكانت الكتابة عندهم تصويرية ثم الكتابة المسمارية التي يكتبونها على الواح من الطين ثم يشوونها فتصير فخاراً .

العلوم السومرية ـ لقد تقدم السومريون في جميع انواع العلوم والصناعات تقدماً عظيماً بالنسبة لعصرهم، وقد علا عندهم شأن الطب حتى ذاعت شهرتهم الى الممالك المجاورة وارتقوا بعلم الحساب حتى كانوا يعلمون الطلاب جداول الضرب والجذور التربيعية والتكعيبية ومنذ سنة [٢٤٠٠] ق.م عرف السومري حساب مساحة المضلعات بدقة وحساب وتر المثلث القائم الزاوية، وكانوا يضعون المسائل الحسابية ليحلها التلاميذ (تاريخ العالم ص ٢٧١) .

اما الفلك فقد برعوا فيه وحددوا ايام السنة الشمسية والقمرية واشهرها وتقسيم مدار الفلك الى اثني عشر برجاً وطريقة التقسيم الستيني للأوقات [الساعات والدقائق والثواني]

الصناعات ـ صناعــة الخزف اروع مــا انتجه السومــريون منذ القدم وهي ترق احياناً فتسمى [انية نشر البيض] وعليها نقوش بديعة ملونة بالأحمر والأسود [لاغاش].

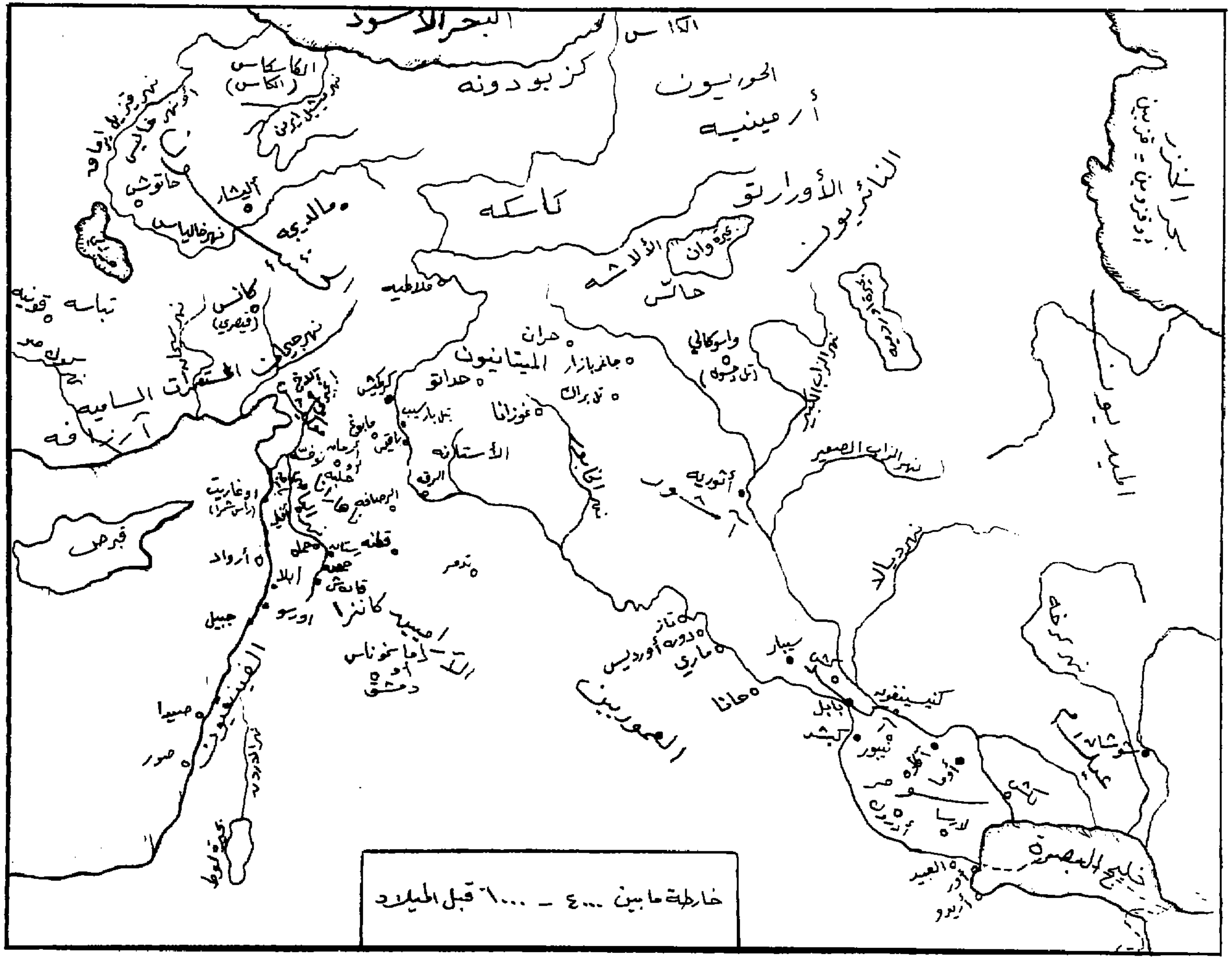
فن النحت . برعوا فيها منذ القديم وبلغ اوجه في الزمن [٢٠٠٠] ق.م وكانت التماثيل تزين الهياكل والمعابد خاصة.

الصناعات المعدنية استخدم السومريون منذ بداية ما عرف عنهم [٤٠٠٠] ق.م القصدير والنحاس وخليطهما البرونز، وقد وجدت في مقابرهم كميات كبيرة من الذهب والفضة منها حلي بديعة الصنع والزخرف ومنها اوان واسلحة وزخاريف وتماثيل رائعة الصنع.

صناعة النسيج . كانت واسعة الانتشار يشرف عليها مراقبون يعينهم الملك وكان فيهم النجارون المهرة الذين برعوا حتى في الحفر على الخشب وترصيص الفسيفساء وكان السومريون بحارة ماهرون وجابوا البحار ووصلوا في اسفارهم البحرية التجارية الى مصر دائرين حول شبه الجزيرة العربية، وكذلك الى شواطىء الهند .

الزراعة ـ لعل السومريين اول من زاول الزراعة المروية بمهارة وانتظام وشق الترع والجداول، وكان للسومريين نظام محكم للري يرجع عهده الى [٤٠٠٠] سنة ق.م وظهر عندهم المحراث تجره الثيران منذ أقدم العصور.

إن دراسة التفاصيل عن المجالات الاخرى للسومريين كالإدارة والجيش والحياة الاجتماعية


خارطة ما بين ٤٠٠٠ - ٦٠٠٠ قبل الميلاد
البحر الأسود
كزبودونه
الحوريون
أرمينيه
النائريون
الأورارتو
كاسكه
الآلاشه
بحيرة وان
حالس
مالديه
حاتوشي
أليشار
كانس (قيصري)
ملاطيه
حران
الميتانيون
حداتو
غوزانا
الأستانه
الرقه
كركميش
أوغاريت
قبرص
أرواد
جبيل
صيدا
صور
الفينيقيون
دمشق
قطنه
تدمر
آشوريه
سيبار
بابل
كيش
نيبور
أوما
أور
أريدو
العبيد
ماري
عانا
خليج البصرة
نهر ديالى
نهر الزاب الصغير
نهر الزاب الكبير
الجزيرة العربية
البحر المتوسط
بحيرة لوط
نهر الأردن

والآداب وسواها يحتاج الى مراجعة التواريخ العامة لذلك نكتفي بالقدر الذي اوردناه في سبيل المقارنة بعلاقات السومريين ببلاد القفقاس وحضارتها القديمة التي تعادل في عمرها الحضارة الكيمرية وتسايرها.

ومن الملاحظ ان فترة هجرة ودخول الكاشيين الى بلاد سومر حوالي [٢٠٧٢] ق.م وغارة الهكسوس على مصر واستيلائهم عليها حوالي عام [١٨٠٠] ق.م وانحدار الآخيين إلى اليونان من الشمال حوالي عام [٢٠٠٠] ق.م وغزوة الآريين الكثيفة لحوض نهر السند حوالي عام [٢٠٠٠] ق.م وظهور الدولة الحثية في الأناضول كدولة قوية حوالي العام [٢٠٠٠] ق.م فهذه تدل على حدوث موجة عارمة من الهجرات القفقاسية الى مختلف الأقطار في أوقات متقاربة، ولثاني مرة بعد الهجرة الأولى في الفترة [٥٠٠٠ ـ ٤٠٠٠] قبل الميلاد الى وادي النيل ووادي الرافدين والى آنناو في تركستان.

فما هو السبب يا ترى؟! ...

و أما عن الكاسيين الذين احتلوا بابل وحكموها مدة ستة قرون فهم بلا شك من اقوام الكاس هاجروا في الفترة الثانية لهجرات الأقوام الآرية كما هو موضح في الجدول اعلاه، فمن الآريين الذين هاجروا الى شمال الهند وشكلوا فيها طبقة آريا الحاكمة، فئة انحدرت من جبال القفقاس غرب بحر قزوين واستقرت في مقاطعة بنارس في الهند وشكلت فيها حكومة كاسية، وكذلك ظهور الدولة الحثية في هذه الفترة كقوة ذات شأن ربما تكون قد اكتسبتها بانضمام عناصر جديدة اليها، ولعل وجود قبائل الكاسكاس شماليها واقليم كسكه شرقيها يدل على هجرة كاسية الى تلك الجهة في نفس الفترة .

وأما عن صفاتهم الأخلاقية في انعزاليتهم والامتناع عن تزويج بناتهم الى الغير في بادىء أمرهم وإبان حكمهم،وعن عدم اهتمامهم بالتحدث عن انفسهم وعدم ترك آثار يمتدحون فيها اعمالهم، وعن قيامهم بواجب الحماية والدفاع بكل اخلاص وبدون تبجح، وعن عدم اشتغالهم الا بالجيش وشؤون الادارة، وتقاعسهم عن التجارة، فتلك هي صفات الجراكسة الواضحة في كل زمان ومكان حتى يومنا هذا والمثل القريب لهذا المماليك الجراكسة في مصر.

السومريون والحثيون

ورد في تاريخ مورغان الجزء الثاني صفحة ٥٥ مايلي: الجملة التالية وجدت منقوشة على قطعة من نتيجة تقويم بدار كتب [نينوا] عاصمة آشور نظمت واستخرجت بمعرفة المنجمين الكلدانيين وقد جاء فيها [في العشرين من خسوف القمر استولى وارهاتي ملك الحاثيين على المملكة وعلى تخت الملك] وسنة عشرين هذه تصادف عام [٣٧٥٠] حسبما حسبه الفلكيون في زماننا .

فمن هم هؤلاء الحاثيون وملكهم الذين يتحدث عنهم المنجمون الكلدانيون الذين وجدوا بعد السومريين بزمان طويل جداً؟!..

وتحدث المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت ومن بعده سترابون عن معلومات من التاريخ الحثي في الأناضول على ان ذلك القوم هم من السومريين!..

فمن هم هؤلاء السومريون الذين يتحدث عنهم سترابون في الفترة ٥٠٠ ق.م ؟!

والظاهر إن هيرودوت وسترابون كانا يعرفان جيداً ويقيناً ان الحثيين من السومريين وان اسم حاثي لم يطلق عليهم الا بعد تشكيل دولتهم في الأناضول، لذلك فقد اوردا بشكل بدهي وطبيعي حوادث الحثيين بأنها من وقائع السومريين .

ولعل المنجمين الكلدانيين الذين ذكروا استيلاء الحثيين على بلادهم في عام [٣٧٥٠] ق.م اي قبل نشوء الدولة الحثية القديمة بما يزيد عن ألف عام، انما كانوا يعرفون جازمين ان المحتلين القدماء من السومريين لمملكتهم وعاصمتها ما هم الا من جيش الحثيين المعاصرين لهم حين كتابة التقويم المذكور اعلاه، ولذلك تحدثوا عنهم عفوياً وبدهياً بأنهم حثيون .

وإلا فمن هم هؤلاء الحثيون الذين استولوا على بلاد الكلدانيين عام [٣٧٥٠] ق.م إذا لم يكونوا السومريون في وادي الرافدين؟!! ....

أما عن العموريين والكلدانيين في بابل فقد ظهروا بعد السومريين ولقد اثبت المؤرخون ان اللغات السومرية والحثية والميتانية والأوراتية ليست سامية ولا آرية ولم تعرف لها صلة باللغات المعروفة في زماننا فمن اين جاؤا والى اية فصيلة ينتسبون؟! ....

ويقول المؤرخ ماسبرو [ان الخي تي منسوبون للعناصر التي استوطنت القفقاس والتي هي من جنسهم وأرومتهم امثال التابال والموشقي] .

لذلك يجب التفتيش عن ارومة تلك اللغات والقوميات القديمة في القفقاس بلاد اللغات العديدة والجبال الشاهقة .

العلاقات القديمة بين سومر والقفقاس

إن الدراسات العلمية وتدقيق الآثار المكتشفة اثبت ان استعمال المعادن، ما عدا الحديد في القفقاس يرجع الى عهد يقارب [٦٠٠٠] سنة قبل الميلاد ويعاصر او يسبق مثيله في [آننو] من التركستان مع الاشارة إلى أن سكان آننو الأقدمين هم من الكاسيين .

ولقد تبين ان منطقة القوبان تحوي مواقع اثرية كثيفة، وانه كلما اتجهنا الى الشرق نلحظ ازدياد الرقي المدني وتكامل المصنوعات .

آ ـ ظاهرة تسلسل الآثار من الدور البدائي الى الحجري غير المصقول ثم الحجري المصقول الى الدور المعدني بجميع مراحله، النحاسي . البرونزي . الحديدي.

ب - تحمل تلك الاثار طابعاً قفقاسياً محلياً، كما انها في نفس الوقت تشير بوضوح الى علاقاتها بالآثار الجنوبية في ايران [استراباد] ووادي الرافدين ومصر واليونان وجزيرة كريت؛ وتحتوي خطوطاً بارزة تؤيد صلتها القوية بآثار جنوب روسيا؛ ومع قلة هذه الآثار فانها تدل على ان هذه المنطقة كانت مركزاً لمدنية قديمة امتدت نحو الشمال.

ج - تشابه الآثار في جميع مناطق القفقاس يدل انها ترتبط بأصل واحد وتشكل كلاً موحداً، كما تثبت وجود حضارة خاصة بالقفقاس انتشرت منها الى الأطراف .

من بين آثار مايكوب تلك اللوحة الذهبية الرمزية استجلبت بالغ الاهتمام، وهي صفيحة حفر عليها رسماً يمثل نهرين ينبعان من سلسلة جبلية واحدة ويصبان متقاربين في البحر، وفي الدائرة التي تحتويهما رسوم بعض الحيوانات[أسود - ابقار - خيل] وقد اتفق ان هذا الرسم يرمز إلى ما يلي :

١ - النهرين يمثلان دجلة والفرات وكانا يصبان في البحر آنذاك في مصبين مختلفين.

٢ - السلسلة الجبلية فيها هي سلسلة جبال القفقاس، إذ المعلوم ان منابع هذين النهرين تصل الى [آبسو] التي هي أبخازيا الحالية؟؟

٣ - بما ان دجلة والفرات تلاقيا في مصب واحد قبل [٣٥٠٠] سنة ق.م فمن الغالب ان هذا الأثر يعود لزمن يقارب [٤٠٠٠]عاماً قبل الميلاد .

٤ - والمهم انه على الأرجح يمثل خارطة وادي الرافدين، وهذا يؤيد قوة الروابط بين القطرين، ويبرز هذا الرسم علاقة القفقاس بميزوبوتاميا وكذا بالأناضول وايران وحوض البحر المتوسط ومصر.

٥ - الآثار التي وجدت في مايكوب هي أكثر دقة واتقاناً من معاصراتها في الأقطار الأخرى.

وانه من المفيد ان نلمح باختصار الى خلاصة دراسات العلماء السوفييت وفيما يلي خلاصة ما حكموا به.

" مما لاشك فيه قطعاً، ان قفقاسيا هي احدى مراكز اقدم المدنيات، كما انها احدى اهم واقدم اوائل مراكز ظهور استعمال المعادن، وان الصناعات المعدنية القفقاسية ترتبط بآسيا الغربية و خاصة بآسيا الصغرى واوربا ومنطقة بحر ايجه وحتى افريقيا الشمالية" .

وحسب استنتاجات المؤرخ [مار] والتي يدعمها المؤرخون السوفييت فأن حضارة ما قبل الاريين في اوربا هي مدنية يافثية ذات علاقة بالقفقاس.

وبهذه المناسبة اورد الملاحظة التالية عن علاقة الكيمريين بالسومريين .

أولاً - ورد في كتاب [وادي الرافدين مهد الحضارة] تأليف السير ليونارد لي وتعريب السيد أحمد عبد الباقي في الصفحتين ١٥ و ١٦ مايلي.

آ ـ السكان القدماء والأمة السومرية :

على ان السكان الجدد الذين استوطنوا الجزء الجنوبي من الوادي [وادي الرافدين] وقسماً كبيراً من سكان الجزء الشمالي منه، كانوا من عنصر يختلف تماما عن الشماليين فهم يمثلون الجناح الغربي لمنطقة ثقافية عظيمة، امتدت في العصر الحجري عبر قارة آسيا ونرى آثارها في ايران وبلوجستان والهند وفي اطراف منغوليا .

ب ـ اما السكاكين الصغيرة ونصول المناشير ورؤوس السهام وغيرها من الآلات القاطعة فقد صنعوها من شظايا الصوان الذي كان يؤتى به من الهضبة الصحراوية أو من شظايا الزجاج الذي كانوا يستوردونه من القفقاس .

ثانياً ـ جاء في كتاب [العصور القديمة] تأليف الدكتور هنري براستد عضو أكاديمية العلوم ببرلين، نقله الى العربية داوود قربان احد اساتذة جامعة بيروت الامريكانية في الصفحة ٨١ ما يلي:

بحث ـ آسيا الغربية ـ بلاد بابل ـ بزوغ المدنية السومرية:

إن الجبليين الذين أقاموا شرقي وشمالي وادي الفرات، لم يكونوا ساميين، ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كان نازلة ببادية العرب، ويتعذر أن نجد لهم أقل صلة بالأجناس الأخرى المهمة التي نعرفها، وجل ما لدينا عنهم هو أننا وجـــدنا صــورهم محلــوقي الرؤوس وعليهم نقب [تنورات] من الصوف الخشن؛ ومنذ عهد عريق في القدم حين كانوا لايزألون يستعملون الأدوات الحجرية قطع بعضهم مضائق الجبال الشرقية وجففوا قبل السنة [٣٠٠٠] قبل الميلاد الأراضي الغمقة في جوار مصبي الرافدين وصيروها صالحة للزراعة، وانتشرت دساكرهم الحقيرة المبنية من اللبن شمالاًعلى ضفاف الفرات، اما ضفاف دجلة فكانت أعلى من ان ترويها مياهها .

إن هؤلاء الجبليين كانوا بلا مراء من الجنس الأبيض، ولا يظهرلهم ماقل قرابة بالجنس الهندي الأوربي الذي كان قد انتشر في البلاد الواقعة الى الشمال والشرق من بحر قزوين منذ زمان قديم جداً، وقد استولوا تدريجياً على سهل شنعار فدُعيت المنطقة التي استولوا عليها [سومر]وكانت الزعامة والقيادة بيد السومريين، ويتسلطون على الأكديين الذين كانوا أقل حضارة منهم واقرب للبداوة، خاصة وان القبائل البدوية السامية كانت تكثر من ارتياد بلادهم والاقامة فيها.

ثالثاً ـ جاء في كتاب [تاريخ العالم] تأليف السير جون.أ. هامرتن؛ تعريب إدارة الترجمة بوزارة المعــارف المصريــة ـ الصفحــة ٥٤٠ من المجلد الأول مايلي: **السومريون:** لسنا نعــرف الموطن الأصلي للشومريين، سوى انهم جاؤوا من أرض جبليــة وان اصولهم كانــوا منتشرين في مساحــة واسعــة، حتى ان اقــاربهم يقيمون في ولايــات الهنــد الشرقيــة حــوالي [٢٥٠٠] سنة قبل الميلاد. وفي الصفحتين ٤٧٦ ـ ٤٧٧ من المجلد الثاني من تاريخ

العالم المذكور صورة فوتوغرافية عن [موهنجودارو] و [هارايايا] وهما الموضعان الأثريان اللذان كشف عنهم من مراكــز الحضارة الهنديــة السومريــة، وآثــارهم تدل علىعــلاقتهم بالسومريين لما اقتبسوه من حضارتهم وصناعــاتهم. نشأت في رقعـــة ضيقة في الشمال الغربي من الهند، حضارة قبل مجيء الآريون، وكان هؤلاء القوم الذين يصح ان نسميهم [الهنودالسومريون] دون مزج بين السلالتين، وكانوا يبنون دوراًجميلة ذات طابقين، وكانت لبيوتهم مجار لتصريف المياه مصنوعة من الآجر، ولكل دار بئر وحمام نظيف متقن. وفي الصفحة ٤٥٤ مايلي: قد يكون الشومريين فيما بين النهرين على صلة بالدرافيديين الذين سكنوا بلاد الهند.

رابعاً ـ وقد جاء في كتاب [التاريخ القديم للوطن العربي] تأليف السادة [انور الرفاعي ـ بسام كردعلي ـ حسن عبيد] والذي يدرسه طلاب الصف اول اعدادي في المدارس السورية منذ عام ١٩٦٢ م في الفصل الثامن صفحة ٦٧ مايلي:

السومريون: قدموا الى العراق من بلاد القوقاز وهضبة ارمينيا واخذوا يستوطنون تدريجياً جنوب العراق ويعملون في الزراعة التي نبغوا فيها.

ولا شك أن السادة المؤلفين لم يقرروا هذا الحكم الا استناداً على شواهد تاريخية دامغة ورد في كتاب [التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة.] تأليف العميد طه الهاشمي ما يلي: كان السومريون يستوردون النحاس من القفقاس والفضة من طوروس التي كانوا يسمونها جبال الفضة.

والظاهر انهم كانوا يقدمون الضحايا البشرية لآلهتهم وملوكهم ثم استعاضوا عن ذلك بتضحيــة الحيــوانــات. وفي الصفحة ٥٤٥ من المجلد الأول صــور عن آثــار تعود الى ما قبل [٣٥٠٠] سنة قبل الميلاد وهي صناعات دقيقة نفيسة من الذهب والأحجار الكريمة، وبينها خنجر مستقيم [قاما جركسية] مزين قبضته وقرابه بالذهب والأحجار الكريمة بشكل بديع جداً، ويذكرنا بمثيله الذي اكتشف في مايكوب من قفقاسيا الشمالية.

خامساً ـ جاء في كتاب [دول المدن في أرض الجزيرة قبل قيام بابل] لمؤلفه ليوناردلي في الصفحة ٥٣٩ من المجلد الأول:

ولسنا نعرف الموطن الأول للسومريين، وكل مانعرفه عنهم انهم جاؤوا من ارض جبلية في موضع ما وانهم كانوا منتشرين في مساحات واسعة، حتى ان أقارب اولئك الذين سكنوا ارض الجزيرة كانوا يقيمون في ولايات الهند الشمالية الغربية؛ ولانعرف كيف ومن اي طريق نزحوا الى أرض الجزيرة،ومهما يكن فقد استولوا على النصف الأسفل من وادي الرافدين .

النتيجة: تبين لنا مما سبق دراسته ان السومريين في جنوب العراق قوم جبليون انحدروا الى تلك البقعة، وان لغتهم غير سامية، بل هي غير آرية على وجه التأكيد. وإن العلاقات بينهم

وبين الشعب القفقاسي المعاصر لهم هي علاقات متينة توحي بوجود صلة قرابة مما جعل الكثير من المؤرخين ينسبونهم أصلاً الى القفقاس.

اسم [سومر ـ شومر ـ غومر ـ كيمر] هو اسم الشعب القفقاسي الكيميري القديم والذي كان ذا حضارة تعادل وتعاصر سومر كما دلت آثار مايكوب، وتطابق الاسمين يرجح كثيراً ويؤيد القول بأنهم من أصل قفقاسي.

أما عن اللغة فيجب التفتيش عنها بين اللغات القفقاسية الكثيرة، والتي لم يتسن للعلماء دراستها، فقبل الاحتلال الروسي كانت منطقة خطرة لا يستطيع العلماء الذهاب اليها، وبعدها لم يسمح لهم بدراستها الا بشكل دعائي موجه، القصد منه اظهار الجراكسة كشعب همجي متوحش، ثم أسدل الستار الحديدي .

جاء في عدد من مجلة الاتحاد السوفياتي.

ان الحفريات قد كشفت عن وجود حضارة قديمة جداً في اقليم ابخازيا بلاد الأباظه وانهم وجدوا بينها آثاراً لكتابة ابجدية تعد من أقدم الكتابات في العالم. (راجع تورجانينوف)

كتابة بعض الملاحظات على الكلمات والأسماء السومرية

من مجموعة التاريخ العام:

لاغاش = لاغاشئى بمعنى صانعو لاغه اي الصيني القيشاني

أور = ثغر = ميناء تماماً كما في العربي

من مجموعة التاريخ العام

صفحة

ايسطارطة . اكتشفت آثارها في مدافن القوبان

١٩٧ الإلة إنليل وزوجة نين ليل الأم العظمى ونيني (نينو) وآنو

١٩٩ نيسابا نانار نن جال = نان نين مردوك

٢٠١ الطعام والموتى . الزيجوزات . بلدة اور = ميناء

٥٣ صورة جلجامش وأنكيدو ولهما ذنب بقرة طويل مثل قدماء المصريين مينا ودوره المذنبة عند الجركس من ذنب البقر.

العلاقات القديمة بين مصر والقفقاس

جاء في كتاب تاريخ العالم صفحة ٤٨٩ المجلد الأول ما يلي:

بيد أن هذه المدنية مدنية ما قبل الأسر يفصلها عن مدينة المصريين في العهد التاريخي فترة ذات خطر، مظاهرها المادية بليغة الأثر، ويبدو الآن مظهرها التاريخي جلياً الى حد كبير .

وكانت أول أسرة مصرية في العهد التاريخي تتخذ قاعدتها في العرابة المدفونة في أقصى

جنوب الوادي، والراجح أن ملوك الأسرة الثالثة هم الذين بدؤا في اتخاذ [منف] القريبة من نقطة اتصال الوادي بالدال قاعدة للحكم، كما أخذوا يبنون مقابرهم فيها .

وكان يظن أول الأمر أن العهد الجديد قد أقامه عبدة [حورس] الذين جاؤا الى تلك البلاد من جزيرة العرب، ويعتقد البعض لهذا أنهم ساميون، وذلك اعتماداً على وجود عاصمة ذلك العهد في العرابة الواقعة الى اقصى الجنوب وسهولة الوصول اليها بطريق القوافل من ميناء القصير على البحر الأحمر، ويظن كذلك ان انتقال قاعدة الحكم من العرابة الى منف كان بداية مرحلة من مراحل سياستهم التي ترمي الى توحيد وادي النيل وداله .

لكن دراسة بقايا آلاف الجثث من القبور القديمة تدل على ظهور شعب أجنبي من سلالة آسيوية، قريبة النوع من ذوي الجسم الممتلىء الذي احتل المناطق الجبلية من أقدم العصور، وانتشر الى فلسطين في غضون العصر الحجري الأخير .

وقد جعل هؤلاء المستجدون يتعاظم عددهم وبعضهم انتشر الى أعلى الوادي حتى أيام الأسرة الرابعة، ثم فرّقتهم كتلة السكان الأصليين، وكانت نتيجة هذا تبدل عام في شكل السكان الأصلي العادي .

ولما كان ظهورهم، اول ما ظهروا، قبل تأسيس الأسرة الأولى بقليل وفي الجزء الأسفل من الوادي، فمن المعقول ان تكون هناك صلة بين ظهورهم في ذلك المكان وبين الثورة السياسية التي تلت ذلك العهد؛ ولو ان قلة من مواضع المدن التي في متناول الباحثين في الوجه البحري مما يجعل الجزم بهذا غير ميسور في الوقت الحاضر، على ان عبادة[اوزيريس] التي باتت فيما بعد النقطة الأساسية في دين مصر الرسمي تكشف عن عناصر فيها توحي بأن هذه العبادة نشأت في بلد ذي مراع وأشجار مخروطية الشكل ونبات طبيعي لا يتفق واحوال مصر بل يختلف كل الاختلاف عن الأحوال المصرية، وان في استخدام علامة هيروغليفية واحدة لليد اليمنى وللغرب على السواء ليوحي بأن أول من استخدموا هذه العلامة كانو يتوجهون بوجوههم نحو الجنوب عندما احتلوا الوادي .

وقد ألفنا فيما مر بنا من الأبحاث أن نرى شعباً من شعوب الرعي يهبط من منطقة جبلية مجاورة او بيئة اخرى أقسى احوالاً، ولاتتيسر الزراعة فيها الا في مواضع متفرقة، الى منطقة يحتلها شعب غريب عنهم كان يقيم في هذه المنطقة من القديم، وذو ثقافة اعظم نمواً من الناحية المادية، لأن الأحوال الطبيعية كانت أصلح لنمو هذه الثقافة .

ولعل هبوط شعب من هذا النوع هو سبب هذا التنظيم السياسي الجديد للشعب القديم وتحويله الى أمة ذات مزاج خاص ومثل عليا وعادات، خاصة بها .

وقد شهدنا هذا في الهند والصين وفي صبغ شومر وآكاد بالصبغة السامية نشأت منها أمة البابليين .

كذلك حصل في مصر، كما حصل في الهند من مقاومة الحضارة الجديدة. في بعض الأحيان مقاومة للثقافة السائدة والقائمين عليها، وغزا البلاد في بعض الأحيان أقوام محاربون من بلاد النوبة أو السودان نالوا قسطاً غير قليل من حضارة مصر نفسها وعرفوا بذلك موارد ثروتها الهائلة العظيمة، وضعف حكامها وقتئذٍ (تاريخ العالم ـ المجلد الأول ٤٩٠) .

وقد كشف في البداري من أعمال صعيد مصر عن ادوات صوانية من الطراز الأورِيناكي قد يرجع عهدها الى [١٥ ألف] عام قبل الميلاد تعلوها طبقات أخرى من الطراز السوليتري، وقد دام هذا العهد الى عام عشرة آلاف قبل الميلاد وفيه برع الناس في صناعة الصوان الدقيق، واخرجوا أجمل ما صنعته اليد من فخار، وكانوا يحفرون العاج، ويغزلون الخيوط، وينسجون القماش، ويزرعون القمح، وينقرون العاج امشاطاً، ويكحلون عيونهم بأصباغ قاتلة الجراثيم.

ولاشك ان هؤلاء الناس قد اضمحلوا في مصر، لأن خير ماوجدناه من أثارهم فيها هو اقدمها، ولا شك في انهم قد وفدوا الى مصر من **الشمال**، لأننا وجدنا مثل هذه المصنوعات الصوانية في فلسطين ومعها اصداف منقولة من السويس وادواتهم الصوانية شديدة الشبه بمصنوعات الأوربيين السوليترية، ولعلها ترد الى العصر نفسه .

ومن المعلوم أن هذه المصنوعات قد انتقلت الى أوربا من الناحية الشمالية للبحر الأسود، وهذا يؤدي بنا الي القول بأنّه يحتمل ان تكون بلاد القفقاس مركز هذه الحضارة .

وقد عرف الآن أن هذا الإقليم (قفقاسيا الشمالية) يشبه الى حد بعيد الجنة التي وصفها المصريون وسموها [أرض الأموات] وانها شديدة الخصوبة وفيها بحيرات من نار وجبال شواهق، وهذا الوصف ينطبق على **وادي القفقاس** ، وتكاد توجد جميع الأماكن الواردة في الأساطير المصرية في هذا الاقليم بصفاتها الحقيقية (المصدر السابق ص ٤٠ و ٤١) .

الحضارة العمرية: ثم حل العفاء بحضارة البداري في مصر، واجتاح غزاة جدد البلاد ويلوح انهم وفدوا الى مصر من الغرب...الخ.

الحضارة الجرزية: وجاءت من المشرق حضارة ثالثة وجدت آثارها بكثرة في جرزه فسميت بالحضارة الجرزية، وكانت اكثر رقياً من سابقاتها.

وكانـوا يجلبـون الصنفرة واللازورد والزجاج من آسيا؛ وكان لهؤلاء ايضاًبعض الصلة **بأهل الشمال**، يدل على ذلك شكل **وعل محفور** في لوح من الأردواز...

دامت هذه الحضارة ما بين فترتي [٨ ـ ٦] آلاف سنة قبل الميلاد، ثم انهارت فجأة، فاختفى كل ما صنعه القوم من أشياء جميلة، وانحطت اثارهم من الفخار والصوان .

وزاد اضطرابهم حين غزا البلاد الجنس الذي تكونت منه الأسر الملكية المصرية والأقوام الذين اتوا من الجنوب ومن آسيا .

عهد الأسرة الملكية الأولى: كانت الحضارة الرابعة هي تلك التي ازدهرت وأدت الى قيام المملكة المتحدة في عهد الأسرة الأولى وقد امتدت عدة قرون، وقد حدث من جراء الغزوات المتوالية اختلاط كبير بين الأجناس، وبلغ الذين يقتتلون في هذه المدة ثمانية أجناس مختلفة كما نرى ذلك ممثلاًفي النقوش، ومن المحتمل ان الغلبة كان لشعب تجاري من عيلام.

وبذلك انشئت مملكتان، وفيما بعد وحد[مينا] بينهما وهو المؤسس الحقيقي للأسرةالأولى؛ ولقد نقل هؤلاء القوم كثيراًمن حضارة أرض الجزيرة .

ولكننا نعلم أن أول ملك من ملـوك الصعيد هـو [مينا] الذي وحـد المملكتيـن الشماليـة والجنوبية تحت لوائه قبـل سنة [٣٤٠٠] ق.م لا بعـدها، وكان يلقب رسميا بسليل [حورس] وحـورس هـو اله السماء عنـدهم، وهـو الذي بنى مدينـة [**منف**] ومعنـاه **السور الأبيض،** [معنى منف باللغة الجركسية الوضاء المنور] (المصدر السابق ص ٤٣)

ومن الناحية العقائدية فأن إله الشمس [رع] بلغ اوج شهرته في اوائل الأسرة الخامسة وامتزج بحورس [الإله الصقر] إله السماء وتسمى بإسم [رع - حورس الأفق] ولما تولى الطيبيـون السلطـة امتـزج بإلههم [آمـون] اله طيبـة الذي كان مغمـوراً من قبل ، فصار [آمون رع] يتحكم في مصائر مصر .

وازداد انتشار عبادة [اوزيريس] بوصفه إلهُ للموتى والأخرة (المصدر السابق ٥٧٣ و ٥٧٤) .

الملاحظة على المعلومات السابقة

إن ما مر بنا من الاشارات القوية الى العلاقات الوثيقة بين مصر والقفقاس منذ الدور الحجري وما بعد على فترات، يشبه تماماً العلاقات التي اشرنا اليها بين سومر والقفقاس، فالمؤرخون يشيرون بوضوح الى مجيء حضارة الدور الحجري من الشمال ومصدرها الأول هو بلاد القفقاس .

كما يشيرون الى ان ارض الاموات الوطن القديم للمصريين هو على الأغلب وادي القفقاس الشمالي .

والملاحظ ايضاً ان فترة دخول الهكسوس الى مصر والتحكم بأرضها، يقارب الفترة التي دخل فيها الكاسيون الى بلاد سومر ثم تحكموا في بابل .

ونرى فرعون مصر [أحمس] الذي حرر بلاده من الهكسوس يقول انه ظل يطاردهم حتى شمالي الفرات وعبر الفرات الى ان دخلوا بلادهم الأصلية .

ونرى ان المؤرخين يحكمون انه توجد قرابة بين لغة الهكسوس واللغة الحورية في الأرارات والتي هي من فصيلة اللغات السومرية الحثية القفقاسية، بينما كان الاعتقاد السائد انهم من

العرب.

كما ثبت للمكتشفين المؤرخين من الأثار المصرية ان الطبقة الحاكمة كانت تمثل اصفى انواع العرق الأبيض من زرقة العيون والشعر الأشقر، وانه كانت لهم لغة خاصة بهم غير لغة الشعب، وان اسماء ملوكهم وآلهتهم على الأغلب تحمل طابعاً من تلك اللغة الغريبة التي لم تعرف بعد.

وقد جاء في كتاب تاريخ العالم المجلد الأول صفحة ٧٠٢ ما يلي:

رمسيس الثالث [١١٩٨ - ١١٦٧] تولى الملك خلفاًلوالده [ست نخت] .

وكانت دولة الميتاني قد اختفت من الوجود في النصف الثاني من القرن الرابع عشر اذ ابتلعتها دولة الحثيين، اما بابل فكان ملكها [كوريجالزو] معاصر ملك آشور [آشور أوباليت] ومملكة آشور في طور النمو والأزدهار (المصدر السابق ٧٠٣) .

وكانت شعوب البحر (من آسيا الصغرى واليونان وجزائر بحر إيجه) تقوم بغارات عنيفة على السواحل في الدلتا المصرية، ونستطيع ان نتبين منهم أقوام الشردانو والبولاسات الفلسطينيين والآخيين من اليونان والكنعانيين واللوبيين .

والتقى بهم رمسيس الثالث سنة ١١٩٠ق.م وهزمهم بعد قتال عنيف في البر والبحر ولكن هذا الاسطول المنهزم لم يكن الا طليعة من طلائع العدو، وكانت جماهير القبائل تتدفق اذ ذاك على سوريا ومصر وقد استطاع رمسيس الثالث ان يهزمهم مرة اخرى على ساحل فلسطين فقضى عليهم .

ولكن قبائل المشوش [Mechwech] من البربر مما يلي لوبيا أغاروا على مصر فهزمهم ايضاً رمسيس الثالث (المصدر السابق ٧٠٦ و ٧٠٧) .

ولقد حصلت موجة هائلة من الهجرات المنحدرة من الشمال الى الأناضول والعراق، والى سوريا ومصر، وذلك حوالي القرن الثامن والسابع قبل الميلاد، أولاها تحركات الاسكيت ونهبهم بلاد العجم وآشور وسوريا والأناضول والقفقاس ثم استقرارهم في شمال البحر الأسود وجنوب الروسيا .

ولقد دخلت في تلك الفترة الى مصر من تلك الأقوام المهاجرة عناصر كثيرة بعضها استقر في مصر وبعضها جاوزها الى الشمال الافريقي ، وعناصر اخرى سارت في وادي النيل الى الجنوب حتى بلاد النوبة والسودان .

وللمرحوم الدكتور [محمد علي بتشجالقوة] مؤلف باللغة التركية والحروف العربية اسماه [ايقاظ المؤرخين] يعالج فيه العلاقة بين مصر والقفقاس بمقارنات كلامية؛ وقد اورد فيه كثيراً من المقارنات على اسماء الآلهة المصرية القديمة واسماء الاشخاص والمواقع وحللها واعطاها المعاني باللغة الجركسية الآديكية .

ومع ملاحظتي انه وقع في التطرف بتحليلاته، سأقتبس منه المقارنات التي تتبادر الى ذهن

الجركسي لأول وهلة عند سماعها في انها اسماء او كلمات جركسية .

يقول الدكتور محمد علي:

من المعلومات التاريخية المعروفة انه اعتباراً من الجهة الغربية لدلتا النيل حتى اعماق القارة الأفريقية توجد رواسب شعوب غربية عن العرق الأسود، لاشك انها قادمة من آسيا منها القديمة جداً والتي يمثلها المصريون القدامى ومنهم الأقباط ومنها الجديدة كاليونان والعرب وغيرهم من الأقوام.

ومن أهم القبائل العربية التي دخلت مصر وأولها المعروفة في التاريخ هي :

١ ـ **اللوبيون** : دخلوا مصر في الغارة الأولى لشعوب البحر وتحكموا في مصر بشكل اقطاعيات لأمرائها مدة قرن ونصف، والمصريون يسمونهم [لئي آب] وتكتب في بعض الكتب بشكل [له آبيم] وقبيلة [لي آب] الجركسية لم يبق منها الا بيوتات قليلة، ومعناها التحليلي [الرجل الأول]؛ هذا وان نهر [لاب] اكبر روافد نهر القوبان يحمل هذا الاسم، كما أن اسم [لي بي] ومعناها [عدو الرجال] دارج الاستعمال الى اليوم كأسماء لبعض الأسر والأشخاص .

ومعروف في التاريخ إن هذه القبيلة دخلت مصر عن طريق برزخ السويس وانتشرت في مصر والشمال الأفريقي.

ويذكر المؤرخ ما سبرو في الصفحات [٣١٥ ـ ٣١٧ ـ ٣٥١ ـ ٣٦٣ ـ ٤١٩ ـ ٤٧٦ ـ ٤٧٩ ـ ٥٧٨] من كتابه كيف استولوا على مصر و استقروا في منطقة الدلتا، وعن خدماتهم لمصر والنفوذ الذي اكتسبوه لدى الفرعون [بسه ماتيك] مما دعا العساكر اليونانية لحسدهم وقد تسمت ليبيا على اسمهم فقد رحلوا اليها .

٢ ـ **مه شواشه:** من أقوى العشائر اللابية وقد بسطت نفوذها لوقت ما على جميع مصر وتحليل الاسم باللغة الجركسية كما يلي ماشوه = نار مشؤاشة نار محرقة، وهو نعت يقصد منه صفة الجرأة الفائقة .

ويأتي احياناً بمعنى فتان كما في التعبير [جاتو مه شؤاشه] والمعنى قطة فتانة ثم ان اداة شه تعطي معنى البيع وعلى هذا الفرض فمعنى الكلمة [بائعو النار] ثم ان السهم والرصاص يسمى ايضاً [شه] وعلى ذلك يكون المعنى [السهم الناري] وفي القرن الماضي استعملت قبيلة الشابسوغ كلمة [مه شؤاشه] للتعبير عن الكبريت والبارود والمواد المشتعلة .

هذا وموجـود حـالياً بين الجراكسة اسـرة [مه مشؤذز] ومعناهـا قاذف النار وكذلك اسرة [مش فشؤ] ومعناها الذي يخصب زرعه .

٣ ـ **شاردان** ـ ماسبرو صحيفة ٣١٧ ـ الشاردانيـون من القبائل القديمة الوافدة الى مصر

من آسيا، وقد تسلطت على مصر، ونظم الشاردان جيش مصر القديمة الى ثلاثة اصناف ١ ـ قطعات المشاة ، ٢ ـ قطعات العجلات الحربية ، ٣ـ قطعات الجيش الأخرى المساعدة .
وبعد مدة طويلة اتفقت هذه القبيلة مع قبائل اخرى كثيرة ثم هاجرت عن طريق البحر نحو ايطاليا واستوطنت في جزيرة [ساردينيا] المسماة على أسمها وعند الجراكسة اسرة [شاردان] من أمراء قبيلة القبارتاي ، كما أنه اسم دَرَج في تسمية الأشخاص .

٤ ـ قايغاش من عشائر اللاب المصرية . ماسبرو صفحة ٣١٥ ـ وهذه الكلمة مستعملة عند الجراكسنة اليوم تماماً بدون اي تحريف ففي بلاد الجركس [شمال القفقاس] تسمى القبيلة القاطنة بين نهري [بالق ـ باخسان] بقبيلة [قايغاش] وبهذه المناسبة أورد أغنية مديح فيها ذكر لغابة قايغاش جاء فيها.
" لقد أعاد معه القبرتاي بائع الملح؛ ومر من غابة قايغاش المظلمة وأرعد بيوت النوغاي العائشين على حليب الخيل؛ وفرق الخيل المتجمعة عند بلدة تيفوزلو ـ النص الجركسي في الصفحة ١١٩ من النسخة الأولى لقفقاسيا في التاريخ .
٥ ـ تامار : من عشائر اللاب المصرية ـ ماسبرو صفحة ٣١٥ ـ واليوم عائلة تامار من بيوتات قبيلة قبرتاي ـ وتامارا اسم ملكة كرجية ودارجة عندهم .

٦ ـ مازاو ـ من عشائر اللاب في مصر ـ ماسبرو صفحة ١١٤ ـ وفي الصفحات ـ ٢٦٣ و ٣٠٧ و ٤١٨ و ٤٧٦ ذكر إطاعة هؤلاء للحكومة المصرية والتحاقهم بالجيش المصري ثم انتشارهم حتى مصر السفلى وكسبهم السطوة والنفوذ .
والمعنى المفهوم لأول وهلة من هذه الكلمة هو [يحارب] والمقصود منه محارب، وفي قبيلة الأبزاخ الجركسية توجد الأن اسرة [يه زوا] بنفس المعنى وكذا أسرة [آبه زاو] بمعنى المحارب بيده .
ولو لفظناها [ماتساو] فمعناها [متلف الجراد] .

ملاحظة: ورد اسم اللابين في مختلف المصادر ومنها التوراة بأشكال عدة [لابي ـ لوبو ـ له آبيم [لوبي ـ لودي] وهم مذكورون في التوراة في [باب حزقيال باب ٣ الآية ٥] و [بحث دانيال ١١ ـ ٤٣] و [بحث سيرميا ـ ٤٩ ـ ٩] وفي الانجيل ببحث اعمال الرسل (٤٦ ـ ٩) .

٧ ـ قوش ، ٨ ـ واويطؤ ـ ماسبرو ٩٧ ـ ١٣٥
٨ ـ في القسم الجنوبي من مصر القديمة بين النيل والبحر الأحمر كانت تسكن قبائل قوش و واويطؤ فهاتان القبيلتان طردتا الزنوج الى مصر العليا وقطنتا هناك، وكانتا في حرب دائمة مع

الفراعنة .

وفي نهاية دليل الكتاب المقدس الانكليزي خريطة تضع اسم قبيلة [قوش] في القسم الشرقي من قفقاسيا الشمالية وتنتسب الى [قوش] احد أبناء حام، ذلك انه جاء في التوراة ببحث التكوين، ان الأخوة [حت ـ جرجاش ـ قانان (كنعان) مصر ايم ـ لوديم] قد تفرقوا في بلاد العرب وفلسطين، اما أخوهم [قوش] فقد اعطي لقب [قوش الحبشي] وعلى ذلك فقبيلة قوش المذكورة في خارطة دليل الكتاب المقدس قد رحلت من القفقاس الى مصر فالحبشة .

التحليل: كلمة قوش تذكرنا بكلمة [قوشحه] التي يطلقها الأديكة على الآستين ومعناها [الجبليون] وبين هذه القبيلة اسرة مشهورة تسمى [قوشيقوه] بمعنى أبناء قوش ، وقوه ش= معناها أخ أو قريب ـ وكلمة [واويطؤ] ومقطع [واوي] أو [واويو] نداء يقصد به التعجب مع القبول وقد يقصد بـه الاستنكار حسب المقام الذي يقال فيه ويريده القائل، وللمبالغة يقال [واويطؤ] بمعنى واوي مرتين .

٩ ـ وورد في قاموس الاعلام [مادة الحبش] ان اليونان يستعملون كلمة [اتيوبيان] للدلالة على الأحباش ومعلوم ان بلاد الحبشة تسمى اثيوبيا، وفي دليل التوراة توجد أمام هذه الكلمة اشارة استفهام دليلاً على عدم معرفة المعنى، وقد فسرت في مكان اخر بمعنى [ذو الوجه الأسمر]

و [توب] اسم لسهل في القوبان اغتصبه الابزاخ من الحاتقواي ولها قصة، ومن عشائر قبيلة قوش [استامورا ـ شه ميق ـ آكين ـ سابيري] فمنها .

١٠ ـ شه ميق ـ عشيرة من عشائر باسخيغ الأباظية.

١١ ـ آكين ـ اسم لقبيلة قديمة مقدسة عند الجراكسة ومن اساطيرهم بقرة آخين السائبة

١٢ ـ سابيري ـ في اسطورة جركسية يرد تل [سابر] حيث يجتمع [الويدي] .

١٣ ـ آشه: وفدت هذه القبيلة الى مصر في زمن الفرعون [منه بتاح] ثم هاجرت الى جزيرة [قبرص] وبين امراء القبارطاي عائلة [آشه مقوه] أي ابناء آشه وهؤلاء كانوا يسكنون بجوار نوفوروسكي كما ورد في تاريخ القوقاز، وقد هاجرت الى بلاد اليونان فيما بعد ـ المجلد الثاني صفحة ١٧٤ .

ولكلمة آشه معنيين باللغة الجركسية المعنى الأول هو [آشه = سلاح] نوع من السلاح، ويقال [آشه ري] بمعنى انه يجيد استعمال السلاح .

والمعنى الثاني هو بمعنى [أكتع] اي المصاب بعاهة في يده .

١٤ ـ آوار ـ وهذا يذكرنا بقبيلة آوار أو أندلال الداغستانية .

١٥ ـ قارباسيا: هذا هو الاسم الأصلي لجزيرة قبرص، ومعلوم ان مصر قد استولت عليها وكانت تتدارك منه محروقاتها؛ وأسرة [قريس ـ خريس] من قبيلة الأبخاز [أباظه] ويلاحظ وجود تشابه قوي بين الهيروغليفية القبرصية القديمة والهيروغليفية المصرية ومن اسماء المواقع والبلدان المصرية:.

١٦ ـ آبونو ـ توجد أسرة من أمراء عشيرة [كي لا خسه ني] من القبارطاي من يحمل هذا الاسم حالياً، وبلدتهم هي [آبونو قواي] اي مركز آل آبونو وكذلك فأن [آبن زاو = حرب آبن] من الوقائع الحربية المشهورة في ذكريات الجراكسة، وقد ورد هذا الاسم في تاريخ ماسبرو صفحة ٢٩

١٧ ـ قوبان ـ ديكسيونير صفحة ٢٩٥ . ورد ان رمسيس الثاني اختار مكاناً مناسباً لحفظ الغنائم الحربية، وشيد هناك الأبنية والأقبية اللازمة لعدم وجود الماء في ذلك الموقع فقد امر ببناء صهريج كبير فيه، واطلق على هذا الموقع اسم [قوبان] وهذا يذكرنا بنهر قوبان في القفقاس.

١٨ ـ به ني أسم بلدة في النوبة ـ ومعناها بالجركسية اللحد او القبر،

١٩ ـ نيل ـ نهر النيل ـ وهو من دموع الإلهة الام [أوزيريس] حسب العقائد المصرية ومعناها باللغة الجركسية ـ دم الأم] .

٢٠ ـ باختان ولهذا الاسم قصة تاريخية مآلها ان أميراً سورياً اودع احدى ابنتيه كرهينة عند الفرعون [رمسيس الثاني] ومن ثم تزوجها فأصبحت ملكة مصر. فأما اختها التي ظلت عند والدها الامير، فقد تسلطت عليها روح شريرة واصيبت بمرض خبيث حتى ان الطبيب والساحر الشهير [توتوم حالي] عجز عن شفائها، وعندئذ وبناء على طلب والدها، امر رعمسيس الثاني بصنع هيكل ثان للأله [خونو] ثم اقامه في المعبد وسجد له ودعا بقوله أنفخ بركاتك الألهية على هذا الهيكل وأجيب دعاءه، وعلى اثر ذلك اتجه بجمع غفير من الحاشية ومظاهر العظمة اخذاً معه الهيكل الجديد الى [باختان] وبعد مسيرة **سنة وخمسة أشهر** وصل الى باختان وشفيت الفتاة المريضة فالملاحظ ـ اولاً ـ باخسان اسم بلدة جميلة في القفقاس الشمالي، والا فأية بقعة من سوريا يستغرق السفر اليها سنة وخمسة أشهر؟!...

ثانياً ـ ان اسم المعبود خونسو يشبه الاسم الجركسي قانصو = قان شاو ومعناه الابن الربيب.

ويقول هيرودوت ومن بعده سترابون انه شاهد في بلاد الكرج عناصر من العرق الاسود ولعلهم من هؤلاء الخدم والعبيد الذين رافقوا رعمسيس الثاني في سياحته تلك.

ومن اسماء الألهة المصرية القديمة.

٢١ ـ اوزيريس ـ الاله الأعظم عند قدماء المصريين.

يقول بعض المسنين من الجراكسة عندما ينذر النوء بالعاصفة [وسه ره ظ] اليوم في جهد كبير، وهذا يدل على ان [وسه ره ظ] اسم لأله قديم عندهم والشبه واضح بين الأسمين، ومعنى (وسه رظ) هو الناصح القديم .

وفي اساطير الاولين صفحة (١٣٧) ان اوسيريس علم المصريين زراعة الحبوب وحرم عليهم اكل لحم الانسان، وهذا يدل على ان شخصيته عظيمة وفدت الى مصر وعلمت زنوجها المدنية .

٢٢ ـ توم ـ آتوم ـ وهو الأله الذي يتولى غروب الشمس ويخفي ضياءه، وعند الجراكسة تستعمل هذه الكلمة في حالات الاختفاء والفقدان، فيقال مثلاً عن شيء مفقود [توم خوغه] بمعنى [صار توم] والتشابه ظاهر ولعله كان إلهاً يعبدونه .

٢٣ ـ سوتخو ـ اكتشف في بانتيون مصر على معبد قديم علم انه خاص بالحاثيين وعثر فيه على هيكل سوتخو وهيكل [قاده ش] وفهم ان سوتخو من آلهات اسيا الصغرى وخاصة الحاثيين، كما انه معبود قبيلة [آوار] التي تعيش في مصر .

وفي المعاهدة المعقودة في (قاده ش) بجوار حمص بين رعمسيس الثاني وملك الحاثيين يقرأ توسل الملك الحثي بالأله [سوتخو] ثم انه قد وجدت على بعض الأبنية هذه الكلمة منقوشة عليها، مما دعى لكثير من التأويلات .

والواقع ان كلمة [شوتخو أو شوتخ] معناها بالجركسية [لتسعدوا] يتمنى لهم السعادة والخير والبركة، وان التوسل بهذا الأله ونقشه على جدران الأبنية يدل على الدعاء بالخير وتمني السعادة،ولعله اسم لأله الخير او السعادة .

٢٤ ـ كودش = قـودشو ـ اله ورد الى مصـر من الحاثيين، ولهذا الاله تمثـالان في متحفي [توره ن] و [لوور] الاول يمثل رجلاًقائماً يدوس اسداً والثاني يمثل رجلاً بيده الواحدة اوراق البابيروس وفي اليد الاخـرى أفعى، وهذان التمثالان او حيا الى المـؤرخين بأن [قودشو] هو اله الحرب عند الحات .

"ولعله رب العدالة الذي يسحق المعتدين وينفذ القانون وتفيد كلمة قود باللغة الجركسية معنى العهد أو القرار او الحكم مثل كلمة Code الفرنسية وتتضمن معنى الاتفاق بعد التشاور، وحرف [ش] باللغة الجركسية تلحق بأخر الكلمة للدلالة على المكان مثلاً حائه ش = غرفة الضيوف شه مه ش= اسطبل البقر، ورزه ش = عنبر التبن، وعليه قوده ش تدل على انه مكان الميثاق و المعاهدة .

ثم يذكرنا هذا الاسم بشجرة [قودشو] عند قدماء الجراكسة، فقد ورد في تاريخ جودت باشا وسياحة اوليا جلبي ذكر شجرة [قودشو] التي كان الجركس يقسمون عندما ويتعاهدون، وفيما يلي من الأبحاث تفصيل ذلك فالتمثالين المذكورين لهذا الاله يبنيان الفكرة الأصلية من

الوهيته فهو الضامن او الكافل للمعاهدات، والاتفاقات التي تعقد بعد الحروب والخلافات، وهو الذي يتولى بواسطة الأفعى - الهة الشر - الجزاء من يخل بالعهد المسطر على ورق البابيروس وهذا التأويل يلائم تماماً المعنى الذي اوضحناه لكلمة [قودش] باللغة الجركسية .

٢٥ - امون = آمن ولعله في الأصل اسم لآله شرير يتقي شره بعبادته فأن كلمة [يه من] باللغة الجركسية تعني المصائب والويلات، فيقال مثلاًشيء اضاعوه - اين ذهب؟ هل أخذه (يه من)؟ وعند الغضب وصبّ اللعنة يقال - ليدخل (يه من) دارك .

٢٦ - وقد اورد المؤلف في كتابه كلمات كثيرة من هذا القبيل منها:

شاو = ابن ، شاوه ق= ابن الابن، شوقار = شاوقار بمعنى الشاب الأسمر، سه به ق = وهو صفة الأنف القصير ويقال [باقه]

وعن بعض العقائد الدينية المصرية .

٢٧ - يقسم المصريون القدماء الروح الى قسمين الأول يسمى [خو] والثاني [بي] واليونانيون يقسمونه الى [نوس] و [بسي خي] اما الكلدانيون فيجمعون الروحين معاً ويسمونه [زي] .

وباللغـــة الجركسية خو معناها الذكر وبزي معناها الانثى ثم ان الروح تسمّى بالجركسية [بسه] ولعل [بسي خي] اليونانية معناها الروح الذكر، اما كلمة [زي] الكلدانية فمعناها الرقم الحسابي [واحد] وهذه الكلمات والمعاني مما تجلب دقة النظر(*) .

٢٨ - ياطور يطور - في متحف القاهرة ببولاق وتحت شارة D وبطول ٢,١٤ م لوحة حجرية اثرية، ولدى التدقيق يتبين ان السطح مقسوم الى قسمين متناظـــرين مرسوم فيها ملكـــان الى جانب، وتمثالان باسم [ساشميت و هورروس] وامام كل واحد منهما كاهنان، ومكتـــوب في اسفلها بالهيروغليفيـــة كلمة ياطوريطؤ ومعنى هذه الكلمة في اللغة الجركسية بكل وضوح [اثنان اثنان] أو [زوجاً زوجاً] فان كلمة طؤ= اثنان ومن وصف هذه اللوحة الحجرية يتبين لنا إن كلمة ياطؤرطؤ لا تدل إلا على هذا المعنى بالذات .

٢٩ - سمعت حديثاً ان جركسياً زار متحف القاهرة ووقف أمام لوحة حجرية عليها رسم نافر لعربة يقودها جوادان وتحتها كتابة هيروغليفية .

وقال له الدليل ان هذه الكتابة تقرأ [مى كوم إيتر شى خويطؤ] وانه لم يعرف معناها ولا من اية لغة .

فقال له الزائر - ان المعنى الواضح الصريح هو [هذه العربة مشدود اليها حصانان] .

ولا اعلم مقدار صحة هذا الحديث، فأن كان صحيحاً فأنه غريب حقاً .

وقياساً على ما مر فأني اورد الملاحظات التالية:

٣٠ - منف - بلدة منف وترجمتها كما جاء في التاريخ [السور الأبيض] وان المعنى باللغة

(*) (راجع كتاب الأناضول القديمة فصل التباس اللغة اليونانية الكلمات القفقاسية الغربية) .

الجركسية [الوضاء] فالضوء [نفين] .
كما ان الحاق حرف [ف] بالكلمة يعني البياض فيقال نكوف = وجه أبيض آبف = يد بيضاء ، آديف = ساعد ابيض ، نسيف = صوف ابيض و [مانه] هو عضو التذكير] فإذا تذكرنا ان كثيراً من الأقوام القديمة كانت تقدس هذا العضو حتى عبده اليونانيون فمن المحتمل ان [منف] يعني عضو التذكير الأبيض، ولعله [ونف] بمعنى الدار البيضاء باللغة الجركسية من تاريخ العالم المجلد الأول صفحة ١٧٣ ومابعد :

٣١ ـ شاشانوق اللوبي ـ مؤسس الأسرة البوباسطية عام ٩٤٧ قبل الميلاد الشاشان قبيلة جركسية معروفة ويقال لهم في سوريا والأردن [جاجان] وحرف القاف تأتي بمعنى [ابن] وشاشانوق = ابن شاشان .

وكونه لوبياً فهو غير مصري ارومة، وانظر الى صورته في المتحف تَرَ وجهاً جركسياً صفحة ١٨٠ آسار حادون ـ حكم ما بين [٦٨٠ ـ ٦٦٩] ق.م احتل مصر وفي ٦٧١ ق.م احتل ممفيس واقام حكاماً للإقليم من بينهم [ناخو] الليبي أمير صا الحجر ومن قبيلة شؤانة ثم تحـالف طهراقه وناخو او [نخاو] وثاروا عليه فهزمهم وسيق ناخاو أسيراً الى نينوى، ولكن الغريب جداً على الخلق الآشوري انه صفح عنه وأعاده حاكماً على صا الحجر ثم قتل ناخو فاجتاح آشور يانيبال مصر وعين [بساماتيك] ابن نخاو فرعوناًعلى جميع مصر ونائباً عنه.

٣٢ ـ الملاحظات ـ **أولاً** [ناخو] ليبي، وقد مـر معنـا حديث قبيلـة اللاب، **ثانياً**: اسم [ناخو] اسم دارج الاستعمال عند الجراكسة وتجد الى اليوم كثيراً منهم يحمل هذا الاسم ومعناه [ذو العيون الواسعة] فأن [نه = عين [خو = ذكر] ويستعمله الجراكسة لبيان الخشونة فيقال به خو = انف كبير مازه تسه خو = مشط ذو اسنان خشنة، ز ه خو = فم واسع يطلق الى البذيء الذي يلقي الكلام على عواهنه .

٣٣ ـ بساماتيك = بسه ميتـوق = اسم كان دارج الاستعمـال عنـد الجـراكسـة ومثلـه [ناميتـوق] و [حف ميتــوق] والتحليـل [الذي لايعطي روحه] وهي صفة للشجاعة فأن [بسه] معناها روح و [ميتوق] ابن الذي لا يعطي .

الميتانيون

الميتانيون : قوم جبليون كانوا يشغلون المنطقة الجبلية شمال ما بين النهرين وتمتد حدودهم جنوباً حتى بلاد آكد و في شرقهم الى الجنوب بلاد آشور، ويجاورهم في الشمال الشرقي الحرانيين = حوري والراجح انها اول دولة تكلمت اللغة الآرية، والحوريون هم فرع من الميتانيين، وكلاهما ذو ثقافة عظيمة وقد انتشرت الكتابة الحورية ككتابة تقليدية فيما يختص بالدين (كان حكام الميتانيين من الآريين . أما الشعب فكان من الحوريين) .

في الفترة [١٨٠٠ - ١٧٠٠] قبل الميلاد اشتدت شوكتهم فاخضعوا آشور وما بين النهرين واستولوا شرقاً على [واشوكاني] وجعلوها عاصمة لهم. كما عبروا الفرات واستولوا على كركميش = جرابلس، وكوزانا = تل خلف، ورزينا = رأس العين الخابور، وبلدة ايديس = اورفة وتيل برسيب = تل الأحمر منطقة منبج .

ثم توسعوا حتى بسطوا نفوذهم على حلب وسوريا ولبنان، وقد اشتبكوا في حرب ضروس مع الفرعون احمس وتحوتمس الثالث،وفي عهد الملك [دوشراتا] كان الميتانيون تابعين لملك مصر .

وفي العام [١٣٥٥] ق.م هاجمهم ملك الحثيين سوبليوليوما واستولى على بلاد حرى والميتان وفتح له الملك دوشراتا ابواب عاصمته واشوكاني .

واحتل الآشوريون بمعاونة الحرانيين بلاد الميتان، ثم استعادها [سوبليوليوما] ملك الحات، وظلت مملكة الميتاني في عهدها الأخير ساحة للحرب بين الحثيين، والآشوريين، ثم استولى عليها [تودخاليا] الرابع ملك الحات والحقها ببلاده وبذلك قضي على دولة الميتان نهائياً ومحا اسمها من الوجود .

والميتانيون يمتون بصلة وثيقة الى شعب [حاتوساس] اوائل الحثيين (الحاثيين) وهم يقربونهم في الأصل العرقي، ويتكلمون لغة تشبه كثيراً اللغة الحاثية .

وكذلك ديانتهم فهي كالديانة الحثية، ومن آلهتهم [إيندرا - فارونا - فيترا - ناشاتياس] . (تاريخ العالم المجلد الأول ص ٦٩٤) .

والميتانيون يذكرون اله بلدة حلب بإسم [تيشوب] والحثيون يسمونه [حدد] وهو اله الرعد وسانتاس وتاكون وسماه المصريون سوتيخ = سوتحو .

وان الألواح التي ظهرت بين مكتشفات مدينة [أخيتانون] في تل العمارنة بمصر اثبت ان لغة من اللغات الأرية الاوربية هي لغة الميتاني منذ العهد عام [١٤٠٠] قبل الميلاد . (أقدم قاعة سكن تاريخ حلب ص ١٠) .

الحتيون

يلفظ هذا الاسم بأشكال مختلفة فقد كتبه اليونانيون [خاتيوس] والايرانيون [خاتين وخاتى] والآشوريون [خاتي] والمصريون [خاتي و خايتي] وكتب ايضاً بشكل [خاتهين وهاته ين] وكتبه مؤرخو الاتراك [هيتيت] ومؤرخو العرب [حتيون و حثيون]

وقد توصل العلماء الأثريون الى تقسيم التاريخ الحثي الى الأدوار الخمسة التالية:

الدور الأول - دور ما قبل الحتيين : وهي حقبة تتراوح ما بين [٣٣٠٠ - ٢٣٠٠] ق.م وينحصر في منطقة حوض نهر [سقاريا] في شمال الأناضول وكانت عاصمتهم بلدة

[نه شاش] ثم انتقلت إلى بدلة كوشار (نيسه ، كوسار) .

الدور الثاني . دور الحتيين القدماء أو الدولة الحثية الكبرى وهي في الحقبة التي تتراوح ما بين [٢٣٠٠ ـ ١٢٠٠] قبل الميلاد، وكانت عاصمتهم [حاتوشاش] او [حاتوش] وهو الدور الذي توسعت فيه دولتهم وازدهرت حضارتهم .

الدور الثالث ـ دور اضمحلال الامبراطورية الحثية، وهي الفترة الأخيرة التي ضعفوا فيها واستولت فيها الأقوام اليونانية على بلاد تركيا الحالية الى ان زالت دولة الحات من الوجود .

الدور الرابع ـ دور الحثيين الجدد وينحصر في المدة ما بين [١٢٠٠ ـ ٨٠٠] قبل الميلاد، وهو دور بقايا دويلات الحثيين في الآرارات وسوريا مثل دويلات الأورارطو وغارغاميش وحلب وحامات .

الدور الخامس ـ دور الانقراض الأخير ـ وهي الحقبة التي استولت فيها آشور على دويلاتهم وتفرقت فيها جموعهم واحدثت موجات من الهجرات عامة في جميع الاتجاهات، الى بلاد القفقاس والعجم واوربا ومصر والشمال الأفريقي .

وقد انضم فيها اليهم [السيمريون] الهابطون من القفقاس امام غــزوة [الاسكوذيين] او [السيت] . أو (السكيت) . (قفقاسيا في التاريخ) .

حينما حل سحر التاريخ [٤٠٠٠ ـ ٢٠٠٠] ق.م كانت آسيا الصغرى أهله بعدد من القبائل الحتية التي كانت تتكلم بما لا يقل عن ست لغات مختلفة، ولم يكن هذا الأمر شاذاً في ذلك الوقت، فكل قبيلة كبيرة كانت لها لهجة بعيدة عن اللغة الأم تكاد تكون لغة مستقلة .

وكانوا يجنحون أول ما ظهروا الى الاندماج في حلف سياسي ثم خضعوا جميعاً لسلطات قبيلة [حاتي] المركزي وعاصمتها [حاتوشاش] في مكان [بوغازكوي] الحالية وحوالي عام [٢٠٠٠] ق.م تبارزت في منطقة آرارات عدة دويلات منها دولة حرّى بجوار بحيرة [وان] والى الشمال منها دولة [كسكه] والى جنوبها دولة [الميتاني] ثم آشور والى الغرب من الحرانيين دويلة [غالّس] .

وكان للحثيين في بادىء امرهم دولاً من المدن متنافسة ومن ملوكهم:

بيت حاناش ـ وهو منشيء دويلة [نه شاش] او [نيسه] .

آنيتا ـ وقد استولى على بلدة [حاتوشا] وخربها .

لابرناش ـ قوى المملكة الحثية وثبت اركانها .

حاتوشيل الأول ـ حكم عام ١٩٧٥ ق.م وقد جدد بناء بلدة [حاتوشاش] وجعلها العاصمة الأولى، وتوسع في فتوحاته الى حلب واستولى عليها، ولعله قتل فيها .

مورسيل الأول ـ استولى على حلب حوالي سنة [١٩٢٥] ق.م وانتقم من اهلها لمقتل ابيه، ثم زحف الى بابل واستولى عليها وقسا على اهلها .

تود خاليجا الثالث ـ خلف ابيه مورشيل الثاني ـ حكم حوالي ١٤٥٠ ق.م؟ وقد اشرك معه ابنه الصغير [سوبيليو ليوما] وقد ثارت في عهده البلاد الخاضعة والموالية للحثيين، وانقسم الحثيون فيما بينهم، فتمكن [الكاسكاس] من الزحف على العاصمة حاتوشا وتخريبها، والكاسكاس قبائل مستقرة في اقليم شمال حاتوشاش. وقد أقروا بالخضوع ودفع الجزية الى تحوتمس الثالث [١٤٧٩ ـ ١٤٤٧] ق.م ملك مصر في عام ١٤٦١ ق.م

سوبليو ليوما ـ تولى الحكم حوالي عام ١٣٩٠ ق.م مدة [٤٥] سنة وقد وحد الأطراف المتنازعة وأعاد سلطته على الأقاليم الاناضولية جميعاًوعلى سوريا.

موتالس او موتلي تولى عام [١٣٢٠ق.م] ومعاصره رعمسيس الثاني المصري وقد قام الكاسكاس في عهـــده بغـــارات عنيفة فقضى عليهم وضم اقليمهم مع اقليم كسكه وسماها [كزيودونة] .

وفي عهده جرد رعمسيس الثاني حملته المشهورة التي تحارب فيها مع الحثيين بجوار بحيرة حمص وانتهت الحرب بعقد معاهدة [قاده ش] التي وجدت منقوشة على صخرة، وكان ذلك في عام [١٢٩٦] ق.م .

حاتوشيل الثالث ـ تولى الحكم عام [١٢٩٠] ق.م وفي وقته بدأ نجم الأشوريون بالصعود وقد هزموا جيشاً ميتانياً حثياً مشتركاً، وقد زوج احدى بناته الى رعمسيس الثاني وسافر الى مصر في زيارة ملكية حوالي [١٢٦٧] وهذه حادثة لا سابقة لها. واخر ملوك دولة الحاث المركزية هو [تودخاليا الرابع] وفي عهده هاجمت شعوب البحر اليونانية بلاد الأناضول واستولت عليها وقضت على الدولة الحثية المركزية .

وذلك حوالي العام [١٢٠٠] ق.م وشعوب البحر هؤلاء هم الآخيون اليونان وغيرهم كالفريجيين والداندار وسواهم .

وقد ساهم الآشـــوريون في القضـــاء على الدولـــة الحثيـــة مساهمة كبـــرى ففي عام [١٢٧٠] ق.م صار [تيغلات فلاصر] ملكاً على آشور فاخضع قبائل [موسقايا] ثم احتل بلـــدة [سريري] مركـــز أياله [قوموزه ن] في حوض الفرات الأعلى، كذلك احتل اياله [قوموغ] ومركزها قرقميش واخضع بلاد كردستان الحالية، وقضى على الدويلات السورية وغزا بلاد الحثيين .

وأصبحت بلاد الأناضول الوسطى تسمى فريجيا ومن ثم [كاپادوكيا] وانتشرت المستعمرات اليونانية على سواحل آسيا الصغرى مثل [ميسبه ـ ليديا ـ كاريا ـ ليكيكا ـ كيليا ـ بافلاغونيا] وغيرها .

وساهم المصريون في هذا الحدث في عهد رعمسيس الثالث الذي استولى على سوريا حتى جبال طوروس . (تاريخ العالم المجلد الثاني ص ٨ و ٢٢) .

الحثيون الجدد

تشكلت في الآرارات دويلات حثية صغيرة اهمها دولة الاورارطؤ ودولة نايري. الاورارطؤ اصبح لها كيان قوي مدة من الزمن، ولكن الملك الآشوري [سلما نصر الثاني] الذي حكم في الفترة [٨٥٩ - ٨٢٥] ق.م قضى عليها واستولى عاصمتها [ارسكا] في حوض نهر الرس ومن ثم استولى على بلاد [تسوخي] اما في سوريا فقد تشكلت فيها ١٢ دويلة حاثية اهمها قرقميش = جرابلس وحامات = حماه وقد قضى عليهم الآشوريون .

وكانت ميديا الفارسية دولة ناشئة جنوب ايران وجبال زاغروس فاحتلوا بلاد النائريين.

الثقافة الحثية

أظهرت المكتشفات الأثرية انه كان للحثيين حضارة مزدهرة تفوق مثيلاتها في عصرها، وهم أول من استخدم معدن الحديد في الصناعة، وان فرعون مصر طلب من الملك الحثي ارسال سيوف حديدية فأرسل له سفينة ملأى منها، وقد انتشرت هذه الصناعة عنهم الى العالم وعلى من يريد المزيد من التفاصيل عن تاريخ الحثيين وحضارتهم عليه مراجعة التواريخ العامة.

العلاقات القديمة بين الحثيين والقفقاس

ورد في كتاب قصة الحضارة الجزء الثاني . صفحة ٣٢ ما يلي :

وكان الحثيون من اقوى الشعوب الهندوربية القديمة ومن اكثرها حضارة، واكبر الظن انهم جاؤوا عن طرق البوسفور والهلسبنت (الدردنيل] وبحر ايجه، او عن طريق القفقاس .

وكانت لغتهم تنتمي في اكثر الفاظها الى أسرة اللغات الهند أوربية وهي في اشتقاقها وتصريفها شديدة الشبه باللغة اللاتينية واليونانية، ومن كلماتها البسيطة ماهو ظاهر القرابة للكلمات الانكليزية .

وكان للحثيين خط تصويري يكتبون سطراًمن الشمال الى اليمين والسطر الذي يليه من اليمين الى الشمال وهكذا دواليك، ولقد أخذوا فيما بعد الخط المسماري عن السومريين وعلموا اهل كريت صنع الألواح الطينية ليكتبوا عليها .

ويظهر انهم اختلطوا بالعبرانيين اختلاطاً شديداً اكسب هؤلاء انفهم الاقنى الشديد القنا.

ومن كتاب [قفقاسيا في التاريخ] نورد الدراسة التالية :

لدى تدقيق الأثار الحثية تبين لنا انها تبتدىء من الدور النحاسي؛ فأين كانوا قبل ذلك؟! والى اية شعبة من شعوب الكاس ينتمون ؟! (*)

(*) لقد سبق الحاليون الحثيين في إنشاء المملكة الأولى ثم امتزجوا معاً واللغة الحالية من اللغات القفقاسية وكثيرة الشبه باللغة الشركسية السائدة في شمال غرب القفقاس (راجع الأناضول القديمة إذا شئت) .

الآثار التاريخية ـ اكثف الأثار الحثية وجدت في منطقة قوس نهر قيزيل ايرماق وهي توحي بالمشابهة مع آثار جنوب وشمال القفقاس خاصة حوض نهر القوبان، وان الخنجر [قاما]ذو القبضة الذهبية الذي عثر عليه في [آلاجاهيوك] يشابه ويمثل تماماً ما وجد في مايكوب وتريالتي، كذلك القاما المذهب الذي وجد في وادي الرافدين ن آثار سومر؛ وذلك دليل على وحدة هذه المدنيات ووجود روابط الصلة والقرابة ين أصحابها .

ولو دققنا رمز تمثال النصر الذي اقامه الملك الحثي الثاني [آنيتاش] لاستجلب انتباهنا دعم إله البرق بأله الجبال الشاهقة وتشابه سلسلة الجبال المرسومة في الصفيحة التي عثر عليها في مايكوب؛ ومعلوم ان الجراكسة كانوا يعبدون إله البرق ويهابونه، ولاتزال الى اليوم بعض عقائدهم تشير الى ذلك [1]

هذا وان ما اكتشف في موقع [قاراز] في الشمال الشرقي من ارضروم يحمل آثار هذه العلاقة ين الحثيين والقفقاسيين .

ومما لا شك فيه وجود علاقة وثيقة ين حضارة آسيا الصغرى وحضارة وادي الرافدين كما مر بنا سابقاً، وعلى ذلك نتوصل الى القول ان هذه الحضارات الثلاث ذات علاقة ببعضها البعض وتستقي من منبع واحد .

ولقد توصل المؤرخ الفرنسي مورغان بعد تدقيق القبور والآثار الحثية الموجودة في مصر والمحفوظة في متاحفها حتى اليوم الى الحكم بوجود مشابهة قوية في سيماء الوجوه بينها وبين القفقاسيين الحاليين، ويتابع كتابته عن مظهرالحثيين بقوله :

من الواضح للعيان المشابهة الموجودة ين مظاهر الحثيين ومظاهر الجراكسة حالياً، مثلاً يغطي الحثيون رؤوسهم بقبعات من جلد الخراف، ويلبسون اردية طويلة تصل الى أسفل الركبة واحياناًالى الكعبين، مختصرة في الوسط، ومشدودة بحزام وقد علق بها من الأمام سيف قصير [قاما] كما ويتسترون ايضاً برداء طويل يعلق على الكتف بعقدة واحدة من جانب، وهو مفتوح على طوله، اما أحذيتهم وجزماتهم التي يحتذونها فذات بوز معكوف الى الأعلى.

والحثيون يحملون الرمح ويركبون الخيل، والمشاهد انهم يتركون في قمة الرأس قبضة من الشعر الطويل ويحلقون ماعداها.

---

(١) ـ يعتقد الجراكسة ان البرق ينطلق احياناً الى داخل البيوت فيعدم او يختطف من بداخله وعشيرة [ونه روه] من قبيلة الآبزاخ . يستمطر الجراكسة في سني المحل بإلقاء بعض نسائهم في النهر من قبل النساء. ومعنى [ونه روه] الذي ينطلق الى داخل البيت.

فهذه الأوصاف المذكورة ما هي الا وصف اللباس الجركسي المستعمل في هذا الوقت، وهذا يدل بقوة على الرابطة بين الشعبين.

يشاهد في آثـــار الحثيين استعمـــالهم البيـــوت المتنقلة على العجلات والتي تجرها الخيل أو الثيران المتعددة ، والجراكسة كانوا يستعملون هذه البيوت المتنقلة حتى الأيام الأخيرة، وكذلك العجلات (الدواليب) الخشبية الصماء القديمة .

وقد حدثتني جدتي أنها شاهدت مثل تلك البيوت ودخلت إليها لدى سردها حادثة زفة عروس لجيران لهم ، وذلك بعد عام ١٨٧٠م .

اللغة الحثية : من المتفق عليه ان الحثيين كانوا يتكلمون لغة [قانه ش] وكانوا يكتبونها، ولكن رموز هذه الكتابة لم تحل بعد.

١ ـ اللغة الحثية ثابت انها تركيبية، واللغة الجركسية أبرز مثال للغات التركيبية .

٢ ـ لوحظ تحرك آخر حرف في الكلمات الحثية، وهذا يشابه اللغة الجركسية تماماً .

٣ ـ اظهرت الاكتشافات الأثرية في الجنوب، وجود مشابهة كبيرة بين الحروف والعلامات التي تستعملها البيوتات الجركسية لدمغ الحيوانات الخاصة بها ويسمى [تامغة] .

٤ ـ يـلاحظ ان دخول الحثيين الى مملكة [قابادوكيا] في الأناضول ليس حادثاً عارضاً وانما جرى في الفترة التي اشتدت فيها هجرة الكاسيين الى خارج القفقاس في الزمن مابين [٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠] سنة قبل الميلاد .

٥ ـ استنتج من الآثار التي وجدت في [تريالتي] بجوار تفليس عاصمة جيورجيا مايلي:

آ ـ وجود قرابة بين لغة الأوراطؤ واللغة الحورية [حرّى] وهما دولتان في الحوض الأعلى لدجلة والفرات، وفي نفس الوقت وجود قرابة بين لغة الحوري ولغة الهكسوس الذين احتلوا مصر لفترة من الزمن .

ب ـ تفيد الابحاث الجارية على اللغات القفقاسية (في جنوب القفقاس) وجود مشابهة قوية بينها وبين لغات أقوام [آلام أو عيلام ـ الحوريين الشرقيين ـ الميتاني] من شعوب يافث القديمة.

وبموجب هذه المعلومات فأنه يمكننا القول، ان القفقاسيين والأورارطؤيين والحثيين والعيلاميين وكاسيو الأناضول وسومر يشكلون الجامعة اليافثية . (لقد امتزجت اللغة الحاثية ـ الكاسية باللغات الحثية وأخذت الأخيرة منها كثرة من المفردات المتعلقة بالأمور المعاشية والأساطير والطقوس الدينية) .

ويقول أحد المؤرخين الغربيين:

" كما أن الجراكسة يمثلون عنصراً قفقاسياً قام بدور هام في جنوب الروسيا زمن"

" ماقبل الآريين، كذلك عنصر الكرج، فقد خلقوا نفوذاً وتأثيراً على آسيا الصغرى وخاصة

الحثيون منهم، وهؤلاء تسببوا في نمو وازدهار المدنية في اواسط الاناضول وعلى ذلك فالوضع الاجتماعي في آسيا الصغرى كان نتيجة ما تحصّل من اختلاط الأقوام وتأثيرها على بعض."

وفي القوقاز بعض قبائل تلحق بأواخر اسمائها تاء مفتوحة تدل في اللغة الجركسية على ان الاسم المذكور هو لأب القبيلة مثل [سرست ـ إيرت ـ ايمرت ـ كركت ـ جيكت ـ أوست = آستين ـ كيست= جاجان ـ قبرت = قبرتاي] .

وقبيلة القبرتاي الجركسية بشبه جزيرة القرم معروفة فقد نزحوا منها بعد استيلاء التتار عليها، وهم في الحقيقة من بقايا الكيمريين هناك، واسمهم قبرت = كيمرت والفرق هو قلب الميم الى باء، وهذا كثير الحدوث في جميع اللغات لتقارب الحرف فمثلاً يقول البعض [قومان] بدلاً من [قوبان] كما ان الحاق الياء الساكنة في آخر الاسم يدل على الموطن وقولنا [قبرتي] يعني موطن القبرت وكما في كلمات آدغه ي = موطن الآدغه، وحاته يْ = موطن الحات .

ولقد ذكر [مالاطابرون] في المقالة ١٢ من مؤلفه المشهور نقلاً عن الأخرين ان قبيلة قنبرت هم الكيمريون، وذلك لايترك مجالاً لأية ريبة .

وقد جاء في بحث [الحثيون والكيمريون] في كتاب [تاريخ القوقاز] تأليف مت عزت باشا صفحة ١٢١ مايلي:

ورد في تاريخ مورغان المجلد الثاني صفحة ١١ مايلي:

كان الكيمريون يسكنون قفقاسيا بالذات وساحلي بحر ماؤوت [بحر آزاق] من آلاف السنين وقد استولوا في قديم الزمان وبعد حروب كثيرة على آسيا الصغرى، ولهم في ذلك وقائع مذكورة في كتاب سترابون . انتهى .

يتضح من ذلك ان تاريخ الكيمريين ونسلهم الحثيين واعقابهم واحد لدى هذا المؤرخ القديم، خصوصاً إذا علمنا مما كتبه سترابون ان الكيمريين كانوا عند فتوحاتهم في آسيا الصغرى يعملون تحت النفوذ الحثي وإمرته، مثال ذلك مدينة [سارده] التي كانت عاصمة حكومة [ليديا] استولى عليها الكيمريون مرتين، الأولى سنة [١٠٧٧] ق.م كما هو وارد في كتاب [كللستين] حفيد ارسطاطاليس الفيلسوف اليوناني والثانية في عام [٦٩٥] ق.م، بعد غزوة الاسكيت، والتي بسببها انتحر [سيدياس] ملك سارده بالسم .

يقول مورغان : ان بعض الكيمريين لجأوا الى شبه جزيرة القرم أمام ضغط قوم الاسكيت وبقوا فيها، وانقسموا فيما بعد الى أقسام، رجع قسم منهم الى جهات الشمال وهاجر قسم آخر الى مصب نهر الدانوب، ورحل مارأبتراقيا حتى وصل الى بلاد ليديا واستولى عليها، فهؤلاء الكيميريون ماهم الا الحثيون الذين استولوا على ليديا إبان توسعهم غرباً حتى [إزمير] الحالية (الجزء الثاني ص ١٧٧) .

وانما نعتهم بالكيمريين لأنه على مايدو كان يعلم يقيناً ان الحثيين كيمريون .

وللعلامة الفرنساوي مورغان اكبر الفضل في دراسة منشأ الحثيين وأصلهم فقد أظهر للعالم بعد البحث العلمي الدقيق في كتابه - [تاريخ ومنشأ أمم القفقاس] ان الحثيين هم أجداد الجراكسة، وان باقي الأمم كانت ضمن الاتحاد الامبراطوري لحكومات الحثيين هم أجداد القبائل الأخرى القفقاسية الحالية .

وعلى سبيل المثال يذكر المؤرخ المذكور في الجزء الثاني (ص٩٣) مايلي:

القوموق: كانوا ضمن شعوب قفقاسيا العظيمة التي استولت على آسيا الصغرى ومابين النهرين وسوريا وماحولها وكانوا قبل ذلك شعباً كبيراً يقطنون جهات كيليكية وسهول اضنة الشمالية، لقد شكلوا حكومة عظيمة وكانت لهم ممتلكات واسعة وظهر منهم ملوك كثيرون، ولهم مع الآشوريين حروب عديدة .

ولما اشتد الضغط على الحثيين ومن معهم من امم القفقاس وابتدؤا بالتقهقر أمام أعدائهم الكثيرين، جلى القوموق معهم حتى انسحبوا تدريجياً الى قفقاسيا [ولعله يعني بهذا الكلام فصيلة قوموغ او قوموزين الحاثية] .

وكلمة [قومة] معناها باللغة الجركسية ضخم = كبير وقوموق = ابن قومه.

ولايوجد دليل علمي يثبت عكس هذه النظرية، وعليه فالقوموق الحاليون في الداغستان هم من أحفاد هؤلاء .

وكذلك يقول مورغان عن قبيلة سان مايلي : (نقلاً عن تاريخ القوقاز لمت عزت باشا)

إن القبائل التي كانت موجودة بجهات طرابزون وفي الجهة الجنوبية من الأناضول في عهد الحثيين، كانت معروفة بإسم [آبائيت] و[سان] وهي لاتخرج عن كونها جركسية، وما هي الا بقايا امة السومريين التي استوطنت الأناضول . لعلها الأمة الكيمرية .

وقبيلة [زان = زانة] من القبائل المشهورة قديماً وبقاياها الى اليوم فيما بين قبيلة الابزاخ الجركسية، ولا يبعد أنّ اسم [جانيك] الذي يطلق اليوم على قسم من ساحل البحر الأسود ابتداء من صامسون الى طرابزون مأخوذة من اسم قبيلة جان المذكورة .

ومعنى كلمة [آبابيت] باللغة الجركسيةهو [المقدم] السائر بالأمام .

اللغة الحثية: أظهرت الدراسات انه كان للحثيين لغات عدة مختلفة حددها بعضهم بسبعة لغات أو أكثر ومن اهمها لغة [قانش] وإن كان لهم أكثر من ثلاثين كتابة .

وان العلماء العاملين في حل رموز الكتابات الموجودة على الأثار الحثية يقرون إنها محررة بلغة قفقاسية، ولم يستطيعوا إثبات نسبتها إلى أية لهجة أو لغة في القوقاز .

وكتابة الحثيين عبارة عن أشكال ورموز كرؤوس الآدميين والحيوانات وأيديهم وارجلهم وسيوف ورماح وقسي، وللبدء في قراءة هذه الطلاسم كانوا يبدأون من الجهة التي تكون العين

ناظرة اليها، ومع ذلك فأن هذه النظرية كانت تخطىء أحياناً ولاتنطبق على كتاباتهم، وقد عثر على خمس وثلاثين كتابة لهم، وهم أكثر من نشر وعمم الكتابة الهيروغليفية في آسيا الصغرى .

وأكثر هذه الكتابات عثر عليها بجهات وان ويوغازكوي، ولقد وجدت جملة كتابات بلسان الحثيين مكتوبة بالخط المسماري، ويفهم من ذلك أنهم اختاروا هذا الخط وادخلوه في كتاباتهم واستمروا في استعماله . (اللوفية ، النيسية ، الحثية ، الهيروغليفية الحثية ، البالائية ، الليكية ، الليدية ، الحاثية) .

ونلاحظ هنا ان اللغات الجركسية الحالية هي سبع لغات [الآبخاز ـ الآديكة ـ الجاجان ـ اللزكي ـ الداغستان ـ اللغة السفانية] هذا عدا عن اللغات الكثيرة التي تتكلم بها طوائف قليلة منتشرة على سفوح الجبال . (قفقاسيا في التاريخ لاسماعيل برقوق) .

تحليل وتأويل بعض الأسماء الحثية باللغة الجركسية

١ ـ ثمه شؤب: اسم اله حثي ومعناه الصريح باللغة الجركسية [الأله الردىء] ولعله اله الشر أو اله الحرب ـ ثمه = اله، شؤ =جيد الباء في الأخير للنفي(*) .

٢ ـ حت ـ حات : وهو الاسم القومي للحثيين ولنلاحظ الحاق التاء المفتوحة في أخره.

حاتقواي اسم لقبيلة جركسية كبيرة ومعناه [منشأ الحات]

حتقوه اسم لعشيرة من الآبزاخ ومعناه ابن حت .

٣ ـ تسوخي ـ قبيلة حثية كانوا عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات، ومن قبل كانوا حوالي مدينة بابل ـ والمعنى الصريح لهذه الكلمة باللغة الجركسية هو [انسان] .

٤ ـ كاسخى ـ قاسوخي: قبيلة حثية ، لعلها قبيلة الشابسوغ الجركسية التي كانت تسمى قديماً قاسوغي = قاسوغ .

٥ ـ كاسحي ـ موسحى: قبائل حثية، ويشبه هذا اسم القبيلة الكرجية موشقى = مشخ

٦ ـ كيرقاش ـ قبيلة حثية، لعلها محرفة عن كيركاس .

٧ ـ ليك ـ قبيلة حثية، وليك هو الاسم الخاص القومي حالياً للداغستان .

٨ ـ حوري ـ قبيلة حثية، وفي الشابسوغ عشيرة حاغور وبين الكلمتين مشابهة .

---

* (وربما يخ اللاتينية وفي هذه الحالة تعني الكلمة شؤبه " ذو الوجه الخير ، أو السعادة أمامه ، أو بداية السعادة) .

ومن اسماء الملوك والمواقع الحثية:

٩ - بيتحـاناش - الملك المـؤسس للدولـــة الحثيـة - ومقطع حاناش معناه باللغة الجركسية [الكلب الأحول] فلعل الاسم [بيت] واللقب [حاناش] ولو لفظناها بتخاناش فيكون معناه [مزّقه الأحوال] واسم بتخه = مرقه دارج الاستعمال الى اليوم عند الجراكسة .

١٠ - لابرناش - ملك حثي - والمعنى لابر الأحول . (في الحاثية لابارنا) .

١١ - مارشيل - حاتوشيل - معناها بلدة [مار] وبلدة [حاتو] لان [شيل] معنى بلدة

١٢ - ماؤ زير - ملك حثي ومعناه ماؤ الأول [زى = واحد، زير = الواحد] .

واسم ماو مماو دارج الاستعمال الى اليوم.

١٣ - ماؤطؤر - ملك حثي، ومعناه ماؤ الثاني [طؤى = اثنين] .

١٤ - آنيتتاش - ملك حثي ، وهذه الكلمة ترد في اسطورة جركسية قديمة اسماً لدرع منسوج من زرد الحديد وانه كان مثار حوادث كثيرة .

١٥ - طؤابسين - ومعناه النبع المزدوج أو البئر المزدوج .

١٦ - تحابسين - ومعناه بئر الاله . تح = اله . بسين = منبع = بئر .

١٧ - حاتوشاش - عشيرة شاش وشاشئه موجودة بين الجراكسة حالياً (في الحاثية حاتوشه) .

١٨ - شاسي - حاتي - اسماء عشائر جركسية موجودة حالياً .

١٩ - حاتوي : اسم بلدة جركسية في القفقاس ومعناها موطن الحات .

٢٠ - نه شاش - العين الحولاء كثيراً .

الاله ايستارته = ايسطارطه كان معبوداً للسومريين والفينيقيين وغيرهم مثل عشتروت وغيرها وقد وجدت لها اثار عدة في مدافن القوبان .

الآشوريون

في حوالي عام [٢٥٠٠] قبل الميلاد جاء الاشوريون الى شمال العراق واختلطوا بالآكديين ثم استقـروا في الشمال وجعلـوا أرض آشـور وطنـاً لهم، وكانـت عاصمتهم بلـدة [كالخ] وفي عهد الملك سنحاريب توسعت بلدة [نينوى] ثم اصبحت عاصمة آشور.

وفي هذا العهد ايضاً وفدت قبيلة [كلده] العمورية الى بلاد آكد وسومر ثم انحدرت الى الجنوب وقطنت منطقة المستنقعات، وقد استولت فيما بعد على بابل وشكلت الدولة الكلدانية فيها.

تأسست الدولة الآشورية حوالي سنة [٢٠٠٠] ق.م وأول ملوكهم [شمسي رمان]

وفي حوالي عام [١٥٧٠] ق.م تصادق ملوك آشور وزنكره مع تحوتمس الثالث فرعون مصر

وفي حوالي عام [١٥٠٢] ق.م استقل الملك [آثور - بل - نيشه شو] ببلاد آشور وعقد معاهدة صداقة مع الكاسيين وبذلك تغلب على الكلدانيين .

الملك سلما نصر الأول توسع شمالاً حتى [ديار بكر] وحارب الآراميين في سورية.
الملك تيغلات فلاصر الأول . هاجمت في عهده قبائل [موسقايا] التي تسكن بجوار جبل [مازيوس] في عام [١٠٢٠] ق.م مناطق [قوموع =قومو ز ه ن] جنوب كاركاميش فحاربهم تيغلات فلاصر واستولى على عاصمتهم [سربري] واستولى شمالاً على كردستان وارمينيا واستولى على بلدان قووركية وقاريا واحرقها كما استولى على نايري، ثم اكتسح مملكة آرام [سورية] واستولى على لبنان، ثم استولى على بابل وآبيس، ثم غزا بلاد الحثيين في الشمال .
الملك آشور ناصربال الثاني - ٨٨٤ - ٨٥٩ ق.م في عهده كانت المملكة الحثية في الأناضول قد زالت تماماً بسبب استيلاء القبائل اليونانية والفريجية عليها ، وقد اصبحت عاصمتها داخله في مملكة قابادوكيا اليونانية وتكونت في اراضيها مملكة ليديا الفريجية؛ اما في الشمال فقد زالت اسماء [ميتان - حرى - غالس] وقامت في جبال آرارات دولة الأورارطؤ والى الشمال الشرقي دولة [نايري] على حدود أرمينيا عند منابع النهر .
الملك شلما نصر الثاني - ٨٥٩ - ٨٢٥ ق.م قضى على الدويلات الحثية في سورية وحارب [آرامي] ملك اورارطؤ وغلبه واتجه الى العاصمة ارسكا، وحارب ملك أرمينيا [سيدوري] فلم يوفق تماماً، ولكنه استولى على بلاد [تسوخي] وفي عام ٨٤٢ ق.م استولى على بلاد [تابال] وقضى على ملكها، كما اخضع اسرائيل. الملك تيغلات فلاصر الرابع ٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م تغلب على حلف نظمه سارديوس ملك الأورارطو، كما استولى على دمشق وصور واسرائيل، وكيليكيا وقابادوليا في الأناضول .
الملك سناخريب ٧٠٥ - ٦٨٠ ق.م استسلم له ملك القدس حزقيا واخذ من اليهود ٢٠٠٠٠٠ أسير وغزا بابل عام ٦٩٤ ق.م وخربها وجعل عاليها سافلها .
الملك آسارحادون ٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م في عام ٦٧١ ق.م استولى على مصر وعين [ناخو = نخاو] الليبي حاكماً على مصر .
الملك آشور بانيبال ٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م هزم في مصر حلفاً من ناخو و طهراقه ولكنه عفا عن ناخو عين ابنه [أبسماتيك] حاكماً على مصر .
وفي خاتمة عهده اجتاحت قبائل الاسكوذ الهمجية بلاد آشور وانهكت قواها ولم يسلم من تدميرهم الا المدن المحصنة .
و بعد اربعة عشر عاماً من موت هذا الملك حوالي [٦١٠]ق.م قضى على دولة آشور نهائياً حلف من [نابوبولصر] ملك بابل و [سياجرازنس] ملك ميديا، وقد هلك آخر ملوك آشور [سن . شا . شكون]في حريق نينوى.

الكلدانيون

ظهر في قبيلة كلده في جنوب سومر ملك يدعى [ايلو ايلوما] الذي وسع سلطانه على حساب جيرانه ثم ظهر الملك [نبوبلاصر] فاستولى على بابل وجعلها عاصمة ملكه.

وقد تحارب الآشوريون والكلدانيون كثيراً واحتل الآشوريون بلدة بابل مراراً واخرجوا منها مراراً، وفي عهد الملك الكلداني [نبوبلاصر] تعرضت بلاد آشور للغزوة السكوذية المدمرة فاتفق مع ملك ميديا وقضيا على دولة آشور قضاء مبرماً في الفترة ما بين ٦١٢ - ٦٠٦ق.م

الملك بختنصر . ٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م من اشهر ملوك الكلدان - حارب جيوش نخاو بن ابسماتيك ملك مصر وقهرها واستولى على سوريا وفلسطين، واغتصب اورشليم واخذ من اليهود سبعين ألفاً من الأسرى الى بابل . وهو باني برج بابل المشهور بالجنائن المعلقة .

وبعد ست سنوات من موت بختنصر استولى على الملك [نابونيدس] .

وفي عام [٥٣٩] ق.م احتل ملك ميديا الفارسي [كيخسرو] الثاني على بلاد الرافدين واستولى على بلدة بابل. وتلك كانت نهاية الدولة الكلدانية .

* * *

أرجو الانتباه الى ماورد من أسماء المواقع والقبائل في بحث الآشوريين ففي بحث قادم حديث عنها في تاريخ ارمينيا وكرجستان والبانيا القفقاسية.

* * *

الأورار طؤيون (بوبوك تاريخ عمومي المجلد الأول ص ٣٦٤)

كان الآشوريون يسمون منطقة جبال آرارات [اورارطؤ] أما بني اسارئيل فيسمونها [آرارات] وفي هذه المنطقة كان يستوطن قوم يقال لهم [هالدي] من بقايا الحثيين، وقد علم ان هؤلاء الهالدي كانوا يتكلمون لغة لاهي سامية، ولاهي هندية آرية، وإنما كانت لغتهم تشابه الكرج واللاز وقد سماهم هيرودوت [آلاروت] .

وكان مقرهم بلدة [طوشبا] اي بلدة "وان" الحالية، وكانوا طوال الاجسام جميلين ومتيني البنية؛ وكانوا يسمون معبودهم [هالدي] ويعبدون الشمس والقمر .

والمنطقة التي سميت اورارتو تحوي ما كان يسمى حرى ونايري وكسكه او مايسمى أرمينيا حالياً، وهم ينتسبون الى [كاس الألبيين] من شعوب ما قبل الآريين .

(لقد تبين بالتحليل اللغوي والدراسات الحديثة أن هذه اللغة تشابه اللغة الحورية ولها قرابة لغوية شديدة مع اللغة الشيشانية) .

ولغة أورارتو تقارب اللغة الحثية ولعلها شعبة منها، وكانت دولة اتحادية مثل الدولة الحثية،

ولعل هالدي اسم القبيلة المسكة بقيادة الحكم بينها (خالدي اسم إله) .
وكانت تجاورها من الشرق دولة [ميديا] الناشئة ومن الجنوب دولة آشور القوية وبعد مضي عصر من الزمن على اضمحلال الدولة الحثية، اي حوالي عام [١٠٨٢] قبل الميلاد ظهرت [اورارطؤ] كدولة ذات كيان وبذلك دخل اسمها في التاريخ .
ولعل الحاثيون الذين التجأوا الى هذه المنطقة، كانوا السبب في رقي هذا الشعب وتكتله وأخذه بنظام تشكيل الدولة .

تكون الدولة الأورارطؤية

كانت عاصمتهم الأولى [آزاشكون] ومن المحتمل ان هذا الاسم يعني القبيلة الحاكمة آنذاك واول من عرف من ملوكهم هو [آرانيه = لوتيبريس] ثم اعقبه [ساردور] الأول ومن أهم ملوكهم:

آرغيستيس الأول: وفي عهده تعرضت آشور للضعف بعد موت ملكها [شلما نصر الثالث] فاستغل هذا الملك الفرصة ووسع حدود مملكته حتى صارت تشمل الرقعة التي تصل شرقاً الى بحيرة [اورومية] ومن الشمال حتى [تومرو] ومن الغرب حتى [دياربكر] ومن الجنوب وراء جبال زاغروس وتلك كانت ازهى حقب هذه الدولة .
الملك مه رو آس : ملك اصبحت بلدة توشبا عامرة جداً في عهده .
الملك ساردور الثالث: نقلت العاصمة في عهده الى بلدة توشبا وابتدأ الآشوريون بالتعرض لمملكته، ولكنه غلب على أمره عام [٧٤٣] قبل الميلاد فضعفت الدولة وداخلها الانحلال.
وزاد الطين بلة تدفق سيل قبائل الاسكيت وتخريبها وحرقها المدن والقرى مما اوهى العزائم وسبب الفوضى في المنطقة كلها .
وصادف هذا الزمن فترة توسع الميديين في اعقاب غزوة الاسكيت الجارفة، فلقد استفاد ملكهم [كي آخسار] من الوضع وراح على آثار السيت يستولي على البلاد التي انهكوها حتى احتل شمالاً منطقة اذربيجان الحالية حوالي عام [٥٨٤ ق.م واقتطعها من دولة اورارطؤ.
وفي الفترة بين [٥٨٠ - ٥٦٠] ق.م وكانت ميديا الفارسية والكلدانيون البابليون قد تحالفا وقضيا على دولة آشور واقتسما أملاكها، فراحا يهاجمان اورارطؤ، ميديا من الشرق والكلدان من الجنوب، فدب الضعف في الدولة الاورارطؤية وفقدت كيانها شيئاً فشيئاً ثم لم يعد لها ذكر في التواريخ منذ التوسع الفارسي .
إن آثار الأورارتيين تدل على انهم كانوا أصحاب نهضة خاصة بهم ثم تأثروا بالحضارة الآشورية، وكتاباتهم التي أمكن قراءتها هي ماكتب بالخط المسماري الآشوري، ولكن معانيها غير مفهومة لحد الآن، لأن لغة القوم لم تكن معروفة بعد .
جاء في كتاب تاريخ العالم المجلد صفحة ١٧٨ مايلي:

وفي عام ٧٠٧ ق.م واجه أرغيستيس فتنة قامت بها جموع السيمريين ودارت عليه الدائرة. وفي سنة [٧٠٥ ق.م] سقط سرجون الآشوري نفسه قتيلاً في معركة لعلها كانت مع هذه الجموع نفسها.

ولقد انكفأ سيل السيمريين غرباً على [متيا] صاحب [موشكي] وقضوا عليه.

★ ★ ★

الحضارة الهندية وعلاقتها بالقفقاس

فيما يلي مقتطفات من كتاب [قصة الحضارة] تأليف ول ديورانت ترجمة الدكتور زكي محمود جاء في الجزء الثالث من المجلد الأول الصفحات ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ بعنوان ـ الهند وجيرانها ـ مايلي:

البحث في آثار [موهنجو دارو] على الضفة الغربية من السند الأدنى، كما في آثار [هارابا] على بعد بضع مئات من الأميال، كشفت عن اربع مدن او خمس بعضها فوق بعض طبقات ومن العجيب ان الطبقات الدنيا من هذه الآثار ارفع في فنونها من الطبقات العليا.

ويؤيد [السير جون مارشال] مكتشف هذه الآثار قيام حياة مدنية بالغة في حوض السند والبنجاب ما بين [٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠] سنة قبل الميلاد، ووجود آبار وحمامات ونظام دقيق للصرف في كثير من المنازل يدل على حالة اجتماعية تساوي على الأقل ما وجد في سومر وتفوق ماكان سائداًفي العصر نفسه في بابل ومصر .

وبين الموجودات آنية منزلية وأدوات للزينة وخزف مطلي وبقايا طلاء وتماثيل من الخزف، وزهر النرد وشطرنج ونقود اقدم من اي نقود وجدت من قبل ، واكثر من الف خاتم معظمها محفور ومكتوب بكتابة تصويرية نجهلها، وحفر على الحجر أجود ما ظهر في سومر، واسلحة وادوات من النحاس، ونموذج نحاسي لعربة ذات عجلتين (وهي أقدم مالدينا من امثله للعربة ذات العجلات) وأساور واقراط وعقود وغيرها من الحلي المصنوع من الذهب والفضة بصناعة دقيقة جداً .

وتنهض الدلائل على ان موهنجودارو كانت في ذروتها حين شيد خوفو الهرم الأكبر وعلى انها كانت تتصل مع سومر وبابل بصلات تجارية وفنية ودينية .

ويعتقد السير مكدونلد ان هذه المدينة العجيبة قد استمدت اصولهامن سومر، وأما "هول" فيرى ان السومريين قد نقلوا ثقافتهم من الهند، ورأى [وولي] ان الثقافتين السومرية والهندية قد جاءتا معاً من أصل مشترك وثقافة مشتركة في بلوخستان أو بالقرب منها ولقد دهش الباحثون حين رأوا ان الاختام المتشابهة الموجودة في بابل وفي الهند ترجع الى اقدم مراحل الثقافة في أرض الجزيـرة [وادي الرافـدين] أي الى المرحلـة السابقة لسومر لكنها ترجع

الي آخر مرحلة من مراحل المدنية السندية، مما يدل على اسبقية الهند. ويميل [تشايلد] الى الأخذ بهذه النتيجة التالية:" عند نهاية الألف الرابع من السنين قبل الميلاد، تستطيع الثقافة المادية [ميدية الفارسية] في [أبيدوس] او [أور] السومرية أو [موهنجودارو] ان تثبت للمقارنة مع مثيلتها في أثينا أيام بركليز (٤٥٠ - ٤٣٠) ق.م ومع اية مدنية شئت من القرون الوسطى ... فهل جاء السومريون أنفسهم من السند .

الآريون في الهند

نقلاً عن كتاب [بويوك تاريخ عمومي] الصفحات [٤٢٤ - ٤٢٦]

حوالي فترة [٢٠٠٠] سنة قبل الميلاد جاءت شعبة من [الهندوجرمن] واجتازت نهرالسند وبعد حروب طويلة تمركزت حوالي نهر البنجاب، وفي ذلك الحين اطلق عليهم السكان الأصليون لقب [أريا] يعني الحاكم المحترم أو الشريف .

وكان في منابع نهر السند قبائل [صودرا - غوندا - بـــاربا] وفي شرق [دقـــان] قبيلـــة [تاميلا] وكلها كانت تعاديهم .

وكان الآريا يعملون في الزراعة وتربية المواشي خاصة الخيل والأبقار، فلما تكاثرعددهم توسعوا نحو الجنوب وحوالي عام ١٥٠٠ق.م كانوا قد انتشروا في جميع أنحاء السند.

والطبقات الاجتماعية لهم كانت:

١ - قيشاطريا = الحمر وهم المحاربون ، ٢ - فاي صيا = الصفر وهم المزارعون

٣ - صودرا = السود وهم السكان الأصليون ، ٤ - براهما = الداعّون (من الدعاء) وهم الكهنة ورجال الدين .

وأشهر الحكومات التي تشكلت في حوض نهر الغانج هي:

١ - حكومة ماغادا

٢ - حكومة قاس في بنارس

٣ - حكومة آنفال في ياولبور ،

٤ - حكومتا فريجي وميتلا في شمال الغانج

وجاء في الصفحة ٤٧٦ من المجلد الأول من كتاب تاريخ العالم مايلي:

نزلت قبائل آرية من جبال غرب بحر قزوين [جبال القفقاس] وهم اكثر تنظيماً وتماسكاً تسيطر عليهم أفكار أكثر دقة وصرامة الى منطقة اقل ملائمة من منازل غيرهم من المهاجرين الآريين الى اية بقعة اخرى من الهند، والآثار تدل على انهم حينما هبطوا الى السفوح والسهول العليا، اقاموا مراكز ادارية دائمة لهم حافظوا عليها، وزانوها بالعمل والصناعات التي كان يزاولها السكان الأصليون إذ يلوح ان شمال الهند كان على اتصال بالحضارة الشومرية في دلتا الفرات.

وتصادمت ثقافة الآريين القادمين هؤلاء بالحضارة القائمة هناك، وهؤلاء هم الذين شكلوا الحكومة الكاسية في مقاطعة بنارس الهندية.

ولنعد الآن الى متابعة معلوماتنا من كتاب [قصة الحضارة] الآنف الذكر.

قد نجد بعض الآلهة الفيديين الصميمين [الآريين في الهند] مثل [إندرا - مترا - فارونا] مذكورين في معاهدات عقدت بين الحثيين الآريين والميتانيين في بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكذلك نرى ان أحد الطقوس الفيدية الخالصة وهي شرب عصير [سوما] المقدس يظهر أيضاً عند الفرس في احتفالهم بشرب عصير [هوما] المقدس؛ مع ملاحظة ان حرف [س] في اللغة السنسكريتية الهندية يقابل حرف [هـ] في الفارسية، ومن هنا فأن كلمة [سوما] أصبحت [هوما] كما أصبحت كلمة [سندو] الهندية [هندو] عند الفارسيين. (المصدر السابق ص ٢٠) .

نستخلص من هذا الى ان الميتانيين والحثيين والكاسيين والسومريين والبكتريين والفرس والميديين والآريين الذين غزوا الهند، كانوا كلهم فروعاً من أصل [هندو أوربي] انتشر في الأرض من شواطىء بحر قزوين (بحر الخزر) .

فمن هم هؤلاء الآريون الذين كانوا يضربون في الأرض؟!

أما هم انفسهم فقد استعملوا كلمة [آري] ليعنوا بها الأشراف [في اللغة السنسكريتية] لكن ربما كان هذا الاشتقاق مبني على النزعة الوطنية .

ومن المرجح جداً ان يكونوا قد جاؤا من تلك المنطقة القزوينية التي كانوا بنوا أعمامهم من الفرس يسمونها [إيريانا فيجو] ومعناها الوطن الآري .

وفي نفس الوقت تقريباً الذي كان فيه الكاسيون (الآريون) يكتسحون بابل، كان الآريون الفيديون قد أخذوا يدخلون الهند .

وفي هذا الوقت تقريباً اكتسح الهكسوس بلاد مصر

وكان الآريون الفيديون لا يتزوجون من عشيرتهم الأدنين، كما لايزاوجون الهنود الدرافيديين او الناغا؛ وكان الدرافيديين يسمونهم [فاج] أي الفاجيين وانقسموا الى طبقات اعــلاها طبقة [الكشاترية] اي المحاربــون، ثم [البراهما] وهم الكهنــة، وكثيراً ما كان الكشاترا يعارضــون في زواج بنــاتهم من البراهما؛ والأدب البــوذي يذكــر ان البراهما من أصل وضيع.

وأما الطبقة الثالثة [الشودرا] فهم المزراعون، ثم طبقة [الفيزيا] وهم التجار الأحرار وأخيراً هناك طبقة [الباريا] أو المنبوذين .

على أن البــراهما ازداد نفــوذهم على مــدى الأجيــال حتى صاروا يعدون أنفسهم أرقى

الطبقات ولكن الكهنة البوذيين نافسوا البراهما على زعامتهم الدينية مدى ألف عام [1] (ص٢٠ - ٢٢) .

كان الزواج يتم بإغتصاب العروس من أهلها (الخطف) أو بشرائها (دفع المهر) أو بالاتفاق المتبادل بين أهل العروسين، ولكن هذا النوع الأخير كان ينظر اليه بعين النقد الى حد ما فقد ظن نساؤهم انه أشرف لهن ان يشترين وأن تدفع فيهن الأثمان[2] (ص ٢٨)

وإنه ممايزيد قدر المرأة أن يسرقها الزوج من أهلها، وكان تعدد الزوجات جائزاً. كذلك كان هناك تعدد الأزواج وتلك عادة منتشرة في الهند بين الدرافيديين في الجنوب والناغا القدما . وهم السكان الأصليون .

وكان للمرأة مقام حسن عندهم من حرية الزواج والعمل والدراسة، لكن هذه الحقوق بدأت، تضيق تأثراً من الأقوام المجاورة حتى صارت أخيراً تحرق مع زوجها .

ففي هذه المعلومات نجد بين سطورها إشارة الى علاقة القفقاس والشعب الكاسى بهنود الفيدا أو الآريين الذين تسلطوا على القسم الشمالي الغربي من الهند .وشكلوا فيها طبقة آريا الحاكمة، وبينهم الكاسيون الذين جاؤوا من جبال القفقاس غرب بحر قزوين واستقروا في مقاطعة بنارس وشكلوا فيها الحكومة الكاسية .(أي أن الهجرة إلى السند كانت من جموع آرية وقفقاسية) (كاسية) .

ولو انتبهنا إلى عاداتهم في الزواج وتفضيلهم خطف زوجاتهم، ثم اعطائهم للمرأة مقاماً حسناً وحرية في الزواج والعمل والدراسة لوجدناها تنطبق تماماً على العوائد الجركسية الأصلية حتى يومنا هذا .

الصينيون

نقلاً من كتاب [بويوك تاريخ عمومي] الصفحة ٤٥٣ من المجلد الأول:

يبدأ التاريخ الصيني حسب منقولاتهم من خمسة ملوك أولهم الذين نقلوا الصينين من الوحشية الى الحضـارة، وعلموهم الزراعـة وتربيـة الحيوانات، وقد حكموا في الفترة مابين [٣٣٤١ - ٣٢٢٧] سنة قبل الميلاد، ومنهم .

فوهي: وهو الذي وضع لهم النظام الأداري، وعلمهم الدين، وعلمهم صيد السمك، وتربية الغنم والخيل والكلاب .

---

(١) ظهور مذهب بوذا في (بنارس) عام (٥٠٠ق.م) وهو مذهب ديني أوجده الكشاترية وهو مذهب لا يفرق بين الناس ، ويقبل للتلمذه والكهانه أحقر الناس .

(٢) هذه الملاحظة مبالغة أوربية عن دفع المهور عند الزوراج ولكن ما قولهم في الدوطه التي تدفعها نساؤهم للعريس عند الزواج ؟! فالمرأة هنا تشتري زوجها؟! ...

شيل نونغ: علمهم الفلاحة والزراعة.

هوانغ - تي: (٢٦٩٧ - ٢٥٩٧) ق.م علمهم التعداد والحساب بالطريقة العشرية وحساب السنين والأشهر، وقسم البلاد الى عشرة أقاليم، وكل اقليم الى عشرة ولايات، وكان يلبس الملابس الصفراء، لذلك سمي الحاكم الأصفر [هوانغ تي]

جين ـ شي ـ هوانغ: من أشهر أباطـرة الصين، فهو الذي أنشأ سد الصين العظيم وطوله [٢٠٠٠ ألفان] كيلو متراً، على الحدود الشمالية والغربية لمملكته، لكي يدرأ عن شعبه غزوات المغول والأتراك الطورانيين الذين كانوا بدواً همجاً متوحشين لاهم لهم سوى الغزو والنهب والفتك والتدمير، وبعد موت هذا الامبراطور العظيم حدث انقلاب ثوري واستولى ال [هان] على دفة الحكم في الصين .

وكان الهم الأكبر لملوك أسرة هان تطهير البلاد من شرور وفساد القبائل الطورانية الهمجية وكانوا يسمونهم [هي يونغ نو] بمعنى الخادم الحقير أو الأسير الحقير .

مينغ - تي : قرر هذا الامبراطور في عام ٧٢ ق.م القيام بحملة حاسمة لتطهير البلاد من مفسديها الهيونغ نو وكان قائده العظيم [بان جاعو] قديراً في محاربة القبائل وتأديبهم، فحمل عليهم حملة كاسحة واستولى على [نان لو] وطرد الهيونغ نو من شمال الصين وهم قبائل [الهون] من المغول وتعقبهم حتى ساقهم غرباً خارج البلاد، ثم استدار الى الشمال الغربي والغرب وطهر بلاد التركسان من الهيونغ نو فيها وكذلك ساقهم الى الغرب خارج البلاد، وبذلك حفظت الصين حدودها جميعاً وأمنت اتصالاً مأمون العواقب بالعالم الغربي حتى بحيرة آرال وبلاد بارت في العجم .

كونفوشيوس: ولد عام ٥٥١ ق.م ومات عام ٤٧٩ ق.م وهو مؤسس مذهب كونفوشيوس في الصين.

البوذية: ولما سمع الصينيون بانتشار مذهب بوذا في الهند ارسل الامبراطور مينغ وفدا الى الهند لاستطلاع ماهية الديانة الجديدية، فعاد الوفد ومعه راهبان بوذيان. وهكذا انتشر مذهب بوذا في الصين اعتباراً من عام [٦٥] ق.م

إن حملة التطهير الكاسحة التي قام بها القائد [بان جاعو] هي التي دفعت قبائل الهان وغيرها من القبائل المغولية والتركية البدوية المتوحشة نحو الغرب. وقد تلتها موجات هجرات اخرى من تلك القبائل حتى القرون الوسطى؛ وتلك كانت سبباً في احداث هائلة وفظائع لا مثيل لها احاقت بالعالم المتمدن في آسيا الغربية واوربا؛ لأن هذه القبائل كانت تكتسح ما أمامها حاملة الموت والفتك والدمار والحرائق كما هو معروف في التاريخ .

وقد أثرت هذه الهجرات تأثيرات مباشرة وقوية على القفقاس وخاصة الجراكسة منهم، ساتعرض لبيانها في بحث قادم .

★ ★ ★

الحضارة الأيجية وبلاد اليونان

هذه المعلومات نقلاًعن كتاب قصة الحضارة ـ الجزء السابع . (ص١٣ و ٢٣ و ٢٥ و٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٤٢ و ٤٤)

نقصد بالحضارة الأيجية المدنية التي بزغت في سواحل بحر ايجه المعروف بهذا الاسم وأقدم هذه الحضارات المينوية ثم الحضارة المسينية في أرض بلاد اليونان ويسمى سكان اليونان القدماء البلاسج أو أمم البيلاز .

١ ـ الحضارة المينوية [٣٥٠٠ ـ ١٠٠٠] قبل الميلاد

ان مركز حضارة بحر ايجه هو جزيرة [كريت] وهي جزيرة تبلغ مساحتها قدر مساحة أكبر جزائر [السكلدينر] في بحر ايجه عشرين مرة؛ وجوها جميل، تنتج حقولها غلات مختلفة وتلالها كانت مغطاة قديماً بالغابات، وموقعها من أصلح المواقع للتجارة والحرب في البحر الأبيض المتوسط فهي في منتصف الطريق بين فينيقية وايطاليا ومصر وبلاد اليونان.

ولقد أشار [أرسطاطاليس] الى هذا الموقع الحسن وذكر أنه " هو الذي مكن [مينوس] من إقامة امبراطورية لها في بحر إيجه" .

ومينـوس الاسم القديم للجزيـرة واسم أشهر ملـوكها الذي تسمى حضـارتها بحضارة [ميكه ن] وقد دلت الآثار المكتشفة على أن العصر الحجري القديم لا وجود له في هذه الجزيرة أما العصر الحجري الحديث فقد وجدت آثاره بطبقات سميكة تحت الأرض، قدر بدايتها بحوالي عام [٩٠٠٠] قبل الميلاد .

و أقدم الطبقات النحاسية قدرت بدايتها بعام [٣٤٠٠] قبل الميلاد، وقد وجدت عندهم مصنوعات من الذهب والنحاس والبلور والمرمر والفضة وحليّ مزينة بالعقيق والجزع والجمشت واوان فخارية ومزهريات بديعة الصنع لهذا الطور الأول من الحضارة المينوية الهيلاوية والسيكلادرية المبكرة [٣٤٠٠ + ٣٠٠٠] ق.م

ولعل اسم [مينوس] لقب شبيه بأسم فرعون أو قيصر .

الدين: ربما كان الكريتي وحشياً قاسياً لكنه بلا شك متدين يتركب من مزيج بشري كامل من الفتيشية والخرافة من جهة، والمثالية وتعظيم الأرباب من جهة فهو يعبد الجبال والمغارات والعدد [٣] والأشجار والشمس والقمر والمعز والأغنام واليمام والثيران، وقلما يسلم شيء من عبادته؛ والهواء في اعتقاده مملوء بالأرواح الطيب منها والخبيث .

ولا يعبد عضو التذكير عبادة، كما يفعل اليونان، ولكنه يعظم ما في الثور والأفعى من قوة حيوية منتجة، كما أنه يصور لنفسه آلهة بشرية، أمّا ذات ثديين وجسم فارع الطول وأفاع تلتف حول ذراعيها وثدييها وتتدلى من رأسها وتصور أحياناً وهي تضم بين ذرعيها طفلاً

قدسياً هو [فلكانوس] الذي ولدته في مغارة جبلية .
وإذا تأملنا هذه الصورة القديمة نرى من خلالها ايزيس وحورس [مصر] واشتار وتموز[سومر] وسيبيل وأتيس [اليونان] وافروديني وأدونيس [الرومان] وأحسسنا بوحدة ثقافات ما قبل التاريخ، واتصال الآراء والرموز الدينية في عالم البحرالمتوسط بعضها ببعض.
ومن رموزهم الدينية القرون المقدسة والدرع والصليب والبلطة المزدوجة وهي أهمها.
والكريتيون يدفنون موتاهم في توابيت من الصلصال أو في جرار ضخمة كي لا يعودوا الى الدنيا، ويدفنون معهم دمى صغيرة لتخدمهم وبعض الأشياء الخاصة بالميت وكانوا يقدسون موتاهم بما يكاد يقرب من العبادة .
وقد استخدم الكريتيون الحروف اليونانية بعد غزو الدوريين اليونان لبلادهم حوالي عام [٥٠٠] ق.م ولكنهم استخدموها لتدوين كلمات تختلف كل الاختلاف عن اللغة اليونانية المعروفة، واقرب منها شبهاً بلغات الشرق الأدنى المصرية والقبرصية والحبشية والأناضولية (الحاثية والكاسكية) ولغات شرق وغرب القفقاس الشمالي .
وقد اقتصر في اقدم العصور على الرموز التصويرية، ثم بدأ حوالي عام [١٨٠٠] ق.م يختصر هذه الرموز الى نحو تسعين علامة مقطعية، وبعد مائتي عام من ذلك الوقت استنبط نوعاً آخر من الكتابة التي تشبه علاماته الحروف الهجائية الفينيقية .
ولعل الفينيقيين قد جمعوا منه ومن المصريين والساميين تلك الحروف التي نشروها فيما بعد في جميع البلاد المطلة على البحر المتوسط، والتي أصبحت الأداة الفعالة في الحضارة الغربية.
وكان فن العمارة متقدماً عندهم تتجلى في تلك القصور الضخمة المتسعة المنسقة التي بنوها لملوكهم، وفيها القاعات، والحجرات والحمامات، ومجاري لتصريف المياه .
إن الأثار الكريتية تدل على أن الحضارة المينوية قد أخذت من الحضارة الشرقية والأناضولية والمصرية ولكنها ارتقت بها وطبعتها بطابعها الخاص؛ وبفضل حكمها ساد النظام في الجزائر المجاورة لها، وانتشرت مصنوعاتها وفنونها الى جزائر سكلديس وعمت قبرص ووصلت الى كاريا وفلسطين ووصلت الى آسيا الصغرى وطروادة، وعمت بلاد اليونان حتى تساليا، وانتشرت غرباً إلى ايطاليا واسبانيا .
وفي عام ١٤٥٠ق.م دمر قصر [فستوس] مرة أخرى، وان قصر [حاجيا تريارا] التهمته النيران، وإن بيوت الأثرياء في [تولبسوس] قد اختفت من الوجود، كما التهمت النيران قصر [كنوسوس] نفسه، ولقد كان الدمار شاملاً، ومهما تكن الأسباب فالشواهد في الآثار تدل على ان هذا الخراب قد اخذ بالجزيرة على حين غره .
حتى ان كثيراً من اصحاب الحوانيت كانوا منهمكين في اعمالهم حين حل بهم الموت فجأة.
وثمة شواهد تدل على ان الأخيين [اليونان] قد وصلوا اليها في اثناء غاراتهم الطويلة في

بلاد اليونان في القرنيين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد .
ولقد استوطنها الغزاة [الدوريون] من اليونان في آواخر الألف الثانية قبل الميلاد .

٢ ـ الحضارة المسينية (قصة الحضارة ص ٦١ و ٦٣ و ٦٥)

نستطيع أن نقول أنّ الحياة في أرض اليونان القارية كانت أقرب الى مرحلة الصيد، ولم تكن الصناعات متقدمة فيها كما في كريت، وكان ملوك مسيني وتيرنز يستخدمون فنانيين كريتيين،وكانوا يبنون مدنهم في الداخل ليدفعوا عن أنفسهم غارات القراصنة المفاجئة، ولكنها غير بعيدة عن الموانيء ليتمكنوا من الأسراع الى سفنهم عند الحاجة .

وما وافى عام ١٤٠٠ ق.م حتى بلغ اسطولها التجاري من القوة لدرجة استطاع بها ان ينازع سلطان كريت في البحر .

وتعزو الروايات اليونانية الى البلاسجيين فضل تعلم الحروف الهجائية من التجار الفينيقيين.

وارقى فنون مسيني كلها ما كان منها على المعادن، ففيها بلغت ما بلغته كريت، وقد عثر المنقبون الباحثون على حلي كثيرة الأنواع شديدة الابداع من الذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة، وفيها المناظر البارزة والتماثيل المجسمة .

الديانة: يستدل مما وجد في قبور الموتى ان المسينيين كانوا يؤمنون بحياة من نوع ما في الأخرة، لأن أدوات ذات قيمة ونفع قد وجدت في قبورهم .

وكانوا يطوون موتاهم داخل جرار يدفنونها ومعه مخلفاته من الأدوات واللوازم .

وتدل القرائن على أن الديانة عندهم قد نشأت من الديانة الكريتية أو كانت قوية الصلة بها؛ فهنا أيضاً نجد البلطة المزدوجة والعمود المقدس واليمامة الألهية، وعبادة الآلهة الأم ممثلة في إله غــلام لعلــه ولدهــا، كما نجد أرباباً صغاراً في صورة أفاعي وقد بقيت الإلهة الأم في بلاد اليونان خلال كل ما حدث في أديانها من تطـور، فقد جاءت بعد [رياRhea] الكريتية [دمتر] اليونانية ام اليونان الحزينة .

وازدهرت ميسيني بعد سقوط كنوسس أيّما ازدهار، وشيدت فيها القصور الفخمة على تلال مسيني وتيرنز وانتشرت تجارتها في البحر شرقاً وغرباً واستحوذت على حضارة كريت المحتضرة ونفوذها، ونشرت الطور المسيني من اطوار الحضارة في عالم البحر المتوسط كله .

وجزائر بحر ايجه كلها قد تأثرت بحضارات كريت ومسيني وفيها من آثارها .

الأغريق أو اليونان

ذكر أصل اليونان في أساطيرهم

١ ـ غضب كبير الآلهة [زيوس] على الجنس البشري لما كان يقترفه من مظالم فسلط عليه

طوفاناً جائحاً لم ينج منه إلا رجل واحد هو [ديوكاليون] وزوجته [بيرها] فلقد ركبا في فلك استقر على جبل [بارنسس] فولد لهما ولده اسمه [هللن] الذي تناسلت منه جميع القبـائل اليونانيـة لذلك يسمى اليونـان الأقدمـون أنفسهم بالهيلنيين وبلادهم اليونانية باسم [هيلاس] .

وهللن هـذا هـو جد [آخيوس] وأخيـه [إيـون] اللذين تنـاسلت منهم القبائل الأخيه [الآخياويون] التي استقرت أخيراً في البيلوبونيز، والقبائل الأيونية التي استقرت في [آتيك] أو [آتكا] المشتقة من كلمة [آكتيكي] ومعناها أرض السواحل، ومركزها بلدة [أثينا] التي أنشأها [سكربس] أحد ابناء ايون بمعونة الإلهة [أثينا] .

وجمع حفيده [ثسيوس] حوالي العام [١٢٥٠] ق.م قرى اتكا الاثنتي عشرة في وحدة سياسية سمي سكانها فيما بعد اينما كانوا بالأثينيين .

وثسيوس هذا هو الذي وهب اثينة النظام والقوة وقضى على عادة التضحية بأبنائها قرباناً للأله [متيوس] .

وفي عام [١١٠٤] ق.م غزا [الدوريون] القادمون من الشمال بلاد البيلوبونيز وقضوا على حكم الأخياويون، وهم يدعون انهم من نسل هرقل .

سجل آلهة اليونان:

آله الشمس هليون . اله السماء أورانوس ثم أصبح زيوس . اله الأرض جي أو جيا وعليها العديد من الآلهات الصغيرة، وشجرة البلوط والزيدات ـ النيادات ـ الأوقيانوسات ـ آلهة الريح بورياس وزفر وتوتس ويوروس وسيدها ايوس، وكذلك الاله [بان] العظيم ذو القرنين المشقوق القدمين الشبق اله الرعاة والقطعان ـ وجنيات السليني التي نصفها معز ونصفها بشر، ودمتر الهة الحنطة، وبلوتو اله العلم السفلي ثم زيونس ميليكوس وهو سيد إلهات الشر التي تسكن الغابات والكهوف وشقوق الأرض واخوه هاديز وقد سمي بلوتو، والإلهة هكتي الخبيثة، الإلهة هبوداميا إلهة سكان اوليمبيا. كساندرا إلهة سكان لوكترا الاله بوسيدون اله البحار وشقيق زيوس اله السماء، وهيديز اله باطن الأرض . و ميتيس الهة الكيل والعقل . والاله ايلو الوسيم اخ اثينا وهو والد إسكلبيوس اله الحرب الذي خلف جيا وفوبي في معبد دلفي . وهفستس الأعرج اله الحدادة والصناعات الأخرى .

وقد عبد اليونان رمزي الأخصاب عند الذكر والأنثى [القضيب الذكري والفرج] وكان قضيب الرجل هو رمز الأخصاب والانتاج يظهر في طقوس احتفالات دمتر وديونسيس وهرمس، وحتى في طقوس أرتميس الطاهرة، ويظهر بارزاً واضحاً في النحت والتصوير؛ حتى ان عيد ديونيشيا العظيم كان يفتتح بموكب تحمل فيه رموز كبيرة لقضبان الرجال؛ وترسل الكثير منها الى المستعمرات اليونانية شاهداً على تقواها وصلاحها .

والإله ديونيسس اله النبات وكان الاحتفال بذكرى موته يجري في فصل الربيع وفيه تصعد النساء اليونانيات الى التلال حين تزهر الكروم، ويقضين يومين كاملين يحتسين الخمر بلا حساب حتى يفقدن رشدهن ثم يسرن في موكب عجاج صاخب تقودهن [مينداث] أو نساء ذاهلات مشغوفات بحب ديونيسس وكن يشربن ويرقصن ويهتجن إهتياجاً عظيماً يتحللن فيه من جميع القيود، ثم وفي اثناء مسيرتهن يمسكن بثور أو تيس أو ماعز أو رجل حسبما يصادفهن ويدعين أن الاله دينيسس قد تقمصه فيمزقنه إرباً وهو على قيد الحياة ثم يأكلن لحمه ويشربن دمه لكي يدخل الإلهُ الخصب الى أجسامهن ويرتقين بذلك الى مراتب الآلهة الخالدة (قصة الحضارة ص ٣٣٩) .

واليونانيون ينسبون أكثر الحوادث الكبيرة الى الآلهة ويخلطون بين شخصيات الأناسي الذين قاموا بتلك الأعمال وبين الآلهة خلطاً عجيباً ، لذلك فأكثر تاريخهم القديم مدموج في الأساطير، كما أن أكثر أساطيرهم مستمدٌ من الحوادث التاريخية (ص ١٩٣) .

والآلهة الأوليمبية اليونانية هي آلهات الأخياويون ولا أثر لها في ثقافة مسيني وان اختلطت أخيراً جميع آلهات تلك المنطقة مع الهات البلاد المجاورة (ص ٧٥) .

الحضارة اليونانية (قصة الحضارة ٨ و ١٢ و ٤١ و ٤٢)

الحضارة اليونانية القديمة: قبل عام ١٣٠٠ ق.م أو على الأصح قبل استيلاء الآخياويون على بلاد اليونان كان يسكنها البلاسجيون وهم من الأورا أفريقان، ولكنهم كانوا أكثر من الايطاليين والأسبانيين اختلاطاً بالعرق الأبيض بسبب قربهم من بلاد الأناضول التي كان العرق الأبيض يزحف منها عبر المضائق الى جنوب القارة الأوربية .

وقد ألمحنا فيما سبق الى الحضارة المسينية والمينوية لهؤلاء القوم أما فيما بعد استيلاء الآخيين على بلاد اليونان فقد أحدثوا حضارة جديدة لهم تختلف في تفاصيل هامة عن سابقاتها.

مثلاً ١ ـ الحديد لم يكن معروفاً قبلاً أما الآخيون فكانوا يعرفونه وإن لم يستخدموه في صنع أسلحتهم بادىء مجيئهم .

٢ ـ الآخيون كانوا يحرقون موتاهم ـ بخلاف سكان تيرنز ومسيني،

٣ ـ اختلاف الآلهة الأولمبية الأخية عن المسينية .

٤ ـ كان الآخيون يستعملون سيوفاً طويلة وتروساً مستديرة ودبابيس للصدور مأمونة، ولم يعثر في الآثار المسينية على مايشابه تلك .

٥ ـ بين الشعبين اختلافات كثيرة في ملابسهم وفي تصفيف شعرهم، ويستنتج العالم ردجواي من هذا أن المسينين بلاسجيون وانهم كانوا يتكلمون اللغة اليونانية، وإن الأخيين شقر من أقوام الكلت أو من شعوب أوربا الوسطى وإنهم اخترقوا جبال آبيروس وتساليا ابتداء من

عام [٢٠٠٠] ق.م ثم غزوا اليونان الجنوبية [البله يونيز] حوالي عام [١٤٠٠] ق.م واتخذوا اليونانية لغة لهم .

والزمن الذي استغرقه تسلط الأخيين على اليونان منذ غارتهم حتى عام [١١٠٤] ق.م حين استولى الدوريون على البلاد تسمى في التاريخ عصر الأبطال الهومرية .

والصورة التي تنطبع في اذهاننا عن الآخياويين هي أنهم كانوا أقل حضارة من المسينيين الذين سبقوهم وأرقى حضارة من الدوريين الذين خلفوهم .

وقد أعان هذا الاختلاط والتفاعل على خلق ما في التفكير اليوناني، والحضارة اليونانية التي ازدهرت فيما بعد من تنوع ومرونة ودقة منقطعة النظير .

وبعد استقرار أحوال البلاد عام ١٠٠٠ ـ ٥٠٠ ق.م ازدهرت بلاد اليونان بحضارة راقية وعادت الحالة إلى ماكانت عليه دولاً من المدن تسعى إلى الترف العقلي والثراء، وبدأ اليونانيون بالإنتشار في البحار المجاورة، فانشأوا لهم مستعمرات تجارية على سواحل إيطاليا وفرنسا واسبانيا والساحل اللوبي وسواحل البحر الأسود الجنوبية والقفقاسية والشمالية .

وخلال أعوام ٣٤٦ ـ ٣٣٨ ق.م استولى فيليب المكدوني ملك تساليا على بلاد اليونان وهم قوم يتكلمون اليونانية ولكنهم جبليون برابرة ومن ثم صار ابنه اسكندر الكبير المكدوني المشهور ملكاً على بلاد اليونان فتوسع في فتوحاته حتى مصر وبلاد العجم وحوض نهر السند ثم مات في بابل .

وبعد موته ثار اليونانيون على المقدونيين ولكن انتباتر المقدوني هزمهم وحكم بالنفي على ١٢ الفاً من أصل ٢١ الف من الأثنيين .

خلفاء الاسكندر: الجزء الثامن من كتاب قصة الحضارة (ص ٨ و ٩ و ٤٨ و ٥٠ و ٦٠)

كان خلفاء الاسكندر من الزعماء المقدونيين الذين تعودوا أن يقيموا حكمهم بالسيف وبعد عدة مناوشات تخلصوا فيها من صغار منافسيهم قسموا الدولة الى خمسة أقسام عام [٣٤١] .

١ ـ أنتباتر ـ اختص بمقدونية وبلاد اليونان .
٢ ـ ليسماخوس ـ اخص بتراقيه .
٣ ـ انتيجونس ـ اختص بآسيا الصغرى .
٤ ـ سلوقس ـ اختص ببابل وما جاورها .
٥ ـ بطليموس ـ اختص بمصر .

وحصلت على فترات متقطعة بين هؤلاء مئات من دول المدن، كانت تثور وتستقل احياناً ثم يحكمها الملوك المجاورون في أحيان أخرى مثلا :

١ ـ استطـاع دمتـريوس بوليكرتيز أن يحرر بلاد اليونان من نير مقدونية، وفي عام [٢٩٤ ق.م] سمى نفسه ملكاً على مقدونية .
وفي عام (٢٩٧)ق.م غزت جموع من الغاليين الكلت مقدونية واليونان وعاثت فيها فساداً، على أن يونانيي آسيا الصغرى اقنعوهم بالمال على الإنسحاب الى شمال فريجيا وإلى تراقيا وبلاد البلقان وظلوا يأخذون الجزية من بيزنطة واستطاع انتجونس الثاني أن يطرد الغاليين من مقدونية وحكمها في الفترة مابين [٢٧٧ ـ ٢٣٩] ق.م .
على أن الذي قضى على مقدونيـــة هو ملكها فيليب الخامس الذي تولى الحكم عام ٢٢١ ق.م وقد تحالف مع هانيبال قرطاجة ضد روما عام ٢١٥ ق.م مما أثار روما وبعد عام واحد بدأت روما تستولى على بلاد اليونان .

٢ ـ ملوك تراقيا:

٣ ـ **ملوك آسيا الصغرى:** حاول القائد انتيجونس الأعور التوسع على حساب جيرانه ولكن الاحلاف هزموه عند ابسوس عام [٣٠١] ق.م وقد ذكرنا اعلاه ان ابنه دمتريوس بوليكرتيس بسط نفوذه على بلاد اليونان الأصلية تقريباً. ولكن الأقوام المحكومة بدأت تثور وتكافح لتنال استقلالها، وقد نشأت ممالك مستقلة على اطراف العالم اليوناني فقد أقامت منذ [٢٨٠] ق.م بلاد ارمينية ومملكة بونت على ساحل البحر الأسود وكابا دوكيا وتيتس وبثينا ممالك مستقلة.

٤ ـ **ملوك الدولة السلوقية:** استطاع سلوقى بالإتفـاق مع بطليمـوس من التغـلب على انتيجونس عنـد غـزة عـام ٣١٢ ق.م وقـد وسع امـلاكه فضم تحت لوائـه عيـلام وسومـر وفـارس وبابـل وآشـور وسوريـــة وفينيقيـة وفلسطين وبنى بلـده [سلوقيـة] على نهـر دجلة (قرب موقع بغداد الحالي) وجعلها عاصمته الأولى كما اتخد إنطاكية عاصمة ثانية ولقد استبسل خلفه انتيوخس الأول في حرب الغاليين البرابرة .
وهزم انتيوخس الثالث امام بطليموس الرابع عام ٢١٧ق.م في موقعة رافيا وضاعت منه سوريا وفينيقية وفلسطين وبعد عام ٢٠٨ ق.م هزموه وأخرجوه من الأناضول . وانتيوخس الرابع أعاد بسط سلطانه على الأناضول وبلاد اليونان وكاد أن يفتح مصر لولا تدخّل روما فاضطر للتراجع ونهب هيكل أورشليم القدس .
وكذلك انفصلت عن هذه الدولة دويلات قومية صغيرة فقد انفصلت عنه باكتريا وسجديانا من بلاد العجم وفي عام ٢٤٧ ق.م اغتال أرسسيز زعيم قبيلة البارت الإيرانية الحاكم السلوقي واقام مملكة بارتيا التي قدر لها أن تنازع روما على سلطانها عدة قرون .

دولة برجموم: وفي عام ٢٨٢ ق.م استولى فلا تيروس على تل برجموم وأعلن استقلاله وضم إبن أخيه أمنيز الأول بيتاني وأترنيوس إلى مملكته، وفي عام [١٩٠] ق.م استطاع اقلوس الأول من صد غارات الغاليين الذين تسربوا إلى أسوار مدينته وطردهم من آسيا الصغرى، أما أقلوس الثاني فقد مات عام [١٣٩] ق.م وأوصى بملكه إلى روما فبسطت نفوذها عليه .

٥ ـ ملوك مصر ـ البطالسة : صارت مصر من نصيب القائد بطليموس ابن لاجوس الذي نقل جثة الاسكندر الكبير إلى مصر وأمر أن تودع في تابوت من الذهب ببلدة منفيس.

وقد بسط خلفاؤه نفوذهم على قورين وكريت وجزائر سكلديس وقبرص وسوريا وفلسطين وفينيقية وساموس ولسبوس والهلسبنت [البوسفور] وسمثريت. وقد توسع بطليموس الثالث فاستولى على بابل وسرديس وبلغ بلاد الهند .

قد بسطت روما حكمها على مصر عام ٢٠٥ ق.م

★★★

إن هذه الدويلات القومية هي مجاورة للقفقاس وقد أثرت على تاريخها وخاصة مملكة بونت على ساحل البحر الأسود التي أسسها قريداد الكبير ومملكة أرمينيا القفقفاسية، لذلك ستتعرض لذكر تفصيلات عنها في أبحاث قادمة .

علاقة القفقاس بالحضارات اليونانية

هذا البحث مترجم من كتاب قفقاسيا في التاريخ للجنرال إسماعيل برقوق. في فترة عام [٣٠٠٠ ق.م] كان الوضع الجالب للانتباه كما يلي :

١ ـ الحضارة المينويه في جزيرة كريت: كانت قد وصلت هذه الحضارة إلى درجة حسنة من التقدم. من استعمال المعادن (عدا الحديد) في الصناعات والملاحة البحرية وبناء المساكن من الحجر المنحوت وغيرها .

ولكن هذه الحضارة لم تكن قد وصلت من الكمال إلى ماوصلت إليه المدنية المصرية وحضارة ميزوبوتاميا ، وظاهر من آثارها إنها من امتدادات الحضارة المصرية .

وفي نفس الوقت نلاحظ فيها آثاراً بارزة من تأثير الحضارات الكاسية عليها، ولقد ازداد هذا التأثير وضوحاً بعد انحدار شعوب الكاس من الشمال عن طريق ساحل البحر الأسود وبعد امتداد الحثيين غرباً حتى سواحل بحر ايجه .

٢ ـ حضارة سه سكلو: ظهرت هذه المدنية في لاريسا شمال اليونان وهي تبدأ من الدور

الحجري المصقول (نيوليتيك) ويعتقد بأنها وردت من الشمال عن طريق حوض نهر الدانوب وانتشرت في شبه جزيرة اليونان .

٣ ـ حضارة ديمني: هذه الحضارة أيضاً ظهرت في شمال اليونان وهي ذات مظاهر تختلف عن مدنية سسكلو كما إنها متأخرة عنها وقد ظلت محصورة في المنطقة الشمالية.

وعلى هذا فقد اصبحت بلاد اليونان مركزاً لتلاقي الحضارات المصرية والسومرية والكاسية والكريدية والفينيقية .

٤ ـ الحضارة الآخية ـ في الحقبة بعد ٢٠٠٠ ق.م استولى على اليونان قوم يسمى [آخيا] و طغى بنفوذه على جميع بلاد اليونان وفي عام [١٤٠٠] ق.م احتل الآخيون جزيرة كريت وقضوا على دولتهم .

وقد اتجه علماء التاريخ في أصل الآخياويين الى اتجاهين:

آ ـ فمنهم من قرر أنهم من الأقوام الآرية من فصيلة [جرمن] انحدروا من الشمال في الدور البرونزي للجرمان.

ب ـ ومنهم من قرر أنهم جاؤوا من الشرق عن طريق الأناضول، ويمتون إلى الكاسيين بسبب.

وقد حاولوا تبرير نظريتهم بمقارنة اسماء الآلهة والأشخاص والمواقع ، وعلى كل فقد حافظ الشعب على كيانه ونفوذه حتى مجيء الدوريين .

في حقبة [١٢٠٠] ق.م كانت منطقة بحر إيجه وبلاد اليونان بوتقة تتفاعل فيها كثيرٌ من الإثنيات والقوميات المتعددة، وكان العنصر الكاسي منتشراً بينها بكثرة ولكنه أخذ بالإندماج في الشعوب الجديدة القوية، وكانت المنازعات والحروب الداخلية بينها هي النار التي تصهرها لتخلق منها الشعب الاغريقي العظيم .

وعلى ذلك فإن من المسلم به أن العلاقة بين اليونانيين القدماء والقفقاس كانت قوية، ومن الشواهد على ذلك :

١ ـ إن كلمة آخي ـ آخاي علاوة على صداها الجركسي فمن الثابت وجود قبيلة [آخي] الجركسية في القديم (على الساحل الشركسي للبحر الأسود) .

وللآخين عند الجراكسة قدسية، فهم يقسمون بأسم آخين لحد الأن، ولهم اساطير شائعة عن بقرة آخين السائبة [آخين بي شم لروك] .

٢ ـ اسطورة بروموته [١]: ويعتبر بروموته عند اليونانيين باعث المدنية الانسانية والمؤسس الأول للنهضة الفكرية والوجدانية عند بني الانسان، ويشبهه البعض بالمسيح الذي فدى نفسه

---

(١) (٢) سأثبت تفاصيل هذه الأساطير في بحث قادم .

وعذبها في سبيل خلاص الانسان، ويسميه البعض [مسيح الوثنية] وما اسطورته الخالدة، في اليونان خاصة الا تعبيراً عن ذكريات، وتعلق اليونان الأوائل بوطنهم القديم قفقاسيا والحنين اليها، فأن سجن بروموته كان على قمة من جبال القفقاس .

ولو حللنا اسم بروموته باللغة الجركسية الى [برومتحه] لكان المعنى اله الأقدمين.

٣ ـ اسطورة كاوس . ومفادها، كما مر معنا سابقاً ان الملاك اخذ قبضة من جواهر الجنة ونثرها في ارض القفقاس بالذات.

٤ ـ اسطورة الصوف الذهبي (٢): وخلاصتها ان البطل ياسون اليوناني ذهب في مغامرة مثيرة الى كولخيديا على ساحل البحر الأسود من القفقاس لاستعادة الصوف الذهبي، وتسمى هذه الغزوة بحملة الأرغونوت.

فهذه الأساطير كلها تتعلق بالقفقاس وتنبىء عن العلاقة القديمة بين واضعيها وبين بلاد القفقاس.

٥ ـ آتيك ـ اسم لمنطقة أثينا اليونانية ويذكرنا بكلمة [آديكة] الاسم القومي الجركسي.

٦ ـ ان الاسم الفخري لآلهة أثينا [مينرفا] هو [قاباردين] وقد اورد هذه الملاحظة المؤرخ الفرنسي [زرسي] واسم قاباردين ليس الا اسم قبيلة [قاباردا = قبارتاي] الجركسية المعروفة.

٧ ـ ان اسم ابن [ايـون] هو [كاركاتيوس] واسمه يدل على الانتساب الى الكاركاس [الكركت] .

٨ ـ ان اليونانيين القدماء كانو في فترة قوة وتوسع الحثيين واقعون تحت نفوذ الحثيين وتأثروا بحضارتهم، ولقد نجد أسماء آخيا واتيك واتيكا لها نظائر في قبائل الحثيين منذ [٢٠٠٠] ق.م

(لقد أخذ الإغريق الكثير من الكلمات الشركسية والقفقاسية وقد أثبت تحليل اللغة اليونانية القديمة وجود هذه الكلمات ـ كتاب الأناضول القديمة) .

٩ ـ لقد قلد اليونانيون الحثيين في صنع تمثال المخلوق الخرافي ذو الرأسين والبدنين المعدود من أنفس الأثار الحثية وخوارق صناعتهم، فلقد قلدوه بصنع بضع تمثال يماثله نصفه الأعلى انســـان ونصفــه الأسفــل جسم حصـان، وهو المشهور عند اليونانيين باسم [قنطورس] أو [قنطير] وهو مخلوق يقولون انه كان يأوي الى آكام تساليا ويبعث الرعب في النفوس وقنطير عند العرب بمعنى الداهية.

وقد جاء في كتاب تاريخ الحضارة مايلي :

١٠ ـ عثر المنقبون في بوغاز كوي من بلاد تركيا على الواح حثية قليلة يرجع عهدها الى عام ١٣٢٣ ق.م تصف [الأهجافا] بأنهم شعب لا يقل في قوته عن الحثيين ؛ وتذكر النقوش الحثية اسم ملك يدعى [آتار سياس] تقول انه ملك الأهجافا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، واكبر الظن انه هو الملك [اتريوس] ملك آخيا الذي مر ذكره .

١١ - وورد في سجل مصري يرجع الى حوالي ١٢٢١ ق.م ان الأكيواشا انضموا الى غيرهم من [شعوب البحر] في غارة لوبية على مصر ويصفهم بأنهم يقاتلون ليشبعوا بطونهم، ولعلهم الأهجافا أو آخيا .

اللاتينيون يسمون اليونان [غره جي] أو [غره] وأما غير اللاتيين من الأجانب فيسمونهم [غره ك] والعرب يسمونهم [اغريق] و أطلق عليهم اسم [الروم] بعد احتلال روما وقيام الدولة البيزنطية في بيزنطة [استامبول] كما يقال [بيزنطيون] ويسميهم هوميروس في إلياذته [دانائه] و [آخائه] .

من عقائد اليونان ان الأرض [جئي] أو [جايا] اقترنت بالسماء وولدت الأوقيانوس أي البحر . وفي اللغة الجركسية تعني أيضاً كلمة [جئي] وتلفظ [جئي] أو [شئي] كما يقال جئيل وشئيل .

أسطورة الصوف الذهبي : من كتاب تاريخ الحضارة (ص ٨٣ و ٨٥) .

حل القحط الشديد في مملكة الملك [آتاماس] وعاصمته [اوركمنوس] البيؤوتي فنذر أن يقُدب ابنه [فركسوس] قرباناً للآلهة فلما علم الـولد بنيـة أبيه فر من أركمنوس بصحبة أخته [هللي] وركبا ظهر كبش إلهي ذي جزة من الذهب ولكن الكبش لم يكن ثابتاً في طيرانه فسقطت هللي في الماء أثناء الطيران فوق مضيق البوسفور وغرقت في مائه فسمي المضيق من بعد مضيق هلي [هللسبنت] . اما فركسوس فقد ظل يتابع طيرانه حتى وصل الى مملكة كولخيديا من القفقاس؛ وهناك ضحى بالكبش وعلق جزته قرباناً لآريس اله الحرب، واقام آيتيس ملك كولخيديا تنيناً لا تغمض له عين ليحرس الجزة الذهبية ، لأن نبوءة اوحت اليه انه سيموت اذا استولى عليها رجل من غير اهل البلاد؛ وأراد ان يزيد أطمئناناً على نفسه فأمر ان يقتل كل من يأتي الى كولخيديا من الغرباء، وكانت ابنته [ميديا] تحب الغرباء والاساليب الغريبة، وتشفق على ابناء السبيل وتساعدهم على الخروج من بلاد ابيها سالمين، فأمر والدها بأن تمنع من الأتصال بالناس، ولكنها هربت الى مكان مقدس بجوار البحر وعاشت هناك مكتئبة حزينة حتى تلاقت مع البطل [جاسون] قائد السفينة [آرغو] عندما جاء الأرغونوت في مغامرة لاستعادة الصوف الذهبي .

ذلك أنه قبل عشرين عاماً من ذلك الوقت [حوالي عام ١٢٤٥ ق.م حسب تقدير اليونانيين] اغتصب بلياس بن بوسيدن العرش من إيسن ملك جولكوس من أعمال تساليا وأخفى أصدقاء الملك المخلوع إبنه الطفل [جاسون] وشب هذا الطفل في الغابات فأصبح قوياً شجاعاً، وظهر يوماً يرتدي جلد فهد ويحمل رمحين وطالب بملك أبيه فأقنعه بلياس باستعادة الجزة الذهبية لكي ترضى الآلهة الغضبى التي تفجر البراكين، وعندئذ يسلمه عرش المملكة.

فصنع جاسون السفينة العظيمة [آرغو] ودعا الى صحبته في مغامرته اشجع شجعان

اليونان فلبى الدعوة هرقل ومعه هيلاس صديقه المحبوب، وجاء معها بليوس والد اخيل وتسيوس ومليجر وارفيوس والعذراء أطلنطا السريعة العدو ولما دخلت السفن مضيق هالسبنت اضطرت إلى التوقف، ولعل ذلك نشأ عن اعتراض قوة من طروادة لها، لأن هرقل ترك الحملة لينهب المدينة ويقتل ملكها [لؤمدون] وابناءه كلهم عدا [بريام] ؛ الذي أصبح ملكاً أثناء حصار طرواده الشهير فيما بعد .

ولما وصل ركاب السفينة آرغو إلى مقصدهم بعد أن لاقوا ألواناً من العذاب والأهوال حذرتهم [ميديا] من الموت الذي ينتظر كل غريب يأتي إلى كولخيويا لكن جاسون أصر على عزمه، وأحبته ميديا فعرضت عليه مساعدتها على أن يتزوجها ويأخذها معه إلى تساليا ويحتفظ بها زوجة له حتى مماته، وعاهدها على ذلك فأعانته بسحرها واستولى على الجزة وفر بها عائداً ومعه ميديا إلى سفينته، وجرح الكثير من رجاله ولكن ميديا عالجتهم بالأعشاب وبعد مشاق وأهوال كثيرة عادت السفينة آرغو إلى الوطن .

ولما وصل جاسون إلى بولكوس طالب بمملكته مرة أخرى وتلكأ بلياس في إجابة طلبه فما كان من ميديا إلا أن استعانت بفنون السحر فخدعت بنات بلياس وحملتهن على أن يغلين أباهن حتى يموت، وارتاع الناس من قواها السحرية فأخرجوها مع زوجها جاسون من بولكوس وحرموه العرش أبد الدهر (قفقاسيا في التاريخ ص ٨٤ و ٨٥) .

ومما تجدر الأشارة اليه عن الأله [بان] العظيم ذو القرنين المشقوق القدمين الملاحظتين التاليتين:

ملاحظة: ١ ـ كان تزيين المغفر بقرنين عادة شائعة في العهد القديم بين الجهة الشمالية في القفقاس وروسيا وما ماجـاورها حسبما جاء في بعض الروايات القديمة وعند الجراكسة قبيلة [بثره دوغ = بظدوغ] من اهم قبائل الآديكة ومعنى اسمها [بظه = قرن دوغ = الجيد الممتاز] فالمعنى [القرن الممتاز] .

ملاحظة ٢ ـ اما عن مشقوق القدمين، ففي اساطير الجراكسة انه كانت هناك مخلوقات لها رأس الكلب وجسم إنسـان وقـدمين كأظـلاف البقر ويسمونها [حاشحاتشول] ومعناه [رأس الكلب وقدم الثور] وانهم كانوا يعيشون في منطقة باردة جداً تتجمد فيه انهارهم شتاء. ومفاد الأسطورة ان اشخاصاً وقعوا اسرى بأيديهم، فجعلوا يطعمونهم حتى يسمنوا، فأكلوا الأول ثم الثاني، وكانت نساؤهم اناسي عاديات، وجميلات جداً، واحببن هؤلاء الرجال فنصحنهم بعدم الأكثار من الطعام كي لا يسمنوا، ونفذ الثالث نصيحتهن وهزل جسمه فلم يأكلوه، وفي الشتاء عندما تجمدت مياه الانهار اعطته النساء عدداً من الملاعق، وعلمنه كيف يتصرف وزودنه بزاد من الطعام وهرب على مجرى النهر المتجمد فكانت اظلاف المطاردين

تتزحلق فيقعون، فإذا اقتربوا منه يرمي اليهم بملعقة فيأخذونها ويعودون بها جميعاً الى قريتهم ثم يعودون لمطاردته، وهكذا استطاع النجاة والعودة الى أهله .

أسطورة بروموته

(من كتاب تاريخ الحضارة ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و ١٨٨)

بروموثيوس ابن ثميس احد آلهة اليونان أحب بني الأنسان وأراد ان يخلصهم من التوحش الى الحضارة ومن الجهالة الى العلم وان يهبهم حياة افضل بتعليمهم كل ما ينفعهم، وكان الناس، كما يقول بروموته في مسرحية يونانية قديمة:

يعيشون كالنمل الأخرق تحت الثرى، في الكهوف الخاوية التي لا تدخلها أشعة الشمس ولا تصل اليها دلائل على حلول الشتاء، ولا يعطرها شذى أزهار الربيع، ولا تملؤها فاكهة الصيف،ولكنهم كانوا يعملون كل شيء وهم عمي البصائر لايخضعون، حتى علمتهم كيف تشرق النجوم وتغرب في أماكن خافية على عقولهم، واخترعت لهم العدد الحسابي باعث الفلسفة، وعلمتهم تركيب الحروف ووهبت لهم الذاكرة صانعة كل شيء وأم التفكير الحلو الجميل النافع وكنت أول من ذلل الحيوان لخدمة الإنسان .. وأنا دون سواي ابتدعت السفن فأنا الذي اخترعت كل هذه الفنون لبني الإنسان ... لا أجد الأن وسيلة انجي بها نفسي من هذا العذاب .

ولكن حبه لبني البشر وإرادته في نفعهم كان خلافاً لرأي زيوس كبير الآله وضد إرادته، ومع ذلك فقد ضحى بروموته بنفسه وعلم الناس استعمال النار والإستفادة منها وأعمال الفكر والعقل للتقدم في سلم الحياة، فغضب عليه زيوس وأمر الأله هفستس أن يقيده إلى صخرة في أعلى قمة من جبال القوقاز ولتعذيبه سلط عليه نسراً هائلاً يظل كل يوم يأكل كبده التي لا تلبث أن تعود كما كانت؛ وتمزقت الأرض كلها حزناً عليه فإذا تلاطمت أمواج البحر صرخت وخرج من أعماق البحر أنين حزين وانبعث من كهوف الموتى عويل فالحزن يسير في الأرض ويجلس عند قدمي المخلوقات واحداً بعد واحد ولكنهم لا يفعلون شيئاً لإنقاذه ..

ويشير عليه [أوقيانوس] بالخضوع لزيوس ولكنه يأبى، وتعجب الأقيانوسات بنات البحر به ولا تدري هل الإنسانية جديرة بأن يعذب أحد من أجلها، وقررن البقاء بجانبه حين هدد زيوس بألقائه إلى طرطروس ليواجهن معه الصاعقة التي تقذف به وبهن إلى الهاوية، غير إن برومثيوس من الآلهة ولا يموت ويرتاح ومن أجل ذلك يرفع من طرطروس ليشد مرة أخرى إلى الصخرة الجبلية، ويرسل زيوس الجبار نسراً ينخر قلب بروموته طوال اليوم لتعذيبه، ولكن القلب ينمو بالليل فيعود كما كان، ويقاسي برومثيوس هذا العذاب ثلاثة عشر جيلاً من أجيال الآدميين؛ ثم يأتي إبن الآلهة هرقل البطل الرحيم ويقتل النسر ويقنع زيوس بفك أغلال بروموته، ويندم هذا على فعلته ويتصالح مع زيوس القادر على كل شيء، ويضع في أصبعه

الخاتم الحديدي رمز الضرورة .

وأمر زيوس بخلق المرأة وأن تعطي صفات الجمال، والإغراء والشهوة مع ضعف في العقل وختل ودهاء وسماها [بندورا] ثم قدمها إلى أيمستوس شقيق بروموته الذي حذره من مكرها ولكنه خضع للجمال والإغراء، وكان برومثيوس قد أودع عند أخيه أيمستوس صندوقاً خفياً عجيباً وأوصاه ألا يفتحه بحال من الأحوال، وغلب على بندورا حب الإستطلاع ففتحت الصندوق فطار من داخله عشرة آلاف نوع من الشرور أخذت تنغص على الناس حياتهم، ولم يبق في الصندوق إلا الأمل وحده .

★ ★ ★

إن كلمتا خه تي = الحثيون و آخي = الآخياويون عند لفظها كما يجب أن تلفظ حسبما جاء في تاريخ العالم المجلد الثاني صفحة ـ ٩ـ فإنها تعني باللغة الجركسية الأسفل أو السفليون بمعنى سكان الجهات السفلى ولعلها الجهات السفلى من القفقاس .

علاقة القفقاس باليونان

نقلاً عن مقال نشر في الصفحة ٦ ـ ٧ ـ ٨ من مجلة [بني قفقاس] عدد ايلول ١٩٦٢ م

" كاتب المقال هو قونديت شردم"

في الزمن القديم كانت قبائل من شعب ما تنزح مهاجرة الى أقطار اخرى بعيدة عن موطنها، بسبب عدم وجود وسائل المواصلات وفكرة الإستيطان في الموطن الجديد، وتنقطع الصلة بينها وبين وطنها لأصلي، وتمر الأجيال والعصور وبتأثير الكثير من المؤثرات الحياتية والإجتماعية التي تتعرض لها، تنسى أصولها ويتطور طراز معيشتها ولغتها حتى تصبح و كأنها أمة جديدة تكونت في البقعة التي تعيش فيها، ولكن الغريب أن الأساطير الشعبية تحمل في طياتها ذكريات وإشارات عن علاقتها بوطنها الأم وأصلها القديم .

ومن الأساطير الجركسية إسطورة [**ساوسروق**] التي تذكرنا بالأسطورة اليونانية عن البطل آخيل، والأسطورة الألمانية عن البطل [سيجفريد] .

فالبطل سيجفريد قتل وحشاً إسطورياً واغتسل بدمه فأصبح جسمه كالحديد، ولكن ورقة شجرة كان لا صقة ببدنه فلم يصل الدم إلى ما تحتها، وظلت تلك البقعة الصغيرة من جسمه لحماً عادياً تكون نقطة الضعف التي يمكن قتله منها .

أما البطل آخيل اليوناني فقد أمسكت به أمه عند ولادته من كاحلي قدميه وغطسته بماء نهر ستيكس في العالم السفلي، وهكذا لم يبق في جسمه نقطة ضعف سوى كاحله الذي كانت أمه ممسكة به .

أما البطل ساوسروق فقد كان عند ولادته كالحديد المحمى فأمسك به اله الحديد [له بش] بملقطه من ركبتيه وغمسه في الماء فأصبح جسمه كالفولاذ، ولكن ركبتيه ظلتا نقطة ضعف في جسده .

وهذه المشابهات تظهر في الحكايات الخرافية، كفكرة التفتيش عن الخلود وانهار ماء الحياة في آفاق بعيدة سحرية، وعن الآلهات المتعددة وتنافسها وعن أبناء الآلهة من البشر أنصاف الآلهة، وعن المخلوقات الشريرة المرعبة، وألهات الخير والطيب، وعن طاقيات الأخفاء، والساحرات والجن والمردة والعماليق، وعن تحول الأرواح إلى نسور وطيور تطير في الفضاء، وعن مخلوقات هائلة مخيفة، وعن المارد ذو العين الواحدة، وأمثالها .

فالمارد ذو العين الواحدة ترد في أساطير الأتراك في قصة [دده قور قوت] .

وفي قصة الأودسا اليونانية .

أما عند الجراكسة فهي ترد في قصة العملاق المارد [Yinij] ذو العين الواحدة الذي قتله [بادينوق] تماماً في نفس المغارة ونفس الطريقة في الخلاص منه .

ومشابه لهذا ما جاء في القصص الشعبي عند الجراكسة من حكايات تشابه قصة [بروموته] اليوناني شبهاً غريباً .

ويتناقل الآديكة، خاصة قبيلة القبرطاي، القصة المشابهة التالية :

كان الإله قد أخفى سراً من أسراره الخفية في أعماق جبل [البروز] وحاول مارد عملاق ذو عين واحدة اكتشاف ذلك السر المصون، وكان ذلك منذ زمن غارق في القدم، فراح يفتش المجاهل المحيطة بالجبل، ووصل إلى شق عظيم بين الصخور الضخمة الشاهقة حيث يتفجر نهر براق صاف عذب الماء، ولكن الإله غضب من هذا المتطفل الذي يحاول النيل من قدسية سره المصون فقيده بالسلاسل إلى صخرة عظيمة، وظل في قيده أجيالاً مديدة، وأصابه الهرم والضعف وطالت لحيته حتى ركبتيه وامتلأ وجهه بالأخاديد والتجاعيد، ولكي يشتد في عقابه وعذابه، فقد سلط عليه الإله طائراً آكلاً للحوم ، عظيماً يأتي كل يوم ينقر قلب العملاق، فيعطش من العذاب ويميل بجسمه ليشرب من الماء فيبادر الطائر إلى شرب جميع الماء ويبقى هو عطشاناً ، ذلك أن هذا الماء هو ماء الحياة من شرب منها لا يموت إلى الأبد .

ولكن سيأتي يوم يعفو فيه الأله عن جميع بني البشر، وسيتخلص العملاق ذو العين الواحدة من هذا الأسر.. وعندها الويل كل الويل لبني الإنسان لأنه سينتقم لعذابه الطويل ويأخذ بثأره من البشر .

ـ قصة آبرسكيل سجين المغارة عند الأبخاز [أباظه] .

منذ زمن قديم جداً كانت تعيش فتاة لأسرة وجيهة في أبخازيا ، وكانت منذ حداثتها قد عاهدت نفسها أن تبقى عذراء ، ولم يعارض والدها بل إنه كان يعاونها للوفاء بعهدها ، ولكن

الفتاة حملت بعد زمن، وانتظر والدها يوم ولادتها بكل رضى، لأنهما كانا يعلمان أن الفتاة غير خاطئة .

وولدت الفتاة صبياً كان ينمو ويكبر بصورة غير طبيعية، وفي العاشرة من عمره كان منظره يوحي بأنه في سن العشرين، وأصبح أجمل الشباب منظراً كما أن آبرسكيل وهذا اسمه لمع بين رفاقه بالقوة والشجاعة، لم يكن يخشى المخاطر، وكان يحافظ على وطنه من الأعداء بكل بطوله وانتقم لقومه منهم، وكان الأله يحمي حامي الوطن هذا وفي وقت قصير ذاع صيته بين الأباظا والأقاليم المجاورة، يحبه مواطنوه ويخشاه أعداؤه، ولقد استعان به الكثيرون من الأجانب، وكل هذا الفخار أثر على نفسيته فأصابه الغرور والكبرياء وأصبح ينافس الإله فاستجلب غضبه .

وكما كان يفعل في الحروب ، فقد بدأ أبرسكيل يقضي بلا رحمة على الشقر من مواطنيه أيضاً ممن شعورهم شقراء فاتحة وعيونهم زرقاء، ويقول أن العيون الزرقاء تحمل الشؤم ويصيبون بالعين الآدميين والحيوانات، كما أنه لم يبق على أحد من أفراد آشوبا وكاتسبا، وكذلك اقتلع جميع الدوالي التي تتدلى أغصانها على الطرقات لأن الفارس الذي تحتها يضطر لإحناء رأسه كأنما يركع للإله ، وهو لا يريد لأحد أن يحني رأسه .

غضب الإله على أبرسكيل وأمره أن يسجد له أربعين مرة، ويتوب ويقلع عن قتل الأبرياء من الناس واجتثاث النباتات النافعة، ولكن أبرسكيل الذي كانت تنحني أمامه جميع الرقاب ويعد نفسه في مصاف الآلهة، امتنع عن ذلك، وأشفق عليه الإله فأمهله لعله يعود يوماً إلى صوابه، فلم يرعوِ وثابر على عناده وصلفه، فغضب الإله وأمر ملائكته بالقبض عليه وسجنه.

عندما ساءت الأحوال بين الإله وآبرسكيل، اختار موضعين ليحمي نفسه من الوقوع في قبضة الملائكة، الأول في بقعة خفية من جبل [وارتزاهو] والثاني مكان منعزل حصين على ساحل البحر، فإذا داهمه الملائكة في الجبل ينبهه حصانه [آراس] بصهيله فيركبه ، وبهمزة واحدة ينقله إلى ساحل البحر، وإذا داهموه هناك يعود به إلى الجبل، لأنه كان جواداً خارقاً للعادة، وعجز الملائكة عن القبض عليه زمناً، فاستشاروا ساحرة أشارت عليهم أن ينشروا جلد ثور مدهون بمادة زلقه عل حافة الجبل، ثم ينقسموا إلى فئتين إحداهما تبقى في ملجئه بساحل البحر والأخرى تذهب إلى مكمنه في الجبل، فلما قفز أبرسكيل على جواده وصعد إلى حافة الجبل انزلقت أقدام الجواد حين داس على الجلد وسقط في الهاوية ، وجرح أبرسكيل وقبض عليه الملائكة وقيدوه، وانتشر خبر القبض عليه بسرعة في أنحاء أبخازيا، فأما شقر الشعور وزرق العيون من الناس قد عمهم الفرح والسرور، وأما الباقون فقد اشتد حزنهم عليه، ولقد حاول أعوانه وأتباعه وأصدقاءه تخليصه فلم يعلموا لأن الإله كان قد أمر بسجنه في كهف عميق جداً لا يمكنه الخلاص منه .

لقد فتش الملائكة كثيراً عن مغارة كهذه فلم يجدوها ، فعادوا يستشيرون الساحرة فدلهم على كهف في قرية [جيلوف] كائن بالقرب من منابت بناور ديزيس؟؟

وقالت لهم إنه قد سجن في القديم هناك أحد الأبطال وظل يعذب فيها ثلاثمائة عام، ولم يستطع الخلاص حتى عفا عنه الإله وأطلق سراحه، لأن الساحرة العجوز صاحبة المغارة أوكل إليها أمر المحافظة عليه لم تدع له فرصة للهرب فسجنه الملائكة مع جواده في تلك المغارة، وأوصوا العجوز بالدقة في المحافظة عليه، فأمرت بدورها خدمها بتقييده بالسلاسل والتناوب على حراسته، ومنذ اللحظة الأولى بدأ الجواد آراس يلحس طرفاً من القيد حتى يصير رفيعاً ضعيفاً فيقطعه آبرسكيل ويخلصان من الأسر، أما الإله فقد أمر العجوز الحارسة أن لا تقدم للموقوف طعاما حتى يتوب عن ذنوبه ويرجع إلى صوابه، فأطاعت العجوز الأمر زمناً طويلاً ولكنها أشفقت على السجين وجعلت تقدم له الطعام سراً وخفية، فغضب عليها الاله ومسخها إلى شكل سُعلوّه ، ولكي تأخذ بسينيتي لم تكن تستطيع فتح فمه إلا عندما يصبح حديد القيد بثخانة خيط الحرير من جراء لحس الحصان آراس، وما تكاد تفتح فمه حتى يعود حديد القيد كما كان.

لم يكن آبرسكيل ينسى وطنه وهو في هذا العذاب داخل الكهف، وكانت أمنيته الكبرى أن يرى مواطناً يقص عليه حالة بني قومه، ولقد تحقق حلمه هذا بواسطة [ديوملات] الذي جهز عشرين حماراً محملين بالشموع واستصحب عدداً من الأدلاء الماهرين وولجوا في الكهف على ضوء الشموع، وكانوا أحياناً يضطرون للزحف ، وفي بعض المراحل كانت تمتد الحقول وبساتين الفاكهة، وظلوا يسيرون لا يقعون على أثر آبرسكيل حتى نفذت مالديهم من الشموع وقرروا العودة، عندها سمعوا صوت آبرسكيل يقول لهم: ستذهب اتعابكم سدى فكلما اقتربتم مني أبعدوني عنكم إلى الأعماق، ثم سألهم هل يعيش أحد من آشوبا وكاتسبا؟! وهل لا يزال يوجد في الناس شقر الشعور زرق العيون ؟! فأجابه ديوملات بأن كل شيء باق كما كان، وإن الناس جميعاً يذرفون الدموع حزناً على حامي الوطن ، فغمغم آبرسكيل بحزن بالغ قائلاً: "يا أبخازيا السيئة الحظ .. إنك تسيرين إلى الهلاك!!" فلما سألوه عن الطريق التي يمكنهم بها العودة والخروج من المغارة، أشار عليهم بأن يديروا رؤوس الحمير إلى طريق العودة ويمسكوا أذنابها ويتبعوها فهي تقودهم في الطريق الصحيح، ولما خرجوا من المغارة علموا أن رحلتهم استغرقت ثلاثة أيام .

لقد تحادث ديوملات طويلاً مع آبرسكيل ثم ودعه وفارقه وعاد إلى بيته، أما آبرسكيل فقد ازداد حزناً لأنه لم يستطع مشاهدة وجوه أعوانه ورفاقه .

لا يزال أبرسكيل حياً في تلك المغارة، ولو قيض لشخص ثان أن يذهب إليه ويراه فستعود إليه حريته، أما جواده آراس فقد قضى نحبه منذ زمان بعيد .

نشير هنا إلى أن بعض المصادر الأخرى تذكر إن الذي زار آبرسكيل في المغارة هو

[ساوسروق] لا ديوملات، وساوسروق هو لاشك المعروف في أساطير النارت الجركسية.

قصة سجين المغارة عند الآديكة حسبما ذكرها هاشم أفندي كاتب فرح علي باشا هي أيضاً من هذا القبيل ، ومكتوبة في الصفحة ٥٦٨ من هذا المؤلف (المخطوط) (ذكريات عن جركستان ومذكرات هاشم أفندي في مؤلف واحد) .

وهنالك إشارة إلى معلومات عن تشابه العادات بين الأقوام الآرية الأوربية والجراكسة في مقال بالصفحة ٥ - ٦ من نفس عدد أيلول عام ١٩٦٢م. سأوردها هنا للفائدة التاريخية، وكاتب المقال هو الأستاد آيتك ناميتوق .

١ - في الآداب الإيرانية منظومة شعرية لاولستر بعنوان [حرب النساء الكلامية] وفي [شولن بريجيريو] في بحث محافظة النساء البطلات على كرامتهن يذكر وقوع مجادلة ؟؟ (لعلها مناقشة) وهذا يذكرنا بعادة جركسية ، فإن نساء أسرة البطل ينلن الإحترام والصدارة في المجالس .

٢ - عند السلت والإيرلنديين أنهم لا يسألون الضيف مدة تسعة أيام عن سبب مجيئه أو وجهة سفره ومغادرته ، وهذه عادة مألوفة ومعروفة عند الجراكسة .

"ولكن المدة هي ثلاثة أيام عند الجركس"

٣ - في فرنسا وانكلترا كان الملوك والأمراء يتلطفون ويزورون الجرحى والمرضى ، ويواسونهم وكانوا يعتقدون أن النبلاء يملكون القدرة على شفاء المرضى، ويذكر الكاتب [أ. رونان] في كتابه ذكريات الطفولة أن الأشراف كانوا يشفون المرضى بعطفهم ومداواتهم بلعابهم .

وهذه العادة موجودة عند الجراكسة إلى يومنا هذا في بعض الأوساط خاصة عند الأبوخ والأبزاخ، فإن بعض الأمراض خاصة انتفاخ وتورم الوجه الذي يسمونه [بشابشه] يعالجونه بدهن لعاب سيدة نبيلة [كواشه اوبس] .

٤ - من عادات الجراكسة أنه في ليالي زفاف العروس يفتعلون ضجة حول بيت العروسين ويقلقونهما ويحاولون خطف العريس " (راجع تقاليد الأعراس عند الجراكسة) " ومن الغريب أن نفس هذه العادة تصادف في فرنسا وإيطاليا .

٥ - في عام ١٩٣٧ م عقد في باريس مؤتمر عالمي للفولكلورات الشعبية عند الشعوب أوضح فيها الأستاذ [بول فورتيه بوليو] وجود تقاليد في كورسيكا وإيطاليا تشابه تقاليد الجراكسة، ومن ذلك عيد الكرنفال السنوي المشهور في أوربا فإنها عادة كانت موجودة عند الجركس منذ زمن بعيد؟!! ...

٦ - المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت [٨٠ - ١١] يذكر أنه لدى الإسبارطيين واللسدونيين تقاليد هي نفس تقاليد الجركس. خاصة في موضوع الإحترام ، ويقول إن الجراكسة حساسون جداً

في هذه الصفة ، فمثلاً إذا تصادف شاب مع من هو أكبر منه سناً فإنه لا يقطع الطريق أمامه، وكذلك إذا دخل رجل مسن إلى مجلس أو مضافة، فإنهم جميعاً يقفون له على الأقدام ويتنازل من هم أصغر سناً عن مجالسهم للقادمين ممن هم أكبر سناً.

٧ ـ كذلك المؤرخ سترابون [408] يذكر أن الداغستانيين، يحترمون كثيراً، ليس فقط أقرباءهم، بل جميع المسنين، وهذه عادة جميع الجراكسة وسكان القفقاس الشمالي.

٨ ـ ملابس الحرب الحمراء . عادة دخول الأزواج إلى غرفة زوجاتهم متسترين عن أعين كبار السن. حق أي إنسان راشد في توبيخ وضرب أي طفل إذا أساء الأدب ، وإنه إذا اشتكى مثلاً ولد لأبويه عن ضربه من قبل أحد الكبار، فأن الوالدين يضربونه أيضاً قائلين " لو أنك لم تقلل الأدب لما ضربك أحد" . عادة المشاعية تقريباً في استعمال الأشياء العائدة للغير، كأن يستقّل عربته أو أدواته الأخرى أو جواده، على أن يعيدها لصاحبها حالاً بعد استعمالها. كذلك عدم مساس الأحرار بأموال الغير ونقوده؛ ثم نفورهم من السمنة وعدها عيباً وتفضيلهم الرشاقة والتناسق، وأمثال هذه التقاليد الموجودة عند اللجدومنيين كلها موجودة عند الجراكسة كما يذكر [كنفل] في كتابه [جمهورية اللجدومنيين] .

٩ ـ المؤرخ الفرنسي [فوستل كولانغ] يذكر انه كان من عادة قدماء الإغريق واليهود، إنه إذا توفى قريب لهم لا يدعون أرملته تتزوج شخصاً غريباً عن الأسرة بل يتزوجها أحد إخوته أو أقربائه.

وهذه العادة كانت ظاهرة عند الجراكسة، "وأنا أذكر أن جدي كان ثالث أخ تزوج جدتي التي ترملت عن أخويه الكبيرين بالتوالي، كما سمعت عن قصة حقيقية ثابتة أن امرأة تزوجها ستة إخوة ماتوا على التوالي، ثم تزوجها ابن عم لهم فكان سابع زوج، والجراكسة يعمدون إلى هذا للحفاظ على كرامة اسرتهم وأسرة انسبائهم اهل المرأة؛ ولكن الغريب أنه في هذه الفترة الحالية ينفر الأخوة والأقرباء عن التزوج بأرملة أخيهم أو قريبهم ويمتنعون عن ذلك تماماً".

١٠ ـ المرجوحة السحرية الدينية التي كانت موجودة لدى الهلينيين في كريت كانت موجودة قبل ثلاثة آلاف عام قبل المسيح في ميزوبوتاميا .

وفي القفقاس كان الجراكسة يضعون المصاب بالجدري في أرجوحة ويعالجونه بمرجحته وإنشاد أغان خاصة في مرح الإله أو الروح الشريرة التي جاءت بهذا المرض [شوره ج وره د] وكذلك الرومان، في حالة الخطر المدلهم الذي يسمونه [دبوتيس] كان يعمد زعيمهم إلى تضحية نفسه لإنقاذ رعيته وهذا كان موجوداً عند الجراكسة أيضاً كما ذكر في مؤتمر باريس في بحث [تي . ليه] عام ١٩٣٧

١١ ـ يلاحظ وجود تشابه شديد في الأعراف القومية بين الجراكسة وقدماء تركيا وليبيا ، كما توجد المشابهة في العادات المتعلقة بالنساء بين السلت وتركيا والجراكسة وإن أهم ما يدعو للإنتباه مسألة تعدد الزوجات؛ ويذكر السائح الإيطالي [انتريانو] أنه في القرن الخامس عشر

للميلاد. ورغم كون الجراكسة الذين خالطهم مسيحيين فإنهم يكثرون من النساء، وفي عام ١٢٣٥ م زار أربعة رهبان مجريون شبه جزيرة تامان [ماتريكا] فذكروا أنهم وجدوا أميراً جركسياً يتزعم المسيحيين الأرثوذكس هناك كانت له مائة زوجة [في الكتاب المسمى أندروماك] .

١٢ ـ كاتب التراجيديا اليونانية [اوريبيدس] يذكر أنه في تراكيا أيضاً توجد هذه الحالة المشابهة .

وكاتب الكوميديا [ميناندر] يذكر أن أسيراً من تراكيا يقول [نحن في تراكيا وخاصة أل [كت] نتزوج دائماً من ١٠ ـ ١٢ زوجة] وللتيقن من عدم المبالغة فإن الملك [هراجليد بونتيك] كانت له ثلاثين زوجة . كما أن الإكثار من الزوجات كان سارياً في [طرواده] وكذلك عن الحث والمت والليبيين ، أما الجراكسة فقد فاقوا هؤلاء جميعاً في هذا المضمار فإذا مات الرجل ولم يكن قد تزوج في حياته ٤٠ ـ ٥٠ زوجة فقد كان الأسى عليه يتضاعف لأنه لم يستطع الإفادة من شبابه ؟؟؟!!

١٣ ـ يذكر المؤرخ هيرودوت عن النساء في تراكيا ؛ إنه في حالة موت أحد الرجال تجري مناقشة لبيان أية زوجة كانت أحب إليه، وبعد أن يقرر الكاهن [جوري] فإن أحب زوجة تدفن مع زوجها ، وإن النساء كن يتنافسن لإحراز هذه المرتبة ويفدين بأرواحهن لنيل هذا الشرف .

وهذه العقيدة كانت موجودة عند الحتيين والآريين وسكان حوض نهر الفولغا وعند الجراكسة، وإن النساء كن يرددن القول عند الندب والنواح [لو أنك لم تتزوج من امرأة أخرى لقتلت نفسي بالمقص كي أدفن معك" .

وقد اكتشفت في القفقاس مقابر قديمة فيها جثة الزوجة إلى جانب جثة زوجها، والغريب في الأمر أن هذه العادة ظلت عند الجراكسة تمارسها بعض النساء خاصة زوجات الأمراء ، فلقد سمعت قصصاً عن قتل عروس شابة لنفسها بالمقص عندما تنزل إلى قبر زوجها المقتول قبيل دفنه، ثم دفنها معه، وكذلك عن محاولة بعض الأميرات قتل أنفسهن بالمقص إذا مات زوجها، وإنه كان أهل البيت يتحرزون لذلك فيخفون المقص قبل إبلاغها نبأ وفاة زوجها أو يمسكون بها ويمنعونها من الإنتحار [راجع الصفحة ٥٧٥] .

١٣ ـ ويذكر هيرودوت أيضاً عن العادات الجارية في تراكيا ، إنه في حالة ولادة طفل يتجمع أفراد الأسرة حوله ، ولكي لا يصاب الطفل بالأمراض ، فإنهم يعملون أفسون ؟؟ .

الفنون التزينية القديمة ومقارناتها

هذا البحث مأخوذ عن مجلة [قفقاس دركيس ـ عدد أيار وحزيران ١٩٥٣ ـ وكاتب

المقال وصفي كوسار .

إن ما يعرف بالشعوب اللاتينية هي الشعوب التي تأثرت بحضارة روما اللاتينية، وتأثرت لغاتها كثيراً باللغة اللاتينية، وتشمل شعوب ايطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، والصناعات القديمة العائدة لها تسمى الصناعـات الرومـانية أو الرومـانوسية، وصناعة البناء مابين العصرين [٥ - ١٢] للميلاد تحمل في هذه البلاد اسم وطابع طراز العمارة اللاتينية .

إن دراسة وتدقيق المقارنة بين الصناعات الشرقية واللاتينية تحوز على أهمية تاريخية كبرى ولقد بذل العديد من علماء الآثار والتاريخ جهوداً كثيرة في هذا المجال .

واصطلاح [موتيف] محتوى يطلق على التزيينات المعمارية، وقد استطاع الأثريون نشر الكثير من تلك الأشكال ، ولقد حاول العالم [برن هيمن] أخيراً إماطة اللثام عن بداية تكون هذه الزخارف ولدى تدقيق آثار العصور [٣ - ٦] للميلاد توصل الى ربط علاقة وثيقة بينها وبين الزخرفة المعمارية في القرن الثاني عشر للميلاد في بلاد آسيا الغربية [الشرق الأدنى والأوسط] ولقد أوضح العالم [شرزيفوفسكي] وجود إرتباط وثيق بين الزخارف الغربية والشرقية .

ولقد وضع الدكتور [جورجي بالتروسائيس] مؤلفاً قيماً بهذا الخصوص ، وكثيرون هم العلماء الذين قاموا بدراسات قيمة في هذا الميدان وأبانواصلات الشرق القديم والغرب في هذا المضمار،

وقد أثبتت هذه الدراسات أن فن الزخرفة المعمارية التي سادت روما قد استقت أصولها من الشرق الأوسط كما أن هذه الفوائد الحضارية كانت تنتقل من شعب إلى آخر وتنتشر في أقطار العالم، وتتطور وتتقدم أشكالها بين الشعوب المختلفة، بتأثير الأذواق و العقليات والإحتياجات والإمكانيات المحلية .

وكذلك الأفكار والعلوم والآداب وسائر مظاهر الحضارة والتمدن تنتقل بينها وتتفاعل وتتطور مع الزمن، فتتحسن وتتكامل، وأحياناً تظهر بأشكال جديدة، وأساليب حديثة وأنماط ومظاهر مختلفة تماماً .

إن بين الشرق والغرب توجد علاقات عريقة وثقافية مجهولة تاريخياً، قبل العلاقات السياسية والتجارية المعروفة في التاريخ، وسنحاول إيضاح المصدر الأول لفن الزخرفة المعمارية [ستيل] في روما .

إن الزخارف النافرة الرومانسية ذات صلة وثيقة بالفن السومري، ويلاحظ أنه ليس فقط تستقي أصولها الأولية منها ، بل أننا نجد كثيراً من النقوش انتقلت كما هي .

صناعة التزين في الشرق كانت تستعمل الخطوط الهندسية وكان منتشراً، وتظهر في أعمال [الموتيف] القديمة كما في الحديثة ، وأثبتت الإكتشافات الأثرية أن هذه النماذج كانت منتشرة بكثرة في سوس وعيلام وخليج البصرة في سومر وفي ميزوبوتاميا وشمال سوريا

وبرسبوليس .

النسر المزدوج ذو الرأسين والجسمين المتناظرين هو [تحه مه] الشرقية ، وهو عند الحثيين شعار قديم كثير الوجود في آثارهم، وقد أخذه عن الرومان قياصرة الروس و ملوك انكلترا ، ثم الجمهورية العربية السورية ، وفي متحف أثينا في قسم آثار [موجنس] توجد قطعة ذهبية مزينة بالنسر المزدوج وقطع اخرى تزينية تمثل حيوانات خرافية وأخرى طبيعية وهذه الزخارف هي التي استولى عليها الرومان أو الكنائس اللاتينية .

التنين ، والثور ذو الرأس الآدمي ، و السمك الذي نصفه الرأسي إنسان، والنسر الذي نصفه إنسان ونصفه طير ، كل هذه الأشكال الزخرفية ، ثبت أن أصولها آسيوية، وفي دهاليز كنيسة [جيرون] توجد قاعدة حجرية مزينة جلبت من [سوس عيلام] ؛ كذلك التزينات الصدفية على قبر ملك [أور] في سومر ، تمثل نصف إنسان ونصفه عقرب، والتماثيل التي تمثل الإنسان في روما كما في آسيا تمثل أشكالاً متناظرة ؛ وقطعة [السليندر] الحجرية في متحف اللوفر تحمل رسوماً ونقوشاً متناظرة ؛ ونجد في متحف اللوفر خاتم حتي مزين برسم كرسي ملكي قاعدته من حيوانين متناظرين ، ونفس الشكل وجد على حلق من الآثار الساسانية، وهناك قطعة وجدت في قبرص تمثل الخيول الأضاحي عند الفينيقيين وتشابه تماماً ما اكتشفت في قرقميش من الآثار الحتية .

وقد نجد في الآثار المسيحية كثيراً صورة هذا النسر المزدوج التناظري .

إن فن التزيين عند الأتروسك الذين لهم علاقة وثيقة بالشرق، قد ادخل إلى الفن الرومانسي كثيراً من الأشكال الشرقية القديمة ، ولقد اكتشفت في مقبرة أتروسكية زخارف من حيوانيين ظهرهما لبعض ، متناظرين، وقد جثم فوقهما تمثال صغير لإنسان .

فما يشاهد من الآثار الحتية، وعلى قبة شوسروس وكنيسة مويساك تمثل أل [تحه مه] بل حتى نجد بينها السيقان المبرومة ، التي تمثل رسوم القفقـــاس ؛ وفي تاركينـــا عشـر على صـــور أشخـاص جثــوا على ركبـهم ليشعلــوا النــار ومن مجموعهم ظهـــر شكـــل [سواستيغا] و [هذه الكلمة تعني السراج بالجركسية] .

لم ينحصر فن الأتروسك في الزخرفة والنحت على التأثير في الأشكال الرومانسية فقد، بل تعدى إلى تعليم الرومان أعمال القوالب وتركيبها .

وليست المشابهة بين الفن الشرقي والغربي منحصرة في الأشكال فقط بل نجد فيهما نفس الحيوانات الخرافية ومظاهرها ، فمثلاً لقد وجدت في آثار سومر وعيلام صوراً نافرة كثيره لجنيات البحر تشابه ما هو موجود في متحف اللوفر؛ ووجدت مشابهاتها في محلات أخرى، وعليه فإنّ الأصول الأولى لهذا الفن قد وردت من الشرق وطرأ عليها التحسين والتجديد .

ولقد ساهم أقباط مصر والسوريون والعرب في القرن الرابع وكذا البيزنطيون في ازدهار

فن الزخرفة ونشرها، وكانت الحروب الصليبية سبباً مباشراً لإنتقال الفنون الشرقية إلى أوربا، وقد نشرت كتب قيمة في هذا البحث .

إن المصوغات التي صاغها الإسكيت والجرمان والغوت وسواهم، كانت تنقل الفن الآسيوي إلى الأوربيين، ولقد راجت في فينا في العصر السادس كثيراً من أشكال الحيوانات الزخرفية مثل الأسماك والإخطبوط والحيتان، وبخلط الكثير من رسوم الحيوانات المختلفة كانت تتم الكتابات الهيروغليفية ومن الجزر البريطانية حتى القفقاس تمتد سلسلة متتالية من الأثار المتشابهة والمتجانسة .

إن الزخارف التي تمت بأصولها إلى الفن التزيني السومري لم تبق كما جاءت بل تعهدوها بالتطوير والتحسين والزيادة حتى أصبحت فناً ذا طابع رومانسي بحت، رغم أنها في البداية كانت تحمل مظاهر كثيرة من أصولها القديمة؛ وكذلك فن النحت وصنع التماثيل فقد ارتقت كثيراً عن ذي قبل رغم احتفاظها بطريقة التزيين بالحيوانات المتناظرة والأسطورية، والفنون السومرية القديمة أخذت طابعاً غريباً، احتفظت به كأساس وقاعدة لها .

والعالم [دورن] هو أول من أبان أن للقفقاس علاقة متينة بالفنون التزيينية الآسيوية وقد أعلن ونشر هذه المعلومات القيمة أخيراً العالم الأثري [با جكيروف] .

ومن المفيد أن نذكر إن الحضارة القفقاسية فيما قبل التاريخ كانت تساير الحضارة الحتية، ومنذ ذلك الزمان فإن الدراسات عن مقابر ملوك أور القديمة أظهرت وجود عناصر فنية جديدة أظهرت ارتباطها في الأساس بالحضارات المجاورة، ففي الآثار التي اكتشفت في القوبان، في مايكوب وغيرها من المحلات آثاراً وأشياء مهمة، والأثري [روستوف تزف] يقول بمشابهتها بالأثار السومرية وسوى ذلك فإن الأثار الرومانسية التزينية هي أقرب إليها من الأثار التزينية الساسانية والمسيحية الشرقية والآثار الإسلامية .

الحيوانات ذات الأربع ، والطيور المتوالية بشكل أغصان ، وصور الإنسان ذو ذنب، السمك أو جسم الطير، ومنحنيات ترتيبها وتناظرها، ورسوم الحيوانات الملتوية والحيوانات المتناظرة والقواعد الحجرية ذات الحيوانات الخرافية المتناظرة، وصور [السيرينات] يجب أن لاتحير علماء الأثار ، والواقع إن عموداً حجرياً [سلنيدر] اكتشف في القفقاس وما عليه من نقوش تزينية تمثل أشخاصاً التفت على سيقانها، يبعث على التساؤل فيما إذا كان الفن السومري قد اجتاز جبال الأرارات في زمن قديم وعاش في قفقاسيا الشمالية أزماناً طويلة .؛ والواقع إن الأساسات الأولى لهذا الفن الآسيوي، في وقت ما وفي ذلك الدور قد برزت في منطقة القفقاس بكل وضوح وتقدم، وكانت سبباً في ظهور الفن الرومانسي في أوربا .

إن الزخارف التي تمثل البطل الاسطوري السومري جلجامش وهو يضرب بالأرض الحيوانات ظهرت أمثالها أيضاً ، وإن النقوش المحفورة على معبد باغرات في كوتائيس من

كرجستان هي نفسها تقريباً الصور التي زينت بها القطعة الصدفية التي عثر عليها في مدفن ملك أور ، وإن الآثار التي اكتشفت في مواقع قوباجي (قاله كوريج . غونودا أموزغا في القفقاس والعائدة للعصر ١١ و ١٢ قد دلت بوضوح على ربطها الفنون السومرية بالفن الروماني ففي منحنيات أقبية [سنت اويين] في [أنفرس] توجد نفس النقوش التي وجدت على أفريز نافدة في قوباجي، والقواعد الحجرية في أقبية قوباجي هي نفسها تقريبا الموجودة في نوتردام وكنيسة نوتيللي، ونجد مشابهات أخرى لآثار قوباجي في جهات أخرى من أوربا، وعقود الأقبية التي في القفقاس والغرب متشابهة جداً ، فأثار [آبه] تماثل آثار كاتنر وبونتلي ، و في شارنوي بانكلترا .

والعلاقات التاريخية بين القفقفاس والغرب لم تنقطع منذ القدم، وفي العصور الأخيرة كانت كورجستان وأرمنستان المسيحيتان على علاقة وثيقة في بيزانس و العالم الغربي، وفي العصر التاسع والعاشر والحادي عشر كانت جماعات متفرقة من القفقاس تعيش في الأستانة والقدس والاسكندرية، إن المعماري الذي بنى كنيسة آغرينا في آني هو قفقاسي وقد اشترك في بناء قبة أياصوفيا واسمه [تريداته] .

والعالم الأمريكي [سبينر] يجزم بنشوء الصناعات القديمة في القفقاس وانتشارها الى الجنوب وإنها أسست ثقافات سومر وعيلام .

والخلاصة فإن إبراز وتوضيح أن الصناعات القفقاسية والقفقاسيين من السومريين والحثيين والأتروسك تشكل الأساسات الأولى للصناعات، والفنون التزينية اللاتينية تأخذ أهمية كبرى في هذا المجال .

لقد اختصرت البحث بالتجاوز عن بعض التفصيلات التي وردت فيه .

إيران أو بلاد فارس

أقسام بلاد فارس وقبائلها :

قبل الميلاد بحوالي ألف عام، كانت بلاد فارس تنقسم إلى ثمانية أقسام كبرى هي :

١ ـ **الميديون:** في الشمال الغربي على جبال زاغروس حتى بحيرة أورروق بجوار الآشوريين

٢ ـ **الإيرانيون:** في القسم الجنوبي الغربي على ساحل خليج البصرة بجوار الكلدانيين.

٣ ـ **البارت:** في القسم الغربي من خراسان .

٤ ـ **الباقتي:** في الجنوب الشرقي ، وهم أجداد الأفغانيين الحاليين .

٥ ـ **هيقارنا:** في جنوب بحر الخزر، شرق الميديين .

٦ ـ **الباختري:** شرق الهيقارنا .

٧ ـ **الصغد:** شرق الباختري .

٨ ـ **الخوارزم :** بين مرو وخوارزم .

ولنلاحظ أن مملكة سوس أو عيلام كانت قائمة إلى الغرب من الإيرانيين عند نهر كرخه وشط العرب الحالي، وإن بلدة سوز كانت عاصمة لهم، وإن في هذا العهد الذي نتحدث عنه كانوا قد زالوا من الوجود كدولة، وإن الإيرانيين الفرس قد استولوا عليها فيما بعد وبنوا بلدة شوشان على خرائب سوزا القديمة وانهم قد ضموا هذا الإقليم إلى بلادهم حتى يومنا هذا.

ولنلاحظ أيضاً أن الميديين والإيرانيين كانوا أقل الأقسام الثمانية المذكورة أعلاه شأناً من حيث القوة والجاه والنفوذ، ولكنهم استفادوا من الحضارة السومرية والكلدانية والحثية وامتداداتها إلى آشور والآرارات وأخذوا عنها بأسباب المدنية والرقي والنظام، ففاقوا أخيراً جميع الفئات الأخرى .

وأول كتلة من هؤلاء ظهرت في التاريخ كدولة ذات كيان هم الميديون، وتلاهم من بعد الفرس الإيرانيون وجمعوا الكل تحت لوائهم وتمثلوهم .

(*) في بحث الأسكيت جاء أن الأسكيت قتلوا كيخسرو، وإن خلفه إستياغه أو قورش استغل ضعضعة آشور على يد الأسكيت وشارك في القضاء على آشور .

الميديون

(قصة الحضارة ص ٣٩٩ ـ ٤٠٢)

ترى من هم الميديون الذين كان لهم شأن عظيم في تحطيم دولة آشور؟!....

أما معرفة أصلهم فأمر معجز الدرك عزيز المطلب، وأول ما وصل إلينا من أخبارهم في لوحة تسجل حملة بعث بها الملك الآشوري شلمانصر إلى بلد يسمى [بارسوا] في جبال كردستان عام [٨٣٧] قبل الميلاد، ويلوح أنه كان في ذلك القطر سبعة وعشرون من الرؤساء الملوك يحكمون سبعاً وعشرين ولاية قليلة السكان يسمى أهلها [آماداي ـ ماداي] أو ميديون وهم أقوام من الجنس الهندوأوربي، يرجح أنهم جاؤا من شواطىء بحر الخزر إلى غربي آسيا وطنهم الجديد قبل المسيح بألف عام ، ويشيد [الزند أبستاق] وهو كتاب الفرس المقدس القديم بذكر وطنهم القديم ويصفه بأنه جنة من الجنان .

ويلوح أن الميديين كانوا يضربون في إقليم بخارى وسمرقند، وأنهم توغلوا منه نحو الجنوب شيئاً فشيئاً حتى وصلوا آخر الأمر إلى بلاد فارس وجبال زاغروس وطنهم الجديد، فوجدوا النحاس والحديد والرصاص والذهب والفضة والرخام والأحجار الكريمة في الجبال التي اتخذوها موطناً جديداً لهم، ولما كانوا قوماً أشداء وبسطاء في معيشتهم، فقد أخذوا يفلحون الأرض والسهول والوديان وسفوح التلال وعاشوا فيها عيشة راضية .

وفي أكباتانا أي ملتقى الطرق الكثيرة [والراجح إنها مدينة همدان الحالية] وفي واد جميل خصب أنشأ [ديوسيس] أول ملوكهم عاصمته الأولى .

ومن أشهر ملوكهم المعروفين :

فراعورت = فرهاد: كان ملكاً عام ٦٢٤ ق.م

كي آخسار = كيخسرو = سياخار= سياكزارس ـ [٦٢٤ ـ ٥٥٤] ق.م وفي عهده جاءت غزوة السيت المدمرة، فاستفاد من تضعضع آشور نتيجة لغارة السكيت فاتفق مع ملك بابل [نابو بولاصر] وهاجموا معاً آشور واحتلوا عاصمتها [نينوى] وبذلك تم القضاء نهائياً على دولة آشور (*) ثم صار كيخسرو يوسع نفوذه فاستولى عام ٦٠٥ ق.م على عيلام ثم على أرمنستان الحالية ثم حارب آليات ملك ليديا ولما كسفت الشمس تصالحا، ثم مات كيخسرو في السنة التالية.

آستياغه . تولي الحكم بعد أبيه، كان ماجناً ضعيف الإرادة، وفي عهده مال الميديون إلى الترف، فلقد أسرعت إليهم الثروة إسراعاً، وداخلتهم الميوعة ، وثار عليه حفيده الفارسي [قورش] حاكم ولاية [أنشان] فاستولى على ميديا وأسر جده آستياغه، وبذلك زالت الدولة الميدية من الوجود .

لقد كانت هذه الدولة قصيرة الأجل لذلك لم تسهم في رقي الحضارة بقسط كبير،

ولكنها مهدت السبيل إلى ثقافة بلاد الفرس فقد أخذ الفرس عن الميديين لغتهم الآرية وحروفهم الهجائية التي تبلغ عدتها [٣٦] حرفاً وهم الذين جعلوا الفرس يستبدلون في الكتابة الـرق والأقلام بألواح الطين ، وعنهم أخذوا قوانينهم الأخلاقية، وكذلك أورثوهم دين [زردشت] ونظام الأسرة وطائفة من القوانين بينها وبين قوانينهم في عهد امبراطوريتهم المتأخرة من التماثل ما جعل دانيال [النبي دانيال يجمع بينهما في قوله المأثور عن (شريعة ميدي وفارس التي لا تنسخ) أما أدبهم وفنهم فلم يبق منها لا حرف ولا حجر .

★

وهنا أيضاً نرى إشارة إلى شواطىء بحر قزوين موطن الميديين الأول، وإنهم مثل المصريين القدماء تماماً يشيدون بذكر ذلك الوطن القديم ويصفونه بأنه جنة من الجنان .

ولنا أن نتذكر أن القفقاس هي لؤلؤة الإتحاد السوفياتي، كما جاء [في الصفحة ٢٨ من هذا المخطوط] في كتاب ملحمة القفقاس لمارشال الإتحاد السوفياتي . وأن نذكر أيضاً أن الملاك سوفوكليس نثر قبضة من جواهر الجنة في القفقاس وإذا راجعنا ما قاله جميع من زاروا القفقاس عن الجمال الطبيعي الفائق ومناظرها الرائعة وتذكرنا ما قاله السائح الفرنسي من أن الله تعالى قد أظهر عظمة قدرته وبراعته في تجميل الطبيعة في القفقاس (صفحة ٣٣ من هذا المخطوط إذا تذكرنا هذا كله وإن القفقاس جنة الله في أرضه .

فهل يمكن أن يخطر على بالنا أن جنة الأرض التي يتحدث عنها المصريون والميديون كوطن قديم لهم يحنون إليه ليست إلا القفقاس ! ..

(كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية مترجم عن الألمانية - تأليف المستشرق كارل بروكلمان).

كانت الديانة الزرادشتية سائدة - وفي عهد سابور الأول [٢٤١ - ٢٧٢] م ظهر ما في كمؤسس لديانة جديدة - خلف بهرام الأول فسجن ماني - وفي عهد سابور الثاني [٣٠٩ - ٣٧٩] تم القضاء على المانوية التي انتقلت إلى الأتراك جيران الفرس وأثرت فيهم .

وانتشرت الديانة المزدكية في عهد قباذا الأول سنة ٤٨٨م ومن ملوك الساسانيين هؤلاء كسرى الثاني انوشروان [٥٩٠ - ٦٢٨] م أعاد الديانة الزرادشتية - فتح فلسطين ومصر ولكن هرقل البيزنطي انتصر عليه فقتله إبنه قباذ وصالح هرقل.

الفرس

(قصة الحضارة ص ١٩١) .

عندما استولى الميديون عام [٦٠٥] ق.م على عيلام وسوزا، أقاموا فيها مملكة يتولى عرشها ملكان من بني [تيستيس] بن [أخيامينس] كما كتب اليونانيون هذه الأسماء .

قورش: كانت أمه إبنة استياغه ملك ميديا، وكان حاكماً على ولاية أنشان، فلما ساءت الأحوال في ميديا استولى عليها عام [٥٥٥] ق.م وأسر جده لأمه، ويلوح إن الميديين قد تقبلوا ذلك بالرضى.

ثم استولى قورش على السواحل وممالك قاريا وليكيا في الأناضول ، ثم غزا بلاد اليونان وعاد إلى بلاده فاستولى على بابل ثم على سوريا وفلسطين وجزيرة قبرص، ثم استولى على جنوب القفقاس وعلى باقي أجزاء إيران الحالية .

وقورش هو مؤسس الأسرة [الأكمينية] أسرة الملوك العظام .

وكانت أولى القواعد السياسية التي يتبعها، أن يترك للشعوب المختلفة حرية العقيدة الدينية وكان لا ينهب المدن ولا يخرب المعابد، فأحبه حتى أعداؤه الذين غلبهم .

أراد أن يخلص ميديا من غزو البدو الهمج الضاريين في أواسط آسيا ، ويلوح أنه توغل في حملاته حتى وصل إلى ضفاف نهر جيحون في الشمال وإلى الهند شرقاً .

وقتل بينما كان يحارب قبيلة [مسجيته] المجهولة التي كانت نازلة على الساحل الجنوبي لبحر الخزر .

وخلفه إبنه [قمبيز] ففتح بلاد مصر كما استولى على ليبيا وبرقه، وكان به لوثة جنون فراح يعتدي على المعابد المصرية ثم أعدم أخته وزوجته وابنه، ومات عام ٥٢٢ ق.م.

دارا الأول - تولى الحكم عام ٥٢٠ ق.م وهو الذي قاد مليون جندي عن طريق مضيق البوسفور وساحل البحر الأسود إلى جنوب روسيا ليؤدب الأسكيت ولكنه عاد فاشلاً إذ لم يقابله أولئك البدو الرحل الفرسان الخفيفو الحركة في معركة فاصلة وقد استولى على تراكيا - عام ٤٩٤ ق.م ثم استولى على إقليم السند من بلاد الهند، ودارا الكبير هذا صاحب معركة [ماراتون] المشهورة حين هزمه اليونانيون ولما عاد إلى بلاده مرض ومات .

وخلفه إبنه سرخس ٤٨٥ - ٤٦٥ (وقد قتل) في عهده ظهر الإسكندر الأكبر وخلفه أردشير الأول - ثم دارا الثاني، ثم أردشير الثاني ثم دارا الثالث الذي قهره اسكندر المكدوني حين استولى على إيران .

وتلك كانت نهاية الدور الأول من عظمة وازدهار دولة إيران، ثم تلا ذلك الدور الثاني الزاهر الذي دام حتى قضى عليه المسلمون العرب .

حضارة فارس القديمة:

(ص ٤٠٩ و ٤٢٤)

إن اسم فـــارس كان قديماً يطلـــق على إقليم صغيـــر يقارب الخليج الفارسي وكان اسمه [بارس] وسكانه وهم الفرس ينتمون إلى العرق الهندأوربي ولعلهم جاؤوا إلى تلك المنطقة من

جنوب روسيا، ولغتهم تكشف عن قرابتهم للآريين الذين استولوا على شمال الهند .

وقد وصف دارا نفسه بقوله بأنه [فارسي ابن فارسي وآري من سلالة آرية] .

ويسمي الزرداشتيون وطنهم الأول القديم [ايرنافيجو] أي موطن الآريين والإعتقاد السائد إن هذا الوطن هو إقليم [أرران] الواقع على نهر [اراك] من منطقة أذربيجان القفقاسية الحالية.

وللفرس لغتان

١ - اللغة الفهلوية التي تحولت الى اللغة الفارسية الحالية.

٢ . اللغة الزرداشتية: وهي اللغة الميدية وكتاب الأبستاق لديانة زرادشت

الديانة الزرداشتية.

تروي الأساطير أن نبياً عظيماًظهر في [ايريانا فيجو] موطن الآريين القديم، قبل ظهور المسيح بمئات السنين، وكان شعبه يسمى [زرتسترا] وقد أسماه اليونان [زروسترز] وبعد سنين من بعثه وسعيه في نشر دينه الجديد آمن به أمير إيراني عظيم يدعى [فشتسبا أوهستبس] ومن ثم انتشرت ديانته .

والمؤرخون المحدثون يقدرون ظهوره فيما بين [١٦٠٠ - ١٠٠٠] سنة قبل الميلاد،

وقد دعا إلى التوحيد وعبادة [أهورا مزدا] وكتابه هو [الأبستاق] ويروي أنه كان مكتوباً على [١٢٠٠٠] من جلود الثيران ، ولقد ضاع معظمه ولم يبق منه سوى خمسة أجزاء، وفيه قصة الطوفان وتعاليمه تشبه ما في [الرج فيدا] الكتاب الديني الهندي القديم، وفيه إنه توجد الموت الجنة والسراط وجهنم ، ومثلٌ أخلاقية راقية والطهارة وتجنب النجاسة.

ملاحظة: وهكذا نجد ان التاريخ يشير بوضوح إلى علاقات الميديين والفرس بالقفقاس والشعوب القفقاسية .

والغريب أن نبي الزرداشتية [زروسترز] له شبيه في الإسم في أسطورة [ساوسروق] الجركسية أي إبن [ساوسر] ويلفظه البعض [زوسر] وهو بطل أسطوري جسمه من الحديد و صاحب دهاء وذكاء وأمه الأميرة [ستناي] ساحرة تتحكم في الرياح والمطر والسحاب، ومعنى ستنـاي هو [ألورد] كما أن هذا الإسم يشبه اسم [اوزيريس] إله السماء عند المصريين .

دولة أرزاس الفارسية حكمت بلاد البارت [خراسان] وهي معروفة بدولة آل أشكان، وجاء بعدهم آل ساسان عام ٢٢٦ ميلادية وأشاعوا عبادة الكواكب والنجوم .

بارثيا أو فرثيا

كانت بارثيا تمتد من الساحل الجنوبي لبحر الخزر إلى سمرقند، ومن نهر جيحون إلى صحراء إيران، وكانت تابعة للفرس [وهي التي يسميها العرب خراسان] والبارثيون من العنصر [السكوذي ـ التوراني] وقد دانو بالطاعة للإسكندر المكدوني .

وفي عام ٣٥٠ ق.م في عهد انطيوخس الثاني ملك سوريا الروماني، نبذوا طاعته واستقلوا بقيادة [أرساكيس] من قبيلة [داهي] وملك سنتين ثم قتل في الحرب، وكان شديداً ظالماً.

وفي عام ٣١٤ ق.م خلفه ابنه [ارساكيس الثالث]، أغار على ميديا وتحارب مع سلوقس ثم صالحه،

وفي عــــام ٣٤٨ ق.م خلفه أخوه (ترداتيس) أو أرساكيس الثاني حاربه سلوقس عام ٣٣٧ ق.م فهرب ثم عــــاد وهـــزم جيش سلوقس ووطد ملكه في عام ٣١٤ ق.م خلفه ابنه (ارساكيس الثالث) أغار على ميديا وتحارب مع سلوقس ثم صالحه وفي عام ١٩٦ ق.م ارتقى الملك [بريا باتيوس] او أرساكيس الرابع في عام ١٨١ ق.م خلفه ابنه (فرآتيس = فرهاد) أو أرساكيس الخامس وقد اخضع قبيلة المرديين القاطنين بجبال ألبرز في القفقاس ثم في عام ١٧٤ ق.م خلفه اخوه مترديس اوارساكيس السادس ففتح بختريا شرق مرو وكان ملـــوكها يونانيين ، وبعد مـــوت أنطيوخس الرابـــع غـــزا بـــلاد ميديا ثم فارس وسوسيا [عيلام] وبابل ثم استولى على بختريا، واستصرخت الجالية اليونانية فيها [ديمتريوس] فانجدهم ولكنه وقع أسيراً عام ١٤٠ق.م وامتدت سلطة مترديس من الفرات إلى الصين.

وكان للملوك البارثيين الجدد ثلاث عواصم حسب فصول السنة وهي [هكتومبيلي] في بارثنا و [أكباتانا] في ميديا وهي محل همذان الحالية، و [طشقونه] على المجرى الأدنى لنهر دجلة، وعلى الضفة المقابلة كانت تقوم [سلوقيا] العاصمة السلوقية القديمة والتي ظلت عدة قرون مدينة يونانية .

في عام ١٢٧ ق.م خلفه عمه أرتبانس [أرساكيس الثامن] وقد شغل بمحاربة البرابرة النوخاريين فقتل في حروبه معهم .

وفي عام ١٢٤ ق.م خلفه إبنه مترديس، وقد طرد البرابرة واخضع أرمينيا وفرض على ملكها الجزية وأخذ إبنه [ديكران] رهينة لعنده، فلما كبر أعاده عام ٩٦ ق.م إلى بلاده ونصبه ملكاً عليها .

وفي عام ٥٥ ق.م تولى الملك [أوروديس] أوارساكيس الرابع عشر وقد هزم قواد روما وغزا سوريا وكيليكيا وفي عام ٤٠ ق.م استولى على إنطاكية وصيدا وعكا وأورشليم .

وفي عام ٣٩ ق.م حاربه باركوس الروماني انتصر عليه فانسحب إلى بارثيا وأخيراً قضى الفرس على هذه الدولة عام ٢٢٦ بعد الميلاد .

مملكة بونت [بونتس]

كانت مملكة بونتس [بنطس] جزءاً من ولاية كابادوكيا أيام دارا الأول ملك الفرس وهي الإقليم الذي يمتد على القسم الشرقي من ساحل بحر بونتس [البحر الأسود] في شمال آسيا الصغرى، وكانت أراضيها جبلية في الداخل، ولكنها غنية بالمعادن والأخشاب وقد طغى على سكانها الحثيين الأقدمين خليط من التراقيين واليونان والإيرانيين، شأنها في ذلك شأن مملكة بيثينيا التي تجاورها غرباً على الساحل حتى مضيق البوسفور، وكانت تابعة لملوك الفرس .

وفي عام ٣٦٣ ق.م خرج عليهم [اريوبرزان] وهو شريف إيراني وملك الجانب الشمالي من ولاية كبدوكيـة وسميت مقاطعتـه بيلاد [بونت] وقد دام ملك هذا الحاكم أو الملك ٢٦ سنة ثم خلفه ابنه .

وفي عام ٣٣٧ ق.م متزداد الأول ـ لما أثار اسكندر المكدوني الحرب على الفرس راعى مترداد هذا الحياد وبقي مستقلاً حتى موت الاسكندر، ولكن لما قام [بروكاس] على المملكة اليونانية الشرقية أكرهه على الطاعة، وكان في حروب خلفاء اسكندر يطيع تارة انتيوخس وتارة بومبينيس، ولقد قتله انطيوخس عام ٣٠٢ ق.م .

وفي عام ٣٠٢ ق.م خلفه ابنه مترداد الثاني، فغزا بلاد كابادوكيا وبافلاغونيا ووسع تخومه، وقد نجى هؤلاء الملوك بتسميتهم مترداد دليلاً على التقى والورع .

وفي عام ٢٢٦ ق.م خلفه ابنه [آريوبرزانيس الثاني] ملك ٢١سنة، وأخباره قليلة .

وفي عام ٢٤٥ ق.م خلفه إبنه [مترداد الثالث] وكان صغيراً لكنه لما بلغ سن الرشاد أظهر من الدراية والبأس ما يستحق الإعتبار فتزوج أخت سلوقس الثاني واستولى على فريجيا مهراً لها، ولكن لما خرج انطيوخس هيراكس على سلوقس حالفه مترداد هذا وفي الحرب هزم سلوقس شر هزيمة وقد أدرك عام ١٩٠ ق.م وهو في الحكم .

في عام ١٩٠ ق. م خلفه ابنه غوناكيس ففتح مدينة سينوب التي كانت لليونان وجعلها قاعدة ملكه، وحارب بومينيس ملك برغامس وغزا كثيراً إلا أنه انهزم أخيراً وردّ كل ما كان استولى عليه ما عدا بلدة سينوب .

وفي عام ١٦٠ ق.م خلفه ابنه [مترداد] الرابع الملقب [يوركتيس] الذي ملك مدة ٤٠ سنة.

وفي عام ١٢٠ ق.م خلفه ابنه البكر مترداد الخامس الملقب [يوباتور] والكبير وهو اعظم ملوك بونتيس وأشهرهم، وكان في الحادية عشر من عمره، وحاولت أمه بالإتفاق مع الأوصياء على قتله لتستأثر بالعرش، لكنـه هـرب واختفى أحـد عشـر عـاماً قضاها في الغابة، وفي عام ١١٥ ق.م خلع أمه واستلم زمام الملك. وكانت المؤامرات تحيط به فعوّد جسمه على تجرع أنواع السموم وله في السموم وعقاقيرها والطب بوجه عام مؤلفات قيمة أمر [بومبي] الروماني بجمعها وترجمتها إلى اللاتينية وكان فارساً مغواراً ومحارباً شديداً، سريع العدو يلحق بالظباء،

وكان قاسياً شديداً ولكنه مثقف ويتقن اثنتين وعشرين لغة .

على أنه كان مغامراً عظيماً تتسم أعماله بالإرتجال والتهور، وقد استولى على أرمينية وبلاد القفقاس ثم عبر نهر قوبان ومضيق كرتش إلى بلاد القرم، وأخضع جميع المستعمرات اليونانية القائمة على سواحل البحر الأسود الشرقية والشمالية والغربية التي كانت تستقبله كحام عنها لعجزها عن حماية نفسها من البرابرة الذين يحيطون بها، وقد بسط حكمه على بانتيكايم وكرتش من ساحل القفقاس كماضم بلدات [سينوب - طرابزون [بيزنطية] من ساحل آسيا الصغرى الشمالي، وتعاهد مع بعض القبائل البربرية في نواحي الدانوب لكي يستعين بهم عند الحاجة في غزو إيطاليا والرومان، ثم عاد إلى بلاده وأخذ يعد العدة لحروب مقبلة .

وكان الرومان مشغولون في حروب أهلية فعينوا ملوكاً على كبادوكيا وبيثينية، وفي عام ٩٤ ق.م مات نيكوميديس الثاني ملك بيثينيا فتنازع ولداه واستغاث أحدهما سقراط بمترداد فأغاثه ولكنه تراجع أمام تهديد الرومان .

وفي عام [٨٨ - ٨٤] ق.م أعلن نيقوميدس الثالث شقيق سقراط الحرب على بونت وعاونه اكوليوس، وكانت تلك بداية الحرب المترداديه الأولى .

ولقد أثار مترداد الشرق الهيليني على الرومان، ودمر أسطوله المؤلف من ٤٠٠ سفينة العمارة الرومانية في البحر الأسود وأوقع جيشه المؤلف من ٢٩٠ ألف مقاتل الهزيمة بقوات عدوه واستولى على بيثينيا، ولكي يعبر للرومـــان عن إحتقاره لشراهتهم في حب المال فقد أمر بصب الذهب المصهور في فم قائدهم [أكوليوس] الأسير، ثم غزا غلاطية وفريجية وأملاك روما في آسيا الصغرى واستولى عليها ما عدا بعض مدن الشاطىء، وأمر بقتل جميع الرومان فهلك منهم ٨٠ ألف نفس .

وفي عام ٨٨ ق.م سرت حركة قتل الإيطاليين في بلاد اليونان الأصلية وقتل يونان ديلوس في نشوة الحرية ٢٠ ألف إيطالي في يوم واحد قتلاً عاماً .

ثم استولى مترداد على عوبية وتساليا ومقدونيا وتراقيا من بلاد اليونان، وكانت إيطاليا في أزمة بسبب ثورة سترنيس وسنا، وعرض السمينيون واللوكانيون عقد حلف مع مترداد ؛ وتدارك مجـــلس الشيوخ الروماني الموقف وارسلوا جيشاً بقيادة [صلا] فغلب جيوش وأسطول مترداد في اليونان ثم قدم إلى آسيا الصغرى وطرد مترداد من الجوانب الغربية، وفي عام [٨٥] ق.م هزمه في بيثينيا فهرب مترداد ناجياً بنفسه عائداً إلى مملكته .

وقد أنقذ القائد [صلا] روما من الإنهيار، ثم صالح مترداد على غرامة كبيرة من الذهب عام ٨٤ ق.م فدفعها مترداد، وراح يتجهز للحرب من جديد، وخرجت القرم عن طاعته فأعد أسطولاً لمحاربتها، ولكنه توقف إذ علم أن مورينا الروماني يستعد للهجوم عليه عام ٨٣ ق.م فرفع مترداد الدعوى عليه إلى مجلس شيوخ روما وكسب الدعوى، ولكن مورينا قرر القتال

فقاتله ترداد وهزمه واستولى على كابا دوكيا، ثم صالح الرومان عا م٨٢ ق.م على أن يخلي كبادوكيا .

ثم توجه ترداد إلى القرم فأخضعها، وتلك كانت الحرب الترددادية الثانية. وفي خلال أعوام [٨١ - ٧٤] ق.م جمع [٤٠٠] بارجة حربية وحالف أمماً كثيرة .

الحرب المتردادية الثالثة . [٧٤ - ٦٣] ق.م قرر متريداد الإستيلاء على بيثينيا ونشبت الحرب بينه وبين روما عام ٧٤ ق.م ودامت تسع سنوات ولكنه أخيراً غلب على أمره وانكسر أسطوله عام ٧٣ ق.م فعاد إلى مملكته وحشد جيشاً جديداً وفي السنة التالية حارب الرومان وكان قائدهم لوقوللس، ولكنه انهزم شر هزيمة فهرب إلى أرمينيا واستغاث بملكها [ديكران] فلم يغثه حالاً، وخمدت الحرب مدة سنتين [٧١ - ٧٠] ق.م ثم طلب الرومان من ديكران تسليمهم متراداد فأبى وعادت الحرب عام ٦٩ ق.م، وسار لوقوللس إلى أرمينيا وقهر ديكران واستولى على عاصمة ملكه، ثم عاد إليه عام ٦٨ق.م وغلبه أيضاً .

أما متراداد فقد عاد في هذه الفترة إلى بونت وجمع جيشاً جديداً وهزم فابيونس الروماني، وفي عام ٦٧ق.م تغلب على جيش روماني آخر وقتل منهم [٧٠٠٠] نفس وخان لوقوللس عسكره فلم ينتصر، واستعاد متراداد وديكران البونت .

وفي عام ٦٦ ق.م أرسلت روما قائدها الشهير [بومبي] الذي قهر متراداد فهرب إلى أرمينية، وخاف ديكران من غضب روما ولم يقبل بحماية متراداد فتوجه هذا إلى [كخس] على الساحل الشرقي لبحر الأسود ومن ثم إلى القرم وقد لاحقه بومبي فاحتل جنوب القفقاس ولكنه لم يجسر على عبور الجبال، وانتهت الحرب عام ٦٥ق.م بالقضاء على مملكة بونت .

كان متراداد قد بلغ التاسعة والستين من عمره، ولكن روح المغامرة لم تخمد في نفسه، فقرر مهاجمة روما نفسها من شمال البحر الأسود، وشرع يستميل اليه البرابرة في نواحي نهر الدانوب، ولكن إبنه [فرناس] عارضه وأبى أن يساق جيشه إلى الهلاك في مغامرة خطرة وآزره القواد والخاصة ودبرت مؤامرة لإغتياله، فلما أخبره حارسه الخاص بما يبيت له، أمره متراداد أن يقتله فأطاعه وقتله وكان ذلك عام [٦٥] ق.م وقد خلفه من بعد إبنه ..

الأرمن وأرمينيا

يقول هيرودوت أبو المؤرخين:

خـرج من بلدة [آرمنيوم] في ولايـة تساليا من بـلاد اليونان الملك [ارمه نوس] برفقة [ثرنسون] ومعهما عشائرهما بصحبة قوم [فريكيا] إلى آسيا الصغرى، واختلطوا مع أهالي منطقة [اورارطؤ] بجوار مملكة بونت واندمجوا معهم .

ويقول المؤرخ مورغان في المجلد الثاني الصحائف [٤٨ - ١٢١ - ١٤٨] :

إن الأرمن ينتسبون إلى الجنس الآري، وكانوا قبل (١٣٠٠) سنة قبل الميلاد يعيشون في جوار (أرمن) من تركيا الحالية . كما كانوا منتشرين حوالي [قونية = فريجى] وبجوار [قيصري = قايادوي] وبعد استيلاء [السيمريين = الكيمريين] على آسيا الصغرى تقدموا نحو الشرق ، فبقي قسم منهم بجوار نهر [قيزيل ايرماق] أما القسم المهاجر فقد استمر تقدمهم واجتازوا نهر الفرات عند منابعه العليا إلى الشرق وانتشروا في آرارات وعرفوا آنئذ باسم [آرما = آرمه ني] .

وفي كتاب قصة الحضارة؛ إنهم يمتون بصلة القربى للحثيين والفريجيين ، ولكنهم ظلوا محتفظين بأنفهم الأناضولي، وهم يتكلمون لغة آرية لم يتفق العلماء على موضعها من اللغات الآرية.

وفي الفترة [٦٠٠] ق.م تقدموا في أراضي أرضروم حتى جوار بلدة [وان] الحالية.

وفي الحقبة [٥٠٠ ـ ٤٠٠] ق.م صاروا بحوضة نهر [كر] ونهر [آراس] جنوب القفقاس.

ويقول الأرمن إن نسلهم يمتد إلى [هايغ بن توغامور] من أولاد يافث الوارد ذكره في التوراة و إن لفظة [آرمن] مشتقة من اسم [أرمه ناغ] أو [آرام] أحد أحفاده أما لفظة [هايستان] وهي اسم أرمينيا بلغتهم، فهي مشتقة من اسم [هايغ المذكور] .

على أن أهالي أورارطو كانوا يسمون معبودهم [هالدي] بإسم [هايق] أيضاً ، وهو اسم شخص أسطوري حارب [به لوس] كما أن هذا الاسم واسم [هاتي] متشابهان تشابهاً قوياً جعل البعض يدعي أنهم من الحثيين (لقد ذاب الأورارتيون وقسم من الحثيين بين الموسخ وتشكل الأرمن) .

وهايستان أو أرمينيا تشغل القسم الأوسط من جنوب القفقاس في منطقة جبلية ذات قلل شعثاء، وفي أوديتها الخصيبة تمتد الطرق التي تصل أرض الجزيرة وبلاد العجم بالبحر الأسود.

والأرمن شعب عامل نشيط وقوي صبور على أعمال الزراعة، ويحذقون الصناعات اليدوية، ولا يجارون في البراعة بالتجارة، وقد استغلو أراضيهم أحسن استغلال وجمعوا من الثروة ما جعل ملوكهم يعيشون عيشة البذخ والترف .

ولأجل هذا كله كانت أرمينيا ميداناً تتنافس الإمبراطوريات فيه للإستيلاء عليه .

وقد ذكر دارا الأول بنقش في هستوم [٥٢١ ق.م] اسم أرمينية بين الولايات التابعة للدولة الفارسية .

وجعل الأرمن يجمعون شملهم ويقوون كيانهم ويوسعون أملاكهم ، لكنهم تعرضوا لإستيلاء الإيرانيين وأصبحوا تابعين لهم مدة قرنين، واشتركوا معهم في حروبهم، وتأثروا بهم وبحضارتهم، وبنفوذهم استقروا في آرارات وطبعوا المنطقة بطابعهم .

وفي العصر الرابع قبل الميلاد أنزل الإسكندر المكدوني ضربته القاصمة على الإيرانيين واستولى على بلادهم، فلما مات الإسكندر كانت أرمينيا من حصة قائده [سلوكيد أو سيليفكو] وقد أعلنوا استقلالهم في تلك الفترة، وتشكلت أرمينيا الكبرى والصغرى ، فلقد كانت مواطن الأرمن مكونة من قسمين:

الأول: القسم الشرقي وهو الأكبر، في حوض نهر آراس، ويسمى ارمينيا الكبرى

الثاني: القسم الغربي وهو الأصغر في حوض أعالي الفرات، ويسمى أرمينيا الصغرى وقد أعطي إنطيوخس الروماني أرمينيا الشرقية إلى أميرهم [آرتاقسياس] والغربية إلى أميرهم [زاره] وسموا فيما بعد بمعاونة روما ملوكاً .

فلما استقرت لهم الأمور بنفوذ روما، صاروا يحاولون توسيع مناطق نفوذهم على حساب جيرانهم، وهم من قوميات متعددة، فأغضب ذلك السلوك الرومان، فثار كبيرهم القائد [انطيوخس ئه بي فان] لتأديب الأرمن، ولكن بوادر العصيان ظهرت في سوريا مما أجبره على الإكتفاء بأخذ الوعد من ملكي الأرمن بالطاعة له والعودة إلى سورية .

وقد استولى ميترداد الخامس الكبير حاكم مملكة بونت على أرمينيا الصغرى فقط عام ١١٢ قبل الميلاد ولكن الرومان أوقفوه عند حده .

في هذا الوقت ظهر شعب [بارت] العجمي في جهات [باختريان بلخ] واستولوا على ميديا وإيران وبابل وانتشروا حتى وديان الفرات، وبعد أن استقر البارت في الأناضول بدؤا بالتعرض للأرمن وحاولوا تشكيل دولة لهم في تلك المنطقة .

وفي هذا الوقت كان ولي عهد الأرمن [ديكرني . كه] رهينة عند الإيرانيين ولقد اشتهر بعد أن صار ملكاً بإسم ديكران الكبير .

ولما فشل البارت في تأسيس دولة بتلك المنطقة، بضغط من الرومان، فقد أصبح الأرمن أحراراً واتفقوا مع جيرانهم الأيبريين [[الكرج]

ومنذ عام ١٤٩ ق.م انتقل الحكم في إيران من السلوقيين إلى الفرس، وكانوا والرومان كفرسي رهان على امتلاك أرمينيا .

ملك ديكران الكبير: حكم أرمينيا مستقلاً حتى العام ١٧٢ ق.م؟ وقد حاول أن يشد إزر مترداد الكبير حاكم بونت ضد بومبي القائد الروماني الشهير، ولكن الحليفين انكسرا وخضعا للحاكم الروماني حوالي عام ١١٢ ق.م

الملك ديكران الثاني الأكبر: تولى الملك في الفترة [٩٤ ـ ٥٦] ق.م وقد استولى على أرمينيا الصغرى وشكل أرمينيا الموحدة، ووسع حدوده حتى كبادوكيا، وأراد حاكم البارت الإنتقام من ترداد الخامس حاكم بونت فجرد عليه ديكران الثاني حملة وقضى على دولة البارت نهائياً ، ثم انحدر إلى الجنوب فاستولى على إنطاكية وحلب من شمال سورية ودمشق

وحكم دمشق ٢٣ سنة .

وجعل عاصمة ملكه بلدة [ديقرانوركه رد] في جهة دياربكر وتل الأرمن الحالية، وعصى على حكومة روما وحقر سفراءها .

وكانت توسعاته هذه في أثناء الثورة العارمة التي أثارها وقادها مترداد الكبير ضد الرومان، والتي شملت جميع مناطق آسيا الصغرى واليونان، وكان ديكران هذا ربيباً لمترداد الكبير فأصبح حليفاً له ومعاوناً .

وفي عام ٧٢ ق.م انتصر القائد الروماني لوكوللس على متراداد فهرب والتجأ إلى أرمينيا وتوقفت الحرب مدة سنتين بسبب القلاقل والإنقلابات في روما، وفي عام ٦٩ ق.م طلب الرومان تسليم متراداد إليهم فأبى الملك ديكران، فزحف القائد الروماني لوكوللس إلى أرمينيا واستولى على العاصمة ثم أعاد الكرة عام ٦٨ ق.م وتغلب أيضاً على ديكران الثاني وفرض عليه الطاعة والجزية .

على أنه بالإتفاق مع متراداد استطاعا عام ٦٧ من التغلب على لوكوللس وطرد الرومان من بلادهما وفي عام ٦٦ ق.م أرسلت روما قائدها الشهير [بومبي] لإخضاعهما وقد أصيب متراداد بهزيمة منكرة كانت هي القاضية، ولقد هرب لاجئاً إلى أرمينية على أن الملك ديكران خاف من غضب روما فلم يقبل بلجوء متراداد إلى بلاده، وقدم خضوعه للقائد بومبي، ولما قبل بومبي اعتذاره وخضوعه فقد أهدى إليه [٦٠٠ وزنه] من الذهب تعادل [٢١,٦٠٠,٠٠٠] دولار أمريكي كما أهدى لكل من قواد بومبي [١٠,٠٠٠] دراحمه تعادل [٦٠٠٠] دولار أمريكي وقدم لكل جندي روماني [١٥٠] دراخمه وبذلك أبقى ملكاً على بلاده حتى مات.

واعترفت أرمينية بسيادة روما في عهد بومبي وقيصر وأغسطس ونيرون، وفي عهد تراجان أصبحت لفترة من الزمان ولاية رومانية عام ٦٢ ميلادية، وفي عام ٢٢٦ ميلادية استولى آل ساسان على الحكم في إيران، فهاجم ملكهم [ارتاسه رخس] بلاد الأرمن وقتل آخر ملوك آل [أرزاس] .

وفي عام ٢٣٩ م في عهد سابور الفارسي أغار على أرمينيا ومحا منها جميع الآثار الدينية التي شيدها الأرزاس وأحرق معبد النار المشهور في باكو بأذربيجان الحالية، أجبر الأرمن الحديثي العهد بالنصرانية على اعتناق الديانة المزدكية الفارسية .

ومن ثم تعرضت بلاد الأرمن لموجات من هجرات وتحركات الشعوب الصفراء الطورانية وبعض المصادر تذكر أن هرقل ملك بيزنطة احتل بلاد أرمينيا ومينغرليا الكرجية وبلاد الأبخاز [الأباظة من الجركس] عام ٦٢٤ م ثم توغل عام ٦٢٦ في إيران وقهر الساسانيين.

وبصورة عامة كانت ثقافة الأرمن وحضارتهم مستمدة من الثقافة الإيرانية وكانت ميولهم في العادة نحو بارثيا العجم .

وفي عام ٧٣٧ ميلادية الموافق سنة ٢٢ هجرية وصل جيش العرب المسلمين المكون من ١٨ ألف مقاتل، واحتلوا جنوبي القفقاس بما فيه الكرج والأرمن وأذربيجان وكذلك منطقة الداغستان من قفقاسيا الشمالية، وقد دام حكم العرب لغاية [١١٠٠] م حيث اضطروا للإنسحاب أثناء الحروب الصليبية وقد حكموا مدة ٤٦٣سنة .

وفي عام ١١٦٣م استولى الأتراك السلجوقيون على أرمينيا وجميع جنوب القفقاس .

وفي عام ١٢٣٦ م مرت بها جيوش جنكيزخان وقلبت البلاد عاليها سافلها، وأمام هذا السيل الجارف من القتلة المتوحشين اعتصم أكثر الكرج والأرمن بجبال آلاكوز وكوك جاي.

ولعل هولاكو أيضاً قد مر بهذه المنطقة وترك فيها آثاره المريعة .

وفي عام ١٣٨٨م جاء السفاح الآخر [تيمور لنك] التتري فاكتسح البلاد وخربها ونهبها، ثم سار حتى قونيه وأسر السلطان يلديرم بايزيد العثماني وقتله، ثم نهب الأناضول وسوريا والعراق .

ومن ثم عاد التنافس على أرمينيا وكرجستان وأذربيجان بين الترك والعجم في حروب حمقاء هوجاء حتى ألحقت أخيراً بروسيا ثم بالإتحاد السوفيتي وهي الآن دولة مستقلة بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي .

في القرن الرابع للميلاد اخترع [مسروب] حروفاً خاصة باللغة الأرمنية ونشرها وقد كتب [موئيس دوخران] تاريخ الأرمن ونقودهم كانت الدراخما اليونانية وكانوا قبل المسيحية يعبدون الأصنام على مذهب براهمه .

الأرمن في كيليكيا في الفترة ما بين [١٠٦٠ - ١٣٠٠] ميلادية

المعلومات التالية من قصة الحضارة صفحة ١٥٢:

حدث حوالي عام [١٠٨٠] ميلادية غادرت أسر وجماعات أرمنية كثيرة بلادها لعدم رضاها عن سيطرة السلاجقة عليها، وعبرت جبال طوروس واستقرت في كيليكيا [ولاية اضنة في تركيا] وكانت في حكم البيزنطيين ، ومن ثم شكلوا هناك دويلة أرمنية.

وبينما كان الأتراك السلاجقة ثم الأكراد في أواخر عهد العباسيين، ثم المغول في عهد جنكيز خان وخلفاؤه يحكمون أرمينية الحقيقية، فإن هذه الدويلة الجديدة، احتفظت بكيانها واستقلالها مدة ثلاثة قرون .

استطاع أحد ملوكها المدعو ليو الثاني في حكمه الذي دام مدة أربعة وثلاثين عاماً فيما بين [١١٨٥ - ١٢١٩]م أن يصد هجمات سلاطين حلب ودمشق ويستولي على [إثريا] وينشيء له عاصمة في مملكة [سيس] ويعقد حلفاً مع الصليبيين، ويدخل الشرائع الأوربية إلى مملكته وأن يشجع الزراعة والصناعة، كما منح تجار البندقية وجنوه عدداً من الإمتيازات

وأقام الملاجيء للأيتام والمستشفيات للمرضى والمدارس لطلاب العلم ، واستمتع رعاياه في أيامه برخاء منقطع النظير، وكسب بحق لقب [ليو الأفخم] وكان من أعظم ملوك العصور الوسطى حكمةً وأكثرهم خيراً وإصلاحاً .

ووجد صهره [هثوم] الأول . ١٢٢٩ ـ ١٢٧٠ م المسيحيين غير أهل لأن يعتمد عليهم فتحالف مع المغول، وسره أن يطرد السلاجقة من أرمينية على يدهم عا [١٢٤٠] م .

فلما اعتنق المغول الإسلام حاربوا أرمينيا الصغيرة هذه ودمروها تدميراً عام ١٣٠٣ م ومابعدها.

ومن ثم فتح المماليك المصريون أرمينية في عام ١٣٣٥ م وقسمت البلاد بين سادة الإقطاع المماليك .

وظل الأرمن خلال هذه الإضطرابات يبدون ضروباً من المهارة الفنية في العمارة وحذقاً عظيماً في النقش الدقيق، ويستمسكون بنوع من الكثلكة المستقلة عن سائر المذاهب استطاعوا بواسطته أن يصدوا كل المحاولات التي بذلتها روما أو القسطنطينية للسيطرة على بلادهم، وفي عهد السلطنة العثمانية، تعاورت أرمينيا الأصلية القوات العثمانية والإيرانية مراراً وكان الأرمن يعيشون في ظل الخلافة العثمانية عيشة آمنة رغدة، لكن الأوربيين آثاروهم على الأتراك قبيل الحرب العالمية الأولى [١٩١٢ م] وعندها جرى تهجيرهم من تركيا إلى سوريا على نطاق واسع، ومنها انتشروا إلى بقية الأقطار العربية والعجم وأوربا وأمريكا .

★ ★ ★

الأكراد

الأكراد هم الشعب الذي يقطن بلاد كردستان وهي المنطقة الجبلية من آرارات وتمتد من شمال العراق حتى جنوب القفقاس ومن القسم الشمالي الغربي من إيران إلى الولايات الشرقية من تركيا، فهم حالياً موزعون بينها واكثرهم في تركيا ثم إيران ثم في شمال الموصل بالعراق ثم في منطقة كرديزم من جنوب أرمينيا وقد جاء في كتاب جرجي زيدان صفحة ٢٩٣ وما بعد:

الأكـــراد أمة قديمـــة، يسمون في التاريخ القديم [كرادخي] ولقد مر بهم القائد اليوناني [زينو فون] أثناء هربه مع جيشه من بابل عام [٣٥٨] قبل الميلاد متجهاً إلى طرابزون، ولسان الأكراد ولغتهم إيرانية الأرومة .

واللوريون في لورستان من فارس يقربون الأكراد كثيراً وينتسب الأكراد إلى الميديين القدماء .

حكومة ألبانيا القفقاسية

إن منطقة جمهورية أذربيجان الحالية في الساحل الغربي لبحر الخزر من القفقاس الجنوبي كانت تسمى قديماً [ألبانيا] تحد شمالاً ببلاد الداغستان وجنوباً بأرمنستان وشرقاًببحر الخزر وغرباً بالحوض الأوسط لنهر [كر] .

وكانت حكومة ألبانيا هذه تعاصر حكومة إيبريا الكرجية، وكلمة [ألباني] يونانية تطلق على الأراضي ذات الجبال والطبيعة الصخرية .

أما اسم أذربيجان فهو حديث التسمية أطلق عليها عام [١٩١٨] م وليس لهذا الاسم أي مدلول تاريخي سوى الإشـــارة إلى الرغبـــة الفكريـــة في توحيدها مع أذربيجان الإيرانية. وفي عهد العرب سميت [أرران] وهي الأن معروفـــة بأذربيجـــان، وقـــد ورد عن ستـــرابون [١٠٠ ق.م] أنّ الألبان قوم ممشوقوا القوام بيض حسان الوجوه وكانت ألبانيا حكومة ملكية، وعدد عساكرها المحاربة تتراوح بين [٦٠ - ٨٠] ألف مقاتل ، أسلحتهم القسي والنبال والرماح والسيوف، يلبسون الزرد ويحملون التروس المصنوعة من الحديد، وعلى رؤوسهم مغافر من جلود الوحوش .

أما الأهالي فكانوا يتقلدون الخناجر الطويلة [قاما] دائماً حتى إنها صارت جزءاً من ملابسهم التقليدية .

واتقاءً من غارات الحكومة الإيرانية المستمرة على أراضيها، اضطرت للإتفاق مع حكومة إيبريا المجاورة وذلك في عهد القائد الروماني الشهير بومبي، أي في حوالي عام [٦٦ ق.م] ومما سهل هذا الإتفاق أن ألبانيا وإيبريا كانتا تعبدان آلهة متشابهة في معابد مشتركة قائمة على الحدود بينهما .

وقد يظن أن هاتين الحكومتين اتحدتا وصارتا حكومة واحدة قوية ، ويظن أيضاً أنهما اتحدتا مع القوشحة [اوست] والجركس وأنهم كونوا اتحاداً قوياً لمقاومة الغزاة الطامعين ببلادهم .

ومن أهم تقاليد الألبان كان احترام المسنين احتراماً كلياً ورعايتهم وخدمتهم وكانوا يدفنون موتاهم مع أموالهم ومقتنياتهم كما كانت العادة عند جميع القفقاسيين، وعلى العموم فقد كانوا فقراء لا تظهر عليهم علائم الثراء والرخاء .

وكانوا يعبدون الشمس والقمر وكوكب زحل، وللقمر عندهم المكانة العظمى .

وبتأثير الغارات الكاسحة المتوالية التي تعرضوا لها على مر الزمن فقد قل عددهم ولما استولى الأتراك السلجوقيون على بلادهم واستوطنوها ، اضطر قسم كبير منهم للإلتجاء إلى الجبال الشمالية فاندمجوا باللزكي والجاجان والآستين والداغستان والجركس، وتمثل الأتراك الباقين .

ويقول بعض كتاب الروس أن سكان قريبي [قرين ونوحا] الكائنين جنوب القفقاس هم من سلالة ألبانيا القديمة ويبلغ عددهم نحو عشرة آلاف نسمة .

ويقول المؤرخ مورغان أن [آران] من عائلة [أرزاس] أسرة ملوك الأرمن اعتلى عرش مملكة البانيا عام [١٤٩] قبل الميلاد بمعاونة الأرزاس ، وحكمها حتى سنة [١٢٧] قبل الميلاد، وبموت ملك الأرمن ديكران استردت ألبانيا حريتها واستقلالها .

وأذربيجان أيضاً مثل كورجستان وقعت تحت أيدي المحتلين من الإيرانيين والعثمانيين ثم الروس، وقد ابتدأ فيها دور الشيروان شاه عام ٥٣٢ ميلادية وجرى استيلاء العرب المسلمين عام٦٤٢م ورغماً عن ذلك فإن مملكة الشيروان حافظت على كيانها، وبعد أن تم استيلاء العرب على بلاد شيروان[أرران] فقد تطلعوا لتوسيع فتوحاتهم نحو الشمال لكي يقووا مركـــزهم الحربي ويزيدوا من ساحة الجهاد الإسلامي، فحصنوا قلعة دربند ودعموها بالقــوات، ثم احتلوا بلاد الداغستان وبلاد الجاجان وأقاموا فيها مراكز حصينة لحماية سلطانهم .

ولكن فتوحات العرب لم تكن مجرد إحتلال عسكري وسياسي لغايات إستعمارية بل كانت تهدف إلى نشر الدين الإسلامي وفتح القلوب للإيمان وهداية العقول إلى نور الدعوة الإسلامية، وكانت إدارتهم للبلاد ومعاملاتهم مع العباد من العدالة والإنسانية بحيث تخدم هذا الغرض، ولذلك بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ولم يتعرضوا لأية معارضة أو ثورة من قبل أهالي البلاد.

جاء في كتاب قصة الحضارة . الجزء العاشر ـ صفحة ٣٩٢ . بحث تراجان:

وفي عام ١١٣ م زحف تراجان على أرمينية وأخضعها ثم استولى على بلاد ما بين لنهـــرين ثم أخضـــع البوسبـــــور والكلشي وإيبريا الآسيويـــة [كرجستان] وألبانيا الأسيوية [أذربيجان] وأوسر هوني ومسينيا وميديا وآشور وبلاد العرب الشمالية وبارثيا نفسها وجعلها

ولايات رومانية عين لها ملوكاً يخضعون لسلطانه .

★

إن الفتح العربي الإسلامي دامت آثاره حتى عام ١١٠٠م في القفقاس ، ولكن الواقع أنه لم تبق في القفقاس جيوش عربية ذات بال، ولكن إعتناقهم للديانة الإسلامية كان يجعلهم يدينون بالطاعة للخلفاء المسلمين وعمالهم وولاتهم، ويظهرون الإحترام المشوب بالتقديس لكل العرب، لذلك كان حكم العرب يتجلى في الحكام العرب ومن والاهم من بقايا العرب في البلاد .

وقد مرت بألبانيا أو [أرران كما كان يسميها العرب أولاً، وشيروان ثانياً ثم أذربيجان أخيراً] أدوار سياسية مختلفة نوضحها فيما يلي:

إمارة المزيديين [٩٥٠ ـ ١٠٧٨] م : وهو أحد الولاة من سادات العرب ومن خلفه. على أن حاكمية العرب الفعلية كانت قد زالت في زمنه، عل أنه كان حاكماً وأميراً على ألبانيا وقد أغار الروس على إمارته مرتين في عامي ٩١٣ م و٩٤٣م وقد جرت هاتين الغزوتين بمساعدة الخزر ونزولهم عن طريق نهر الفولغا إلي بحر الخزر، وهي تشبه الغارات التي قاموا بها على الآستانة عن طريق نهر الدنيبير والبحر الأسود، كما تذكرنا بالغزوات التي كان يشنها النورمان الشماليون على أقطار أوربا .

وسنعطي معلومات مفصلة عن هذه الغارات في القسم الثاني من هذا الكتاب وهو الحروب الروسية القفقاسية، على أن الشيء المهم الذي يجب ملاحظته في هذه الغارات هو تعرف الروس على بلاد القفقاس وثرواتها وجمالها واكتشاف طرقها ومجالاتها مما جعلها قبلة أطماعهم التوسعية وأحلامهم الاستعمارية .

إمارة الكسرانيين [١٠٧٠ ـ ١٣٠٢] : ولايعرف بالضبط نسبة هذه الأسرة الحاكمة، هل هم إيرانيون أم من الشيروانيين، واستيلاء السلجوقيين على ألبانيا يصادف دور هؤلاء، كما أن الكرج أيضاً أشغلوها مدة من الزمن في هذا الدور .

وكان السلجوقيون يسلمون السلطة والنفوذ إلى [أتابك] فلما نقل الأتابك مركزه من كنجه إلى شماخي، فقد نقل الشيروان شاه عاصمته إلى باكو .

وفي عام ١١٧٥م وقعت الغارة الروسية الثالثة، وقد ظل المغيرون مدة طويلة وطردوا من البلاد بصعوبة .

ثم وقعت النكبة بقدوم جيوش جنكيزخان واستيلائهم ثم زحف الجلايري والجوباني من قوم تيمورلنك؟؟

إمارة الشيروانيين في دربند [١٣٠٢ - ١٣٨٢] :
إن مؤسس هذه الحكومة إنسان فاضل، هو فقير ولكنه أصيل، يدعى [شيروان شاه ابراهيم] وقد تولى السيادة بالإنتخاب، وقد جرى استيلاء تيمورلنك في عهده ولقد استطاع بحنكته ودرايته تجنيب البلاد من السلب والدمار بمسالمته تلك القوة الغلابة المخربة، ولم يطق الخان توقتاميش خان المغول في بقية دوله الجيش الذهبي وعدو تيمورلنك هذه،المسالمة فأغار على البلاد، ولكن قواد تيمور صدوه وحموا المنطقة منه، ولقد قضى تيمور من بعد على توقتاميش ودولة الجيش الذهبي .

وفي عام ١٤٦٢م تأسست العلاقات التجارية بين بلاد شيروان والروسيا، وكان هذا أيضاً حافزاً على إثارة الأطماع الروسية في خيرات بلاد القفقاس .

وفي هذا الدور ضعف نفوذ التيموريين وصولتهم

وكانت قد ظهرت قوة جديدة هي [آقويونلو] وهم من أكبر القبائل السلجوقية، فانفصلت دولة شيروان عن التيموريين وإنحازت إلى الآقويونلو، ويلاحظ من هذه السياسة الشيروانية أنّها كانت تتمتع بالمهارة والإيجابية .

وفي هذه الفترة ظهرت قوة الصفويين في إيران، وبدؤا بالفتوحات والتوسع، فاحتلوا بلاد شيروان وأعملوا فيها أثناء احتلالها النهب والخراب .

والمذهب الشيعي المنتشر في أذربيجان الحالية هو من نتائج هذا الإحتلال، وقد التجأ الشيروان شاه إلى بلاد القرم فجهز خان القرم جيشاً بقيادة صهره زوج إبنته الشيروان شاه أبو بكر مرزا وعاد إلى بلاده .

في هذه الفترة كانت الحرب تدور رحاها بين الأوهريين ، والصفويين والعثمانيين وقد احتل العثمانيون قسماً من بلاد إيران، وبذلك استطاع أبو بكر مرزا الإستقرار في بلاد شيروان بأمان، حتى توفي عام ١٦٠٢م .

وتعرضت شيروان من بعده إلى غارة شاه عباس الصفوي وعادت الولاية تابعة إلى نفوذ فارس .

إمارة السيركاري [١٦٠٢ - ١٨٢٦]: وهذا آخر دور من أدوار أذربيجان إذ كان فيه التخاصم والحروب المذهبية بين العجم والترك قد اتخذ من جنوب القفقاس ميداناً له ، وفي خضم هذه الحروب أضاعت أذربيجان وحدتها واستقلالها، وانقسمت إلى خانيات عديدة، وابتدأ فيها عهد من حكام القبائل والخانيات الصغيرة .

وفي هذا العهد الذي دام [١٠٨] سنوات تعاور في السيادة على أذربيجان العثمانيون والإيرانيون، فمرة هؤلاء وأخرى أولئك، فأما الإيرانيون فكانوا يحكمونها بإيفاد حاكم عام يمثل الإمبراطور، أما العثمانيون فكانوا يحكمونها بإدارة عسكرية ، وقد قسموا البلاد إلى

ولايات، وعلى ذلك فخانات السير كاري لم يكونوا يحكمون جميع بلاد [أرران] بل مقاطعة شيروان فقط .

على أن الوطنيين لم يتقبلوا هذا الذل لأوطانهم، فانسحبوا شمالا إلى بلاد الداغستان بزعامة [داوود بك] وقد قبله وناصره أمير قبيلة غازي قوموق [سورهان بك] فتمكن من تأليف جيش محارب عاد بواسطته إلى بلاده شيروان وحررها .

في ذلك الوقت كان يعيش في بلدة شماخي كثيرة من التجار الأجانب وبينهم جالية كبيرة من الروس، فنهبت أموالهم التي قدرت بثمن أربعة ملايين روبل روسية .

وعلى أثـر ذلك أعلن قيصر روسيا [بطـرس الكبيـر] الحـرب، وسارت جيوشه باتجاه باكـو، ولكن داوود بك الشيرواني، استطـاع تـأمين مـؤازرة العثمانيين واستقدام جيش بقيادة [مصطفى باشا] فتوقف الروس عن تقدمهم بعد إستيلائهم على دربند و باكو وساحل البحر وعقدت بين الطرفين معاهدة صلح .

لقد اكتسب الروس هذه المواقع بدون حرب ، وأصبحوا يتحكمون في داخلية البلاد ويتسلطون على الطرق الرئيسية فيها، كما أنهم أصبحوا سادة بحر الخزر، وصاروا يشكلون خطراً ضد العثمانيين والإيرانيين، وقد انتبه نادرشاه لهذا الخطر الجديد .

وفي شيـروان تـوفى الرئيس [داوود بـك] الشيرواني فحـل محلـه في الحكـم صديقـه [سورهان بك غازي قوموق] الداغستاني .

لم يكن الإمبراطور نادر شاه يعترف بتلك الإتفاقية المعقودة مع الروسيا ، أما حاكم شيروان فقد كان يرى في الإيرانيين خطراً أدهى وأمرّ من الروس، وكان يظاهره في إعتقاده هذا العثمانيون وخانات القرم، ولذلك فأن الأمير سورهان بك أجاب على كتاب إعتراض نادر شاه بالرد والرفض ، فزحف نادرشاه الملقب بقاهر الشعوب بجيوش حتى شماخي، وكان سورهان بك يعتمد على قوات مؤيدة من العثمانيين ومن التتار أرسلها [فتحكراي] خان القرم، فحاول مقاومة نادرشاه ، ولكن قواته المتفقة منيت بالهزيمة وهربت شمالاً لاجئة إلى الداغستان، فتعقبهم نادرشاه، وفي الداغستان ابتدأت حروب متسلسلة دامية بين الطرفين لم تنته إلا عام ١٧٤٧م حين انهزم نادرشاه في أقوشيا فانسحب الجيش الإيراني إلى الجنوب وقتل نادرشاه .

وهكذا أظهر القفقاسيون الجركس شهامتهم ومروءتهم النادرة، بالتضحية في سبيل مناصرة من التجأ إليهم .

وبعد انسحاب الإيرانيين بمدة قليلة توفى سورهان بك أيضاً .

ومن بعد هذا كان أنْ تولى إمارة شيروان خانات يحملون لقب [سيركاري] وأولهم على رضا خان وهو من أمراء قبيلة السيركاري المستوطنة بجوار شماخي .

وآخر أمراء هذه الأسرة هو مصطفى خان الذي بقي في الإمارة في فترة [١٨٢٦ ـ ١٨٩٢]م

هذا وإن السيادة الصفوية في بلاد العجم انتهت بمقتل نادرشاه ، واستلم زمام الملك في فارس أمير آل قاجار [آقا محمد شاه] فقاد جيشاً إلى قفقاسيا واحتج الروس على عمله فزحفوا على شماخي من الغرب، وتوفى الشاه آغا محمد قبل أن يحصل على نتيجة ما سوى تخريبه لبلاد الكرج.

أما أمير شيروان مصطفى خان فقد اتفق مع الروس وظل في شاماخي .

على أن قوات إيران عادت من بعد للتعرض لشيروان وحاول مصطفى بالإتفاق مع الروس صد هذا الزحف الجديد فلم يوفق، واستسلم ثم تنازل عن الإمارة ولجأ إلى إيران.

ومن ثم استطاع الروس في عام ١٨٢٦م أن يبسطوا نفوذهم كاملاً على هذه البقاع.

جاء في كتاب [مروج الذهب ومعادن الجوهر] تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن بن الحسين علي المسعودي ، المتوفي في عام ٣٤٧ من الهجرة .

بتحقيق من [محي الدين عبد الحميد] الجزء الأول ـ الطبعة الثانية ـ لحساب المكتبة التجارية الكبرى في مصر طبع عام ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م بدءاً من الصفحة ١٧٦مايلي:

ذكر جبل القبخ وأخبار الأمم

من اللان والسرير والخزر وأنواع الترك والبرغز وغيرهم، وأخبار الباب والأبواب ومن حولهم من الملوك والأمم .

أما جبل القبخ فهو جبل عظيم، وصقعه صقع جليل وقد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفي هذا الجبل إثنتان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها ، وهذا الجبل ذو شعاب وأودية، ومدينة الباب والأبواب على شعب من شعابه بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر، وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا إلى البحر، ثم على جبل القبخ مادا في أعاليه و منخفضاته وشعابه نحواً من أربعين فرسخا إلى أن ينتهي ذلك إلى قلعة يقال لها طبرستان، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من حديد ، وأسكن فيه على كل باب من داخله أمة تراعي ذلك الباب وما يليه من السور، كل ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان وأنواع الترك والسرير وغيرهم من أنواع الكفار ، وجبل القبخ يكون في المسافة علواً وطولاً وعرضاً نحواً من شهرين، بل وأكثر، وحوله أمم لا يحصيهم إلا الخالق عز وجل، أحد شعابه على بحر الخزر مما يلي الباب والأبواب على ما ذكرنا ومن شعابه مما يلي بحر مايطس [الأسود] المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذي ينتهي إليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهي مدينة على شاطىء هذا البحر، لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم من بلاد [كشك] . ولما بنى انوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والأبواب والسور في البر والبحر

والجبل، أسكن هناك أمماً من الناس وملوكاً، وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحدّ له حداً معلوماً، على حسب فعل أردشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان، فمن رتب منهم أنوشروان من الملوك في بعض هذه البقاع والمواضع مما يلي الإسلام من بلاد بردعه ملك يقال له شروان ومملكته مضافة إلى اسمه فيقال له شروان شاه، وكل ملك يلي هذا الصقع يقال له شروان.

وتلي مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبخ يقال لها الأيران وملكها يدعى الأيران شاه وقد غلب على هذه المملكة في هذا الوقت شروان أيضاً، وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية، والمعول في مملكته على مملكة اللكز [اللزكي؟] وهي أمة لا تحصي كثرة، ساكنة في أعالي هذا الجبل، ومنهم كفار لا ينقادون إلى ملك شروان يقال لهم الدودانية لا يرجعون إلى ملك، ولهم أخبار طريفة في المناكح والمعاملات، وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرفون بعضهم بعضاً لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو، وكثرة غياضه وأشجاره، وتسلسل المياه من أعلاه، وعظم صخوره وأحجاره، وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان لغيره ممن رتب هناك، فأضافها محمد بن يزيد إلى ملكه، منها خراسان شاه وزادان شاه .

وتلي المملكة شروان في جبل القبخ مملكة طبرستان، وملكها في هذا الوقت مسلم وهو إبن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب والأبواب وهي أول الأمم المتصلة بالباب والأبواب.

وببادىء أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان وهذه الأمة داخله في جملة ملوك الخزر، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر، وذلك أنها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه . فانتقل الملك عنها إلى مدينة آمل وبينها وبين الأولى سبعة أيام .

وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد (البلغر) وتصب في بحر مايطس وفي وسط هذا النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية، فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة إثنتين وثلاثين وثلاثمائة (يوافق ٩٤٤م) وهو [أرمنوس] نقل من كان في ملكه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم، فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرضه على ماوصفنا، وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكره المسعودي في بعض كتبه (ص١٧٩) أما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم، الصقالبة والروس وهم في أحد جانبي هذه

المدينة ويحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والحلي، وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل، وإن مات منهم أعزب زوج بعد وفاته، والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة، وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرناه آنفاً، إلا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها إلا أن ترى ذلك المرأة، والغالب في هذا البلد المسلمون ، لأنهم جند الملك وهم يعرفون في هذا البلد باللارسية، وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان في قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع في بلادهم جدب ووباء فانتقلوا إلى ملك الخزر، وهم ذووا شدة وبأس، وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه، وأقاموا في بلده على شروط بينهم، أحدها إظهار الدين والمساجد والأذان، وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير في وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه، وثالثها أنه متى كان للملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار، وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب إلى نهرها من أعاليها، يقال له برطاس عليه أمم من الترك حاضرة داخلة في جملة ممالك الخزر، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخزر والبرغز [البلغر] وبرطاس أمة من الترك، ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التي تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار. (ص١٧١) .

وفي أعالي نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر نيطس [أفريطش] وهو بحر الروس لا يسلكه غيرهم وهم على ساحل من سواحله، وهي أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة، وفيهم تجار يختلفون إلى ملك البرغز [إلى مدينة بحر البلغر] . (ص١٧٩) .

وللروس في أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذي بجبل منجهير من أرض خراسان، ومدينة البرغز على ساحل بحر مايطس، وهم نوع من الترك وملك البرغز في وقتنا هذا مسلم ولهم جامع، وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية ويشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والأندلس وأرض برجان والجلالقة والأفرنجة ومنهم إلى القسطنطينية والليل في بلاد البرغز في نهاية القصر في بعض السنة . (ص١٨١) .

والروس أمم كثيرة وأنواع شتى ومنهم من يقال لهم [اللوذعانة = المودعانة] وهم الأكثرون ومذكور في هذا المؤلف خبر غارة عظيمة شنها الروس على سواحل بحر الخزر الجنوبية والغربية [وطرحت سراياها إلى الجيل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون، وبلاد النفاطة من مملكة شروان العروفة بباكه [باكو] ونحو بلاد أذربيجان وذلك إن السير من بلاد أردبيل إلى بلاد أذربيجان إلى هذا البحر نحواً من ثلاثة ايام] .

وذلك بانحدارهم إلى البحر عن طريق نهر الخزر بموافقة ملك الخزر فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت وأحرقت وأخربت .

فضج من حول هذا البحر من الأمم، وكانت الروس تأوي عند رجوعها من غاراتها إلى جزائر تقرب من النفاطة على أميال منها، ولمّا سئموا من الغزو وأرادوا الرجوع عن طريق نهر الخزر على أن يقاسموا ملك الخزر على غنائمهم، فقرر مسلموا الخزر اللارسية محاربة الروس وبالقرب من مدينة آمل جرت معركة رهيبة قضي فيها على الغزاة الروس قضاء مبرماً فلم يعودوا لمثلها من بعد . (ص١٨٤) .

وساحل طبرستان على هذا البحر، وهناك مدينة يقال لها [الهم . الهمرجي] وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار وعلى ساحل جرجان مما يلي هذا البحر مدينة يقال لها [آبسكون] على نحو من ثلاثة أيام من جرجان، وعلى هذا البحر "الجيل" والديلم، وتختلف المراكب بالتجارات فيه إلى مدينة آمل فيدخل في نهر الخزر إليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات من المواضع التي سمينا من ساحله إلى باكه [باكو] وهي معدن النفط الأبيض وغيره، وليس في الدنيا و الله اعلم نفط أبيض إلا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شروان، وفي هذه النفاطة أطمه، وهي عين من عيون النار لاتهدأ على سائر الأوقات تتضرم الصعداء. (ص١٨٥).

ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر، منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كأشمخ مايكون من الجبال العالية فتضيء الأكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر.

وفي هذا البحر جزائر آخر مقابلة لساحل جرجان، يصادفها نوع من البزاة البيض وهذا النوع من البزاة أسرع الضواري إجابة وأقلها معاشرة .

مملكة جيدان = حيزان: وقد قلنا إن شرق من جاورها من الأمم مملكة جيدان وملكهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان وليس في مملكته مسلم غيره وولده وأهله، وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع، وبين مملكة جيدان وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير العربية. في آجام هناك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها، وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي أفتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من بوادي العرب اليها، فهم مجاورون لمملكة جيدان، إلا أنهم ممتنعون بتلك الأشجار والأنهار وهم على نحو من ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب، وأهل الباب يخدرونهم=ينجدونهم . (١٩٢) .

مملكة برزبان ـ ويلي مملكة جيدان مما يلي جبل القبخ والسرير ملك يقال له برزبان مسلم ويعرف بلده بالكرج، وهم أصحاب الأعمدة، وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى برزبان وفي (أ) يقال له (مدرمان) .

مملكة غميق = عميق: ثم يلي مملكة [برزبان = مدرمان] مملكة يقال لها غميق ، وأهلها أناس نصارى لا ينقادون إلى ملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان .

مملكة زريكران = (في ب درلكران) : ثم يليهم مما يلي السرير والجبل مملكة يقال لها زريكران وتفسير ذلك عمال الزرد، لأن أكثرهم يعمل الزرد واليلب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد، وهم ذووا ديانات مختلفة، مسلمون ويهود ونصارى، وبلدهم خشن قد امتنعوا بخشونته على من جاورهم من الأمم .

مملكة السرير ـ مملكة فيلان شاه ـ أو قبلان شاه :

ثم يلي هؤلاء مملكة السرير وملكها يدعى فيلان شاه ، يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنه من ولد بهرام جور، وسمي صاحب السرير لأن يزدجرد. وهو الأخر من ملوك ساسان ـ حين ولى منهزماً قدم سريره الذهبي وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام جور ليسير بها إلى هذه المملكة فيحرزها هناك إلى وقت موافاته، ومضى يزدجرد إلى خراسان فقتل هناك، وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه، فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك في عقبه فسمي مملكة السرير، ودار ملكه تعرف ب (حمر ج = حبرج) وله إثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من يشاء وبلده خشن منيع الخشونة، وهو شعب من جبل القبخ ، وهو يغير على الخزر مستظهراً عليهم، لأنهم في سهل وهم في جبل [رفيلان شاه هو الإسم الأعم لسائر ملوك السرير] .

مملكـــة اللان: ثم تلى هـــذه المملكـــة مملكـــة اللان ومـــلكها يقـــال له كركنداج ، [في ب ـ أسفنديار بن كستاسب] وهذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم، ودار مملكة اللان يقال لها [معص] وتفسير ذلك الديانة [في ب الدماثة] وله قصور ومنتزهات في غمر هذه المدينة ينتقل في السكن إليها، وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما بأخت الأخر، وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام في الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية ، وكانواقبل ذلك جاهلية ، فلما كان بعد العشرين والثلاثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية .وطردوا من كان قبلهم من الأساقفة والقسيسين وقد كان انفذهم إليهم ملك الروم .

وبين مملكـة اللان وجبل القبخ قلعة وقنطرة على وآد عظيم، يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان ، بنى هذه القلعة ملك في قديم الزمان يقال له اسبنديار بن يستاسف بن بهراسب، ورتب في هذه القلعة رجالاً يمنعون اللان من الوصول إلى جبل القبخ ولا طريق لهم والأعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة . وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام، وصاحب اللان يركب في ثلاثين ألف فارس، وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك .

أمة كشك: وكشك معناها بلغة القوشحه [السهل] أي سكان السهل، ثم يلي مملكة اللان أمة يقال لها كشك [كمشك] وهم بين جبل القبخ وبحـــر الروم وهي أمـــة مطيعـــة [نظيفة] منقادة إلى دين المجوسية، وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع أنقى أبشاراً ولا

أصفى ألواناً ولا أحسن رجالاً ولا أصبح نساءً ولأقوم قدوداً، ولا أدق أخصاراً، ولا أظهر أكفالاً وأردافاً، ولا أحسن شكلاً من هذه الأمة ، ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات، ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب، بأرضهم أنواع من الثياب يصنع من القنب فيها نوع يقال له الطلي أرق من الديبقي، وأبقى على الكد، يبلغ الثوب عشرة دنانير، يحمل إلى مايليهم من الإسلام، وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الأمم إلا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء .

واللان مستظهرة على هذه الأمة، لا تنتصف هذه الأمة من اللان، إلا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر، **والعلة في ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عليهم ملكاً يجمع كلمتهم، ولو اجتمعت كلمتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الأمم**، وتفسير هذا الاسم وهو فارسي إلى العربيــة [التيــه والصلف] وذلك أن الفــرس إذا كان الإنسان تائهاً صلفاً قالوا [كشك]، والمعنى الحقيقي في لغة الايرون (سكان السهل) وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه، فمن الناس من يرى أنه بحر الروم، ومنهم من يرى أنه بحر نيطس ، إلا أنهم يقربون في البحر من بلاد طرابزنده = [طاربنده] والتجارة تتصل بهم منها في المراكب وتتجهز من قبلهم أيضاً. (ص١٩٥) .

أمة السبع بلدان: وتلي هذه الأمة التي على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان، هي أمة كبيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا نمى إلي خبر في دينها . (ص١٩٥؛)

إرم ذات العماد: وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب إلى بحر الروم وقيل إلى بحر منيطس، ويقال لدار مملكة هذه الأمة إرم ذات العماد وهم ذو خلق عجيب، وآراؤهم جاهلية، ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف . (ص١٩٥) .

أمة الجبال الأربعة: ويلي هذه الأمة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء ، وبين هذه الجبال الأربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء، في وسط تلك الصحراء دارة مقورة كأنها قد خطت ببيكار، وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر صلد منخسف كما تدور الدائرة، استدارة تلك الخسف نحو خمسين ميلاً، قطع قائم يهوي سفلاً كحائط مبني من سفل إلى علو ، يكون قعره على نحو من ميلين ، لا سبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدارة، ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار يرى قرى وعمائر، وأنهار تجري بين تلك القرى، وناس وبهائم، إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعد قعر الموضع، لا يدري من أي الأمم هم، ولا سبيل لهم إلى الصعود إلى جهة من الجهات، و لاسبيل لمن فوق إلى النزول إليهم بوجه من الوجوه . (ص١٩٥ و ١٩٦) .

ووراء تلك الجبال الأربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات، مستديرة الوجوه، والأغلب عليها صور الناس وأشكالهم

إلا أنهم ذوو شعر الخ. . (ص ١٩٩) .

أمم الترك الأربعة: يلي بلاد الخزر فيما بينهم وبين المغرب أمم أربع ترك ترجع إلى أب واحد في بدء أنسابهم، حضر وبدو، وذووا منعة وبأس شديد ، لكل أمة منها ملك مسافة ملكه أيام فالجيل الأول منهم يقال له يجني ثم تليها أمة ثانية يقال لها بجغرد = [جعرد] ثم تليها أمة يقال لها بجناك وهي أشد هذه الأمم الأربعة بأساً ، ثم تليها أمة ثانية يقال لها نوكرده = [بوكرده] وملوكهم بدو . (ص٢٠٠) .

إن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الأبخاز منقادة إلى دين النصرانية، وهم متصلون بجبل القبخ.

الجورية ـ ثم يلي ملك الأبخاز ملك الجورية وهي أمة عظيمة منقادة إلى دين النصرانية تدعى خزران، ولها ملك في هذا الوقت يقال له الطبيعي، ومملكة هذا الطبيعي موضع يعرف بمسجد ذي القرنين .

الصمصخية: ثم تلي مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصخي، نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم. (ص ٢٠٤) .

الضارية: ثم تلي مملكة هؤلاء الصمصخية بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الضارية = (الضبارية) وملكهم يقال له كرسكوس وهذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم، وينقادون إلى دين النصرانية، وهؤلاء النصرانية يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد بن مضر ، وأنهم فخذ من عقيل، سكنوا هنالك من قديم الزمان الخ..

مملكة شكين: ثم تلي مملكة الضارية مملكة شكين ، وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم من ذوي المهن ، ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا [آزر بن نبيه بن مهاجر]. (ص ٢٠٤) .

مملكة قيله: ثم تليهم مملكة قيله، وما حوت المدينة منها مسلمون، وماحولها من العمائر والضياع نصارى ، ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا [عنبسه الأعور] وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدّعار . (ص ٢٠٥) .

مملكة الموقان: ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان، وهي التي قدمنا ذكرها وإنها متغلب عليها، وإنها مضافة إلى مملكة شروان شاه الخ..

ويلي ذلك ذكر بعض أنهار جنوب القفقاس (ص ٢٠٥) .

★ ★ ★

تاريخ بلاد الكرج (جورجيا)

موقع بلاد الكرج في القسم الجنوبي من القفقاس ، ويحدها شمالاً السلسلة الجبلية التي تفصلها عن بلاد الجركس وشرقاً الحدود السياسية بينها وبين ألبانيا القفقاسية أي أذربيجان الحالية ، وجنوباً حدودها مع تركيا و أرمنستان ، وغرباً تطل على البحر الأسود بشواطىء غاية في الروعة من الجمال الطبيعي الخلاب.

والكرجيون الذين هم من أقدم سكان القفقاس الأصليين هم السفان ، ولا شك في اتحاد أصولهم القديمة مع أصول الجركس القديمة ولكن الجبال الشاهقة وآلاف السنين فصلتهم عن بعض.

والكرج يمثلون أجمل عناصر العرق الأبيض ، وفي بلاد الشرق يضرب المثل بالجمال الكرجي ؛ وهناك مثل تركي دارج يقول "الجمال في كرجستان ، والشجاعة في داغستان ، وجياد الخيل في عربستان".

يقول المؤرخ سترابون إن بلاد الكرج كانت تدعى قديماً [ساسبير] ومن ثم عرفت في عهد اليونان بإسم [إيبريا] وأخيراً سميت بيلاد الكرج ؛ ولنلاحظ أن شبه جزيرة إسبانيا أيضاً تسمى [إيبريا] فاسبانيا إيبريا الأوربية الغربية وكرجستان إيبريا القفقاسية الشرقية تماماً مثل بلاد الأرناؤط في البلقان تسمى [ألبانيا] الغربية الأوربية ، وأما أذربيجان فهي [ألبانيا] القفقاسية الشرقية ، وقد يستعمل بعض الكتاب تعبير ألبانيا الآسيوية وإيبريا الآسيوية تفريقاً لها عن سمياتها الغربية(ومع ذلك فلا علاقة بين الايبريين سكان اوربا والكرج).

ويقول الكرجيون أنهم من أحفاد جدهم الأكبر [قارتول] ولذلك تسمى لغاتهم باللغات القارتوالية ؛ وأن قارتول هذا من أولاد يافث بن نوح عليه السلام . ويقولون أنهم كانوا معروفين عند العبرانيين بإسم مشخ أو مشخي ، وأنه كان مقرهم الأصلي قديماً حوالي[٢١٠٠] قبل الميلاد بين نهري كُر و آراغويْ وأن عاصمتهم الأولى كانت تدعى [مَتْسخَتْ] ، وأنهم كانوا قديماً قبائل متفرقة لكل منها زعيم يعرف بإسم [ماماسحليس] .

وكلمة [كورج] التي تطلق عليهم حالياً لا يعرف مصدرها تأكيداً وتدور حولها تكهنات كثيرة ولعل أقربها أحد المصادر الآتية:

١ ـ سميت بلادهم بيلاد الكرج نسبة إلى القديس [سان جورج] الذي ظهرت النصرانية في كرجستان على يده،في عهد البيزنطيين ، وهم يعتبرونه حاميهم وشفيعهم الديني وهو في الوقت نفسه حامي وشفيع الآديكة خاصة القبرطاي في عهد تنصرهم بواسطة الأرساليات البيزنطية.

٢ ـ سميت بلادهم كرجستان من قبل الايرانيين وأن معناها باللغة الفارسية بلاد القوة والقدرة.

٣ - سموا كرج من قبل الجراكسة لأن معناها بلغتهم [مادون كُر] أي دون نهر كُر .
٤ - سموا بهذا الاسم لأنهم يزرعون الذرة الصفراء كثيراً ويحبون أكلها فسماهم السريان [غاريز] وهي كلمة تفيد الذرة بلغتهم.

ولنلاحظ تشابه اسم [كرج] بإسم [كرج = كرتش] المضيق والمنطقة التي تفصل البحر الأسود عن فرعها بحر الماؤت أو بحر آزوف أو بحر آزاق حالياً.

وكان الكرج متتشرين في أول أمرهم لغاية الجنوب الأدنى من القفقاس ولكنهم أمام ضغط الزحوف المتدفقة من جيوش المغيرين اضطروا للإنسحاب شمالاً والتحصن في الجبال القفقاسية الشمالية.

وقد حافظوا على كيانهم وقوميتهم وصفاء عنصرهم بكل بسالة وشجاعة، وصمدوا لحادثات الأزمان صمود الأبطال الصناديد ، فمر الغزاة وذهبوا ، وظلوا هم في وطنهم يحافظون على تراثهم التاريخي.

وللكرج مدنية راقية منذ القدم ، تعد من أمهات المدنيات الأولى وخاصة الحضارة المعدنية والحديدية منها ، وقد اشتهروا بنفاسة مصنوعاتهم وجودتها ؛ وهم مزارعون ممتازون ، كما يعملون بالتجارة.

والكرجيون على الأغلب قوم مسالمون ، ويقول عنهم الروس أنهم أصحاب حظ وطرب ، وبسبب انهماكهم في هذا النوع من اللهو واللذة فهم قوم مسرفون ، لذلك فإن ممارستهم للتجارة ضعيفة مهملة ، ولذلك فإن داخليتهم الإقتصادية متأخرة ، ومن هنا ، كما هو شأن جميع سكان القفقاس، كانوا يستغلون تجارياً من قبل الأرمن الذين يسميهم الروس [يهود الشرق] لنشاطهم التجاري.

ولا تجد في الكرج أغنياء ولا أصحاب تجارة إلا في طبقة الإقطاعيين من النبلاء والأعيان فقط ، أما باقي الشعب فإنه من الأرقاء ومن العاملين والصناع ذوي الأجور المحدودة.

وللكرج قبائل كبرى وصغرى عديدة ولها لهجات عدة في مناطق مختلفة من البلاد .

الأحوال من ٦٥٠ قبل الميلاد إلى ٦٥٠ بعد الميلاد.

حكم الفرس في عهد [قورش] كرجستان من عام [٦٥٠ إلى ٥٢٩] قبل الميلاد . وفي هذه الفترة حوالي سنة[٦٣٣] ق.م استولى الخزر القادمون من الشمال على بلاد الكرج أو غزوه ثم عادوا.

وأراد حاكم ميديا الإستيلاء على كرجستان ولكنهم هزموه وطردوه من البلاد .

وهذه الغارات والإعتداءات نفخت في الكرج روح النضال والقتال لحماية الوطن .

ويقسم المؤرخ مورغان تاريخ إيبريا [كرجستان] إلى خمسة أدوار.

الدور الأول : مابين [٥٥٠ - ٣٣١] قبل الميلاد ، وهو دور الإحتلال الفارسي لإيبريا في عهد كيخسرو الذي عين ابنه[ميروانه] حاكماً عليها ، وحتى بدء نوال الإيبريين لإستقلالهم.
وفي هذا الدور ، حوالي عام ٣٥٠] ق.م جاء من الصين كتلة واستوطنت الوادي الشمالي لعاصمة الكرج [ميتسخت] وأحفاد هؤلاء قدموا مساعداتهم للروسيا عند استيلائهم على القوقاز.

الدور الثاني: من عام ٣٣١ - ١١٢ ق.م ، دور الإستقلال

الدور الثالث : من عام ١١٢ - ٦٤ ق.م ، دور احتلال متريداد الكبير حاكم مملكة بونت.

الدور الرابع : من عام ٦٤ قبل الميلاد إلى عام ١٦٤ ميلادية ، دور انتقال البلاد إلى التبعية الرومانية اسماً ، ثم إعلان الاستقلال.

الدور الخامس : احتلال الهون فالآوار فالتتار (تيمورلنك) وتخريب البلاد. وفي هذا الدور اختفى اسم [إيبريا] وحل محله اسم الكرج.
ويلي ذلك عهد تراوح بين ازدهار وإنهاك ، وبين استقلال واحتلال.

*

وبالنسبة للأوضاع الإجتماعية العامة كان الإقطاع سائداً في بلاد كرجستان وكان الأهالي ينقسمون إلى أربعة أصناف حسب رواية استرابون وهم:
١ - طبقة الحكام - وينتسب إليها الملك والأمراء والقواد والنبلاء وحكام لأقاليم ومن يلوذ بهم.
٢ - طبقة الكهان والرهبان ، وكانوا من طبقة الأرقاء حتى عام ١٨٤٦ م حين تولى الملك [داويد الثاني] فرفع عنهم هذا الحيف ومنحهم صفة الطبقة العليا.
٣ - طبقة المزارعين والمحاربين وهم الأحرار من الشعب.
٤ - طبقة المماليك ، ويعملون عبيداً بالزراعة والأعمال اليدوية والخدمات البيتية ولا يحاربون ، بل يحافظون على الأسر والأملاك أثناء الحرب.

الدين : كان القارتول قديماً يعبدون المظاهر الطبيعية التي تتجلى في عبادة الكواكب ولقد تأثرت ديانتهم بديانات الأقوام المجاورة وخاصة الأعجام ، وأخيراً وفي العهد البيزنطي انتشرت الديانة النصرانية بينهم ودان بها ملوكهم ؛ وفي عهد الفتح الإسلامي وحكم العرب أسلم قسم كبير من الكرج.

*

يقول المؤرخ سترابون أنه في عهده (القرن الخامس قبل الميلاد) كانت إيبريا مملكة ملكية ، وكان الملك فيها وراثياً ، وأنها كانت آهله بالسكان وكانوا أغنياء وخصوصاً سكان ضفاف نهر [كُر] فإنهم امتازوا بتفوقهم في الزراعة والبناء والصناعات ،وكانت لهم آثار مشيدة ومبان ضخمة بالأحجـار ، ولهـم مدن عظيمـة عامرة تدل على تقدمهم في فن البناء (قادرجان ص ٧٥ - ٨٥)

وقد ضم الإسكندر المكدوني الكبير جنوبي قفقاسيا والكرج في القرن الرابع قبل الميلاد لامبراطوريته حينما غزا آسيا الصغرى ، وأقام عليها حاكماً يدعى [يازون] وحاول هذا أن يغير عقيدة أهل البلاد من عبادة الكواكب إلى الأصنام اليونانية .

الملك فارنواز : حوالي [٢٥٠ - ٢٣٧] قبل الميلاد:

عـز على الكرجيين محـــاولة يازون تبديل دينهم وثارت نفوسهم ضده ، وظهر من بينهم [فارنواز] وراح يدعو الناس إلى توحيد الصفوف ، والنضال في سبيل العقيدة ، وجعل يبث فيهم روح الحرية والإستقلال وقدسية الوطن ، ويشير حقدهم على الغاصبين لبلادهم الذين يتحكمون بهم بالظلم والإستبداد ؛ ونجح فارنواز بحركته والتف الناس حوله ، وأطاعه جميع رؤساء القبائل فألف جيشاً عظيماً وطرد يازون عامل الاسكندر وجنوده ، وصار أول ملك على بلاد الكـــرج المتحـــدة الموحـــدة : واستمر في تنظيم شؤون البلاد فقسمها إلى ثمان ولايات [أريستاد] ولكل منها والٍ؛ وقد نشأ أخيراً من هؤلاء الولاة طبقة النبلاء المسماة [مازناؤر] الذين يمتون بصلة الدم إلى [ماماسحليس] القديم (قادرجان ص ٥٨) .

وقد عمم اللغة [الكرجية] وجعلها اللسان القومي والرسمي للبلاد ، وأوجد الحروف الأولى للكتابة ، ونظم الجيش ، وأنشأ القلاع والحصون ، وأصلح الكثير من أحوال البلاد.

ولقد جعل الحكم وراثياً ، وأقام ابنه ولياً للعهد ؛ وبقي القوم على مذهبهم الديني القديم .

الملك سورماغ : تـولى الملك بعـــد وفاة أبيه عام ٢٣٧ ق.م ودام حكمه حتى عام ١٦٢ ق.م ولقد أعلن حكام الولايات العصيان عليه وجاهروا بأنهم لا يطيعون فرداً منهم ، فقمع سورماغ هذه الثورة بمعونة الآلان [القوشحة آستين] . ومات من غير وريث .

الملك ميروان: تولى الملك بعد وفاة أبيه عام ١٦٢ ق.م حتى عام ٩٣ ق.م، وفي عهده أختل نظام الحكم وحدثت ثورات داخلية ، وقضى وهو يقاوم تلك الفتن (قادرجان قافلي).

الملك فارناحوم: تولى بعد وفاة أبيه ميروان عام ٩٣ ق.م . ولقد حاول هذا أيضاً أن يغير عقيدة القوم ويدخلهم في مذهب [مزدا] الفارسي فقامت ضده ثورة عنيفة أطاحت به ، واتفق الأمراء على تولية [أرشاق] ابن حاكم أرمينيا ملكاً عليهم ، فإستقدموه ونصبوه ملكاً

لكرجستان ؛ وفي عهده استولى الرومان على البلاد.

كانت حكومة الكرج قوية مدة حكم فارنواز ومن خلفه ، ولقد هاجمهم مراراً الميديون والفرس والخزر فردوهم على أعقابهم.

على أن متريداد الكبير حاكم بونت بسط سلطانه عليها منذ عام ١١٤ ق.م.

ولما أرسلت روما قائدها المشهور [بومبي] للقضاء على ثورة متريداد اللاهبة ، هزم متريداد وظل يلاحقه فإحتل كرجستان ولم يتجاوزها إلى شمال القفقاس وذلك عام ٦٦ ق.م، ولقد ابقى على تخت الملك على أنه جعله تابعاً لروما.

وفي عام ٣٦ ق.م ثار الكرج على الرومان وطردوهم ولكن القائد الروماني [فاني دي؟] تغلب عليهم وأرغمهم على الطاعة والحق بلادهم بروما مرة ثانية.

ولقد أحسن الرومان معاملة الكرجيين هذه المرة ، وكأنهم حلفاء لهم ولم يتدخلوا في أمورهم الداخلية ، وبذلك استفاد الطرفان وتعاونا في صد غارات قبائل قفقاسيا الشمالية على كرجستان وآيالات روما الآخرى.

وبعد استيلاء الرومان أمكن تدوين تاريخ كرجستان وتبين أنه مطابق لما سجله سترابون من تاريخهم منذ ما يقارب خمسمائة عام.

ولقد مرت خمسة قرون وكرجستان تابعة للرومان ، ولكن الحكم كان بيد الملوك الوطنيين، وساد السلام في تلك الربوع وتنعمت البلاد بالراحة والرفاه بالعيش وتقدم العمران ، ولقد شق الرومان ، على جري عادتهم المحمودة ، الطرق الكثيرة في البلاد واحدثوا منشأت عظيمة ، وتقدمت البلاد في مضمار الحضارة والمدنية.

في هذه المدة كان الملوك من آل فارنواز وآل أرشاق يتناوبون الملك.

الملكة أبشورا: في عام ٣٢٥ ميلادية مات الملك [أسياغور] من آل أرشاق ولم يعقب سوى بنتاً اسمها [أبشورا] اعتلت كرسي الملك وفقاً للقانون الذي كان قد وضعه الملك فارنواز ، فرأى من بيدهم الأمر من الأمراء ان يستقدموا [ميروان] ابن خسرو الثاني ملك العجم ويزوجوه ملكتهم أبشورا.

ميروان الثاني: تزوج الأمير ميروان الملكة أبشورا وتملك بإسم ميروان الثاني ويقال إن حكمه دام ٧٧ سنة ، وانه عقب وفاة الملكة أبشورا تزوج من أميرة كرجية اسمها [نينا].

وفي مدة حكمه توسعت الملكة حتى بحر الخزر واستولى على جزء من [الجزيرة] ولقد استمال الأستين وحالفهم.

الملك أختانغ الأول: دام ملكه من ٤٤٦ إلى ٤٩٩ ميلادية. وكان عاقلاً رزيناً وإليه

يرجع الفضل في جمع شتات التاريخ الكرجي ، وهو الذي استغنى عن الرهبان الذين كانت ترسلهم بيزنطية وأحل بدلهم رهباناً من الكرج.

وفي عهد امبراطور بيزنطة جوستنيان الكبير الذي حكم من ٥٢٧ إلى ٥٦٥ ميلادية كانت كرجستان ملكية تابعة لإمبراطورية بيزنطة.

في ذلك الوقت استطاع امبراطور فارس أنوشروان أن يتفق مع القبائل الوسطى والغربية لقفقاسيا الشمالية من الآلان والأوست والأبخاز = أباظة وقاموا بغارة كاسحة على منطقة نهر [ريون] في الغرب على ساحل البحر الأسود فمسحوها مسحاً.

واستولى الفرس على قسم من كرجستان وبيزنطة على الأقسام الغربية وضمت إليها بلاد الأبخاز بعد أن أخضعتها.

الملك غوريم: في عام ٥٨٦ م جلس على تخت الملك بتأييد من البيزنطيين بدلاً من آخر ملك من عائلة [باغرات] .

وفي بداية القرن السابع الميلادي، لجأ الأمير البيزنطي [سبيغاريوس] الطامع في عرش بيزنطة ، إلى بلاد الجركس وذلك في عهد امبراطور بيزنطة [تيوفيلوس] واتفق مع الآلان وشوقهم بوعود خلابة فإستولوا على بلاد الأبخاز وطردوا منها الجيوش البيزنطية ، ثم اتفقوا مع أمراء الأبخاز وقاموا بحملة شديدة على كرجستان ، واحتلوها.

وفي عام ٦٢٦ م قاد [هرقل] امبراطور بيزنطة جيشاً قوياً واكتسح كرجستان وأحرق العاصمة [تفليس] وأعمل الخراب والتدمير في البلاد.

★ ★ ★

الفتح الإسلامي: في عام ٦٤٧ ميلادية الموافق عام ٢٢ هجري وصل جيش اسلامي عربي بقيادة [سراقه بن عمرو] قادماً من حدود العجم واستولى على أذربيجان وانفصلت عنه قوة بقيادة بكر بن عبد الله وعبد الرحمن بن ربيعة وقصدت فتح بقية أقسام جنوب القفقاس ، فإستولوا على أرمينيا وكرجستان ودخلوا إلى العاصمة تفليس ؛ وأسسوا في تلك الربوع حكومة عربية ، وراحوا يبشرون ويدعون للدين الإسلامي.

على أنهم ابقوا ملوك الكرج على عروشهم ، ولكن من غير سلطة تذكر ، وقد حاولت بيزنطة بشتى الوسائل لوقف هذا الفتح الإسلامي ولكن ذرائعها باءت بالفشل.

وانتشر الإسلام في أذربيجان وشيروان والداغستان وفي قسم كبير من كرجستان كما ظهرت في أرمينيا فئات تقبلت الدين الحنيف . وبذلك قضت الدعوة الإسلامية بظرف سنوات على ما بناه البيزنطيون المسيحيون في عدة قرون ، وراح الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

ودامت حكومة العرب لغاية سنة ١١٠٠ ميلادية ، إذ أنه لما اشتدت الحروب الصليبية واستفحل أمرها ، اضطر العرب إلى تجميع قواهم فإنسحبوا من القفقاس .

الملك باغـــرات الرابع : انتهز الكرج هذه السانحة وأقاموا [باغرات الرابع] بن [جورجي الأول] ملكاً عليها واحتلوا تفليس عام ١٠٢٦ م.
وفي عهد باغرات الرابع هذا ضربت أوسكت النقود وكتب عليها باللغة الكرجية ما يلي: " يا عيسى إرفع شأن باغرات ملك القارتول والأبخاز".

السلجوقيون: في هذه الفترة كان الأتراك السلجوقيون يحكمون بلاد العجم ، وقد استولوا من بلاد الروم على القسم الشرقي من آسيا الصغرى.
وفي عام ١٠٤٩ م استولوا ، لأول مرة على جنوب القفقاس أذربيجان وأرمينية وكرجستان.
وفي عام ١٠٧٢ م احتل ملك سلجوق [آلب ارسلان] بلاد الكرج من جديد.
وكانت بيزانس تعاون الكرج ضد السلجوقيين ، فأعطى امبراطورها إلى ملك الكرج آنذاك [يوركي الثاني] لقب [قيصر]لأن الأباطرة البيزنطيين كانوا يسبغون على ملوك الكرج ألقاب الشرف والأمارة.

القيصر يوركي الثاني: حكم هذا الملك بلاد الكرج من عام ١٠٨٩ إلى عام ١١٢٥ ميلادية وقد عمل على رقي البلاد وتقدمها وجعل منها مملكة متحدة متماسكة الأطراف وقضى على البقية الباقية من نفوذ العرب، وضم إلى ملكه بلاد الأبخاز وتوسع شرقاً حتى بحر الخزر.
وكان عمره ١٦ سنة عندما اعتلى عرش المملكة ، فوجد البلاد تئن من مظالم الإحتلال والإستبداد ، والأهالي يسكنون الكهوف والخرابات ويلتجئون إلى الجبال والغابات خوفاً من التقتيل والغزو والسلب ، حتى الملوك كانت لهم ملاجىء في جبال [ليخت] بقرية [تأغوليستاو] .
فوطد الأمن وطمأن النفوس ونشر السكينة . ولقد أسكن قبائل الآستين المسيحية في الوديان التي خلت من السكان ؛ وبالأجمال فقد نهض بوطنه وأحياها بعد موات وجعل منها حكومة قادرة على الدفاع عن كيانها.
وفي عام ١١٢٢ م زال نفوذ العرب نهائياً على يد هذا الملك ، وتلك كانت آخر عهد العرب في القفقاس ؛ ونجد في تواريخ العرب تفصيلات مشوقة عن مجريات تلك البلاد وحكوماتها العربية ؛ وهي من أصدق الحجج في هذا الموضوع .

الملك ديمتري : تولى ملك كرجستان بعد موت والده داويد الثاني وله من العمر ثلاث

وخمسون سنة ، وحكم ما بين[١١٢٥ - ١١٥٤]م، ونسج على منوال والده ووضع نصب عينيه قدسية الوطن ووجوب المحافظة عليه ، وعمل على تقوية الوحدة القومية وتقوية جيوشها والنهوض بمستواها.

وفي عهده سكت النقود وعليها بالكتابة العربية اسمه واسم الحاكم السلجوقي بإيران كما يلي [مسعود . ديمتري] .

الملك جـــورجي الثالث : ملك ما بين [١١٥٤ - ١١٨٥] م تولى بعد وفاة والده ديمتري ، وقد ورث ملكاً متيناً فإستولى على [أرضروم] و [آني] وما حولهما كما ضم إلى ملكه [أجميا زدين] التي تعتبر أقدس الأماكن الدينية عند الأرمن ومركزهم الروحي و كعبتهم المقدسة.

وفي عهده يبتدىء دور الإستقلال الحقيقي لدولة الكرج ، إذ لم تعد تابعة للبيزنطيين ومات الملك جورجي ولم يعقب سوى ابنة واحدة اسمها [تامارا].

الملكة تامارا: كان حكمها ما بين عامي [١١٨٥ - ١٢١٢]م؛ جلست تامارا على عرش الملك وهي في الثالثة عشر من عمرها ، فإتفق الكهنة والشعب على تنصيبها ملكة عليهم كما عملوا لتزويجها بأمير[نوفوغرود] الروسي ، ولقد انغمس هذا الأمير باللهو والشراب والفجور فأجبروه على تطليقها ، وعاد إلى بلاده. (تاريخ القوقاز ص ٣٧) .

وكان داويد سوسلان أحد أمراء القوشحة آستين من المقربين إليها ،.والبعض يقول أنه كان سايساً لجيادها ، وكان يحبها ويخشى من إظهار حبه ، وفي ذات يوم ، وقد خلى القصر من الحراس والخدم ، اهتبل الفرصة واغتصبها ؛ فغضبت الملكة تامارا أشد الغضب ولكنها كتمت سرها، وجعـلت تسند إلى داويدسوسلان مهمات خطرة جداً ولكنه أنجزها جميعاً بكل موفقية ، وعندها أمرت ، وكان الوقت شتاء ، فأطلق دوغان على بحيرة متجمدة ، وأمرته أن يتصيده ، ورغماً عن خطر تكسر الجليد وغرقه فقد ذهب إليه وقتله بسيفه ؛ وبعدها استجابت الملكة لحبه وبادلته الحب ثم تزوجت به ؛ وذلك عام ١١٩٣ م. (قادرجان ص٥٨) .

وقد كان هذا الزواج موفقاً جمع بين شخصيتين قويتين متحابتين، وأظهرت الأيام مواهب داويد الحربية الفذة ، فلقد صد مراراً وكسر جيوش البيزنطيين والعرب والإيرانيين ثم الأتراك السلجوقيين حتى استحق بجدارة لقب [سيف كرجستان القاطع] ، ولنا أن نشيد ببطولة جنوده من الكرجيين والآستين.

وفي عهدهما تقدمت الفنون والصناعات وبلغت شوطاً بعيداً، وكان للعلوم والمعارف القدح المعلى ، كما أن الدولة كانت قوية الشكيمة. ونجد إلى اليوم في أغانيهم الشعبية ذكر تلك الإنتصارات الرائعة والملكة تامارا ، ولقد كانت هذه الملكة محبوبة من شعبها لدرجة

التقديس وخصوصاً عند الآستين والسوآنتي ؛ وكان عهدها من أزهى وأسعد الفترات في تاريخ حياة الكرج.

وتوفيت تامارا بمنزلها الريفي [روز] الكائن بجهة قارتلين.

وللأسف فقد بات قبرها مجهولاً لم يوقف له على أثر بسبب التخريبات التي أحدثتها الأمم الهمجية المغيرة على البلاد ، ومعظم الفضل يرجع إلى زوجها داويد سوسلان الذي أيده بنو قومه الأوستين وانضموا تحت لوائه فشكلوا القوة الضاربة القوية التي كانت درع البلاد وحاميها ضد هجمات الحكومات الإسلامية في تركيا وايران.

وله موقف مشهور أمام جيش [روح الدين بن قليج أرسلان] السلجوقي الذي هاجم البلاد من الجنوب بقصد احتلالها : وأسلحة الكرج في هذه الموقعة كانت القسي والنبال.

توفي الأمير داويد سنة ١٢١٠ م.

ولقد سكت الملكة تامارا في عهدها نقوداً كتب على أحد وجهيها بالعربية وعلى الأخر بالكرجية.

★ ★ ★

الملك ـ لاسا: تولى الملك عام ١٢١٢ م ومات سنة ١٢٢٣م.

وفي عهده عام ١٢٢٢ م دخل البلاد جيش جنكيز خان بقيادة [سوباده بهادر ـ و جبه نوبان]. المعروفين والمشهورين بإسم [جبه وسوبوتاي] وجيشهم بإسم [تورغوت] ، وهزم الكرج شر هزيمة في وادي [بردوسوج] واستولى على تفليس وأشاع القتل والنهب والخراب في البلاد، ثم قسم البلاد إلى إدارتين مستقلتين لأضعافها وإذلالها، وإمكان إدارتها بسهولة أكثر.

الملكة رسسودان: دام حكمها من ١٢٢٣ م إلى ١٢٤٧ م . تولت الملك بعد أخيها لاسا وهي ابنة تامارا، وكانت حديثة السن.

وفي عهدها تعرضت البلاد لغارات الخوارزميين والمغول ، وهلك من الكرج ما يزيد عن مئة ألف نفس قتلاً.

وأمام هذه الكوارث فرت الملكة واعتصمت في [كوتاييس] وقبلت دفع الجزية للمغول وقدمت ابنها رهينة لهم.

وفي عام ١٢٤٧ م توفيت هذه الملكة المنكودة الحظ ، وهي في أشد حالات البؤس والشقاء.

وبوفاتها انقضى عهد من عهود ملوك الكرجستان وفقدت البلاد استقلالها وحريتها وطمأنينتها.

وفي القرن الثالث عشر كانت كرجستان في دور الضعف والإنحطاط ، وتفككت وحدتها وظهرت على أنقاضها بعض الحكومات الصغيرة الضعيفة.

وقدهَم [ديمتري] أحد أمراء هذه الحكومات ، وتطلع إلى الحكم الذاتي وهو تحت سيادة الفرس ، فكان جزاؤه الإعدام ، وتعين بدلاً عنه أحد أقربائه المدعو [أختانغ].

وكان الفرس قد قسموا البلاد إلى إمارات صغيرة عينوا عليها حكاماً من صنائعهم وأتباعهم.

غزوة تيمورلنك عام ١٣٨٨م - هذه السنة من أشأم السنوات في تاريخ الكرج فقد تجهز الطاغية تيمورلنك لمحاربة توقتاميس الخان الأعظم لدولة الجيش الذهبي والذي كان حليفاً له ثم خانه وغزا بلاده في غيبته عنها ، وسار بمئة ألف محارب من شمال بحر الخزر وفي شتاء عام ١٣٨٨ م أحرق بلدة ساراي التي عند مصب نهر الفولغا وعاصمة المغول في دولة الجيش الذهبي (تاريخ القوقاز ص ٤٠)

ثم انحدر عن طريق القفقاس ومضيق داريال واجتاح بلاد كرجستان وجعل عاليها سافلها فخرب البلاد واحرقها ونهبها وقتل عشرات الألوف من جندهاوسكانها .

الملك باغرات الخامس: في عهده كانت غزوة تيمورلنك وقد اجبره هذا الطاغية على اعتناق الإسلام ، ثم تركه ملكاً اسمياً على البلاد.

الملك جورجي السابع: تخلى عن الملك لإبنه اسكندر.

الملك اسكندر الأول: دام ملكه من سنة ١٤١٤ م إلى سنة١٤٤٢ م. وكان في الثامنة من عمره حين تخلى والده له عن الحكم.

دام حكم الملك اسكندر الأول ثمانياً وعشرين سنة ، وكان رزيناً عاقلاً ، تقدمت البلاد في أول عهده وانتظمت الأحوال ، ولكنه قسم المملكة إلى ثلاثة أقسام إدارية هي:

١ - ولاية قارتلي ٢- ولاية إيمرتي ٣ - ولاية قاختي.

ونصب على إدارة كل منها أحد أولاده الثلاثة وهم بالترتيب

١ - آختانغ ٢ - ديمتري ٣ - جورجي]؛ ثم اعتزل العالم ودخل إلى الدير .

ولكنه بعمله هذا هدم وحدة البلاد ، فعلى أثرها انفصلت كلاً من المناطق [مكريل - غوريا - سامختي - شروان - سوآنتي - الأبخاز]عن جسم الدولة الكرجية ، وكونوا لأنفسهم امارات مستقلة ، ودبت الخصومات بينهم فجعلوا يتنافسون ويقتتلون.

ورجعت البلاد القهقري ودب فيها الضعف والفساد والإنحلال.

واستفادت من هذه الحالة حكومات الترك والفرس ثم الروسيا التي بدأت تتداخل متظاهرة

بحمايتها لبلاد الكرج المسيحية ؛ وكانت النتيجة الأخيرة أن الروسيا استولت عليها وابتلعتها إلى الأبد.

★ ★ ★

وفيما يلي سنتعرض لتاريخ بعض الحكومات الكرجية الصغيرة التي قامت في منطقة من البلاد ثم انهارت.

★

الحكومات القارتالية (قارتلي)

آختانغ السادس ـ حكم من ١٧١١ ـ ١٧٢٤ ميلادية ، فلقد كان ملكاً على مقاطعة قارتلي في وسط بلاد الكرج.

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، وفي عهد ملك الروسيا بطرس الكبير ، هزم الجيش العثماني بقيادة محمد باشا البلطجي جيشاً روسياً بجوار نهر [بروت] في البلقان وجاءت الملكة كاترينا وفاوضته واقنعته بوقف القتال والصلح.

واستولى العثمانيون بعد ذلك على ايمرتي من بلاد الكرج فهرب ملك قارتلي آختانغ السادس إلى الروسيا وطلب معونة بطرس الكبير وحمايته (تاريخ القوقاز ص ٤١) ولقد كان هـذا الملك إدارياً ذكياً وسياسياً حاذقاً فتظاهر بالإسلام ليقي بلاده من شرور الإحتلال العثماني ، وأحيا الآداب القومية وأحسن إدارة البلاد ولكن العثمانيين ، وهم في أوج قوتهم آنذاك ، احتلوا بلاد كرجستان كلها وهرب هو إلى الروسيا.

وفي عام ١٧٢٩ م أعلنت تركيا رسمياً ضم جميع كرجستان إلى الأملاك الشاهانية.

وفي عام ١٧٤٤ م استولى شاه إيران [نادره شاه] المشهور بقاهر الشعوب على مقاطعتي قارتلي وقاختي واغتصبهما من العثمانيين ؛ وعين حاكماً على قارتلي [تي موزار] وعلى قاختي ابنه [قارتلي] ، فإتفق الأب والإبن وأدارا الحكومتين متحدين ، ولما شاخ الأب تنازل في حكم مقاطعته لإبنه ، وبذلك أصبح قارتلي حاكماً على المقاطعتين.

وتوفي [تي موزار] في بطرسبرغ عام ١٧٦٢ ، فسارع [باقار] ابن آختانغ السادس الذي كان لاجئاً إلى الروسيا ، بالتوجه إلى تفليس ، وحاول أن يجمع لأنصار وينادي بنفسه ملكاً ، ولكنه لم ينجح وفر عائداً إلى الروسيا (تاريخ القوقاز ص ٤١)

★ ★ ★

الحكومة الأيراقلية:

أظهر ايراقلي دراية وحكمة في إدارته وحكمه ، وقد أزال حكام المقاطعات وسلطاتهم وجعلها تابعة لنفوذه ، وأنشأ المدارس والكنائس وعمم التعليم وأوجد بعض المطابع ونشر الكتب النافعة.

واستقدم من أوربا المهندسين والصناع ، وشاد المصانع والمعامل في أنحاء البلاد وشجع الصناعات وأخذ بيد التجارة ونهض بالحالة الإقتصادية .

ولقد ترجم إلى الكرجية قانون النمسا الجنائي وطبقه في بلاده عموماً بلا استثناء.

وكان في حياته الخاصة مثلاً يحتذى به ، وقد أقام قلاعاً كثيرة في بلاده وحدودها إتقاء لهجمات الداغستانيين [لزكي] الدائمة على بلاده ؛ ومنها قلعة [سيغناغ] التي لا تزال قائمة إلى اليوم.

وفي الوقت الذي تولى فيه ايراقلي الحكم سنة ١٧٦٢ كانت كاترين الثانية قد تربعت على عرش الروسيا ، وفريدريك الأكبر على عرش بروسيا.

دام حكم ايراقلي ٥٣ سنة ، وكان يسعى ويعمل دائماً بما يعود بالنفع والتقدم لوطنه ، وقد وصفته القيصرة كاترين في إحدى رسائلها إلى [فولتير] الكاتب الفرنسي الشهير بأنه " حاكم عاقل يتقد ذكاء، وفي الوقت نفسه مقدام صاحب صولة وقوة".

ورغم مواهبه الفذة لم يتمكن من إيقاف توغل الروسيا في بلاده وبقية أجزاء قفقاسيا ، ففي شماله أقامت الروسيا قلعة موزودك عام ١٧٦٥ م واسكنت قازاق الفولغا ما بين مدينتي مرزدوك وغربان ، وكانت كاترينا تعمل جاهدة للزحف على بلاد ايراقلي واستعمارها؛ كما أن الأعجام والعثمانيين لم يتوقفوا عن حروبهم الرعناء وتخريبهم لبلاد الكرج وإثارة الفوضى.

أما عن حياته العائلية الخاصة فكانت مشوبة بالأحزان والأكدار ، خالية من السعادة والسرور وكانت له ثلاث زوجات [ماريا . نينا . داريا] وله من داريا ستة أولاد . وكان يرشح لولاية العهد من بعده ابنه [جورجي] من نينا غير أن داريا كانت تعارض بشدة وترشح ابنها [يولون]، فهذه الخلافات فتت عزيمته واشغلب باله في مصير بلاده وسلامة وطنه من بعده.

وأخيراً لم ير بداً أمام الأخطار التركية الفارسية من الإلتجاء إلى أحضان الروسيا لتحميه وقد دعاه إلى ذلك الرابطة الدينية المسيحية وإدعاء أباطرة الروس بأنهم حماة المسيحية وخلفاء الرومان في هذا المجال ، ولم يستطع أن يقدر الأطماع الإستعمارية والنوايا المبيتة لوطنه.

وفي ٢٤ حزيران (يونيه) سنة ١٧٨٣ م اجتمع مجلس الدولة بقلعة [غوري] وحضر هذا الإجتماع مندوب من حكومة الروسيا ، وقرر المجلس طلب الحماية الروسية ، وتقبل المندوب الروسي هذا الإستسلام ، والإرتماء في الأحضان بكل سرور مكبوت وحماس عقائدي ظاهر ،

وأخذ الوثيقة التي تجعل كرجستان خاضعة للروسيا وطار بها بسرعة عائداً إلى مليكه.

وفي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٨٣ م أرسلت الروسيا طابورين من الرماة فدخلوا إلى تفليس عاصمة بلاد الكرج بين مظاهر الأفراج الشعبية والرسمية وفي ٢٤ كانون الثاني (يناير) سنة ١٧٨٤ م ارسلت القيصرة كاترين الثانية لجنة فوق العادة إلى العاصمة الكرجية، لتتويج ايراقلي ملكاً على الكرج ، ولتلاوة الإعلان الرسمي بدخول الكرجستان تحت الإدارة الروسية.

وكانت تلك الطعنة التي وجهها هذا الملك الضعيف الإرادة ،إلى صميم بلاده وافقدها الحرية والهناء إلى الأبد.

وقد أزعج هذا الحادث الحكومات الإسلامية المجاورة تركيا وايران ، أما بالنسبة للقفقاسيين الشماليين فكانت طعنة من الخلف وضربة من القفا زعزعت كيانهم وعلى أثر ذلك انحدر اللزكي [الداغستانيون] من جبالهم بقوة كبيرة ودخلوا إلى كرجستان ، وخربوا وادي [آلازان] فتصدى لهم عساكر الروس بقيادة الجنرال [ساموبلوف] وأجلوهم عن البلاد بعد موقعة دامية دامت خمس ساعات في قرية [موسى] وكان ذلك في ١١ تشرين أول [اكتوبر] سنة ١٧٨٤م

وفي سنة ١٧٨٥ زحف الترك وهاجموا كرجستان من جهة إيمارتي ومن مضيق [بورجوم] وفي الوقت ذاته استأنف الداغستانيين التعرض للكرج بقيادة أمير الآوار الشهير [عمرخان] من جهات القارتلين ، وتسببوا في خسائر كبيرة ، ولم تتمكن الروسيا من حماية الكرج كما ينبغي فقد اشتدت المقاومة في قفقاسيا الشمالية بثورة الشيخ منصور في الداغستان وهجوم القبارتاي والجاجان على القلاع الروسية وخاصة [قزليار]

وفي سنة ١٧٨٦ م عمدت الروسيا ، إلى توحيد الأدارة في شمال القفقاس مع ولاية آستراخان وجعلها واحدة وأقامت الجنرال [بوتمكين] القائد الروسي الشهير حاكماً على القفقاس الشمالي (ولم يكن في يدهم سوى مزدوك و باكو)

إن الملكة الألمانية الأصل [كاترين الثانية] التي قتلت زوجها بطرس الكبير خنقاً وأمسكت بزمام الأمور قد اظهرت أنها تنفذ الخطة الإستعمارية التوسعية ، التي وضعها بطرس الكبير . بجدارة وعبقرية ؛ ولقد اتحدت مع بروسيا والنمسا على إقتسام بولونيا لأول مرة سنة ١٧٧٣م؛ كما انها انتزعت من الأتراك ، مدة سلطنة عبد الحميد الأول ، سنة ١٧٧٤ الأفلاخ (رومانيا) والبغدان (رومانيا) والقرم ، واكتسبت حق تسيير الأسطول الروسي في البحر الأسود . بمقتضى معاهدة [قاينارجه].

وفي عام ١٧٨٣ م استولت على القرم جميعها نهائياً وضمتها إلى الممتلكات الروسية ، كما ضمت الكرجستان ، وبذلك أصبحت قفقاسيا [بلاد الجركس] محصورة بالأملاك

الروسية من جميع الجهات براً وبحراً.

وفي عام ١٧٨٧م شهرت الروسيا الحرب على تركيا تنفيذاً للمعاهدة السرية المفقودة مع امبراطور النمسا [جوزيف الثاني] لتقسيم الامبراطورية العثمانية بينهما.

وفي هذا الوقت كانت الدولة العثمانية باسطة نفوذها الأسمي على منطقة قوبان ولها فعلاً بعض المراكـــز العسكـــرية الصغيرة على الساحل وخاصة قلعة [أنابا] التي يسميها الجراكسة [بوغورقال].

وخطط الروس لاجلاء الأتراك من تلك المواقع وقطع علاقتها تماماً من القفقاس وفي عام ١٧٩٠ م أرسل الأتراك حملة بقيادة [بطال باشا] نزلت في أنابا ثم تقدمت إلى داخلية البلاد، ولكن بطال باشا كان بطالاً حقاً فاستسلم الروس وانقذ الجركس الجيش التركي وعاد بحمايتهم إلى أنابا . وفي الموقع ذاك توجد اليوم محطة وبلدة [بطال باشنسكي].

وفي سنة ١٧٩١ م تعين الجنرال [جودويج] حاكماً عاماً على القفقاس.

وفي حزيران عام ١٧٩٢ م احتل الروس أنابا غير أن الجراكسة والأتراك اجلوهم عنها ؛ ولما رأت الروسيا حراجة موقفها في الشمال ، وإزاء التهديدات العثمانية والضغط السياسي اضطرت الروسيا إلى إخلاء بلاد الكرج ونقلت عساكرها إلى الشمال.

وفي سنة ١٧٩٢م وقعت معاهدة [ياش] بين العثمانيين و الروس ، في عهد السلطان سليم الثالث ، وبموجبها اعترف العثمانيون صراحة بتنازلهم وبتبعية شبه جزيرة القرم للروسيا . ووضعت الحرب أوزارها بين الدولتين . وفي عهد السلطان سليم الثالث هذا وصل الإنحلال والتمرد بين صفوف الجيوش العثمانية الإنكشارية ذروتها فقرر حلها وانصرف إلى تشكيل جيش [النظام الجديد] الذي قاومه الانكشاريون، وانشغل الأتراك في تنظيمهم الداخلي ، ولم يعد بوسعهم التطلع إلى الخارج.

وفي أعوام ١٧٩٣ م و ١٧٩٥ م كانت الروسيا والنمسا قد أكملتا تقسيم بولونيا للمرة الثانية و الثالثة وأجهزتا عليها.

وفي ذلك الوقت كان إحتلال الجنرال الفرنسي نابليون بونابرت لمصر عام ١٧٩٨م ومصر كانت تعد من الممالك العثمانية.

★ ★ ★

والخلاصة أن الكرجستان انتابتها ظروف سيئة ، ولعبت بها التعصبات الدينية والأهواء السياسية ، فلم تتعاون مع جيرانها الجركس والأذربيجان المسلمين الذين كانوا مثلها تماماً هدفاً لأطماع المستعمرين الروس؛ فلا هي استفادت من حماية الروس، ولا ساهمت في النضال

الوطني مع أبناء وطنها وقومها القفقاسيين ، ولا هي استطاعت ايقاف الغارات التركية والفارسية على بلادها ، بل استجلبت عداوتهما وحقد القفقاسيين لها .

وفي عام ١٧٩٥ م سار الشاه آغا محمد خان بحملة على كرجستان لحقده على ايراقلي وفي طريقه ضم إليه دويلتي [روان] و [كنج] وأراد ضم [خان شوشان] ولكن أميرها ابراهيم خان رفض طلبه معتمداً على حماية الروسيا وعلى مناعة بلاده وقلاعه ، فتجاوزه الشاه وسار مخرباً البلاد حتى كنج ومنها أرسل إلى الملك ايراقلي يدعوه إلى الإستسلام والدخول في طاعته ، ورفض ايراقلي الاستسلام معتمداً على وعود الروسيا بحمايته ، وكان قد أرسل بسرعة إلى حاكم القفقاس يطلب المعونة العاجلة ، ولكن الروسيا لم تهتم بأمره ، وأظهرت له عجزها عن حمايته في تلك الظروف ، ولعلها كانت تقصد إلى أنهاك الكرج والفرس بحربهما ضد بعضهما حتى يسهل عليها قتالهما ؛ وقد كان لها ما أرادت.

تقدم الشاه حتى صار على بعد ثمانية كيلو مترات من تفليس العاصمة ، فقابله الملك ايراقلي بما لديه من جيوش ، وأنجده جاره ملك ايمارتي [سولومون] بثمانية آلاف مقاتل ، والأمير [زوراد] أمير [تسارتا] بألفين محارب ، ودارت رحى الحرب وتطاحن الرجال في معركة رهيبة ؛ وكان الملك ايراقلي رغم شيخوخته معتلياً فرسه شاهراً سيفه متوسطاً جمعه يوقد في قلوب رجاله نار الحمية والشجاعة متولياً القيادة حتى قتل جواده فتلقاه الأمير [يوان] وأردفه وخرج به من ساحة القتال.

وكانت زوجة ايراقلي المنبوذة [داريا] قد ذهبت إلى شمال القفقاس وتوسلت بذاتها إلى الجنرال [جودويج] شخصياً طالبة منه أن ينجد زوجها ولو بثلاثة آلاف مقاتل ، ولكن كل التوسلات ذهبت أدراج الرياح.

وتم النصر للشاه واحتل تفليس ، ودخل إلى قصر الملك واستولى على مافيه ، وأباح لعسكره ستة أيام بلياليها ، كان ذلك في ١١ ايلول [سبتمبر] ١٧٩٥ م . وأسر الشاه ١٣ ألفاً من الكرج منهم ثلاثة آلاف من سكان تفليس نفسها وكان بين الأسرى الكثير من الأهالي والعاجزين.

ولقد هرب عشرات الألوف من الكرج إلى جهات قارص والمناطق الجبلية هرباً من قوة وهمجية الفرس ، وأصيبت البلاد بالخراب و الجوع وفقدان الأمان والإطمئنان ولقد أذل الشاه ايرقلي فمات الملك المنكود الحظ حزيناً في عام ١٧٩٦ م . وفي ٢٥ مارس آذار من عام ١٧٩٦ م المشؤوم هذا أرسلت القيصرة كاترينا قوة روسية عن طريق دربند للإستيلاء على كرجستان بقيادة الجنرال [زوبوف] فاشتبك في حرب ضروس مع قوات [الشيخ علي خان] أمير دربند مدة اسبوعين. وفي ١٠ مايو أيار عام ١٧٩٦ استولى الجيش الروسي على باكو أيضاً ثم على قوبا وشماخي وشكين وقره باغ.

ونظراً للفتن التي ظهرت ببلاد العجم ، اضطر الشاه [آقا محمد خان] للرجوع إلى إيران والجلاء عن كرجستان ، واحتل الروس كيلان وبادية مرغان.

وفي ٦ تشرين الثاني [نوفمبر] سنة ١٧٩٦ م ماتت الملكة كاترينا الثانية فجأة ؛ وتولى عرش الروسيا ابنها الامبراطور [بول] الذي كان يبغض الحروب ومآسيها وأمر بعودة القوة التي سارت إلى جنوب القفقاس بقيادة الجنرال [غودوبيج] وأمر بحبس هذا القائد بمنزله تحت رقابة البوليس.

ضم الكرجستان إلى روسيا.

بعد ايراقلي تولى الملك ابنه [جورجي] م زوجته الثانية أنينا، وكانت حكومته ضعيفة انفصلت عنها مقاطعات كثيرة ولم يبق معه سوى أمارتي قارتال وقاختي فقط ؛ وكان جورجي عليلاً ضعيف الصحة واهن العزيمة لذلك كان كرسي الملك مطمحاً لأنظار الكثيرين وخاصة من [داريا] زوجة ايراقلي التي كانت لا تفتأ تعمل لتولية ابنها [يولون] على العرش ، وكذلك كان اسكندر أحد ابناء ايراقلي الذي يميل إلى ايران وينفر من الروس ؛ كما أن ماريا زوجة الملك جورجي كانت لها ميول سياسية غامضة.

وعمت فتن المؤامرات الأسرة الملكية وسرت الفوضى في البلاد. ولما علم الشاه [آقا محمد خان] بإنسحاب القوة الروسية ، سار نحو القفقاس من جديد حتى وصل إلى قره باغ . وهناك اغتاله أحد المقربين إليه ، وعند ذلك رجع الجيش الايراني بناء على أمر الشاه الجديد [باباخان] .

ولما رأى الملك جورجي الفوضى سائدة في بلاده وعجزه عن الحكم لجأ إلى القيصر بول ورجاه أن يستولي على وطنه ويحميها.

وارسلت الروسيا جيشاً قوياً بقيادة الجنرال [لازاروف] واحتلت البلاد ، وعينت [كو واليسكي] حاكماً لإدارة البلاد ، وضمت إلى هذه الإدارة ولايات [سامختي - توشين] .ومناطق قبائل [بشاوا - و خيوسور] وجزءاً من بلاد الآستين الجنوبية.

ولجأ الأمير اسكندر ايراقلي إلى إيران وصار يغري الشاه [باباخان] بإنتزاع الكرج من الروسيا.

وفي هذه الفترة تجهز أمير وحاكم الآوار [عمرخان] المعتبر بمثابة رئيس روحي عند الداغستانيين يؤازره [اسكندر بك] اللزكي بقوة كبيرة ، وانحدر إلى كرجستان ، وفي ٥ تشرين الثاني [نوفمبر] سنة ١٨٠٠ التقت قواتهما في وادي [يورا] بالجيش الروسي يؤازره قوات من الكرج تحت إمرة البرنس باغرات والبرنس يوان.

ودارت رحى معركة حامية الوطيس وعظمت خسائر الطرفين وخاصة الكرج ، ولكن المدفعية الروسية أجبرت الداغستانيين على التقهقر ، وعادوا إلى بلادهم.

وفي ١٨ كانون أول ديسمبر عام ١٨٠٠ م أعلنت الروسيا ضم بلاد الكرج إليها رسمياً ، وبعد ذلك بعشرة أيام فقط مات الملك المنكود جورجي مقهوراً ذليلاً.

وفي ١٨ شباط فبراير سنة ١٨٠١ م اعلنت الروسيا أن كرجستان أصبحت ولاية روسية . ومنذ ذلك الحين وقعت في قبضة الروس ولا تزال ترزح تحت نيرهم (حتى تفكك الإتحاد السوفيتي).

★ ★ ★

وقبل أن نختتم تاريخ بلاد الكرج من أقطار القفقاس سنورد بعض المعلومات عن الحكومات أو الإمارات الأخرى الصغيرة التي قامت بعد الحركات الإنفصالية التي حدثت بعد وفاة الملك ايراقلي.

ـ الحكومة الأيمارتية ـ إيمارتي:

هذه الحكومة كانت تعرف قديماً عند المؤرخين البيزنطيين بإسم [لازيك] ومن أهم مدنها قديماً و حديثاً بلدة [كوتائيس] في القسم الشمالي الغربي من كرجستان ؛ ومنطقة هذه الحكومة تتألف اليوم من ولاية كوتاييس ونواحي شاروبان و راجين.

ويقول بعض المؤرخين أن الحكومة الأيمارتية كانت مستقلة تماماً في القرن الثامن للميلاد ولغاية آخر القرن العاشر ، وكان الأمراء الأباظة [الأبخاز] يحكمونها.

وفي القرن الثالث عشر اندمجت في الدولة الكرجية ، وبانقسام الكرجستان عاد إليها استقلالها وحافظت على حريتها حتى أواسط القرن الخامس عشر ؛ وفي القرن السابع عشر استولى عليها العثمانيون.

وبعد عدة تقلبات سياسية ضمتها الروسيا نهائياً إلى أملاكها وأدمجتها في [جيورجيا] وذلك في ١٠ شباط (فبراير) عام ١٨١٠م.

ولقد كانت ايمارتي تحكم في الماضي حسب نظام الإقطاعيات ، بمعنى أن الأراضي والمزارع وكل من فيها كانوا ملكاً للأمراء وسادة الإقطاع ؛ أما طبقة الفلاحين المزارعين فكانوا كأنهم أرقاء لهؤلاء السادة يعملون لرفاهيتهم وسد أطماعهم.

حكومة غوريا [كوريا]:

وأراضيها هي المنطقة الموجـــودة فيها بلدتا [باطوم] و [أوزوْرَكـتْ] الآن ؛ ولقد كانت في القــرن السادس للميــلاد ساحـــة لحــرب ضروس بين [جوستنيان] امبراطور بيزنطة و [خسرو الثاني] شاه العجم.

وكانت تستقل أحياناً كإمارة قائمة بحد ذاتها ، وتتبع دولة الكرج تارة آخرى. وفي القرن الثالث عشر كانت تدار على يد ولاة يعينون من قبل ملك الكرج.

والنبلاء في غوريا من نسل وال اسمه [واردوني نبرا] وبالنظر إلى لفظ [غوريا] ذهب بعض المؤرخين إلى انهم من نسل اليهود الذين هاجروا إلى تلك الجهات قديماً ، لأن الكرج يسمون اليهود [غوريا] والروس [أورمي] ولكن هذا غلط ، لأن الغوريين من صميم الكرج.

وفي القرن الثالث عشر كانت إدارة غوريا مستقلة تحت إمرة الأمير [غوربك] وفي القرن الخامس عشر اشتبك الغوريون مع الإمارتيين في حرب داخلية ، وفي ذلك الوقت سنة ١٨٠٤م احتل العثمانيون غوريا، ولكنهم لم يستطيعوا الإحتفاظ بها طويلاً فاستولت عليها القوات الروسية.

وفي عام ١٨١٠ أصبحت غوريا من الأملاك الروسية في جيورجيا.

حكومة مِنْغرلْ (مكريل):

هذه الحكومة القديمة كانت موجودة أيضاً ما بين البحر الأسود وانهر [ريون ـ أنكور ـ جخالي] ومكونة من منطقتي زوغديد وسناق الحاليتين ونواحيهما.

ولقد كانت منْغرل من ضمن بلاد الكرج ، ثم انفصلت عنها وحكمت نفسها مستقلة خمسمائة عام تقريباً ، وكان حاكمها وأميرها يلقب دادبان] ؛ وكانت حكومة اقطاعية الفلاحون والمزارعون فيها أرقاء وأقنان الأرض ، يتصرف بهم سادتهم كيفما شاؤا ويبيعونهم بيع الأغنام؛ والذي يستلفت النظر أن رجال الدين أيضاً كانوا من طبقة هؤلاء الأرقاء؛ وكما مر معنا فإن الملك داويد ملك الكرج ، رفع عنهم هذا الحيف والخزى عام ١٨٤٦ وأعطاهم مرتبة الطبقة العليا.

وفي سنة ١٨٦٧ م استولت عليها الروسيا وضمتها إلى أملاكها في جيورجيا.

حكومة سوآنتي [كولخيديا].

لعل هذه الدويلة من أشهر الدول القديمة ، فلقد أحاطتها الأساطير اليونانية بهالة من المجد والغنى والحضارة والبهاء ، فهي كولخيديا الورادة في اسطورة الصوف الذهبي وحملة الآرغونوت ؛ والتي تغنى بها هوميروس الشاعر اليوناني القديم .على أن المؤرخين يذهبون إلى أن حملة الأرغونوت هذه لم تكن سفينة أرغونوت وحدها وانما كانت اسطولاً من خمسين سفينة جاءت للغزو والإستعمار.

وعلى كل حال فمن الثابت تاريخياً أن هذه الحكومة كانت قائمة في [١٦٠٠] قبل الميلاد تقريباً بأعالي نهري [ريون و إينغور] بوديان وعرة وعلى ضفة نهر [جخكيس = جخالي] ويقول [سترابون] أنه في أوائل العصر الأول للميلاد كانت لتلك الحكومة جيش عدته حوالي ٢٠٠ ألف مقاتل ، وكانوا يستعملون في حروبهم السهام المسمومة ؛ وأنهم كانوا يقتنون الذهب والفضة وباقي المعادن الثمينة.

وقد اشتهر أهالي سوآنتي منذ القدم بأنهم أصحاب علم وفن وتمدن ، ورقي وغنى وهم لا يزالون إلى اليوم محتفظين بدمائثهم وكرمهم وحسن وفادتهم ، غير أن كثرة الكوارث التي تعرضوا لها والحروب التي خاضوها طبعتهم بطابع أقرب إلى الخشونة والعنف ولكن مع شهامة ونبل.

وأما من جهة معتقداتهم فإنهم وان كانوا في الظاهر يتبعون النصرانية ، غير أنهم في الحقيقة لا دينيين .وهذا القول يذكره المؤرخون الروس.

والأهالي بصورة غالبة يشتغلون بالزراعة وتربية الحيوانات والصيد.

كما أنهم مولعون بالطرب والأغاني ومنصرفون إلى الموسيقى والرقص ولغتهم في الكلام لهجة الكرج (وهم الوحيدون من الكرج الذين لهم قرابة لغوية باللغات الأديغية ـ الأبخازية).

قبيلة خوسور: وهم أصلاً من الكرج التجأوا إلى شعاب الجبال العالية منذ القدم وتوطنوا في وديانها ومغاورها . وعددهم يبلغ الثمانية آلاف ، وهم يتناقصون.

ويتبعون دين النصرانية في الظاهر ولكنك تجد عندهم العادات الإسلامية ، وهم يحترمون الأيام الثلاثة الجمعة والسبت والأحد ، ويعطلون فيها الأعمال. وعندهم تعدد الزوجات والطلاق ، ومن عاداتهم أن لا يزوجوا بناتهم إلا إذا بلغن العشرين سنة ، ومحظور على أي متزوج أن يستولد زوجة أكثر من ثلاثة أولاد ، وهذا سيؤدي بهم إلى الإنقراض (ولهم علاقة سلالية بالشيشان).

ويبيت رب العائلة وحده في الطابق الأعلى أما الزوجات وبقية أفراد الأسرة ففي الطابق

الأرضي.

وهم قوم محافظــون قليلــو الإختــلاط بالغير ، حتى أنهم يحتفظــون إلى اليوم بالدروع الزرد والأذرع الحديدية ويحملون التروس والمزاريق والقسي والنبال ، والبنادق الأولى ذات [الشّطف] فإذا لبسوها رأيت أمامك فرسان القرون الوسطى.

قبيلة بشاور: وهم جيــران الخوسور يقيمون على ضفاف نهر [يورا] بالقرب من منطقة [تُونِتٌ] التابعة لتفليس في جنوب منطقة [أرغوا] . وهم معروفون بشدتهم وشجاعتهم ، حتى أن بومبي القائد الروماني الشهير لم ينل منهم شيئاً . ولقد كانت تامارا ملكة الكرج وابنها لاسا موضع احترامهم وتقديسهم .ومن عاداتهم إعطاء بناتهم حق إختيار بعولتهن بخلاف إخوانهم الخوسور كما أنهم يحترمون زوجاتهم والنساء بصورة عامة.

★ ★ ★

هجرات الأقوام القديمة.

تبين لنا مما سبق ذكره من التواريخ القديمة أنه كانت تحصل هجرات جماعية مختلفة بين الأقوام على فترات من التاريخ ، وأن هذه الهجرات قد حصلت فيما يذكره التاريخ على الأغلب بين الأقوام الآرية، وهي هجرات اضطرارية بدون شك . فما هو السبب يا ترى ؟!.

أولاً: ــ لعل هذه الهجرات حصلت لأسباب طبيعية بحتة من هيجانات الأرض كالبراكين والزلازل والفيضانات العارمة وأمثالها.

ثانياً ــ لعلها كانت تحصل بسبب الغزوات الجامحة التي يتعرضون لها ، وهذا هو السبب الحقيقي على أغلب الظن ، كأن تقوم بينهم منازعات قبلية دامية ، وتتسلط فئة باغية قوية على بقية الفئات فيهرب وينزح بعضها ناجياً بنفسه وحريته وكيانه إلى حيث يجد الأمان.

ثالثاً ــ أن يتعرضوا لغزوة خارجية كاسحة من قوم أشد منهم سطوة وجبروتا يحملون معهم الفتك والدمار ، فينهزمون أمامها ناجين بأرواحهم الغالية.

وكان هؤلاء المهاجرون يمرون بأقوام تحاربهم فيحاربونها دفاعاً عن النفس وينهبون البلاد لتأمين لقمة العيش والحياة ، حتى يستقروا أخيراً في موطن آمن ،أو ينفرط عقدهم فيذوبون بين تلك الشعوب.

وقد يحدث أن تتوالى الهجرات في أعقاب بعضها ؛ فيدفعون بعضهم بعضاً في هجرات

متوالية حتى تخمد سورة الرعب أو الغضب أو الطمع في الإسلاب.

وفيما نعلم من الهجرات العارمة هذه يمكننا تقويمها في جدول كالآتي :

الهجرات الأولى ــ ومنها الهجرة إلى وادي النيل في الدور الحجري ، ثم في حوالي الفترة [٥٠٠٠ . ٤٠٠٠] ق.م من الذين أقاموا الأسرة الأولى . ومنها هجرة السومريين إلى وادي الرافدين ، ولعل الهجرة إلى [آننو أو آناو] في تركستان ، والذين أوجدوا الحضارة الهندية القديمة في موهنجودارو وهارابا يعاصرون من ذكرنا .

الهجرات الثانية ـ في الفترة حوالي [٢٠٠٠] سنة قبل الميلاد ومنها

١ ـ هجرة الآريين إلى الهند واستيطانهم وتسلطهم على الأقسام الشمالية .

٢ ـ ظهور الدولة الحثية كقوة ذات شأن .

٣ ـ دخول الكاشيين إلى بابل.

٤ ـ غزوة الآخيين من الشمال لبلاد اليونان

٥ ـ غزوة الهكسوس لبلاد مصر .

٦ ـ ولعل هجرة الميديين من وطنهم القديم والفرس إلى جوار عيلام كان أيضاً في هذه الفترة.

الهجرات الثالثة ــ تبدأ من [٨٠٠] سنة قبل الميلاد ومنها:

١ ـ غزوة الاسكيت لميديا وآشور وسوريا والقفقاس واستقرارهم جنوب الروسيا.

٢ ـ التحركات الآرية الواسعة النطاق في هجرتها من الشرق إلى داخلية أوربا حتى جزائر المحيط الأطلسي كبريطانيا.

الهجرات الرابعة ــ تبدأ من [٢٠٠] بعد الميلاد وهي هجرة شعوب العرق الأصفر وأولها قبائل الهون ثم الآوار والبيجنغ وسواهم.

وقد حصلت هـذه الهجـرات من قبـائل المغول والأتراك الذين طاردهم القائد الصيني [بان جاعو] .

ثم أنها توالت زمناً ، عدة قرون ، وكل موجة تدفع أمامها سابقتها .

الهجرات الخامسة ــ كذلك كانت هجرة المغول والأتراك أو الأصح غزواتهم اعتباراً من غزوات جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك وما رافقها من هجرات القبائل الطورانية الغازية بكثافة إلى البلاد الإسلامية ومن آثارها:

١ ـ طبع بلاد الروم الأناضولية ، أي تركيا الحالية ، بالقومية التركية .

٢ ـ طبع ألبانيا القفقاسية أي أذربيجان الحالية بالقومية التركية .

٣ ـ استيطان قبائل عديدة منهم شمال القفقاس وخاصة في منطقة الداغستان والسهوب القفقاسية شمالي أحواض تيرك والقوبان .

٤ ـ الإستيلاء وتتريك منطقة جنوب الروسيا في منطقة استراخان .

٥ ـ الإستيلاء وتتريك شبه جزيرة القرم.

وسأذكر نبذاً عن هذه الهجرات الثالثة والرابعة والخامسة لما لها من أساس في تاريخ القفقاس وتأثيرات جذرية على كيانها ومقوماتها القومية.

★ ★ ★

الإسكيت

يكتب المؤرخون العرب هذا الإسم على الأشكال التالية ـ الإسكيت ـ السكيت ـ الأسكوذ ـ السكوذ ـ السكث ـ ويلفظه اليونان والجراكسة السيت .

فلقد حدثني المرحوم الحاج ابراهيم شاشئة من قبيلة الحاتغواي ، وهو من النازحين أثناء الإستيلاء الشيوعي على القفقاس في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد توفي في منبج . قال:

رافقت والدي وأنا صغير في الرابعة عشر من عمري في رحلة بين الجبال ، وفي الطريق قال لنا والدي . تعالوا أريكم آثاراً قديمة في هذا الجبل . ثم صعد بنا مدة تزيد عن الساعة في الجبل حتى وصلنا إلى سفح فيه خرابات أثرية كثيرة ؛ وكانت البيوت فيها صغيرة مكونة من خمسة ألواح حجرية ضخمة ، الأربعة منها جدران الغرفة والخامسة سقفها، والباب منقور دوماً في الجدار الشمالي ، ولا يستطيع الرجل العادي أن يدخل منه إلا أن ينحني ، وأنه في الجدار الجنوبي منقور نافذتان صغيرتان بشكل الهلال ، والغرفة من الداخل مربعة الشكل وضلعها أقصر من طول الرجل [١٥٠ ـ ١٦٠] سم وكذلك ارتفاع السقف . قال . وقد قال لنا والدي أن هذه آثار أقوام السيت وانهم كانوا أقزاماً(هي قبور الدولمين).

وفيما يلي بعض المعلومات التي جمعتها من مصادر مختلفة ، أوردها مع بعض الترتيب ، ومن قراءتها جميعاً يستطيع القارىء تكوين فكرة لابأس بها عن الإسكيت.

آ ـ من كتاب قصة الحضارة الجزء الخامس عشر:

والآراء مختلفة عن موطن السكيت الأصلي ، فمنهم من يقول أنهم من آريي الهند ، منهم من يقول أنهم من شعوب أورال أكتاي هاجروا أولاً إلى إيران ، ثم اجتاحوا بلاد العراق وسوريا وفلسطين ، ثم عادوا شمالاً عن طريق الآرارات وجنوب بحر الخزر . فدخلوا إلى

فقفقاسيا الشمالية ، ثم اجتازوا نهر الدون وساروا غرباً فقضوا على الكيمريين ودولتهم ، ومن ثم ظلوا يتجولون في تلك الأصقاع من روسيا الجنوبية بدواً غزاة حتى عفا عليهم الزمن.

وهناك القول بأنهم أجداد قبائل [الروس] في روسيا البيضاء .

ب - وفي الصفحات ٣٠٣ - ٣٠٤ من الجزء [١٥] من كتاب قصة الحضارة:

السكوذيون : وعلى ضفاف البحر الأسود كان يتجول السكوذيون ، وهم عشائر حربية تتألف من خليط من المغول والأوربيين ، جبابرة متوحشون،ملتحون ، يقيمون في عربات ويبقون نساءهم في عزلة شديدة، ويركبون الخيول البرية وهي عارية.

أضعفوا أشور بغاراتهم الدائمة عليها ،واجتاحوا غربي آسيا حوالي [٦٣٠ - ٦١٠] قبل الميلاد وأخذوا يدمرون في طريقهم كل شيء وتقدموا إلى مدن وادي النيل ، ثم فشا بينهم وباء غريب قضى على عدد كبير منهم ، وغلبهم آخر الأمر الميديون الفرس وردوهم على أعقابهم إلى مساكنهم في الشمال.

وقد جاء على هامش الكتاب مايلي:

" يحدثنا أبقراط أن نساءهم طالما كن عذارى فإنهن يركبن الخيل ويصدن ويرمين بالحراب وهن على ظهور الخيل ، ويحاربن الأعداء ، ولا يسمحن بفض بكارتهن إلا إذا قتلن ثلاثة من الأعداء ؛ والمرأة التي تتخذ لها زوجاً لا تقاتل قط بعد الزواج إلا إذا أرغمت على هذا العمل بالإشتراك في حملة عامة.

وليس لهؤلاء النساء ثدي أيمن ، وذلك لأن أمهاتهن ، بأداة من البروز متوهجة من حرارة النار تصنع لهذا الغرض خاصة ، يكويهّن بها وهن في سن الرضاع في مكان ثديهن الأيمن ، فيقف نمو الثدي ، وتتحول كل طاقته ونمائه إلى الكتف والذراع اليمنى. (وهذه خرافة) .

ج - جاء في كتاب تاريخ العالم - المجلد الثاني - صحفة ٤٥٣ :

وكانت بداية النهاية [بالنسبة للشرق الأوسط] ذلك الهجوم العنيف الذي شنه الاسكوذيون [skyths] من الشمال على غرب آسية، ويتضح من الآثار الآشورية ، أن الآشوريين قد استخدموا هؤلاء السكيت في حروبهم مع الأرمنيين ومع ميديا الفارسية .

وفي النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد [٧٠٠ - ٦٠٠] تدفقت جموعهم على أرض ما بين النهرين ، فقد اجتاح المغيرون أرض الفرات الخصبة وسوريا، حيث احتمى اليهود بمدائنهم المحصنة يراقبون الفرسان الجفاة وهم يخربون ديارهم .

وفي ذلك يقول أرميا نبي العبرانيين وقد شاهد بنفسه هذا الهجوم العنيف:

"من أجل ذلك يضربهم الأسد من الوعر ، ذئب المساء يهلكهم ، يكمن النمر "

" حول مدنهم ؛ كل من خرج يفترس" .

وضعضع الاسكيت مملكة آشور ولم يدمروها ، ولكن دولة آشور ضعفت حتى استطاع خليط من البابليين والميديين عام [٦١٢] ق.م من الاستيلاء على [نينيوى] فدمروها وقضي على آشور نهائياً.

اقتبس الاسكوذيون في تقدمهم صوب الغرب من الايرانيين ثم القوقازيين كثيراً من عناصر الحضارة الآشورية البابلية والقفقاسية ، ومن ذلك صناعة الحديد.

ولما تدفقت جموعهم على روسيا من الشمال الشرقي ، وجدت قبائل مختلفة ومتخلفة مستولية على البلاد ، فأجلوا بعض هذه القبائل ، وعبر السيمريون جبال القوقاز هرباً من الاسكوذيين ، وانقضوا على الأمم المتحضرة في جنوب القوقاز. وهؤلاء هم السيمريون الذين ذكرهم هيرودوت على شواطىء البحر الأسود الشمالي. ومالت بعض القبائل إلى الإعتراف بسيادة الأسكوذيين ، وربما كانت هذه القبائل قد أنزلت إلى حضيض العبودية ، وعمل الاسكوذيون في النهاية على إيجاد حكومة مركزية ثابتة تضم مختلف الأقوام تحت زعيم واحد في نوع من النظام الإقطاعي . وظل الاسكوذيون بدواً خلصاً ، وكانوا يسكنون في عربات ، ويقضون معظم وقتهم على ظهور الخيل إلى حد أنهم كانوا يتعثرون في المشي ولا يحسنونه إذا تركوا ظهور جيادهم.

ولم يكن الحصان حيواناً للحمل ولا حليفاً في الحرب فقط ، وإنما كان قطب حياتهم الإقتصادية جميعها، وكانت الأفراس تمدهم باللبن ، ويقدمون من أنواعه المختلفة غذاءً لزعمائهم.

وكان الاسكوذيون يتبعون نظام تعدد الزوجات ، على خلاف سكان أوربا الهمج ، وكانت زوجاتهم يلزمن العربات على نحو أشبه بحياة الحريم.

وكانوا يتخذون الكثير من الخدم والعبيد ، ويذكر هيرودوت أنهم كانوا يسملون عيون العبيد الذين يخضون الحليب لكي لا يستطيعوا أن يلحظوا أفضلية اللبن الخاثر على اللبن الشرش الذي كان يقدم لهم.

وكان الاسكوذيون يتاجرون مع اليونانيين بالحبوب ، وهذه الحبوب كان يقدمها المزارعون من السكان الأصليين لهم كأتاوة.

وكانوا يقفون أوقاتهم على القتال والصيد ؛ والواقع أن القتال كان عملهم الرئيسي لهؤلاء القوم المتوحشين ، وكان كل فرد منهم يدرب منذ شبابه على أساليب القتال واستعمال السلاح القومي وهو القوس ، وكان لا يقال أن رجولة أحدهم قد اكتملت إلا إذا قتل عدواً ، وكانت رؤوس الأعداء تجمع وتحفظ تذكاراً للنصر ، وكان ينزع عنها الجلد ويلبس بعناية ، وكان المحاربون البارزون يشتملون باللفة المصنوعة من هذه الجلود الرهيبة ، وكانت الجلود المنتزعة من ايدي الأعداء المقتولين تستعمل أغطية لكنانات السهام.

وكانت ديانة الاسكوذيين أيضاًمشوبة بالوحشية ، وكان بعض آلهتهم يطلب الضحايا البشرية ، وكانوا يذبحون في جنازة الزعيم نساءه ومحظياته وخدمه عند قبره ليقوموا على خدمته في الحياة المقبلة ، وكانت كذلك تقدم الذبائح من الخيل وتعلق أجسامها على قوائم تنصب حول حجرة الدفن ، وكان القبر نفسه حجرة واسعة من الخشب على نمط خيمة البدوي ، يحفظ به رفات الرئيس ورفات نسائه وماشيته ثم اسلحته وممتلكاته ثم يغطى ذلك كله بكومة عظيمة من التراب (وهو القبر - التل أو الكورغان)

وأمثال هذه العادات الوحشية تحط من شأن الاسكوذيين بالقياس إلى سائر أهل أوربا ولكن برغم ذلك كانت حضارتهم المادية في مجموعها أرقى من مستوى حضارة جيرانهم في أقصى الغرب ؛ وكانوا يسرفون في استعمال المعادن النفيسة في ملابسهم واسلحتهم وعدة فيلهم وجميع أدواتهم المنزلية بشكل مبذول لم تعرفه أوربا من قبل ، ولا بد أن الذهب كان يتدفق على اسكوذيا تحمله الجزية من آلطاي القاصية.

هـ - وجـاء في كتـاب شمال قفقاسيـا لمؤلفه قادرجان قافلي باللغة التركية في الصفحات [٥٢ - ٥٣] مايلي :

قبل الميلاد بتسعمائة سنة [٩٠٠ ق.م] تحدث شاعر الألياذة هوميروس عن شمال قفقاسياوقال عنها أنها بلاد الشعب الذي يقوم بأعمال بطولية خارقة ؟!..

كما أنه يبحث عن الأقوام التي كانت في شبه جزيرة القرم مثل قوم[تور و سيمبور] وان هؤلاء السيمبور كانوا يعرفون قديماً بإسم [ساروماات] وفيما بعد عرفوا بأسماء [زيخ - كه ركت - قازاق أو قاسوغي] وكذلك المؤرخ سكيلاكس يذكر بأن قوم [ساروماات] كانوا يعيشون على سواحل بحر آزاق (السارمات من الهنود الأوربيين)

أما هيرودوت أبو المؤرخين فأنه يعطى أهمية كبرى لشمال القفقاس ، ولكنه لا يبحث إلا عن الاسكيت ويقول عنهم [إنهم أرقى الشعوب إطلاقاً بالمدنية والحضارة ، وهم محاربون بواسل حتى أن ملوك ايران يأخذون منهم المعلمين والمربين لتعليم أولادهم وتربيتهم] .

وبعض المؤرخين الآخرين يرون أن الاسكيت ليسوا سكنة شمال البحر الأسود الأصليين ولكنهم قدموا اليها من آسيا الوسطى في أواسط القرن السابع قبل الميلاد ، وأن قسماً مهماً من سكنة شمال قفقاسيا الأصليين وهم الكيمريون قد هربوا إلى الجنوب من الجبال ، اتقاء شرهم، ودخلوا إلى بلاد الأناضول .

يفهم من هذا كله أنه في حكم المؤكد أن الاسكيت الذين كانوا اتباع الملكة [تومريس] وتغلبوا على جيوش ايران وقطعوا رأس الشاه كيخسرو ثم غطسوا في قربة الدم قائلين [إنك لم ترتو من الدماء الهراقة قط في حياتك ، فإشرب الآن من الدماء قدر ما تشاء] ، وإن الذين غلبوا دارا على ضفة نهر آراس ، هؤلاء الاسكيت لا توجد أية وثيقة أو دليل على أنهم تحكموا

في القفقاس .

على أن [الكلت ـ قلت] جاؤا من جنوب بحر الخزر واجتازوا مضيق دربند ثم تابعوا سيرهم حتى دخلوا اوكرانيا وواصلوا زحفهم حتى غرب أوربا.

و ـ مذكور في كتاب [بويوك تاريخ عمومي] التركي ما يلي :

ـ هاجر أقوام السيت حسب التسمية اليونانية من آريا نتيجة لضغط قوم [ماسازه ت] عليهم وذلك فيما بعد [٧٠٠] سنة قبل الميلاد، واجتازوا نهر الفولغا والدون ودخلوا إلى بلاد الكيمريين وقضوا عليهم ، فإلتجأ قسم من الكيمريين إلى شبه جزيرة القرم أي [طوريك] ، كما أن قسماً كبيراً هاجر إلى آسيا الصغرى وأثرّ على الحدود الشمالية لدولة آشور، وإن السيت ضغطوا على حكومة أورارطؤ في جبال آرارات فاتفقوا مع الآشوريين ، ولكنهم اضطروا أخيراً للإنسحاب إلى الجبال.

وأما [كي آخسار] ملك ايران فقد كان ملكاً ما بين عامي [٦٥٤ ـ ٦٢٤] قبل الميلاد حين مجيء السيت فاستفاد منهم بأن استولى بعدهم على البلاد التي انهكوها ودمروها ؛ فإستولى على نايري [أرمينيا] وعلى قابادوكيا في الأناضول حتى جوار نهر قيزيل إرماق من شمال الأناضول .

وأما ملك إيران دارا الثاني الذي تولى الملك عام [٥٢٠] ق.م فقد استولى على الهند حتى نهر الغانج ، ثم اخضع القسم الشرقي من ايران ، ومن ثم قرر اخضاع السيت في الشمال وهم سكان ما بين البحر الأسود وبحر الخزر ، وكانوا يسمون بلادهم [سيتيا أو سفيتيا] وإن من أشهر قبائلهم قبيلة [سقولوط] وإن هؤلاء كانوا راقين جداً ونفوسهم كثيرة ومحاربين بواسل ، يسكنون في الغرب من بحر آزاق حتى نهر الدون ، وكانت بقية القبائل تدين لهم بالطاعة ، فأرسل سرية من الجند إلى جنوب القفقاس تصادمت مع سرية من السيت ولكنها لم تنجح ، على أنهم اسروا هناك بعض السيت وجلبوهم ليستفيدوا من المعلومات التي يأخذونها منهم .

وكان بين نهري الدنيبير والدنيستر شمال البحر الأسود قبائل [يازيغ وروقز ولان] وفي جنوب القفقاس قوم [آلان] وفي الداخل قوم [كلت] وفي الأقسام الشمالية من القفقاس قوم [صارمات] أما السيت فقد كانوا اختلطوا بالمستعمرات الساحلية مع مهاجري اليونان وكان من هؤلاء قبائل [آلازون ـ قالبيد] ؛ وكان السيت يعبدون إله الحرب ولهم معبودات أخرى للشمس والسماء والبحر ؛

وكان الشرف الأكبر عند السيت هو التغلب على العدو ، وكانوا يقتلون أسراهم بالمئات ثم يصنعون من أقحفهم طوساً للشرب ، وكان الجندي السيتي يشرب دم أول عدو يقتله في

المعركة ؛ وكان الجنود يحملون رؤوس قتلاهم إلى زعيمهم وينالون عليها المكافآت ، وكانوا في كل سنة يقيمون احتفالاً عاماً جامعاً ؛ وكانوا يدفنون موتاهم بعد أن يحيطوا جسمه بالشمع كما تدفن زوجته وخدامه وسايسه.

وعلى ذلك جهز دارا جيشاً قوامه [٧٠٠٠٠٠] محارب ، ثم أخذ معماريّي[سيسام] وأمر بإقامة جسر من السفن على مضيق البوسفور ، ولما اجتاز البحر إلى العدوة الغربية كان جيشه يقارب المليون بما انضم إليه في طريقه ، ودخل إلى تركيا ، فلما وصل إلى نهر الدانوب [إيستمر] كان الاسطول البحري قد هيأ له جسراً ، ثم تابع سيره حذاء البحر الأسود ، وفي طريقه خضع له جميع الأقوام إلا قوم [كه ت] فقد حاولوا مقاومته فأسرهم . وكان قد عهد بمحافظة الجسر إلى حاكم [ميله ت] ؛ ثم سار من [بروت] حتى نهر دنييستر ومن ثم اضطر للرجوع بسبب فقدان وسائل المعيشة للجيش .

ويقول هيرودوت " لم ينجح دارا في اخضاع السيت ، فلما يئس من إخضاع هذا الشعب الباسل أرسل مندوبــاً يطلب منهم الإستسلام ، فأرسل إليه السيت هدية مكونة من [طائر ـ فأرة ـ ضفدعة ـ خمس أقواس] فلما سأل العرافين عن معنى هذه الهدية فسره أحدهم بقوله:

" يقولون: أنتم الايرانيون إذا لم تصيروا كالطيور وتطيروا في السحاب ، وإذا لم تصيروا فئراناً تزحفون في باطن الأرض ، وإذا لم تصيروا ضفادع تختفون في المستنقعات ، فأننا سنعيدكم ونفنيكم عن آخركم بسهام تطلق من قبل هذه الأقواس الخمسة".

وعاد دارا ولم ينل شيئاً فقد كانوا قوماً رحّلا سريعو التنقل والانفلات ، ومحاربين أشداء ذوي براعة في الحيل الحربية.

ز ـ مذكور في تاريخ [دوري] المطبوع سنة ١٩١١ م صفحة ٢١٩ مايلي:

بينما كان قدماء الفرنسيس يقطنون منابع ومجاري نهر [الرين] في القرن الثالث قبل الميلاد كانت بلاد [الغول] أي فرانسا الحالية مأهولة بأقوام القلت أو السلت والايريين والكيمريين ؛ حتى أن يوليوس قيصر لما امتلك بلاد الغولوا في القرن الأول للميلاد ، كانت هذه الأقوام ساكنة فيها .

" راجع كلمة [غول GAUL] في قاموس لاروس " "كذا كلمة كيمريس Kimris" وإن الكيمريين كانوا يقطنون في زمن يوليوس قيصر جهات نهر السين والمارن وجبال فوسيل والرين لغاية البحر المحيط ، وجدير بنا أن نشير هنا إلى أن الكيمريين الذين انحدروا إلى الأناضول ظلوا مدة يتجولون في أرجائها غزاة نهابين ، إذ يؤخذ مما كتبه المؤرخ راولنجتون ، أنه أتى على أوربا حين من الدهــر كانت فيــه مزدحمــة بأقوام السومريين أجداد الجراكسة وأحفاد أمم السلت [راجع التاريخ مورغان الجلد الثاني الصفحة ١١٨] (السيمريين).

ومن المعلوم أن الكيمريين سكنوا قديماً الجهات الغربيةوالجهات الشمالية الغربية من قفقاسيا واستوطنوا سواحل بحر آزوف من ناحيتيه .

ومما لا شك فيه أن الكيمريين انحدروا إلى جنوب القفقاس وساروا في آسيا الصغرى وفي بلاد الآشوريين والكلدانيين مخربين مدمرين نهايين ، واستولوا على سوريا وبلاد الفينيقيين وفلسطين حتى وصلوا إلى الحدود المصرية ، فتودد إليهم الفرعون [يساماتي] بهدايا ثمينة وعطايا جزيلة ، وبفضل ذلك حفظ مصر من بطشهم وتمكن من ابعادهم عن حدودها.

ومن حوادثهم في بلاد الأناضول أنهم هاجموا مملكة ليديا ، ولكن ملكها[آليات] تغلب عليهم بمعاونة الآشوريين ، من ثم أعادوا تجميع صفوفهم تحت قيادة زعيمهم [توختا ميش] وهاجموا مملكة ليديا [أوفريجيا؟] ونهبوها فانتحر ملكها [كيفس] أو [سدياس] بالسم.

وظلوا مدة كذلك ، حتى قضت عليهم الدويلات اليونانية من الغرب ودولة آشور من الشرق ودولة مصر من الجنوب والسيت من الشمال فتفرقوا في أنحاء شتى من العالم حتى وصلت فلولهم إلى أقصى بلاد أوربا غرباً وإلى مصر والشمال الأفريقي .

ح ـ وفي الصفحة ٢٢٦ من المجلد الثاني من تاريخ العالم:

وكان الصناع الاسكوذيون يستطيعون أن يصنعوا صوراً للحيوانات مطابقة للواقع تثير الدهشة ولكنهم كانوا يظهرون في الوقت نفسه براعات فائقة بإستعمال نماذج لهذه الأشكال لمجرد استعمالها في الزخرفة ، وإذا استثنينا اليونان ، فإنه لم يكن في أوربا لعدة قرون ما يقرن إلى نقوشهم وما كانوا يصنعونه من البرونز.

ولم يتوطد سلطان الاسكوذيين قط في هذا الاقليم . أي قفقاسيا الشمالية .

وقد هبط قوم [آلاجاترسي] إلى ترانسلفانيا قادمين من تركيا وحالفوا الاسكوذيين أو دانوا لهم بالطاعة ، وتعلموا منهم صناعة الحديد ، ولم يتأثروا عدا ذلك بثقافتهم ، وأخذ استعمال الحديد ينتشر في أوربا ، فراج أولّ الأمر بين الألليريين ، ثم في وادي نهر الدانوب وسويسرة ، ثم عند الكلتيين في فرانسا وجنوب ألمانيا.

وفي الصفحة ٢٢٤ من الكتاب صور لمناظر صناعات سيتية.

ولنتذكر أنه مر معنا في بحث تاريخ الكيمريين أنهم كانوا ينقسمون إلى شعب وإن شعبة [ته ره ر] كانت شمال البحر الأسود وتشكل الجناح الغربي للكيمريين فلما اقبلت غزوة الاسكيت قتلوا ملوكهم وهربوا إلى الغرب وانتشروا في اوربا حتى سواحل المحيط الأطلسي ، وأن منهم الأتروسك أو التوسكان في شمال ايطاليا (وليس منهم قوم الباسك في جبال البيره نه).

الخلاصة عن الاسكيت

وجدنا في المعلومات السابقة بعض الاختلاف في المعلومات والآراء . فأما ما جاء في كتاب قادرجان قافلي وكتاب [بويوك تاريخ عمومي] فهي معلومات قديمة ، وأن قولهم عن الاسكيت بأنهم كانوا على شيء من الحضارة ، فيدحضها ما جاء في كتاب تاريخ العالم وقصة الحضارة عن أوصافهم من الوحشية والقسوة والهمجية وحياة الرعي البدوية ، ثم اننا نجد تضارباً في وصف هيرودوت لهم ، ويشاركه في ذلك مؤرخون آخرون ، فهيرودوت يعتقد بأن السيت هم سكان شمال القفقاس إطلاقاً ويصفهم بالحضارة والمدنية الفائقة ثم يذكرهم في حملة دارا بأنهم بدو متنقلون سريعو الحركة.

وعلى ذلك فإن هيرودوت لم يتح له أن يفرق بين حاكمية السيت ونفوذهم في شمال القفقاس وبين السكان الأصليين أصحاب تلك الحضارة التي يمتدحها ؛ ولعل أقوام الكلت أو السلت كان الغالب في تلك الأقوام القفقاسية فاختلط عليه الأمر بين السيت والسلت ، لعدم معرفته لغتهم ولعدم وقوفه على أحوالهم . ونفس الشيء نقوله عن المديح الوارد في تاريخ العالم عن الصناعات الاسكوذية ، فإن السيت البدو الرحل الجفاة الغلاظ الأكباد الذين يقضون حياتهم على ظهور الخيل حتى لا يكادون يحسنون السير على الأقدام ، لا يستطيعون أن يكونوا حضارة راقية ، وهذا ما نشاهده أمام أعيننا حتى في زمان الصواريخ العابرة للقارات والقنابل الذرية ، وأيام الصعود إلى القمر وارسال الصواريخ إلى الأفلاك البعيدة ، نعم نرى أمامنا ، وفي كثير من بقاع الأرض ، القبائل البدوية لا زالت كما كانت منذ فجر التاريخ من حيث العلوم والصناعات والحضارة.

ولكن السيت المتسلطين كانوا ينهبون خيرات البلاد التي يغزونها ، ويسخرون صناعها وحرفييها لأشباع نهمهم إلى الذهب والفضة والزينة والسلاح وينقلونها معهم في اسفارهم ورحلاتهم.

والآراء مختلفة أيضاً عن موطن السكيت الأصلي ، فمنهم من يقول أنهم من الهند ومن يقول أنهم من شعوب اورال الطاي ، ومنهم من يقول أنهم أصلاً من جنوب الروسيا ، ولكن هذا الإدعاء الأخير ظاهر الغلط ، لأن السيت قدموا إلى القفقاس الشمالي وشمال البحر الأسود غزاة من نوع جديد لم يعرفوه من قبل .

★ ★ ★

الهجرات الآرية في أوربا

المعلومات التالية استقيتها وجمعتها من كتاب قصة الحضارة ومن صفحات مختلفة من الأجزاء الثامن والتاسع والثاني عشر والخامس عشر . وهي تعطينا صورة عن قارة أوربا .

فرانسا ـ كانت تسمى كلتيكا وعندما استولى عليها قيصر الروماني سميت ببلاد غاله وبعدما استوطنه الفرنجة [فرانك] سميت فرانسا.

عثر في كهوف [بونتياك] بفرانسا عن أن الانسان البدائي وجد فيها قبل ميلاد المسيح بثلاثين ألف سنة ، والغريب أنه كان يستطيع أن يصور على جدران الكهوف بالألوان الزاهية والخطوط الواضحة حياة الرعي والصيد التي يعيشها.

وحوالي عام [١٢,٠٠٠] قبل الميلاد انتقلت فرانسا من ذلك العهد الحجري القديم إلى حياة الاستقرار في القرى وفلح الأرض وزراعتها . أي العصر الحجري الحديث .

وفي حوالي [٢٠٠٠] ق.م انتقلت إلى عصر البرونز واستعمالها المعادن.

ايطاليا وفي حوالي [٢٠٠٠] ق.م غزت قبائل من أوربا الوسطى شمالي ايطاليا ولعلها لم تكن الغزوة الأولى ، وأدخلوا إلى البلاد إقامة البيوت على قوائم خشبية وكانوا يشتغلون برعى الماشية وفلاحة الأرض وصناعة النسيج ، وحرق الفخار ، وصناعة أنواع مختلفة من الأدوات والأسلحة البرونزية .

بريطانيا ـ عبر البحر من غاله حوالي عام [١٢٠٠] ق.م فرع من قبائل الكلت واستقر في انجلترا ، وقد وجدوا في تلك البلاد خليطاً من شعب أسود الشعر لعله إيبري[١].

وشعب اشقر الشعر اسكندناوي ، وتغلب الكلت على السكان القدماء وتزاوجوا معهم وانتشروا في مقاطعة ويلز من انكلترا.

ايرلنده ـ سكنها في أول الأمر اليونان ؟؟ ثم السكوذيون؟؟[٢] قبل ميلاد المسيح بألف عام أو أكثر ، ووصل إليها هملكو المكتشف الفينيقي عام [٥١٠] ق.م ووصفها بأنها بلاد خصبة كثيرة السكان.

الألمان ـ لا يعرف بالتحديد مصدر هذا الاسم، والألمان انفسهم لم ينطقوا بهذا الاسم مطلقاً ولعلها مشتقة من كلمة [جرمانس] اليونانية ومعناها [ابناء نفس الأبوين] وليس من

---

١ ـ ايبري من ايبريا وهي شبه الجزيرة الإسبانية ـ هي غير ايبريا (كرجستان)

٢ ـ هل كانت خلاءً من قبل ؟ وأي سكوذيين هؤلاء ؟ هل السكان الأصليون اسكوذ؟

قبائل الجرمان العديدة إلا قبيلة واحدة صغيرة تحمل اسم [آل مان] ولقد كان الجرمان في الأيام القديمة خليطاً من قبائل مستقلة ضاربة ما بين نهري الراين وفستولا من أوربا الوسطى ، ولم يكونوا يزاولون الزراعة بل يرونها عمل الخاملين الجبناء وكانوا منصرفين إلى الغزو والسلب ، وكانت النساء تحرض الرجال على القتال ويحاربن إلى جنبهم في كثير من الأحيان.

والساحة التي نسميها اليوم بأوربا الشرقية من سواحل بحر البالطق إلى شمال البحر الأسود وجنوب الروسية كانت تعج بالقبائل من الأقوام الكلتية والجرمانية وانورماندية كالقوط والتيوتون والغولوا والفرانك وغيرهم الكثير .

حوالي عام ٩٠٠ ق.م أخذ جنس جديد هو الجنس الألبي المستدير الرؤوس يتسرب إلى فرانسا قادماً من الشرق ، ثم بدأ ينتشر منها إلى بريطانيا وايرلنده ، ثم انحدر إلى اسبانيا ، وجاء هؤلاء [الكلت] معهم بثقافة [هولستات] الحديدية من النمسا ، وحوالي عام [٥٥٠] ق.م استوردوا من سويسرة فن [تينه La Tene] في صناعة الحديد وتحسنت صناعاتهم الحديدية.

فهؤلاء المهاجرون الجدد تكاثروا واستقروا قبائل في مدن شادوها مثل [أمبياني - والبوفاكي - بيتورج - كارنوت - باريسي - بكتون - ريمي - سنون - سوسيون] وغيرهم ، وقد سماهم قيصر بالغولوا أو الغاليين حين غزا بلادهم عام ٦١٠ ق.م ويصفهم بأنهم كانوا طوال القامة ، ظاهري العضلات ، يمشطون شعورهم الغزيرة الشقراء ويرسلونها خلف رؤوسهم .. الخ وكذلك يصفهم هيرودوت.

ويصفهم هيـــرودوت بأنهم قوم [سذّج ، ذووا شمم وكبرياء ، لا يطيقهم أحد إذا انتصروا ، وتطير نفوسهم شعاعاً إذا غلبوا] وهيرودت عاش في العام [٥٠٠] عام قبل الميلاد.

وكان الغاليون يؤمنون بآلهة كثيرة ، ويقيمون طقوسهم الدينية في الأيك ، ويقدمون أحياناً الضحايا البشرية للأموات وكثيراً من الضحايا الحيوانية ، وكانوا يسمون كهنتهم [درويد] لذلك يقال عن مقابرهم بأنها مذابح الدرويد.

وفي وادي نهر البو في شمال ايطاليا كانت قد انتشرت الثقافة الحديدية [الفلانوفية] التي نشأت في فلانوفيا القريبة من بلدة بولونيا.

وفي حوالي عام [٨٠٠] قبل الميلاد حدثت هجرة جديدة أخضع أصحابها الفلانوفيين وأنشأوا بين نهر التيبر وجبال الألب [وهي مقاطعة توسكانيا الإيطالية، والتي كانت تسمى أتروريا] أعجب حضارة في سجلات الجنس البشري وهم [الأتروسك] وكان اليونان يسمون التوسكانيين [اتروسك - تركيني - تيرسيني - توسكى] ، ولقد كان مؤرخو اليونان والرومان لا يشكون في أن الأترورين جاؤوا من آسيا الصغرى .

وفي فترة الحــروب بين رومـــا الناشئة والأتـــروسك تسللت من فرانسا وألمانيا قبائل كلتية واستوطنت جنوب الألب حتى نهر البو وكان يسمونهم [كلتاي - غلتاي - غالى] وفي

عام [٤٠٠] ق.م نهبوا اتــروريا وفي عــام [٣٩٠] ق.م نهبوا روما ، وسميت هذه المنطقة [غاله الألبية الجنوبية] وحوالي العام [٢٢٧] ق.م طردت روما الغاليين من ايطاليا ، وهؤلاء القوم بيض شقر ومن السلالة الهندوربية التي سكنت ما نسميه اليوم ألمانيا الغربية وفرانسا وأسبانيا الوسطى وبلجيكا ومقاطعتي ويلز واسكتلنده من بريطانيا وجزيرة ايسلنده ، فلقد وجدهم الرومان فيها عند توسعهم [من بويوك تاريخ عمومي] :

إن الأقوام الآرية التي هاجرت من الشرق إلى أوربا تنقسم إلى فئات:

الفئة الأولى - التيوتون - وهم ستة أقسام :

١ - تيوتون مجاورين للرومان

٢ - الفرانق وهم شرق نهر الراين .

٣ - ساكسون بين نهر الراين وإليه

٤ - آنفل في الشمال.

٥ - قبائل [آل مان - سوئو - شوابن] بين نهري الراين والدنوب

٦ - قبائل [بورغوند - لا نغوبار ذوي اللحى الطويلة وهم اللومبارد وقبيلة [مار قوما] وكانت مواطنهم بجوار نهر الراين.

الفئة الثانية ـ الغوت أو القوط وهم من عرق اسكاندينافيا .. قطنوا أولاً شبه جزيرة اسكندينافيا (السويد والنروج) ثم انقسموا إلى شعبيتين :

١ - ويزيغوت أو وست غوط - يعني القوط الغربيون.

٢ - أوستروغوت ، يعني القوط الشرقيون ؛ وهؤلاء كانوا منتشرين في روسيا الحالية ، وفي عام [٢٠٠] ق.م كانوا منتشرين في ساحل بحر البالطق.

الفئة الثالثة ـ السلاف - كانوا في الروسيا ، ولكنهم رغم تعرضهم لغزوات الجرمن والقوط فلم يهاجــروا من أراضيهم مــا بين نهــري الدون والويستــول. وفي هــذا الزمان كان أقوام [صارمات - يازيغ - آلان - روقزلان] يعدون من السلاف.

الفئة الرابعة ـ ليتوآنيا - كذلك يقطنون أحواض نهري ويستول والدون .

الفئة الخامسة ـ الجرمن - كانوا ضاربين ما بين نهري الراين وفيستولا .

الفئة السادسة ـ النورماند - قدموا اسكاندفيا والدانمارق وهم من الجرمان.

★ ★ ★

الأقوام القديمة في ايطاليا

من قصة الحضارة ـ الجزء التاسع الصفحات ٨ ـ ٩ ـ تحت عنوان ـ قيصر والمسيح ـ أو الحضارة الرومانية .

يقول أرسطو عن أصل الايطاليين " يقول أصدق الناس حكماً في هذا البلد ؛ أنه لما أصبح ايطالس ملك [أئنتوريا] بدل أهل البلاد اسمهم فلم يعودوا يسمون أنفسهم [أئنتوريين] بل تسموا إيطاليين " . ولقد كانت أئنتوريا هي مكان الأصبع الكبرى في الجزمة الإيطالية، ومعنى هذا اللفظ هو [أرض النبيذ] لكثرة ما فيها من الكروم.

ويقول توكيديدس، وهو مؤرخ يوناني ؛ أن ايطالس هذا كان ملك الصقليين الذين احتلوا أئنتريا ، ثم احتلوا جزيرة صقليا وتسمت بإسمهم.

ولقد تـوسع الإغريق في إطلاق اسم [ايطاليا] حتى شمل جميع شبه الجزيرة حتى نهر البو . كما توسع الرومان في إطلاق اسم [غره ك] على اليونان الهلينيين ، مع أن هذا ماهو إلا اسم جماعة قليلة هاجرت من شمال أتيكا إلى نابلي، أثناء التوسع الهيليني .

ايطاليا في العصر الحجري : أن ما كشف من آثار العصر الحجري في ايطاليا يدل على أن سهولها كانت مسكونة ببني الإنسان قبل ميلاد المسيح بثلاثين ألف عام على أقل تقدير ، ثم ظهرت فيها آثار تدل على العصر الحجري الحديث [١٠ ـ ٦] آلاف سنة قبل الميلاد ، وكان أصحاب هذه الحضارة أقواماً طوال الرؤوس تسميهم الروايات القديمة لجوري أوصقلي وكانوا يصنعون الفخار الخشن ، وأسلحة من الحجارة المصقولة ، ويؤنسون الحيوان ويصيدونه ، ويصيدون السمك ، ويدفنون موتاهم ، ومنهم من كان يسكن الكهوف ، وآخرون كانوا يبنون أكواخاً اسطوانية من القش والطين .

وفي حوالي عام [٢٠٠٠] ق.م غزت قبائل من أوربا الوسطى شمالي ايطاليا ، ولعلها لم تكن الغزوة الأولى ، وادخلوا إلى البلاد إقامة البيوت على قوائم خشبية في الماء ، اتقاء لهجمات الوحوش والآدميين ، وقد استقروا في بحيرات جارو ،كومو ، ماجيوري ، وغيرها ثم نزحوا فيما بعد إلى جنوب البلاد ، وأقاموا مساكنهم على اليابسة لعدم وجود البحيرات ، ولكنهم أيضاً رفعوها على قوائم خشبية وأحاطوها بالأسوار والخنادق.

وكانوا يشتغلون برعي الماشية والضأن وفلاحة الأرض وصناعة النسيج وحرق الفخار وصناعة أنواع مختلفة من الآلات والأسلحة البرونزية ومنها المشابك وأمشاط الشعر والأمواس والملاقط وغيرها من الأدوات التي لا يكاد الإنسان يصدق أنها ظهرت في ذلك العهد البعيد. أما صنـــاعة الحديد فقـــد أخذها المقيمون في وادي نهر البو عن ألمانيا، وسميت ثقافتهم هذه

[الفلانوفية] لأن مركزها كان بلدة [فلانوفيا] في جنوب ايطاليا ص ١٠ ومن المجلد الثالث من كتاب [بويوك تاريخ عمومي]:

١ ـ من سكان ايطاليا القدماء [الليكور ـ والباسك والأتروسك] وهم من الهند الهندوجرماني تجمعوا في سويسرا ثم انحدر قسم منهم إلى ايطاليا وانتشروا إلى جهات [نيجا ـ آبنين ـ تيبر] واسمهم القومي [رازنا ـ رازننا ـ راسنا] سماهم اليونان اتروسك أو توسقي ومملكتهم اترووريا أو توسكيا أو طوسكانا.

٢ ـ اللاتين ـ وهم سكان وادي نهر التيبر المسمى [لاتيوم]، وكذلك [أومبر] ولغتهم تشابه لغة اللاتين وهم وسط جبال الأبنين ، ثم [السابين] وموطنهم جنوب الأومبر عبر نهر آنيو . فهؤلاء الأقوام الجبلية يقال لهم [سابه ل] .

٣ ـ وكان في جـوار موقع روما الحالي حوالي [٢٥٠٠] ق.م أقوام [رامنه . تي تي . لوجر] . وهناك فصيلة من السابين بنوا بلدة روماقو أوراطا]

ومن كتاب النهج القويم في التاريخ القديم صفحة ٣٨٠ :.

٤ ـ اليابجيين ـ سكنوا الجوانب الشرقية الجنوبية قرب سواحل آبيروس .

٥ ـ الاينوتريين ـ كانو يقطنون في بريتوم ولوكانيا ، وبلادهم تسمى [إينوترتا].

٦ ـ الأوسكيون ـ عدة قبائل منهم [فلش ـ ايكوي ـ هرني] طردوا السبينيين واستوطنو في لاتيوم وكمبانيا.

★ ★ ★

الأتروسك أو التوسكان

المعلومات التالية من كتاب قصة الحضارة ـ الجزء التاسع ـ صحفة ١٠ وما بعد .

وحوالي عام ٨٠٠ ق.م حدثت هجرة جديدة إلى مقاطعة [توسكانيا] بين نهر التيبر وجبال الألب ولقد حكم التوسكان مدينة روما أكثر مئة عام وخلفوا حضارتهم للرومان ، ولكن الآداب الرومانية أغفلت ذكرهم تحاشياً عن ذكر من تحكموا بهم وتفضلوا عليهم بالمدنية والحضارة .

والمؤرخون اليونان والرومان القدماء لا يشكون في أن الأتروسك قدموا من آسيا الصغرى . والحق أن في دينهم وملابسهم وفنونهم شواهد كثيرة توحي بأصلهم الآسيوي ، والراجح أنهم جاؤوا من ليديا .

وقد شادوا مدناً كثيرة ، لا قرى من القش والطين كما كانت الحال قبل مجيئهم ، بلدان

مسورة ذات شوارع منظمة على قواعد هندسية ، وبيوتاً مقامة أكثرها من الآجر أو الحجارة .

واتحدت اثنتا عشرة بلدة من مدنهم مركزها [تاركوناي] المعروفة اليوم بإسم [كرنيتو] ، وقد ظلت هذه المدن طوال القرن السادس قبل الميلاد أقوى سلطة سياسية في ايطاليا .

وقد بدأ الحاكم في المدن التوسكانية بالنظام الملكي [ملوك المدن] ثم صار حكماً اقطاعياً. وأنشأ مهندسو التوسكان مجاري تحت الأرض لتصريف مازاد من مياه البحيرات والمستنقعات وشقوا طرقاً في الصخور والتلال ، وفي عام [٧٠٠] ق.م كانوا يستخرجون النحاس من شاطىء ايطاليا الغربي والحديد من جزيرة [إلبا] وأفران من الحديد في [بوبولونيا] .

ووسعوا تجارتهم البحرية حتى شملت جميع ثغور البحر الأبيض ، وبراً عبر جبال الألب . وفي عام ٥٠٠ ق.م أصدرت المدن التوسكانية الكبرى عملة نقدية خاصة بها .

وتمثلهم رسومهم قصار القامة ممتلئ الأجسام كبار الرؤوس ، لا تفرق ملامحهم عن سكان الأناضول بيض البشرة ، واشتهرت نساؤهم بجمالهن .

وقد عثر في قبورهم على قناطر للأسنان الصناعية ، ونقلوا الطب والجراحة عن اليونان ومصر .

الدين ـ كان أعظـــم آلهة الأتـــروسك هو [تينيا] إله الرعد والبرق ، ثم [مانتاوس] و [مانيا] سيد العالم السفلي ثم [لاسا] و [مين] آلهة الأقدار ، كما كانت هناك أرباب لكل عائلة ؛ وكان العلم المقدس عندهم هو علم معرفة الغيب بدراسة أكباد الضأن أو طيران الطير ، وهو علم بلاد بابل ، وكانوا أحياناً يضحـــون بالآدميين ، وكانوا يؤمنون بوجود الجحيم وعذابه ، ويدفنون مع موتاهم ما يلزمه من أشيائه . (ص ١٠ - ١٦) .

وفي عام [٦١٨] ق.م استولوا على روما وظلت خاضعة لهم مدى قرن كامل وطعموها بحضارتهم .

وفي عام [٣٥١] ق.م استولت روما الناشئة القوية على [اترورِيا] وسمتها ولاية توسكيا وفي عام [٣٢١] ق.م أخضعت روما جميع أترورِيا. (ص٧٧ - ٨٠) .

★ ★ ★

الغاليون والجراكسة

كتاب قادرجان قافلي صفحة ٣٠:

المؤرخ القوطي [أوجين دوغوت] في مقدمة كتابه [القوط في القفقاس] ينشر جدولاً بموجبه يقسم البشر إلى ثلاثة عروق كبيرة هي ١ - العرق الزنجي - ٢ - العرق الطوراني أو المغولي ٣ - العرق القفقاسي أو عرق حوض البحر الأبيض المتوسط . ويقسم العرق القفقاسي إلى ثلاثة أقسام منها الهندوجرمان ، وإن الجركس الآديكة والأباظة والداغستانيين واللزكي والجاجان والأوست من جنس الهندوجرمن.

وأما بقية القبائل التي تنضوي تحت اسم جركس ، هي من بقايا الأقوام الآرية الأوربية التي هاجرت لسبب ما من أوربا إلى آسيا ، وظلت فلول منها على سواحل البحر الأسود ، فهم آريون أوربيون لا تربطهم بالطورانيين صلة رابطة بالأصل .

وهناك القول الغالب أن الجركس من الهندوكلتيك وليسوا من الهندوجرمن ، وهؤلاء يقولون انهم من الشعبة الكيمرية وينتسبون إلى غومر بن توغورما . والمؤرخ ماسبرو يؤيد هذه الفكرة. (ولكن اللغة الشركسية ليست هندية أوروبية) .

وقد جاء في اللاروس الكبير وفي سياق تفسير كلمة [كيمرية] :

إن الجركس والقلت والغولوا يتشابهون كثيراً في التشكيلات البدنية وسيماء الوجه والعادات والأخلاق القديمة، وإن هذا يظهر بوضوح في بعض الطوائف من سكان فرانسا وانكلترا.

في الصفحة ٤٥ من الجزء العاشر من كتاب قصة الحضارة :

يقول يوليوس قيصر ان الغاليين كانوا قوماً طوال القامة أقوياء الأجسام ظاهري العضلات يمشطون شعورهم الغزيرة الشقراء ويرسلونها خلف رؤوسهم وعلى أقفيتهم (*) ، وكان بعضهم يطيلون لحاهم، والكثير منهم يتركون شواربهم تنثني حول أفواههم ، هذا وقد نقلوا معهم من بلاد الشرق ، وربما كان ذلك عن الإيرانيين الأقدمين ، عادة لبس السراويل القصيرة...الخ.

وكان الغاليون يؤمنون بآلهة كثيرة ، وكان اعتقادهم بحياة سعيدة في الدار الآخرة قوياً .

وكانـــوا يقـــومون بطقوس دينية ذات روعة ، ويؤدونها في الأيك أكثر مما يؤدونها في المعابد ، ويسترضون الآلهة بتقديم الضحايا البشرية... (ص٤٦) .

والكهنة كانوا الطائفة الوحيدة المتعلمة في المجتمع الغالي ؛ وكانوا قضاة لهم نفوذ كبير

* ـــ عند ظهور موضة [ذنب الحصان] قال الأستاذ ألماني لطالبة سورية [هذه موضة الجراكسة القدماء].

عند ملوك القبائل وهم المعروفون بالدرويد . وكان الغاليون يحرقون موتاهم .

الغولوا في بريطانيا : عبر البحر من غاله حوالي عام ١٢٠٠ ق.م فرع من قبائل الكلت الغالية واستقـر في انجلتـرا ، وتغلب الكلت على السكان القدماء وتزاوجوا معهم وانتشروا في [انجلترا وويلز] .

وحوالي عام ١٠٠٠ ق.م أقبل فرع آخر من الكلت وطرد بني عمومته من جنوب بريطانيا وشرقيها وساقهم إلى الغرب والشمال من الجزيرة البريطانية . (٥٤) .

ولما جاء قيصر عام ٥٥ ق.م وجد قبيلة غاليه تسكن جنوب القناة الانجليزية مباشرة تحمل اسم [بريتاني] فأطلق على السكان كلهم اسم [بريطاني] * لقد مرت معنا الملاحظة أن بين بعض البيوتات الانكليزية المحافظة والفرنسية البريتونية تشبه في بعض عاداتها وأخلاقها وتمسكهم بها ؛ الجراكسة وعاداتهم وتمسكهم بها.

كما مر معنا أن الكلت كانوا يعاقبوا شبانهم إذا استسلموا للبدانة ، ومعلوم أن الجراكسة لا يحبون البدانة وبناتهم وشبانهم ضامرو الخصور ، وفي ملابسهم تبرز هذه الظاهرة .

وفي انكلترا بعض المواقع ذات اسماء لها صدى الأسماء الجركسية ومثيلات لها مثلاً:

١ ـ مقاطعة ماءت الشرقية Meat west في ايرلنده ، فهذا الإسم يشابه تماماً اسم القبيلة الشركسية الكبيرة المعروفة [ماؤت] .

٢ ـ جبل غومر في وسط انكلترا ، اسم يذكرنا بالكيمريين وبإسم جدهم [غومر] .

٣ ـ أباردين ـ اسم ساحل اسكوتلنده الشرقي ، وهو شبيه بإسم قاباردين .

٤ ـ أنت ريم ـ موقع بالشمال الشرقي من ايرلنده ، وكأنه مشتق من اسم قبيلة [أنت] الجركسية المشهورة ، كما تذكرنا بإسم [القريم].

٥ ـ مقاطعـة [قون ناغون] بالشمال الغربي من ايرلنده ، ويشبه اسم اسرة جركسية تدعى [قانغوت](*)

★ ★ ★

---

* عندما احتل .. روما ، وراحوا يزينون جزية الذهب ، اشتكى الرومان إلى زعيمهم .. بأن الوزان يتلاعب في وزن الذهب ، فإستهجن هذا العمل وصاح [واديقيتس] وهذه الصيحة[واوي... واويؤ .. ويؤ] لا يزال الجراكسة يرددنوها للإستهجان أو للإستغراب.

القوط والجركس.

إن الشعوب الآرية التي غزت أوربا الوسطى والجنوبية قادمة من الشرق من جنوب الروسيا وشمال البحر الأسود ، وانحدار النورماند الشماليين وتحركاتهم شرقاً وغرباً وجنوباً قد أحدثت في أوربا ، قبل الميلاد بعدة قرون ، تحركات قبلية وقومية كثيرة متوالية توالت فيها الحروب المدمرة والغزوات الجامحة حتى عدة قرون بعد الميلاد.

ولما انضم إلى هؤلاء هجرة الشعوب الطورانية من العرق الأصفر كالمغول والترك ومن جاورهم ازدادت هذه الحركات شدة وبطشاً حتى قضت على الامبراطورية الرومانية ووصلت شرورها إلى آسيا الصغرى والشرق الأدنى ، أصاب الكثير من الويلات بسببها بلاد قفقاسيا الشمالية والجنوبية التي نحن بصدد دراسة تاريخها.

وقد توالت الهجرات الطورانية حتى القرون الوسطى فأثرت في مقدرات البلاد الإسلامية وجوارها تأثيراً كبيراً ، فأصبحت آسيا الصغرى الرومية تركية ، وكذلك أذربيجان القفقاسية والداغستان وسهول شمال القفقاس وجنوب الروسيا ، بل امتد تأثيرها إلى شمال الهند وكونت فيها دولة ذات شأن ، وطبقة من الحكام تركية الأرومة لا تزال حتى اليوم تشكل طبقة الأعيان في الباكستان.

ومن يراجع تاريخ الممالك الأوربية يجد فيها الكثير من هذه التحركات وما رافقها من أحداث هائلة وتحولات قومية .

وقد أحدثت هذه التموجات الآرية في القفقاس تأثيرات ذات أثر وخاصة الشمالية منها ، فقد هاجرت قبائل من القوط والجرمان إلى جنوب الروسيا واستوطنت في حوض الفولغا والدون فالفلامنع [1] عاشوا مدة في الحوض الأسفل من نهر الفولغا والقوط والجرمان في حوض نهر الدون وشمال البحر الأسود وسواهم.

والواقع أن القوط الشرقيين [لشورانوغمنو] قد عاشوا في حوض الدون وساحل بحر أزاق من قفقاسيا الشمالية حقبة طويلة من الزمن ، وكانوا يشكلون القوة المتسلطة في جنوب الروسيا حتى أخضعهم [الهون] ومما لا شك فيه أنهم قاموا بغزوات عديدة في بلاد الجركس وخاصة منطقة قبائل الآديكة المجاورة لهم.

جاء في كتاب تاريخ الجركس لشورانوغمقر صفحة ١١ الهامش:

جاء في مؤلف المؤرخ الغوتي جورناندس الذي عاش في القرن السادس للميلاد أن الغوت جاؤا من بلاد اسكندينافيا إلى جهات البحر الأسود واستولوا بالإتحاد مع بعض الشعوب

(١) كانت هولاندا تسمى قبل الحرب العالمية الأولى (فلمنك) نسبة إلى قوم الفلامنغ .

الجرمانية على بلاد داكيا التي كانت تتألف من بلاد مولدافيا وأولا حيا وترانسلفانيا والمجر وغيرها . وفي القرن الرابع حينما كان [هرما نريك] ملكاً للقوط كانت المملكة التي اسسوها لا تقل اتساعاً وجسامة عن القسم الأوربي من روسيا ، وهذه المملكة العظيمة كانت تمتد من شبه جزيرة تاوري أي القرم [1] وسواحل البحر الأسود إلى سواحل البلطيق في الشمال ولكنها لم تصمد طويلاً أمام هجمات الهون ، إذ حمل الهون عليهم سنة ٣٧٧ ميلادية حملة شعواء وغلب الغوت على أمرهم ، حتى أن [ويتينار] خليفة هرمانريك اضطر إلى الخضوع ودفع الجزية لهم ؛ وبذلك استردت أمة الأنت حريتها وارتفع عنهم نير عبودية الغوت.

وفي الصفحة ٤٩ من الكتاب المذكور قصة جركسية مع ملحمتها الشعرية خلاصتها :

روايـــة باقسان ابن داو : في منتصف القرن الرابع للميلاد كان أمير قبيلة القبارطاي يدعى [داو] وكان له ابنة واحدة وثمانية ابناء ذكور أكبرهم يدعى باقسان .

وقيل أن ملك القوط [فيتينار] قتل الأخوة الثمانية ومعهم ثمانين ماجداً من أبطال القبارطا في مقتلة فظيعة ، فلما وصل الخبر إلى شعب الأنت أخذ الرجال يضربون صدورهم حزناً وأسى ، والنساء الباكيات ينتفن شعورهن وهن يصرخن بصوت عال:

قتل أولاد داو الثمانية .. نعم أولاد داو الثمانية .. ولقد أسرع أمير الهون [بالامبار] لنجدة الآنت وانقذهم من ظلم القوط ، لأن القوط والآديكة كانوا خاضعين لحكم الهون.

وقد جمعت ابنة الأمير داو الوحيدة جثث إخوتها الثمانية ودفنتها بالقرب من نهر [ايتوقو] بإحتفال مهيب ، ثم كلفت النحاتين اليونان بنحت تمثال في ذلك المكان ، وهو لا يزال قائماً إلى يومنا هذا على رابية [كورغان] مرتفعة ومنحوت من قطعة صخرية ضخمة ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض أربعة أذرع ، وحتى الآن يسمى هذا التمثال [باقسان ابن داو] ، وهو يمثل شاباً في مقتبل العمر وملابسه من طراز الملابس الجركسية القديمة وفي الجزء الأسفل من هذا النصب صور وأشكال كثيرة تمثل رجالاً يصيدون الحيوانات البرية ، وآخرون يقومون بألعاب الفروسية ، وفيه صورة كنانة مملوءة بالسهام وقوس وسيف ، كما توجد كتابات يونانية يرد فيها اسم [باقسان] . *

ولدينا قصيدة قديمة قيل أن أخت باقسان نظمتها يرد فيها اسم باقسان والغوت وهي تؤيد صحة هذه الرواية التاريخية.

وفي الدفتر المخطوط [مأساة أمة] جاء مايلي في الصفحة ٢٤: (نقلاً عن شورانوغمو) وأهم هذه الهجرات كانت الهجرة الجرمانية التي كانت تتألف من جموع [الويزيغوت]

---

١ ــ يرد اسم شبه جزيرة القرم في التواريخ العربية القديمة بإسم طوريك.
٢ ــ يقصد مؤف هذا الكتاب أنّ شعب (آنت) هم الأديكة من الجركس.
* كتب الكاسوغ (الشراكسة) بالأحرف اليونانية فترة من الزمن .

والتي اجتازت الحدود الشمالية من قفقاسيا في القرن الأول للميلاد واستوطنت شواطىء البحر الأسود في القرن الثاني ونزلت في السواحل الشرقية ، وتمركزت في المناطق الواقعة شمال وجنوب منحدرات السلسلة الرئيسة ، أي على الضفة اليسرى من نهر كوبان وفروعه ، وفي ساحل البحر الأسود حتى موقع [شاخبي] وفي أراضي نهر تيرك في وديان مالقا والمجرى الأعلى لنهر تيرك والقوبان ، وكانت هذه القبائل الجرمانية الأكثر قوة بين القبائل الأخرى ، واستطاعت في زمن قصير أن تسود على شمال قفقاسيا ، وأن تستغل أراضيها الجيدة ، [وقد عرفت هذه القبائل فيما بعد بإسم الشراكسة] . وهذا اجتهاد جديد ؟.

ومن اطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم الأسروية وآدابهم ، وكذلك هيئاتهم الطبيعية وتراكيب أجسامهم ومراسهم للحروب والقوة الجسمانية والوجه البيضوي نستطيع أن نجمع بين الجركس والجرمن القدماء الذين غزوا أوربا فيما بعد . وبالرغم من أن اللغة الجركسية لا تشبه اللغة الجرمانية ولكنها تحتوي على بعض الكلمات التي كانت موجودة في اللهجات الجرمانية القديمة ، ولكن من المحقق أن هؤلاء الجرمان الوافدون قد اختلطوا بالسكان الأصليين فأثروا عليهم وتأثروا بهم من الناحية العرقية واللغوية والحضارية . (اقتبست الشركسية نون النسبة منها) .

★ ★ ★

التحركات الآرية

إن أهم ما نلاحظ في الهجرات الآرية وتحركاتها في أوربا، أن الرومان قد حاربوا وجادلوا هؤلاء الآريين عصوراً وأخضعوهم مراراً.

والأهم من ذلك أن الثقافة الرومانية ولغتها اللاتينية قد اثرت على هذه الأقوام وعلى أوربا عموماً تأثيراً جذرياً هاماً حتى طبعت الشعوب الأوربية جميعاً بطابع الثقافة واللغة اللاتينية وخاصة في اسبانيا وفرانسا وانكلترا وسويسرا وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية الغربية.

ولكي يأخذ القارىء الكريم فكرة أوضح عن تلك الموجات البشرية التي كانت تمّر بها القارة الأوربية فساورد فيما يلي نبذاً عنها.

عن كتاب قصة الحضارة ـ الجزء التاسع ـ بحث قيصر والمسيح وما بعد:

بينما كانت الحـروب الأربع عشر قائمة بين روما واثروريا تسللت قبائل كلته من بلاد غاله [فرانسا] ومن ألمانيا واستقرت في جنوب الألب ، على أن المؤرخين القدامى يطلقون عليهم أسماء [كلتاي ـ سلتاي ـ جلتاي ـ غـالي] ويصفونهم بأنهم طـوال القامة حسنو الوجـوه ، بيض

شقر ، يحاربون وهم عراة الأجسام ، وقد غزا هؤلاء الغاليون اتروريا ونهبوها (ص ٧٨)
وفي عام ٣٩٢ ق.م وصل ثلاثون ألفاً من الغاليين إلى روما واستولوا عليها وحرقوها ثم أخذوا منها الذهب الكثير وغادروها ، واستقروا أخيراً في شمال ايطاليا وعرفوا بإسم غاله الألبية الجنوبية.

وحوالي عام ٢٣٠ ق.م وقعت غزوة غاليه عارمة انحدرت من الشمال، ولكن الرومان طردوهم خلال ثلاث سنوات وتوحدت ايطاليا (ص ٩٩).

في عام ١١٣ ق.م اخترقت قبيلتان من الكلت هما السمبريين والتيوتون بلاد ألمانيا ثم انحدرت نحو ايطاليا، وهم قوم شقر الشعور طوال الأجسام ومحاربون اشداء وقد هزموا خمسة جيوش رومانية ، ثم تراجعوا واتجهوا إلى أسبانيا . ثم عادوا عام ١٠١ ق.م إلى إيطاليا ولكن ماريوس قضى عليهم وشردهم (ص ٢٤٧)

حدث في عام ٧١ ق.م أن الزعيم الجرماني أريوفستس غزا بلاد غاله وفي عام٦١ ق.م عبر [١٢٠] ألفاً من الألمان نهر الراين واستقروا في فلاندرز ؛ وقررت قبائل [الهلفتي] الضاربة حول جنيفا سويسرا] وعدتها [٣٦٨] ألف الهجرة إلى جنوب فرانسا ، فحاربهم يوليوس قيصر ، ثم اتفق معهم على أن يرجعوا إلى سويسرا ويخضعوا للرومان (ص٣٥٧)

ثم حارب أريوفستس وانتصر على الجرمان ، ثم حارب قبيلة [بلجي] الكلتية الألمانية وقهرها كما حارب السويسيون والأمبياني والنرفياي والأدوتيشي وهزم كلاً منهم على انفراد.

وفي عام ٥٥ ق.م عبرت قبيلتان ألمانيتان إلى غاله البلجيكية فقضى عليهم قيصر ،ثم أبعد قبائل الجرمان عن حدود غاله (٣٦٠)

وفي عام ٤٦ ق.م فتح باب الهجرة لإنشاء مستعمرات للرومان على سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود (ص ٣٨٦)

وفي الفترة ١٩ - ٩ ميلادية غزا الجرمان بلاد غاله ولكن الرومان اخضعوهم (الجزء العاشر ص ١٩)

في عام ١٦٧ ميلادية غزت القبائل الضاربة حول نهر الدانوب وهي [تشاتي - قادي - مركماني - لازيجى[1]] الولايات الرومانية وهزمت الجيوش ، وفي عام ١٦٩ م اقدم التشاتي على غزو اقليم الراين ، وفي عام ١٧٠ ق.م هاجم التشوس بلجيكا وعبر الكتسباي جبال البلقان وانقضوا على اليونان ، وغزا اللومباريون بلاد الراين ، وقد قاد ماركس الحرب ست سنوات ضد السرماتيين [2] والمركمانيين والقاديين واليزجيين (ص ٤٢٩)

---

١ ــ لازيجي ما أشبه هذا الإسم بإسم قبيلة لزكي الجركسية في الداغستان
٢ ــ نرجو الإنتباه لإسم السارماتيين فهم قفقاسيون كما سيأتي البحث عنهم .

فهؤلاء المهاجرون الجدد تكاثروا في فرانسا واستقروا قبائل مستقلة في مدن شادوها مثل أمبياني في آمين ، والبلوفاكي في بوفيه ، والبيتوريج في بورج ، والكارنوت في شارتر والباريسي في باريس ، والبكتون في بواتيه ، والريمي في ريمس والسفون في سن والسوسيون في سواسون وغيرهم كثر ، وهؤلاء سماهم الرومان الغاليون ، وكانوا يقومون بطقوسهم الدينية في الأيك ويسترضون آلهاتهم بتقديم الضحيا البشرية ، كانت لهم طائفة من الكهنة يسمونهم [درويد] ومقابرهم يسميهاالمؤرخون [المذابح الدرويدية] (الجزء الحادي عشر ص ٤٥ و ٤٧)

أنشأ قيصر العديد من المستعمرات أو المعسكرات الرومانية في أنحاء أوربا ومنها ثلاثة على ساحل البحر الأسود الغربي [بلغاريا الحالية] منها - ١ - إستروس - ٢ - تومي وهي بلدة كوستنجه الحالية - ٣ - أوديسيس وهي ميناء وارنا الحالية جنوب مصب نهر الدانوب ، وكانت القبائل الضاربة في الشمال تتكاثر وتقوى وتزداد جرأة وتهوراً ، وفي عهد ماركوس أورليوس قطن الآلاف من الألمان في أراضي الامبراطورية وتجندوا في الجيش الروماني ثم ظهر منهم القادة والقياصرة ، ثم جاء عهد سادت فيه الفوضى في الامبراطورية الرومانية (ص ٦٤)

وفي عام [٢٥١] م قتل القيصر الروماني [فيليب العربي] في معركة ضد القوط عند نهر الدانوب (ص ٣٢٥)

وفي عام ٢٥٥ م غزا القوط مقدونية ودلماشيا ثم هاجموا آسيا الصغرى كما هاجمها السكوذيون ؛ وفي عام ٢٥٧ م استولى القوط على مملكة بسبورس ونهبوا بلدان شواطىء البحر الأسود ، وحرقوا طرابزون واغاروا على بونتس وفي عام ٢٥٨ م استولوا على خالكدونيا ، ونيقوميديا وبروصه و أباميا ونيقيه وفي عام ٢٥٩ م أغار الألمان على ايطاليا ولكن جالينوس هزمهم (ص ٣٣٧).

وحوالي عام ٢٦٦ م أغار السارماتيون [١] على شواطىء البحر الأسود وتدفق البرابرة على بلاد البلقان واليونان ، وكان فرع من القوط يسير في خمسمائة سفينة إلى بحر ايجه وينهبون جزائرها ثم نهبوا أثينة وأرجوس واسبارطة وكورنثة وطيبه عام ٢٦٧م (ص ٣٣٩).

وفي حوالي عام ٢٧٦ طرد بروبس الألمان من غاله وطهر إليركم من الوندال (ص ٣٥٨).

أنشأ قسطنطين عام ٣٢٦ م مدينة جديدة وسط خرائب بيزنطية سماها [روما الجديدة] وانتقل إليها عام [٣٣٠] م واتخذها عاصمة له وسميت فيما بعد [قسطنطينية]

في عـــام ٣٥٥ م اجتاز الهون نهر الفولغا وضغطوا على [السارمات] فساقوهم نحو البلقان ، واجبروا قسماً كبيراً من القوط على الهجرة إلى أوربا ، وفي عام ٣٧٨ م هزموا جيشاً رومانياً عند أوريا نوبل [أدرنه الحالية] (ص ٤١٣)

في عام ٤٢٩ م قاد جيسيريك الواندال ففتح اسبانيا وافريقيا القارطاجية ثم استولوا على

روما أيضاً عام ٤٥٥ م ونهبوها .

الجزء ١١ صفحة ٥١ وأخذ القوط الغربيون والشرقيون وقبائل الهون الطورانية يعيثون فساداً من البحر الأسود إلى حدود ايطاليا.

وفي عام ٤٨٨ م قاد ثيودوريك ملك القوط الشرقيين قبائله في حملة على ايطاليا واستولى على روما واخضع ايطاليا وأصبح ملكاً لها تابعاً لامبراطور روما الشرقية . وفي عام ٥٥٣ م استطاع القائد الخصي [نارسيس] من طرد القوط من ايطاليا نهائياً (ص ١٩٨ و ٢٢٢).

نكتفي بهذا القدر من الحوادث لبيان الغليان الذي احدثته هجرة الأقوام الآرية في أوربا ، ولمن شاء معرفة المزيد ففي بطون التواريخ معلومات كثيرة ومثيرة عنهم ، انما قصدنا هنا في هذا المقام هو بيان الأوضاع التي كانت تحصل آنذاك والتي تعرضت فيها قفقاسيا الشمالية بلاد الجركس لأمثالها من المحن والكوارث.

★ ★ ★

الهجرات الطورانية الأولى (قفقاسيا في التاريخ)

في القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت بين الأقوام في آسيا الوسطى حروب طويلة شديدة سببت موجات وتحركات هجرات بين شعوبها.

وكانت الأقوام الطورانية ، وهم الترك والمغول ، تعيش في الشرق والشمال الشرقي من آسيا وهي المنطقة الواقعة في شمال الصين.

أما آسيا المركزية والغربية فقد كانت تحت حاكمية الشعوب الآرية.

فالحركات التي ظهرت في آسيا تبدت بشكل حروب من الصينين ضد الترك والمغول ؛ وكذلك بين الأقوام الهندورية وبين الترك والمغول.

وكانت الأقوام الطورانية محراق هذه الحروب والهجرات ، لأن مواطنهم أصبحت تضيق بهم خاصة بعد تحول مساحات شاسعة منها إلى بواد قاحلة وصحاري رملية، فراحت تفتش عن ساحات جديدة للحياة في بلاد الصين أولاً.

كما أن قسماً مهماً منها تحرك متجهاً نحو الغرب من شمال بحر الخزر بشكل موجات هائلة من الطغيان البشري.

وكنا قد ألمحنا أنه في عهد الامبراطور الصيني [جين - شي - هوانغ] بدىء ببناء السد الصيني العظيم ، وأكمل خلفاؤه من بعده بناء السد الذي بلغ طوله ألفي كيلومتر . وذلك لدفع غارات الطورانيين عن بلادهم.

وفي عهد الامبراطور [مينغ تي] بدأت حملة التطهير الكاسحة ضد [الهيونغ] بدأ بها القائد الصيني [فان لوي] عام ٧٦ ق.م وأكملها القائد [بان جاعو] عام ٧٢ ق.م فحمل على المغول بشدة واستولى على [نان - لو] وطردهم من الحدود الشمالية وتعقبهم حتى ساقهم إلى خارج حدود البلاد الصينية ، ثم اتجه إلى بلاد التركستان وطرد منها القبائل البدوية وساقها خارج البلاد . فهذه الحملات الصينية هي التي دفعت قبائل الهون وغيرها من القبائل الطورانية الهمجية البدوية نحو الغرب ؛ ولقد تلت من بعد الهون هجرات كثيفة أخرى، وكانت كل هجرة جديدة تدفع بسابقاتها أمامها نحو الغرب إلى روسيا وأوربا ، وهي التي حركت القبائل الآرية البدوية الهمجية التي كانت تعيش في السهول الأوراسية ودفعتها إلى أوربا الغربية ، فراحت هذه بدورها تعيث الفساد في امبراطورية الرومان حتى قضت عليها.

الهون أو الهان - إن الهون الذين غزوا أوربا ينتسبون إلى كتلة الهون الغربيين ، ومواطنهم كانت في تركستان الغربية الحالية، وهم ينعتون في التواريخ البيزنطية [هفتاليت] والايرانيون يدعونهم [هلباتليت] والصينيين [هفتا] أو [باتا] والأتراك العثمانيون [آق هون] أي الهون

البيض . ويقول الأتراك عنهم (خن) أيضاً . وأمضى الهون ردحاً من الزمن شمال بحر الخزر في منطقة الأورال ثم اجتازوا نهر الفولغا إلى شمال القفقاس وهناك اصطدموا بأقوام جامعة السارمات عام [٢٠٠] ميلادية ؟؟. (ويقول الأتراك عنهم [خن] أيضاً).

وفي عام [٣٠٠] ميلادية هاجموا قوم [آلان] الذين يهزون السيف ويشكونه في الأرض ويعبدونه وتغلبوا عليهم فنزح قسم من الآلان جنوباً إلى جبال القفقاس ، وقسم هرب إلى الغرب عبر نهر الدون فإختلطوا بالأقوام الجرمانية ، وقسم ثالث خضع للهون وبقي معهم.

وفي عـــام ٣٧٤ م اصطـدم الهـون في حـوض نهـر الدون بقبــائل القوط الشرقيين [اوستروغوت] فكسروهم واضطر هؤلاء للتراجع ، ومن ثم تقدم الهان إلى الغرب و هم يغزون الأقوام ويلحقون بقــاياهم بهم ، وقد هــرب منهم إلى الغـــرب قبائل القوط الغربيين [ويزيغوت] وخابروا امبراطور روما على أن يسكنهم في أراضيه فوعدهم بذلك عام ٣٧٥ م.

أما الآلان الذين الذين كانوا في القسم الشمالي من نهر الدون، وتلوا الغوت في المقاومة ، فقد اضطروا للانسياق إلى الغرب وساروا حتى اسبانيا ، ويعتقد أنهم التحقوا هناك بالفيزيغوت ثم انتقلوا إلى اوربا.

وتمادى الهــون في زحفــهم حــول البحـر الأســود حتى نهر الدانوب وقضوا على [دولة البوسفور] المكونة من رابطة المستعمرات اليونانية على سواحل البحر الأسود ، ثم اجتازوا نهر الدانوب وكانوا[٣٠٠,٠٠٠] نفس ، ورغم أنهم سلموا سلاحهم إلى السلطة الرومانية الحاكمة في المنطقة فلم تقدم إليهم الأرزاق حسب الإتفاق فعمدوا إلى السلب والنهب ثم حاربوا الرومان عام ٣٧٧ م عند مصب نهر الدانوب ونهبوا البلاد حتى وصلوا إلى القسطنطينية . في عام ٣٧٨ م قهروا جيشاً رومانياً ، ومن ثم اتفقوا مع الرومان وتجندوا عند الامبراطور الروماني.

وفي عام ٤٠٥ م اتفقت قبائل [الواندال والبورغوند والسوئه والجرمن] الآربة واتجهوا إلى الغرب فراراً من الهون ، وحاولوا غزو روما فلم يوفقوا.

وفي عام ٤٠٦ م دخل القوط بقيادة [آلاريق] إلى روما ونهبوها ستة أيام ، ومن ثم اتفقوا مع الامبراطور الروماني فأرسلهم إلى إسبانيا ، وقد بقي منهم هناك قبيلتا الآلان والواندال.

آتيلا- اجتاز الهون بقيادة [رونا] نهر الدنييستر عام ٤٤٠ م ؟ تقريباً ووصلوا إلى نهر الدانوب فلم يتعرض لهم أحد، ثم استقروا في مقاطعة بانونيا ببلاد المجر الحالية ، وقد لاطفهم الرومان الشرقيين والغربيين ، فإن الإمبراطورية الرومانية كانت قد انقسمت منذ عام ٣٩٥ إلى شرقية في القسطنطينية وغربية في روما .

وفي عام ٤٤٥ م مات زعيم الهون [رونا] وخلفه على زعامة القبيلة [آتيلا] المشهور ، وقد

استطاع آتيلا جمع قبائل الهون التي بقيت في شمال البحر الأسود ، وانضم اليهم قبائل الجرمان وغيرهم من الآريين ، وانحدروا من الشمال إلى قفقاسيا الشمالية ، وأشاعوا فيها القتل والدمار ، ثم تعقبوا ساحل بحر الخزر . إلى جنوب القفقاس ومنها إلى بلاد الأناضول وحتى سوريا والعراق.

وفي عام ٤٤٧ ميلادية عاد آتيلا من جديد إلى تراقيا عبر البوسفور ثم اتجه إلى إيطاليا للزواج من [هونوريا] أخت امبراطور روما ؛ وفي بادىء الأمر غلب على أمره ، ثم أعاد الكرة على ايطاليا ونهب وخرب وادي نهر البو ثم عاد إلى أواسط أوربا.

وبعد موت آتيلا هاجم الهون روما الشرقية [القسطنطينية] فغلبوا على أمرهم وعادوا إلى شمال البحر الأسود ، واختلطوا بقبائل الآوار والخزر والبلغار.

الهون والجركس - ليس في التواريخ ذكر يضوح وقائع الهون في القفقاس ، ولكن القصص القومي عند الجراكسة يذكر تلك الوقائع ، وأحد هذه القصص يتخذ طابعاً اسطورياً ومفاده كما يلي: (تقريباً عام ٤٤٦] .

إن توجــه زحوف الهون إلى بلاد الجراكسة أوقعهم في اضطراب وتداعوا إلى اجتماع عام عقد على الأرجح في منطقة [مزدوك] ، وأثناء الإجتماع انسل إلى المجلس نسر يحمل بمنقاره طفلاً ملفوفاً بالخرق وحط بالطفل في حضن امرأة مسنة، فتحير الناس من هذا الحادث الغريب ، وفسروه بشارة سعيدة، وحكموا بأن هذا الطفل سيكون قدومه خيراً لهم وجالباً للحظ السعيد ؛ وراح الطفل ينمو بسرعة غريبة وبزمن قليل أصبح لايسع في سريره ، ثم انتفض فقطع رباط السرير المجدول من الجلد وتمطى فخلع جوانبه. وأخيراً فهم أن هذا الطفل هو ابن إله السماء وإله الحرب وعلى ذلك سموه ابن الآلهة ، ونما الطفل وتكاملت رجولته بسرعة فنصبوه قائداً لهم . وانضوى جميع الجراكسة تحت هذه القيادة الألهية وقرروا محاربة الهون ، وإثر ذلك اشتعلت نار الحرب، ولكن الجركس غلبوا بادىء الأمر وانسحبوا حتى موقع [كونيتيه ي] ثم جمعوا صفوفهم وجددوا المقاومة ؛ والظاهر أن الطرفان ظلا متقابلين في قتال ضار مــدة طويلة في ذلك الموقع ، وفي هذا الأثناء حدثت زلازل مدهشة ، وتشققت الأراضي ، فأحدثت فيها شقوقاً واسعة تقذف بالنيران و اللهب وبروائح كريهة جداً ؛ وعدّ الهون هذا نذير شؤم لهم فإنسحبوا من البلاد ، ونجت قفقاسيا من مجازرهم وتدميرهم . وموقع كونتيــه ي هذا هـــو حــالياً بجوار بتغورسك ويقع على الطريق المؤدي إلى مصايف [هاساووت] في مدخل أحــد الــوديان ؛ ويفهم من هذا أن الجراكسة استندوا إلى الجبال في دفاعهم (شورا نغومه ص ٥٣).

وكلمة [كون] هي [هون] وكونيت يطلقونه على هون القازان وكلمة كونيته ي تدل

على مكان الهون هؤلاء . أما اليوم فيطلق على ذلك المكان [خنادق الهون] وفي مدخل وادي (كونيته ي) تشاهد صخرة عظيمة قد نحتت ونقشت عليها علامات [تامغة] العديد من الأسر الجركسية ويقال أنها علامات الأسر التي اشتركت في تلك الحرب ، أو التي ابدت فيها البطــولات والتضحيات ؛ كما أن البعض الآخر يعتقد أن هذه العلامات قد نقشت هناك فيما بعد للدلالة على البيوتات ذات النفوذ والوجاهة ؛ ولا تزال هذه العلامات إلى اليوم في (كونيته ي).

وقـد جـاء في كتـاب موجـز تـاريخ الجـركس تأليف شورا بكمرزه نوغمو صفحة ٥٣ ـ ٥٤ ما يلي : يستدل من رواياتنا القديمة أن آتيلا ملك الهون كان اسمه بلغة ذلك العصر [ايدل] وقد ورد ذكره في إحدى الأغاني القديمة مع لقب [فلاكة الله] وهو اللقب الذي اعطته اياه الأمم المعاصرة [من الأتراك] . وجاء أيضاً في احدى قصائدنا ما معناه:

ولما لــم ينسنا الله فقد شملنا برحمته
وأعــاد إلــينـا جبــالـنـا ووديـاننا
بعد أن ابتعد ورحل عنا [فلاكة الله]

ومنذ رحيل آتيلا عن البلاد ويسمي الشعب الجركس جبل [شاد] بإسم [أواشحه ماف] ومعناه الجبل المبارك.

وبالرغم من أن شخصية آتيلا لم تترك في رواياتنا وأساطيرنا آثاراص بالغة ولم يخلف وراءه قصصاً وأحاديث تتعلق بشخصه ، فمن الثابت لدينا أن الشعب الآنتي [الآديكة] كان له شتى المناسبات والعلاقات به ، وكانوا منقادين لأمره ومعترفين بسلطانه عليهم حيناً من الزمان.

وفيما يلي جزء من قصيدة يثبت لنا أن كثيراً من شعوبنا خدموا في جيشه واشتركوا في حروبه وغزواته العديدة :

إن نخبة شبابنا وفرساننا تسعى إليك أيها القانص الكبير
إن لم تمتلىء عيونك بعددهم ، فنحن الباقين طوع بنانك
ومن الأعالي والروابي تنحدر الفرسان كالشهب المتساقطة
وتـتـزاحـم جـمـوعـهـم حـول آتـيـلا الملـك العـظـيـم
وأما ضرباتهم التي ينزلونها فلها صدى الصواعق.

بعد موت آتيلا ضعف شأن الهون وبعد انكسارهم في غزوتهم لروما الشرقية ، انحلت قواتهم في عــام ٤٥٤ م فإستــوطنت بعض قبائلهم في حوض نهر الدانوب ، واستولت قبيلة [كوتريغور] على شمال بحر الأزاق ، وقبيلة [أوتور يغور] ظلت تعيش في مصاب نهر الدون بحالة بدوية ؛ وكانت هاتان القبيلتان تتخاصمان وتتحاربان دائماً بتشويق من البيزنطيين ، وعلى ذلك فلم تجر لهاتين القبيلتين أية علاقة مع داخلية القفقاس ؛ إلا أن قبيلة بإسم [سابر]

يرجح أنها من جامعة الهان كانت تعيش في زمن ٤٦٥ ميلادية بين نهري الفولغا والدنيبير ، وأن قسماً من هذه القبيلة كان يعيش في الفترة [٥٠٨ ـ ٥١٥]م بجوار مضيق داريا في القسم الأوسط من القفقاس الشمالي . وفي عام (٥٥٠) م تعرضت للغزو والنهب من قبل قبيلة [الآوار] المغولية فرحلت هاربة إلى الجنوب من القفقاس واختفت آثارها.

والخلاصة فالمفهوم من درج الأحداث أن الهون لم يتحكموا بالقفقاس إدارياً أو سياسياً وأن غزواتهم كانت خاطفة يعودون بعدها على أعقابهم. (قفقاسيا في التاريخ) .

الآوار (قفقاسيا في التاريخ) : في منتصف القرن السادس كان المغول يتحكمون في آسيا ، وكانت هناك امبراطورية [توكيو] في تركستان وهم منسوبون للعرق التركي فتعرضوا للمغول من الشمال وفي الوقت نفسه تعرضت امبراطورية ايران للمغول من الجنوب ، وبذلك جرى القضاء على امبراطورية [خانات هفتاليت] المغولية واقتسام ممالكها ؛ ولهذا السبب فإن قبيلة [آوار] المغولية الكبرى التي كانت مستوطنة شرق نهر الفولغا في منطقة الأورال ، تركت مواطنها وهاجرت إلى الغرب.

إجتاز الآوار نهر الفولغا بقيادة الخان [باقان] في عام ٥٦٥ م ودخلوا جنوب روسيا ، وأول عمل قام به الخان باقان هو إرسال الرسل إلى امبراطورية بيزانس [جوستنيان] يطلب السماح له في الإقامة بأراضي ممتلكاته ويعرض دفع الجزية ؛ ولقاء ذلك طلب الإمبراطور جوستنيان من الآوار القضاء على بقايا الهون في حدود مملكته ، ويظهر أن الخان قبل بهذا الشرط ، ولذلك أغار على قبائل أوتريغور وكوتر يغور وسابر و قضى عليها ، كما قهر الجراكسة ، أما حكام الآلان فقد اتخذوا سياسة المطاوعة والمداراة فتخلصوا من الأذى .

ومن ثم ضم خان الآوار بقايا الهون إلى إمرته وأضافهم إلى قواته ، وتكونت قوة تمثل الوحدة المغولية التركية ، واكتسبت سمات الهون التي كانت تؤثر على معنويات الأوربيين ، وبتأثير ذلك ، استطاع الآوار الوصول إلى حوض الدانوب بكل سهوله ، ثم استطاعوا أن يسحقوا السلوفيين والآنت والفاندال ثم تسربوا إلى سهول المجر واستوطنوا هناك ، وهكذا كان الآوار قد اتخذوا صفة الحاكم المتسلط ما بين نهر الفولغا وبلاد المجر.

وفي عام [٨٠٣] ميلادية استطاع [شارلمان] القضاء عليهم . وعلى ذلك فقد دامت موجودية حكم الآوار مدة [٣٠٢] سنة.

الآوار والجركس : إن المعلومات التالية تستند فقط على المنقولات القومية الجركسية وتنحصر في قصتين ، الواحدة عن الأمير [لاوريستان] والثانية عن الأمير [ينالقوه] وبالتدقيق تبين لنا أن هاتين القصتين تكمل إحداهما الأخرى ، نوضحها فيما يلي :

تقدمت جموع الآوار من منطقة القبارتاي وطلب الخان باقان من الأمير لاوريستان الإستسلام ، ولكن هذا الأمير قابل التهديد بالإحتقار ورد عليه قائلاً :

سنحاربكم ونقاومكم حتى لا يبقى من الآديكة شخص واحد وبيده سيف .. وأرسل لاوريستان الرسل إلى الأمير ينا لقوة أمير منطقة [أنابا - وطه مز] وهي مواطن قبيلة الشابسوغ على ساحل البحر الأسود ، يستنجد به .

وقام الآوار بالهجوم على قوات لاوريستان قبل وصول النجدة ، واضطر الأمير لاوريستان لخوض الحرب في منطقة [لابا] ، ولقد قتل الأمير في هذه المعركة وتعرضت قواته لخسائر فادحة ، فإنسحبت قبيلة [كمركوي] التي تشكل القوة الأساسية في جيش لاوريستان إلى

الغرب ، وتعقب الآوار الظافرون فلول الكمركوي المنسحبة ، وفي مضيق [الحصان الأبيض] تلاقوا بقوات ينالقوه القادمة للنجدة وقابلوا الأوار ، ولكنهم غلبوا أيضاً ، على أنّ الأمير ينالقوه لمّ شعث فلول قواته وقوات الكمركوي ، ثم قام بهجوم معاكس ، وتوفق في الإنتصار على الآوار ، فإنسحب الآوار المغلوبون إلى الشمال ، وتخلصت بلاد الجراكسة من ويلاتهم وهمجيتهم.

ولا تزال ذكريات تلك الفاجعة في ذكريات القفقاسيين موجودة تحمل المرارة والأسى ، ففي الـوادي الذي تغـلـب فيــه الآوار على قـــوات لاوريستان طــريق يحمل إلى اليوم اسم [حدريخه غوك] بمعنى طريق الآخرة؛ وفي إحدى قصائدهم "إن خيال الحصان الأبيض للخان لا تزال تتمثل في بياض الثلوج وبرودتها ".

. وفي كتاب موجز عن تاريخ الجركس لشورانوغومقوه بكمرزه وردت المعلومات التالية: (صفحة ٥٥)

إن رسل الخان بايقان الذين أرسلهم إلى الأمير لاوريستان تواقحوا في مجادلته حين رفض الإستسلام فقتلهم الجراكسة. فزحف خان الآوار بجيش جرار من ساحل البحر الأسود الشرقي ودخل بلاد الآنت [الآديكة] واكتسحها حتى نهر باقسان وطفق يخرب البلاد وينهبها ويحرقها وامعن في تقتيل السكان وتشريدهم فهربوا إلى الجبال يختفون في شعابها وأكماتها ، ويغيرون مخابئهم خوف المباغتة.

ولم تتلاق قوات الخان مع قوة الأمير لاوريستان.وفي هذه الواقعة الأليمة قال أحد شعراء الجركس القصيدة التالية:

يا معيننا ومنقذنا [إلياس] ذا القوة والكرم [1]
أرسل البلاء من فوق السحب وإقهر جواد بايقان
بيدك الطاهرة التي تفوق بياضاً ثلوج جبالنا الأبدية.
لقد فقدنا كل شيء في هذا اليوم الذي كان شره مستطيراً
الجزع يعصر القلوب ، وضوضاء المعارك الدامية تطرد النياما
ويل للشيوخ والأطفال ، فهم حيارى لا مرشد لهم .
تراهم باحثين عن كمين بعيداً عن أوطانهم التي التهمتها النيران
والذي يزيد بؤسهم بؤساً ، الشك والريبة وخذلان الآمال
يسعون في ديار الغربة عادمي السكينة والإطمئنان
ودموعهم تنهمر من مآقيهم كسيلان الأنهر من منحدرات الجبال.

---

١ ـ كان القبرتاي مسيحين والكثير من الأديغة خاصة على شواطىء البحر الأسود وإلياس هنا ، كما يبدو هو النبي إلياس

لقد ترك غزو الخان في بلاد الآنت أثراً بالغاً لا يمحى ، وبقي من أثره مثلين هما : (الطريق الذي جاء منه الموت) و (حصان بايقان الأبيض) .

وقد اعتاد شعبنا منذ ذلك الوقت القديم أن يضربواهذا المثل عند رؤية حصان أبيض ، وبين قلاع آنابا وسونجوق قاله رجم من الأحجار البيضاء ، وهذه الكومة الكبيرة من الأحجار البيضاء مازال الشعب يسميها [حصان بايقان الأبيض].

لقد تمكن خان الآوار الجبار من قهر شعب الآنت ثم استمالهم بالرياء والخديعة حتى ضم إلى جيشه نخبة شبابهم واشجع فرسانهم ، واتجه بجحافله نحو بحر الخزر وحاصر في طريقه كلاً من المدينتين [دربند وغورتات] الواقعتين على ضفاف نهر [كورا] وفتحها عنوة؛ وآثار مبانيها المتهدمة ما زالت إلى يومنا هذا ظاهرة للعيان. (ص ٥٨) .

وفي هذه الوقائع التي شارك فيها الجركس أنشد أحد شعرائهم يقول:

لقد رأينا حصن غورتات المنيع فريسة للنيران
كأنما نار الصواعق قد طوقته من كل صوب
وكانت الحجارة المسودة من الدخان تنهال من أعاليه
كأنها شهب متساقطة في الليل البهيم .
وبطلنا [ألجوقه] الذي لا يعرف الخوف ، ماكان ليجزع
من هول النيران ، بل وثب فيها وثبة الأسود ، فإختفى
وأما [حاتوظوقوه] فلم يسبقه أحد في يوم الرهان
و [جراتلوقوه] القوي ، هزم الجمع وانتقم لأخوانه شر انتقام
وبينما يهاجم الأعداء ببسالة ، كان يرى روح أبيه محلقاً في الفضاء
ليرى الصالحات من أعمال ولده ، الذي كافح الأعداء بلا معين
وأما [حاتو] الشاب فقد تحفز مراراً ليثب نحوه وينقذه
ويكون معيناً له ، لو لم يمنعه عن ذلك الشيوخ الذين
رقّ قلبهم على والدته العجوز الأميرة [شاميخا]
التي قبعت في دارها تذرف الدموع من الأسى والجزع
غير أنه وثب إلى الميدان رغم الموانع وأذاق الأعداء العذاب.
أما تراه .. وقد أفرغ آخرسهم من كناناته الثلاث..؟
إن فرساننا الذين دمروا حصن [دربند] قد توجت رؤوسهم بالخوذ
إلا أن خوذة [قبش كوكو] فاقتها خفة وجمالاً .
و[إسلام] يمطر الأعداء بسهامه من قوس جده الكريم
وترى سهامه المسددة تحصد جموع الأعداء ، حصداً .

والشجاع [موقو يظنوقو باديس] يتخبط بدمه في ظل
راية الخان التي كان يحملها ، إذ أصابه سيف العدو وخر صريعاً .
وكم يتحرق [قورون] الخان ليأخذ بثأره .
غير أن رماحهم قد تحطمت من مقارعة سيوف الأعداء .
وبطلنا [جانم دوغو] الذي رده الأعداء .
يرجع ثانية إلى ميدان الوغى ليخوض المعركة الدامية.
و [تاتار شاو باكو] العملاق يريق الدم على جوانبه.
بحد الصارم؛ ويهزم جموع الأعداء شر انهزام
وأما [آله شو] فقد صبغ الدم ترسه ومزقته السيوف والحراب
وترى خوذ الأعجام مبعثرة على الأرض بين الأشجار والصخور
لقد وثب الهمام [بولات غوتو] عن ظهر جواده
يتقدم الجمع ، ليكون أول سابق إلى [دربند] المتهدم.

وقد ورد في كتاب المؤرخ الروسي [كرامزين] أن خان الآوار بعد أن قهر شعب [الآنت] طلب إلى هؤلاء الأسلاو الصقالبة الخضوع غير أن الأمير [لاورتياس] وغيره رفضوا..وفي هذا خطأ كبير فهو يقصد بشعب [الآنت] في كتابه السلاف دون أن يفرق بينهما . والحقيقة أن الآنت الذين يذكرهم المؤرخــون اليونانيون ، والذين أخذ عنهم [كرامزين] انما يطلقون كلمة [آنت] على الآديكة القفقاسيين لا السلاف الصقالبة والواقع هو أن الآنت والسلاف كانوا خاضعين لحكم خان الآوار فعلاً(ص٥٩)

★ ★

دامت امبراطورية الهان من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الأول بعد الميلاد وكانت حدودهم شرقاً بحر الصين ، وغرباً مشارف الأورال شمال بحر الخزر.

★ ★

إن الديانة التي كانت شائعة في التركستان وبلاد المغول هي الشامانية نسبة إلى كلمة شامان ، وتعود في النهاية إلى أصل سنسكريتي بمعنى كاهن أو ساحر يزعمون أنه كان في مقدوره الإتصال بالأرواح الصالحة والشريرة ،وقد عمت هذه الديانة الشعوب النازلة في منطقة جبال أورال من مغول وأتراك

★ ★ ★

دولة الخزر . (قفقاسيا في التاريخ)

في شمال القفقاس بين نهري الفولغا والدون كانت دولة الخزر قائمة في القرن السابع للميلاد ، وقد يكتب هذا الإسم بشكل قوزار . هوزار. منشأ الخزر وهويتهم القومية.

إن منشأ الخزر وهويتهم القومية غير واضح إلى اليوم ، ومن الصعب إعطاء فكرة قاطعة عنهم ، لأن هذه الدولة التي عاشت قروناً لم تخلف آثاراً ثابتة ، أو قصصاً متناقلة تشير إلى ماهيتها القومية ، كما أنها لم تخلف ما يشير إلى حضارتها وجنسيتها ، فلا خرابة ولا مقبرة ولا كتابة ولو سطر واحد بلسان الخزر ، ولا قطعة نقدية.

نعم إن جغرافيي ومؤرخي البيزنطيين والكرج والأرمن والعرب قد نقلوا بعضاً من أخبار هذه الدولة ، ولكن معلوماتهم جاءت بشكل حكايات قيمتها العلمية ضعيفة ، ولكننا نستطيع الجزم بأن أقربها إلى الحقيقة هي الأخبار الواردة في المصادر العربية ؛ ذلك لأن الدول العربية في ذلك الزمـــان كانت لهم بعض العلاقات السياسية بدولة الخزر، كما أنها كانت معها في جدال دائم . وعدا ذلك فإن السائحين العرب قد توسلوا لإيجاد الصلات الوثيقة بالخزر ونجحوا في ذلك بعض الشيء.

وبالإستناد إلى المصادر المذكورة أعلاه فإن الخزر ينتسبون بالأصل إلى عرق شمالي وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكونوا من الفين أو المجر أو الترك ، ولو اتخذنا هذا الإحتمال أساساً لدراسة وايضاح ماهية الخزر ، فمن الممكن التوصل إلى القول بأن الخزر عنصر من الأقوام التي كونت في عام ٥٥٢ م امبراطورية [توكيو] في حوض نهر [أورحون Orhun ؟؟] فهذا العنصر استطاع تكوين دولة الخزر في الحوض الأسفل لنهر الفولغا ، ثم توسعت شمالاً وغرباً وجنوباً .

على أنه نتيجة للتدقيقات الجارية فقد ظهرت دلائل قوية تشير إلى أن الخزر ليسوا عنصراً شمالياً ، وانما هم من عنصر جنوبي، ومن ذلك :

١ ـ إن من مؤرخي العرب ابن فضلان يعطينا طرف الخيط في بحث جنسية الخزر بذكره انهم يتكونون من خليط من أناس بيض وسود .

٢ ـ ابن الأثير وشمود الدمشقي يرجعان أصل الخزر إلى الكرج والأرمن .

٣ ـ من الأهمية بمكان تلك المخابرة التي جرت بين وزير مالية الأندلس الإسلامية وهو يهودي الأصل ويدعى [حاصداي بن شفروط] وبين ملك الخزر [ياسف] الذي كان يدين باليهودية ؛ فهذا الوزير أراد الإستعلام من ملك الخزر عن الملة التي ينتسبون إليها وعن جنسيتهم وقوميتهم فأرسل بذلك كتاباً إليه ، وأجابه ملك الخزر بقوله " إن الخزر من أبناء ياسف (يافث] وينتسبون إلى ابنه [توغورما]

ويعد في كتابه اسماء الأولاد العشرة لجدهم توغورما المذكور .

والواقع انه يوجد بعض الإختلافات في مختلف المتون التي ذكرت فيها تلك الأسماء ، ولكن هذه الإختلافات ليست بدرجة تضيع معها الأصول الأساسية ، سأورد فيما يلي هذه الأسماء نقلاً عن مقالة ترجمها الكاتب حسين جاهد ونشرها في جريدة ؛ وهي كما يلي :

[آغيغوا Agigoa - تيروس Tirus - أونار Unar - أوغين ugin - بيزو Bizo - زاران zaran - غوسار gusar - سونار sonar - بالغات Balgat - سوير sever].

والملك ياسف يذكر أن الخزر هم من نسل الإبن السابع [كوسار]، واسم كوسار هذا لا يزال يطلق على أسرة جركسية ، كما أنه شبيه بإسم قبيلة خوسور الكرجية .

٤ - إن المعلومات الآنفة معلومة لدى المؤرخين ، وقد تأيدت مؤخراً بالآثار المكتشفة في الحفريات التي أجريت في آسيا الصغرى وميزوبوتاميا وفي مصر .

ونظراً لبعض التدقيقات فإن الخزر هم واحد من بقايا الأقوام التي تكوّن بقايا الحثيين ، إن الخزر الذين أحيوا امبراطورية الحثيين في منطقة قابادوكيا تحت اسم [موسخى] انتقلوا شيئاً فشيئاً إلى الشمال ، واستوطنوا في جهات قارص عصوراً ظلوا خلالها في حروب مع الأرمن حتى عام ١٩٨ م حيث خضعوا لحكم الدولة الأرمنية.

وتوجد أمارات تدل على أن الخزر انتقلوا في العصر الثالث أو الرابع ميلادي إلى الأقسام الشرقية من جبال القفقاس مع محافظتهم على ارتباطاتهم بحوض نهر آراس.

وفي العصر الرابع هاجم الساسانيون وبقايا الهون بلاد كرجستان وخربوها ونهبوها وتلتها حملة دولة بيزانس عام ٦١٠ م على كرجستان والقضاء على الساسانيين فيها ، ثم أعقب ذلك في عام ٦٦١ م استيلاء العرب المسلمين على القفقاس الجنوبي؛ فهذه الغزوات جعلت الخزر يرحلون إلى الشمال شيئاً فشيئاً حتى صاروا في شمال القفقاس وانقطعت صلتهم تماماً بحوض آراس ومنطقة قارص.

فالعواصم الأربعة التي أنشأها الخزر هي علامات بارزة تشير إلى استقامة انتقالهم من الجنوب إلى الشمال، وهي :

١ ــ بلانجر : وهي العاصمة الأولى حسب غالب الظن وموقعها في جنوب الداغستان وقد ظلوا فيها حتى استيلاء العرب عليها عام ٦٦١ م وفي غرب بلدة باكو وجنوب الداغستان توجد اليوم محطة [بالاجري] ، مما يدل على أنها موقع [بلانجر] القديمة.

٢ ــ سليندر - ويسميها العرب سمندر وتقع قرب بلدة [قيزليار] الحالية في مصب نهر التيرك ببحر الخزر في شمال الداغستان. وكانت مملكة [جيردان] الواقعة في هذه المنطقة تشكل أراضي هذه الدولة ، وكان سكانها من المسلمين واليهود الموسويين ، مع أن الطبقة الحاكمة فيها كانت من الخزر

٣ ـ ونتيجة للحروب الإسلامية انسحب ملك الخزر إلى الشمال تاركاً بلدة سمندر وأنشأ مركـــزاً عسكرياً في منطقة تلاقي مستنقعات مانيج بنهر قوما، و لكن موقعه الحقيقي غير معلوم ، ثم أنشأ عاصمة جديدة له عند مصب نهر الفولغا ، ولكن نائبه وابنه في ذلك المركز العسكري لم يقم فيها طويلاً بل انسحب نحو الشمال بعد أن ترك فيها حامية للدفاع .

فهذه الحالة جعلت في العصر الثامن من بلدة سمندر منطقة يتصادم فيها الخزر بالمسلمين من العرب والداغستان.

٤ ـ العاصمة الأخيرة هي بلدة [اتيل] على الشاطىء الأيسر لمصب نهر الفولغا والذي سمي آنذاك بنهر اتيل ، وهي في الموقع الذي أنشأ فيه المغول فيما بعد بلدة ساراي أو استرخان الحالية

وهذه العاصمة الجديدة كانت تمتاز بأنها مركز تجاري هام ، وبأنها مصونة من إعتداء المسلمين والروس.

وتوسع الخزر غرباً حتى القرم ، وعند مصب نهر الدون ببحر آزاق فرع البحر الأسود أنشأ ملكهم عاصمة جيدة ، وفي موقعها توجد بلدة وقلعة [آزوف] الحالية.

وقد استولى الأمير السلافي [سوياتيسلاف] على بلدة سارقاله في عام ٩٦٥ ميلادية أما العاصمة اتيل فقد صمدت مدة ثم سقطت عام ٩٨٠ م حين غزاها [البيجينغ].

ديانة الخزر ووضعهم الإجتماعي:

من الغريب بالنسبة لذلك الزمان ، أن دولة الخزر كانت متسامحة جداً والحرية الدينية فيها مطلقة ، حتى في طبقة الحكام كان يوجد المسلمون والمسيحيون والموسويون والمجوس . وفي العصر السابع للميلاد لم يكن للخزر دين كتابي وانما كانوا مجوساً ، وشعروا أخيراً بوجوب اعتناق إحدى الديانات السماوية الثلاث ؛ وفي القرن التاسع اعتنق والي القرم المدعو [بولان] الديانة الموسوية اليهودية ، ومن ثم تولى الملك ، ومن المحتمل أن الخزر قبلوا هذا الدين وانتسبوا إليه، وذلك كان سبباً لإقبال اليهود على الهجرة إلى ذلك القطر فرادي وجماعات سراً ، فإزداد فيه العنصر اليهودي ونفوذه ، ثم لتوسع التجارة وانتشارها في هذه المنطقة من العالم ، وكانت هذه البادرة صفة بارزة في الحياة الإقتصادية لدولة الخزر .

حدود دولة الخزر :

جاء في كتاب الملك ياسف أن حدود مملكته تمتد شرقاً من نهر [يابيق] إلى نهر الدنيبر غرباً وشمالاً حتى مناطق شعوب البلغار والفين والسلاف، وجنوباً فقفاسيا الشمالية . وقد أفاد عن تحكمه في هذه الحدود بقوله " هؤلاء يدفعون لي الخراج"؛ ويوضح الحالة في الجنوب بقوله " في الجنوب توجد خمسة عشر قبيلة كثيفة النفوس، وهؤلاء يستوطنون الجبال حتى باب

الأبواب - مضيق دربند"

ويبين ملك الخزر ياسف في رسالته ؛ أنه بسبب هذا الوضع فإنه يمنع الروس من الزحف إلى الجنوب ، وأنه بهذه الصورة يدافع عن الدولة المحمدية في بغداد . وبهذه الصورة أظهر الملك ياسف لدولة الأندلس الإسلامية العربية تعاونه معها كما أنه أبرز الحقيقة الواقعة خاصة بشأن التوسع الروسي.

العلاقات الخارجية لدولة الخزر.

حازت دولة الخزر أهمية كبرى بسبب توسعها وازدياد قوتها ، ولذلك فإن البيزنطيين الموصوفين بالقدرة على استمالة واستثمار الشعوب المجاورة ، لم يهملوا الخزر ، وعلى ذلك فإن امبراطور بيزنطة [هرقل] عقد في عام ٦٢٥ - ٦٢٦ م مع دولة الخزر معاهدة صداقة وتعاون ، وبموجبها:

آ - تتعهد دولة الخزر بتقديم المساعدة العسكرية لدولة بيزانس ضد الايرانيين .

ب - مقابل ذلك تترك بيزنطة للخزر حرية التجارة في القرم.

جـ - ستبقى الدولتان متحالفتين على أسس من الصداقة والود ، وتسعيان لدوام هذه العلاقات وحسن الجوار.

وبناء على تعهد دولة الخزر وتنفيذاً لوعدها ، ففي صيف عام ٦٢٥ م جهزت جيشاً قوامه [٤٠] ألف فارس لمحاربة الفرس ، في ذلك الوقت كانت ققفاسيا الشرقية في حاكمية [الشيروان شاه] وتحت نفوذ الفرس،فإجتاحها الخزر ودخلوا إلى بلاد ايران ونهبوا طبرستان ثم عادوا ، وفي طريقهم اجتاحوا ارمينيا وكرجستان ونهبوها، ثم انسحبوا إلى الشمال. وبذلك توثقت عرى الصداقة بين الخزر وبيزنطة، ولما خلع امبراطور بيزنطة [جوستنيان] الثاني عن عرشه في عام [٦٩٥] م التجأ إلى الخزر وتزوج ابنة الملك.

الخزر والسلاف الروس:

كان الروس قد اسسوا دولتهم في جوار بحيرة [إيلمن] في الشمال، وفي عام ٨٤٦ م نقلوا عاصمتهم إلى كييف ، وحاولوا التوسع ، فبدأ تماسهم مع الممالك الجنوبية ؛ وهكذا كان صدامهم الأول مع الخزر ، وبداية الصراع بين الدولتين.

ففي الأدوار الأولى تغلب الخزر على الروس ، وفرضوا عليهم الجزية، وأسسوا بقصد التجارة حياً للخزرفي بلدة كييف.

وفي نفس الوقت كان الخزر في مناوشات مستمرة مع البلغار السلاف في الشمال الشرقي.

الفتح العربي والخزر .

في عام ٦٤٢ م تصادم الخزر في جنوب القفقاس بالمجاهدين العرب، فاضطروا للإنسحاب شمالاً جاعلين من دربند مركزاً دفاعياً لهم.

وفي عام ٦٦٤ م احتل العرب المسلمون بلاد الداغستان بجيش قوامه[٤٠٠٠] مجاهد بقيادة سراقة بن عمرو وعبد الرحمن بن ربيعة وبكر بن عبد الله ، وهاجموا قلعة دربند التي يدافع عنها الخزر وقد سقط في هذه المعركة الكثير من الشهداء بما فيهم القائد عبد الرحمن بن ربيعة وعجزوا عن احتلال دربند.

وتقبل الداغستانيون الدين الإسلامي قبولاً حسناً ، ولعدم تحمل العرب برد الشتاء الشديد في ذلك الإقليم الجبلي ، فقد عادوا إلى بلادهم بعد أن تركوا في الداغستان مرشدين دينيين يعلمون الناس الدين الإسلامي وشرائعه.

وفي عام ٧٠٥ م في عهد الخليفة الأموي وليد بن عبد الملك أرسل أخاه مسلم على رأس جيش مكون من ٤٠ ألف مجاهد فإحتل بلدة دربند ، على أن الخزر قاموا بهجوم معاكس لإسترداد البلدة ، فأمده الخليفة بجيش عدته ٦٠٠٠ مجاهد بقيادة أخيه يزيد ومعه القائد أبو أيوب بن الجراح ، واستطاعوا من رد هجوم الخزر ، والتغلب عليهم والإمساك بزمام الموقف عسكرياً ولكن أبا أيوب سقط شهيداً في المعركة. وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أرسل أخاه [أبو مسلم] لقيادة هذه المنطقة فإجتهد لتنظيم التشكيلات الإدارية في الداخل ، كما راح لتوسيع الفتوحات نحو الشمال.

ولما كان الفاتحون العرب، قبل أن يتصفوا بصفة الإستيلاء الإستعماري ، هم مبشرون بدين جديد قويم وحياة كريمة جديدة، فإن هذا الجيش لم يكن محارباً فقط ، بل كان يحتوي ويحمل معه عناصر الإرشاد والهداية للدين الإسلامي الحنيف.

وكانت الأحكام الإسلامية العادلة النبيلة تجد صدى حسناً وتجاوباً ايجابياً في نفوس الجركس. وعلى ذلك ، فبينما كانوا يقاومون في المعارك بالسلاح من يمانع تقدمهم ونشر الدين الإسلامي، فإنهم كانوا يقومون بالإرشاد والدعوة الإسلامية ، وصار القفقاسيون يدخلون في دين الله أفواجاً ، مما كان يقوي مركز العرب ويزيد قواتهم المحاربة.

ونتيجة لهذه الحالة ، فإن قوات الخزر التي كانت تحتل المواقع الحصينة ، إنهارت أمام الجيوش الإسلامية بكل سهولة وبمدة قليلة.

وهكذا انفسحت بلاد الداغستان بل وجميع قفقاسيا الشمالية لإنتشار الدين والنفوذ الإسلامي ، وبالنتيجة تقبل سكان قفقاسيا الشرقية وأكثرية الخزر الدين الإسلامي .

وهذه الحالة انتجت حدوث ضعف شديد في دولة الخزر ، وجرى نقل العاصمة إلى نهر

الفولغا وأنشأت بلدة أتيل العاصمة الجديدة ، وذلك في العصر "القرن" الثامن للميلاد.

حروب الخزر والجركس:

في الأدوار الأولى كانت مناسبات الخزر مع الجركس سلمية جداً، لأن الخزر كانوا في حالة صراع مع قبائل الآوار وبقية العناصر الأخرى الدخيلة ، وكان الجركس في حالة الإستجمام والنقاهة من الجراحات الدامية التي أحدثها الآوار في كيانهم ، ومشغولون بأنفسهم ؛ ويظن أن الصداقة بين الخزر والجركس ارتفعت إلى درجة التحالف ، إذ توجد منقولات قومية تدل على اشتراكهم في محاربة دربند ،[1] ولكن العلاقات الودية مع الخزر لم تدم حتى النهايـــة ، لأن هؤلاء بعد أن قضوا على فلول الآوار أرادوا بسط نفوذهم على القفقاس ، وبذلك وقعت في عام [٩٥٧] م في شمال نهر القوبان معارك دامية بين الآديكة والخزر (قفقاسيا في التاريخ ص ١٦٤) وقد جاء في القصص الشعبي للجركس ما يلي :

إن الأمير الآديكي [بشي بزروقه بولاتوقه] اتفق مع الأمير [ألجوقه قان شاو] [2] ؛ وخرج لصد غارة الخزر على [تاماتركان][3] وقد سار الأمير ألجوقه في الطليعة فإصطدم فجأة بجيش العدو الذي أحاط بقوته القليلة فإشتبك في قتال ضار مع العدو ، ووقع أسيراً ، وحين أدركت قوة بزروقه المعركة أحاطت الخزر وحدثت معركة شديدة وانسحب الخزر مغلوبين إلى عاصمتهم الصيفية [سرقله] ومعهم الأمير ألجوقة أسيراً ، وفي ذكر هذه الحادثة توجد القصيدة التالية:

كم من الأيام مضت وعين ألجوقه اليمنى تحرس البحار
لقد توالت الأيام وهو في انتظار قدوم السفن الجسيمة
ومضت السنون وهو ينتظر قطع الفضة ليبتاع حريته ثانياً
لقد أقسموا له بذلك أمام الله ، وهذا شيء عظيم
وهكذا يغضب (ألجوقه) الذي آثار الحرب ، وهو أسير في سرقله
لكـن مقتـك وغضبـك قد ذهبا سدى يا ألجوقه
إذ المحاربون الذين شتتوا الأعداء ، حينما لم يجدوك

---

(١) ورد في هذا المخطوط صفحة ١٩٧ ــ ١٦٩ إن اشتراك الجركس في محاربة دبند كان مع خان الآوار ــ ولعل النقل الشفهي وبعد الزمن أنساهم الخزر فذكروا خان الآوار الذي أثرت غاراته على الآديكة تأثيراً عظيماً .

(٢) في كتاب قفقاسيا في التاريخ للجنرال اسماعيل برقوق إنه (اليغويقوه تان شاق) .

(٣) تاماتركان أو ماتريكا هو الاسم اليوناني لشبه جزيرة (تامان) على مضيق كرتش ، وهو الاسم الذي يستعمل جميع الأجانب ومنهم الروس . واليونان كانوا يسمونها آنتي كيتا أو آيون

لم يروا بدأً من تركك حيث كنت ، فإرتدوا إلى ديارهم
مثقلين بالأسلاب والغنائم التي تركها الأعداء الهاربون
وحلفوا لك الإيمان أمام الله .. وهذا شيء عظيم
مالك تغضب يا ألجوقه ؟.. أما أنت الذي جلب إلى نفسه
الويل والخراب ؟! فإنتظر الرحمة إذن من بني قومك في سرقله
حلفوا لك الإيمان مراراً أمام الله .. وهذا شيء عظيم
ولكن الإيمان ذهبت أدراج الرياح .. وألجوقه البطل
يقضي أيام شبابه في ديار الغربة عبداً أسيراً
..(تاريخ الجركس .شورانغومه ص ٧٢ - ٧٤).

ولقد قضى الأمير قان شاو ثلاث سنوات أسيراً في سرقله .. ومعناه الحصن الأكبر بالفارسية . وكان الآديكة يتحرقون حقداً على الخزر ، فأراد الأمير سيواتسلاف[1] الروسي الإستفادة من الفرصة للقضاء على الخزر فإتفق مع الجركس الذين حشدوا قوات كبيرة من عدد من القبائل ، وهاجموا سرقله واحتلوها وأنقذوا الأمير الأسير ألجوقه ، وعادوا به مستبشرين ، واستولى الأمير الروسي على جميع ممتلكات الخزر في تلك المنطقة (قفقاسيا في التاريخ ص ١٦٥).

إنقراض دولة الخزر:

كانت قبائل طورانية بدوية تعيش فيما بين نهري الفولغا والدون بكثافة وأشهرها وأقواها قبائل بيجينغ والقومان ، وقد قام البيجينغ بغارة كاسحة على دولة الخزر فضعضعوها ، ثم جاء استيلاء سيواتسلاف على سرقله وجوارها فضعف كيانها وتوالت غارات القبائل والروس على العاصمة ايتل فسقطت دولة الخزر وإنهارت وتجمعت فلولهم في شبه جزيرة القرم وانحصرت فيها دولتهم ، وكان الخزر على وفاق مع البيزنطيين ، و أملاً منهم في الحصول على مساعدات القسطنطينية فإن آخر حاكم الخزر اعتنق الديانة المسيحية وتسمى [جورجي تسولا].

وفي القرن الحادي عشر للميلاد لاقت دولة الخزر منها نهايتها على يد قبائل البيجينغ التركية.

وفي هذا القرن أيضاً القوات العربية قد انسحبت من القفقاس ولم يبق لها وجود مما هو جدير بالذكر حقاً أن دولة الخزر كانت حاجزاً مهماً جداً أمام التوسع الروسي نحو

---

١ ـ من المنقولات الشعبية أنّ خان التتر هو الذي اتفق معهم على غزوة سرقلة ولكن ما ورد أعلاه نقلاً عن كرامزين المؤرخ الروسي أقرب للحقيقة ولعل بعد الزمان والنقل الشفهي أدخل هذا الغلط في القصة الشعبية.

الجنوب كما تنبأ بذلك ملكهم ياسف الذي مر ذكره.

على أن غزوة المغول في عهد جنكيز خان وتشكيل دولة الجيش الذهبي على أنقاض دولة الخزر ؛ جعلت الروس ينكمشون في الشمال مدة خمسة قرون أخرى ، وبعد القضاء على هذه الدولة أيضاً عاد الروس للتوسع فإستولوا على القفقاس جميعاً والتركستان وسيبريا شرقاً واحتلوا منطقة بحر البالطق وبولونيا وبلغاريا غرباً.

من كتاب قادر جان قافلي صفحة ٥٤:

إن الخزر الذين قدموا من آسيا الوسطى [١] أنشأوا امبراطورية ما بين نهري الفولغا (نهر ايديل) ونهر الدنيستر [نهر تورلا] دامت من عام [٦٢٠ - ١٠٥٥] م وكانت حدودهم الجنوبية جبال القفقاس ومن أشهر بلدانهم بلانجر وسمندر على ساحل بحر الخزر في الداغستان ، وقد اتفق البيزنطيون مع الخزر ضد الساسانيين الإيرانيين ، حتى أن الإمبراطور البيزنطي [قسطنطين كوبرومين] الذي حكم في الفترة [٧٤١ - ٧٧٥]م تزوج ابنة ملك الخزر التي سميت فيما بعد [إيرين] ؛ ثم خلفه ابنه ليون الرابع وكان يلقب [خزر].

وملك ايران الساساني أنوشروان ، خشية من غزوات الخزر لبلاده ، فقد أمر بإنشاء سور ذو باب حديدي في دربند على المضيق الساحلي الذي هو الطريق الوحيد من الشمال إلى الجنوب وقد اشتهر هذا بإسم [الباب الحديدي] وأما العرب فيسمونه [باب الأبواب]. ولكن الخزر اجتازوه بسهولة واستولوا على أذربيجان.

امبراطورية طوكيو: فيما بين التاريخين [٥٤٥ - ٦٥٨] م تكونت في آسيا الشرقية من الساحل الأوقيانوسي حتى نهر الفولغا امبراطورية عظيمة كانت تسمى حكومة [توكيو] .

ثم انقرضت وحل محلها دولة [قارلوق] التي دامت ما بين [٦٨١ - ٧٤٥]ميلادية فهاتان الإمبراطوريتان الكبريان لم تستطيعا بسط نفوذهما الكامل على قفقاسيا الشمالية. وكذلك الإمبراطورية البيزنطية فلم تستطعْ سوى بسط نفوذها على منطقة كولخيديا من كرجستان، أمـا الإمبراطورية الساسانية في ايران فلم تستطع سوى بسط نفوذها على أذربيجان ، وكانت تتعرض دوماً لغارات الجبليين على حصونها وجيوشها.

★ ★ ★

جاء في كتاب قادرجان قافلي صفحة ٥٤ ـ ٥٥ مايلي:

إن العرب الذين خرجوا من شبه الجزيرة لنشر الدين الإسلامي استطاعوا خلال عشر سنوات القضاء على امبراطورية الفرس الأعجام ووصلوا حتى حدود التركستان ، كما طردوا البيزنطيين من سوريا ،عدا فتوحاتهم في الشمال الإفريقي.

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، عين مسلم بن أبو سلمة عاملاً على العراق فأرسل إلى القفقاس جيشاً بقيادة القائد شبيب النهرواني ، فتغلب عليه الخزر ، فأرسل ثانية جراح بن عبد الله بجيش قوي ، ولقد عاونه الجبليون الذين لم يكونوا راضين عن الخزر.

فإنتصر على الخزر ؛ واجتاز الجيش الإسلامي العربي مضيق داريال الذي يسمونه [باب العلان] ودخلوا إلى شمال القفقاس وانتصروا على الخزر ثانية في دارغو ، واستولوا على بلانجر عاصمة الخزر ، ولكن العرب لم يفوا بوعودهم للجبليين وأساؤوا معاملتهم ، فقامت ضدهم ثورة قوية ؛ ولم يضيع الخزر الفرصة فهاجموا العرب وقضوا على الجيش الإسلامي فلم ينج من العشرين ألف مجاهد إلا ما يقارب المئة فقط ، وقطع رأس جراح بن عبد الله وسبيت نساؤه وأولاده .

جرت هذه الحوادث الأخيرة في عهد يزيد ثم هشام ابني عبد الملك ، وأرسل هشام من جديد جيشاً بقيادة سعيد بن عمرو فاستطاع تثبيت سلطان العرب حتى شيروان . ثم جاء بدلاً عنه مسلمة بن عبد الملك أخو الخليفة على رأس جيش جديد قوي ، ومر من باب الأبواب دربند واستولى على بلانجر وسمندر ، ثم أخلد للراحة وكانت الحركات القتالية التي تلت ذلك على وديان مصاب نهر صولاق وتيرك على طول ساحل بحر الخزر عبارة عن غزوات خاطفة بقصد السلب والمغانم ، ولم يتحمل الجبليون غرور أخي الخليفة فقاموا بثورة ثانية اضطر معها العرب للإنسحاب إلى الجنوب.

وبعد خمسين سنة ؛ وكانت الدولة الأموية قد انهارت وقامت مكانها الدولة العباسية ؛ وفي خلافة أبو جعفر المنصور ، أرسل الخليفة جيشاً إلى شمال القفقاس بقيادة حفيده أبو مسلم الدوانكي ، وكان إدارياً وعادلاً لم يعامل الجبليين بالصلف والغرور والظلم ، وراح ينشر الدعوة إلى الإسلام بالحسنى ، فدخل الداغستانيون في دين الله أفواجاً ومالوا إلى جانبه وما وافى عام ٧٢٨ م حتى كانت الداغستان كلها إسلامية.

ولكي تسهل إدارة البلاد قسم أبو مسلم البلاد إلى أقسام أو مناطق عديدة عين لكل واحدة منها أميراً ممن أكتسبوا احترام ومحبة الناس وجعل الإمارة فيهم وراثية ، وهكذا تشكلت في الداغستان الإقطاعيات التي دامت حتى قضى عليها الإمام الشيخ شامل المشهور.

وفي عام ٧٣٠ انسحب ابو مسلم مع جيشه عائداً إلى بلاده ، وزال سلطان العرب. خاصة بعد غزوة هولاكو لبغداد أو إنهيار الدولة العباسية.

أما الدين الإسلامي فقط ظل في الداغستان وأذربيجان قوى البنيان متين الأركان وساهم في نشر الدين الإسلامي الحنيف إلى الشعوب المجاورة. إن البيجينغ الذين قضوا على دولة الخزر كان تأثيرهم هاماً على مقدرات القفقاس وبعد ذلك كان تأثير القومان [القبجاق] أيضاً شديداً عندما حلوا في شمال القفقاس ، ولكنهم لم يستطيعوا من بسط سلطانهم الكامل على الجركس.

ودولة خورازم الكبرى لم تستطع التسلط على أكثر من أذربيجان . والدولة العثمانية توقفت فتوحاتها في كرجستان.

★ ★ ★

القبجاق = قوموق ـ الكيتاي

في العصر الحادي عشر للميلاد كان يعيش بين نهري إيريس وأورال شعب يقال لهم [قوموق] وكان من بين عشائرها عشيرة [قبجاق] وبمرور الزمن أصبح إسم قبجاق يطلق للدلالة على جميع هذا الشعب الذي يحتوي قبائل القوموق بعكس ما كان عليه سابقاً . وقدمت قبائل [كيتاي] الكثيفة في عام [١٠٨٠]م فساقوا القبجاق نحو الغرب وانتشر الكيتاي على أنقاض دولة الخزر وساقوا القبجاق حتى ضفاف الدانوب ، ثم أعقب ذلك مجيء قبائل [قارا كيتاي] التي انضمت أخيراً إلى القبجاق.

والواقع أن القبجاق كانوا مسالمين ولم تقع بينهم وبين الجركس حروب ، على ما هو معروف ، وكذلك كانت حالتهم في مواطنهم الجديدة ، وبمرور الزمن أصبح مدلول كلمة القبجاق مدلولاً جغرافياً يدل على المنطقة الجنوبية والشرقية من الروسيا بما في ذلك القفقاس فقد كان العرب يسمون جبال القفقاس جبل القبج ، وشعوبها بالقبجاق.

أما القبجاق الذين رحلوا إلى الغرب فقد تسموا بأسماء جديدة ، فمثلاً كان القبجاق القاطنون في غرب نهر الدون يسميهم الروس [بولوفيتس] أما المجر فكانوا يسمونهم [قون = قومان] وهذا الإسم أصبح عاماً عليهم في الغرب.

والآن نرى في جامعة القبجاق قبيلة [قيميق] وقبيلة [كيتاي].

والقوموق يعيشون الآن في الداغستان في شمال دربند على ساحل بحر الخزر لغاية [قزلار قلعه سي] وبجوار [حاسا فيوت] بكثافة.

والقوموق يتكلمون باللهجة الترية ؛ ولا يعرفون تأكيداً من أين جاؤا ؛ ونظراً لأنهم لا يحملون في سيمائهم الطابع المغولي تماماً، فمن الأرجح أنهم محصلة خلائط من المغول وملل أخرى، ومن المعلوم أنه قد اختلطت في منطقة الداغستان ملل مختلفة من سكانها الأصليين إلى الأعجام والعرب والعناصر الطورانية والمغولية ، وعلى شريط الساحل جنوب دربند تعيش عناصر مختلفة مثل الإيرانيين والعرب والأكراد الذين اسكنهم [نادرشاه] ، وبقية دولة [شيروان شاه] الآزريين، وهؤلاء جميعاً تقريباً يتكلمون اليوم باللهجة الآزرية، وقد تصادف بعض القرى إلتي حافظت على اللغة الفارسية.

وقد ترك العرب في الداغستان عند انسحابهم منها أسراً وشخصيات عربية لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية ، ولذلك نجد أن خانات القوموق يسمون [شامخال] ويقال أنها مأخوذة من كلمة [شيخ] وأنهم من أصل عربي.

وقد غلب العنصر التركي على الداغستان حتى كاد أن يذوب فيهم السكان الأصليون وهناك قبيلة [غازي قوموق] التي يرجح أنها من السكان القدماء ، وهذا يذكرنا بما ورد في

تاريخ الحثيين والآشوريين عن قبيلة قوموغ أو قوموزين الحثية

وفي القصص الشعبي عند الجراكسةحادثة طريفة جرت مع خان الكيتاي مفادها :

في سنة لا يمكن تحديدها بالضبط ، قيل أن الخان [كيتاي خان] الذي نهب كثيراً من البلاد وسلب العديد من الأمصار انحدر إلى القفقاس الشمالي بجموعه الزاخرة ، فأسرع الآديكة للتنادي وجمع الجيوش من جميع القبائل ، ولما التقى الجمعان أرسل كيتاي خان رسلاً إلى الجراكسة يبلّغهم فيها أنه لم يأت للحرب والغزو بل جاء مسالماً للتعارف والصداقة لما سمعه عن بسالة وفضائل الجركس ، وجرت اتصالات ودية ، وعرض الخان أن يبارز جركسي مصارعه المشهور قيسين للتسلية والترفيه.

واختار الجراكسة للمبارزة امرأة اسمها [لاشينقاي] ، قيل أن حموها رشحها لهذا الصراع لأنه رآها يوماً تلقي بعجل عمره سنة من فوق جدار الحائط إلى الخارج حينما ضايقها أثناء حلبها للأبقار.

وألبسوا لاشينقاي ملابس الرجال ، وتصارع الخصمان ساعة وتغلبت لاشينقاي على قايسين فصرعته.

وعزّ ذلك على الخان كيتاي فجعل زعماء الجركس يمازحونه حتى سرى عنه ثم اظهروا له أن الذي صرع مصارعه المشهور هي إمرأة واحضروها لعنده فشاهدها في ملابس النساء ، وعرضوا عليه أن يختار مصارعاً آخر ليبارز مصارعاً جركسياً ولكن الخان أجاب بروح رياضية سمحه:

إذا كان امرأة من عامة الشعب قد تغلبت على أقوى ابطالنا ، فليس هناك من حاجة لتجربة أخرى مع رجالكم.

ولقد أهدى إلى أمير القبارطاي سبعة رجال من العبيد ، وأقام الجراكسة له ولجيشه مأدبة حافلة ، وبرّ الخان بوعده فعاد بدون حرب .

وفي ذلك قصيدة غنائية جاء فيها:

كان قيسين فارساً مغواراً ومحارباًرابط الجأش
تخشاه الجموع ، ولكن ساعد المرأة لاشنقاي كسر عزمه وأضاع شهرته
لقد أطعمت وسقيت جوادك سدىً ياقيسين
وقد جهزت عدتك وأصلحت قوسك وصقلته حتى بدا لامعاً.
وملأت كنانتك بالسهام اللامعة وجعلت درعك براقاً .
يبهر ضياؤه الأبصار ، ولكن خاب أملك ومناك .
فإن المرأة لاشنقاي ألقت أرضاً مبارز الخان المغرور.
نعم لقد خر صريعاً بضربة من يد امرأة عادية

انظروا اليوم فخارنا ، أما كفانا رجوع الآديكة
مثقلين بالهدايا .. كأنها أرباح تاجر؟؟

ويقال أن مسرح هذه المبارزة كان بالقرب من نهر شكم أحد روافد نهر باقسان أي فوق حصن شكم الحالي ؛ ويسمى هذا الموقع اليوم [لاشنسكايا] (موجز تاريخ الجركس ص ٦٥).

وفي عام ١٢٠٦ م قضى جنكيز خان على دولة خوارزم ، وهرب السلطان أحمد إلى الغرب للبلاد الإسلامية ،وتعقبه قائدا جنكيز المشهورين جبه وسوبوتاي ، واتجهوا إلى أذربيجان وفي القسم الجنوبي من موقع تلاقي نهر قورا بنهر آراس وفي سهول مورغان قرر المغول إمضاء الشتاء ، وفي أثناء مرورهم بها قضوا على جيش كرجي من عشرة آلاف مقاتل ؛ واجتهد الكرجيون للإتفاق مع الدول المجاورة ، ولكن المغول هاجموا كرجستان فجأة في منتصف الشتاء واستولوا عليها نهبوها.

وكانت ملكة أرمينيا هي [ردزدا] ابنة تامارا ملكة الكرج ، وكان قائد جيوشها العام هو إيوان فحاول تشكيل جيش دفاعي بسرعة ، ولكن الأرمن هربوا إلى تفليس وجبال كرجستان .

واتجه المغول نحو شيروان واستولوا على شماخي ، وطلبوا مفاوضة خان شيروان الخان رشيد لكي يمروا إلى الشمال بدون حرب ، فأرسل إليهم وفداً من عشرة أشخاص ، فقتلوا واحداً منهم ثم أمروا التسعة الباقين أن يسيروا أمامهم كأدلاء بين الجبال ليمروا بدون قتال ودخلوا بلاد الداغستان ، وهناك أيضاً زاغوا عن القتال الحاسم ، ولكنهم اصطدموا في حوض نهر تيرك بجيش مؤتلف من القبجاق والجركس ، وانحاز القبجاق إلى المغول ، وجرت حوادث فظيعة ، وأخيراً اضطر المغول للإنسحاب إلى الشمال (قادرخان ٥٥ ـ ٥٦) .

مات جنكيز عام ١٢٢٧ م فخلفه ابنه أوقتاي ، وفي ربيع عام ١٢٣٦ م أرسل بقيادة أخيه الأمير باتو جيشاً قوياً للإستيلاء على الغرب، وكان القائد سوبوتاي برفقته ، فأخضعوا الفيزوفيناك والساكسين وأقوام أخرى في طريقهم ، وفي شمال بحر الخزر عقد زعماء المغول اجتماعاً قرروا فيه الإستيلاء على بلاد روسيا ، وعهدوا بذلك إلى جيش الأمير [مانغو] فإكتسح البلاد حتى ساحل بحر البالطق ، ومن ثم انحدروا جنوباً وبسطوا سلطانهم الرهيب على الجركس ، ففي عام ١٢٣٨ استولوا على بلدة دربند التي يسميها الجركس [تيمور قاله] ؛ ولكن بناءً على أمر الإمبراطور عاد البرنس مانغو إلى مغولستان.

★ ★ ★

جنكيز خان والجركس

في بداية القرن الثالث عشر للميلاد كان ملك المغول تيموجين والذي اشتهر بإسم جنكيز خان يقود حملات كاسحة مدمرة:

ففي عام ١٢١٤ م استوى على العاصمة الصينية بكين مقر أسرة كين الملكية الصينية.

وفي عام ١٢١٦ م استولى على بلاد خوارزم [كاشغر - كوكنده - خوارزم].

وفي عام ١٢٢٢ م ارسل جنكيز خان حملة قوامها / ٢٠/ ألف من خيرة المحاربين بقيادة قائديه الشهيرين [جبه] و[سوبوتاي تورغوت] (١) قدمت إلى القفقاس عن طريق تبريز العجم وبعد احتلال كرجستان و أرمينيا والبانيا القفقاسية ونهبها دون مقاومة تذكر ، توجهت الحملة إلى الداغستان.

ولقد تنادى الجراكسة الشرقيون والغربيون للدفاع عن وطنهم ضد هذه القوى المدمرة ؛ وراحت القبائل ترسل الجيوش إلى منطقة تلاقي نهر بالق بنهر تيرك ما بين موزدوك ونالجيك الحاليتين ، وقد قابل الداغستانيون في دربند الجيش المغولي بمقاومة عنيفة جداً ، ولكن القائدين المحنكين استطاعا بمناورة بارعة شق الطريق نحو الشمال وسايرا مجرى نهر تيرك الأسفل، وهناك اصطدما بالجيش الجركسي المؤلف من قبائل لاق أو اللزكي والآلان (أوست أو آستين) والجاجان ، ومن التحق بهم من الداغستانيين وكذلك قبيلة القبجاق التركية الكبيرة ، أما الآديكة فقد تجمعت عشائرهم الشرقية خاصة القبارطاي بقيادة [بشي آبشوقو - و - بشي قادر شاو] ولكن قبائل منطقة القوبان من الآبزاخ والشابسوغ وسواهم لم تكن قد وصلت بعد ؛ وبقصد تأمين الوقت اللازم لوصول هذا المدد ، وبغاية تأمين نقل سكان المناطق المعرضة لأولى الغارات إلى الجبال ، فقد جهزت طليعة الفرسان المشاهير بقيادة الأميرين [جلاخستن - و - لتبسه روق] وارسلت إلى الخطوط الأمامية بجوار دربند لإعاقة تقدم العدو .

أما الجيش المغولي بقيادة جبه وسوبوتاي فقد كان يزحف ناشراً الهلاك والخراب في القرى التي يمر بها ؛ وكان فرسان طليعة الكشافة الجراكسة يقومون بمغامرات مدهشة لتأمين رحيل الأهلين وتحصنهم بالجبال.

وأخيراً تلاقي الجيشان بقواتهما الأصلية غرب موزدوك [الغابة الصماء] ، وتلاحما في معركةضارية ، واضطرت القوة المغولية للتقهقر إلى مراكز حصينة والتمركز فيها . ومن ثم تفتقت أذهان القائدين عن مكيدة ماهرة، وراحوا يراسلون القبجاق ويفاوضونهم سراً داعين

---

(١) بإسم هذا االقائد يسمى الجراكسة المغول باسم (تورغرت) كما يقولون عنهم (نه زظو) (نه زه ژو) بمعنى ذوي العيون الضيقة .

للأخوة التركية المغولية ، ووعدوهم بقسم كبير من الغنائم والأسلاب ، واستطاعوا بدعاياتهم التي تدل على المهارة والذكاء إغواء القبجاق وانحيازهم إلى طرفهم ؛ وفي هذه الأثناء ظهرت بوادر التماهل والتراخي في صفوف الآستين ؛ واستفاد العدو من الفرصة وعاودوا الهجوم ، وكانت معارك رهيبة ضاربة اضطر فيها الجراكسة للتراجع مغلوبين ، واجتازوا وادي باقسان إلى [بسى غوه ن] ولكنهم لم يستطيعوا الصمود هناك أيضاً طويلاً ، وظهر الخلل في صفوفهم ، وكان الأمراء القواد [آبشوقو . قادرشاو . كلمت] قد قتلوا والأمير [تابسريقو] مجروحاً (قفقاسيا في التاريخ ص ١٧٠)

وفي هذه الأثناء أقبلت قوات قبائل القوبان بقيادة [بشى شوه لوخ] فجمع شمل القوات المتقهقرة ونظمها .

وكان المغول الذين سكروا بخمرة الظفر قد ظنوا أنه لن تقوم لهذه الفلول المنهزمة قائمة ، فإنتشرت قطعاتهم في البقاع مع الغفلة وعدم الحذر نوعاً ما.

واستفاد القائد شوه لوخ من الفرصة ، وقام بهجوم عنيف صاعق أجبر معه العدو على الإنسحاب بسرعة شمالاً تاركاً القفقاس ، وهكذا استطاع الجركس بتفانيهم وتضحياتهم إنقاذ وطنهم من الدمار، ولكن الفداء كان غالياً جداً من دماء الأبطال وأرواح الشهداء .

اتجه جيش جبه وتورغوت إلى الشمال ، ثم أجبر القبجاق الذين خانوا حلفاءهم الجركس على إعادة ما كانوا قد أخذوه من أسلاب ومغانم، ، ثم هاجموهم واعملوا فيهم النهب والتقتيل ، فهرب القبجاق ناجين بأرواحهم ، وقد لاقوا جزاء خيانتهم وغدرهم (ص ١٧١)

ألتجأ القبجاق إلى مقاطعة كييف واتفقوا مع الروس على محاربة المغول فلما أرسل إليهم القائدان جبه وسوبوتاي الرسل يطلبون الإستسلام قتلوا رسل المغول ، ودارت معركة على ضفة نهر كالكا بالقرب من شاطيء بحر آزوف وانتصر المغول وأسروا عدداً من قواد الروس والقومان [القبجاق] وأماتوهم إختناقاً بالجلوس فوقهم في عام ١٢٢٣م (قصة الحضارة ص ١٥٦).

وفي هذه السنة ارتد المغول إلى بلادهم في الشرق الأقصى.

وكانت غزوة جبه وسوبوتاي هذه عبارة عن جولة استطلاعية لاستكشاف المواقع وثروات البلاد والمقاومة التي يمكن أن تقابلهم فيها.

★ ★ ★

دولة الجيش الذهبي .

قبل أن يموت جنكيز خان في عام ١٢٢٧ م ويخلفه ابنه [أوجادي خان] أرسل إلى الروسيا في عام ١٢٢٦ م حملة بقيادة ابن أخيه [باتو] القائد المشهور وكانت عدة جيشه نصف مليون من الفرسان الهمج الأشداء؛ جاؤوا من شمال بحر الخزر واعملوا السيف في البلغار القاطنين على ضفتي نهر الفولغا وخربوا عاصمتهم [بولغار] ،ثم دك المغول جميع مدن ريازان واجتاحوا سوزداليا وأحرقوا موسكو وفلديمير وسزدال وفي عام ١٤٣٨ م خربوا روستوف ثم زحفوا على نوفوغرود فخربوا في طريقهم شربخوف وبريسلافل ثم خربوا كييف ثم توغلوا غرباً فإستولوا على روسيا الغربية وبلاد اللهستان والمجر ؛ ومن جبال الكربات عادوا إلى الشرق يخربون ويدمرون وينهبون ويسفكون الدماء حتى عادوا إلى نهر الفولغا ، وعند مصابه أنشأوا بلدة سموها [ساراي] [١] واتخذوها عاصمة-لحشد من القبائل المغولية والطورانية السابقة لهم وشكلوا لأنفسهم دولة سموها بدولة [الجيش الذهبي] .

وكانت هذه الدولة مكونة من ثلاثة خاقانيات:

١ - خانية قازان . مكونة من قبائل التتار والبلقار[٢] والفينيين المحليين ، وتشمل القسم الشرقي من الروسيا بين أنهار [قاما - أوقا - فولغا] .

٢ - خانية أستراخان - مكونة من قبائل القرغيز والقالموق والنوغاي ، وعاصمتهم بلدة ساراي التي أنشأها الخان الأكبر باتو، والكل تابع له .

٣ - خانية القرم - وهي مكونة من اخلاط من القبائل مع بقايا الخزر والبيجينغ والقبجاق والنوغاي ، وفيهم عناصر من اليونان واليهود في موانىء جنوب شبه جزيرة القرم.

٤ - إمارة الروسيا - وهي القبائل الروسية بقيادة آل [فارغة] الجرمانية وكانوا تبعاً للمغول يدفعون الجزية للخاقان الأعظم مقابل تمتعهم بحريتهم الدينية وصيانة كنائسهم.

ولكي يظهر أمراء الروس مطاوعتهم وخضوعهم كانوا يذهبون إلى ساراي ويعرضون خضوعهم وتبعيتهم للخان الأكبر ، ويدفعون لهم ضريبة الخان، عدا الجزية السنوية المتفق عليها.

ولا يمكن لأمير أن يتولى الإمارة بدون موافقة الخان ، كما لا يحق له إعلان الحرب على أية جهة أخرى إلا بعد موافقة الخان.

---

١ - هي في موقع اتيل القديمة وآستراخان الحالية.

٢ - البلقار قبيلة طورانية وهي غير قبائل االبلغار السلافية

ومقابل ذلك كان الخان يقابل خدمات الروس وشجاعتهم وهذا كان نادراً في الغزوات التي يشتركون فيها بكل تقدير ، وكانت حريتهم الدينية مصونة ومحترمة وكنائسهم محفوظة من الإعتداء ويتمتعون بحرية التعليم والتشكيلات السياسية والأوضاع الإجتماعية وهذا الإختلاط والمودة أدى إلى التزاوج بن [الميرزا] من نبلاء المغول وبين الأميرات الروسيات ، وبذلك تسربت عناصر روسية إلى جهاز الدولة ،وكان ذلك كسباً سياسياً للروس يهيء لهم جو الخلاص والقوة.

ولقد تمكن الأمير الروسي [إيفان كاليتار] بدهائه الحصول على بعض الإمتيازات من الخان ، منها السماح له بجمع الضرائب من الروس بواسطته بدلاً من جند المغول ، ونقل المركز الديني [متروبوليت] من كييف إلى موسكو التي أصبحت بذلك المركز السياسي الديني للروس وذلك في حوالي عام [١٣٢٠] (قصة الحضارة ص ١٥٨).

الجيش الذهبي والجركس :

لم تكن هناك أية علاقة ودية بين المغول والجركس ، لأن الفظائع التي ارتكبها التورغوت لم تبارح ذكرى الجراكسة لذلك كانوا يكرهون وينزعجون من الإتصال السياسي بالخانات .

أما دولة الجيش الذهبي فقد أدركت أن غزو بلاد الجركس يكلفهم غالياً جداً ، لذلك انصرفت إلى تقوية مركزها وجهازها الإداري وتأمين حاكميتها خاصة على الروسيا ، وكانت تكتفي بإرسال غزوات خاطفة إلى بلاد الجركس بقصد الإستطلاع والإستكشاف ، وكان الجراكسة يردونها بسهولة، ومرت سبع سنوات.

وفي عام ١٢٧٧م سارت قوة كبيرة بقيادة [منغوخان] انضم إليها أمراء الروس بقواتهم وانحـدرت إلى بلاد الجركس لإخضاعهم ، فقابلها الجركس بقوات مؤتلفه من القبائل الشرقية ، واوقعوا الهزيمة بادىء الأمر في الجيش المغولي بجوار جبل كرج ؛ ولكن منغوخان استطاع أخيراً الإنتصار عليهم وثبت سلطانه وحاكميته في حوض نهر تيرك وبسط نفوذه حتى دربند . ولسنا نعلم بالضبط مقدار امتداد هذا النفوذ إلى قفقاسيا الغربية وحوض نهر القوبان ، على أن عشائر الآديكة التي تعرضت للضغط انسحبت إلى الجبال واتخذت موقع [برغوشيْ] في الغرب مركزاً للإدارة والتأهب لصد العدوان.

إن دولة الجيش الذهبي في سهوب استبس القفقاس وسواحل بحر الخزر وحوض نهر تيرك مستعمرات لها ، واتخذت وضعاً للإندماج والإختلاط بالعناصر القفقاسية الأصيلة.

وهذه الحالة التي أحدثها منغوخان قد أثرت على مستقبل القفقاس ومقدرات القفقاسيين تأثيراً عميق الجذور ، ذلك أن الروس السلاف لم يكونوا من قبل يعرفون شيئاً عن القفقاس ، ولكنهم بإنسلالهم إليها مع القوة المغولية اتيحت لهم الفرصة لمعرفة ثرواتها وأهميتها الجغرافية

والإقتصادية وأوضاعها الإجتماعية كما تعرفوا على مواقعها وطرقاتها، وتفتحت أطماعهم على خيراتها وترسخت في أفكارهم بذرة الطمع بالإستيلاء عليها (قفقاسيا في التاريخ ص ٢٦٤).
أعطيت منطقة الأورال وايديل والدون إلى أحفاد جوجي ابن جنكيز وقد شكلوا فيها دولة الجيش الذهبي

وفي عام ١٢٥٧ م اعلن الخان [بركه خان] إسلامه

وفي عام ١٢٦٢م غزا هولاكو خان ، (وهو أيضاً من نسل جنكيز ، ولكنه وثني غير مسلم) ، البلاد من الجنوب حتى وادي نهر تيرك ، ولكنه أصيب بهزيمة منكرة ، على أنه أعاد الكره وفي المعركة الثانية قتل بركه خان ، وعاد جيشه إلى ساراي ، وعاد هولاكو نحو الجنوب.

وقد قام ماماي خان أيضاً بغزوة جامحة إلى القفقاس واجتاحها (قادرجان ص ٥٦)

وهكذا نجد أن بلاد الجراكسة كانت مسرحاً لغزوات رهيبة وحروب دامية ، ولكن جميع هذه القوات العظيمة الأجنبية لم تستطع من تثبيت تحكمها وسلطتها على الجركس بل أنها كانت على الأغلب تسالمهم لتأخذ حريتها في غزواتها للأقوام الأخرى.

هذا ولقد ظهرت في الغرب الأوربي قوة جديدة أشغلت دولة الجيش الذهبي ولم تخل من التأثير عليها وهذه القوة هي[ليتوانيا] والواقع أن اللتوانيين قاموا لوحدهم في البداية بنشاط تحرري واتفقوا أخيراً مع [ليترانيا] وفي عام١٣١٥ م تعرضوا للروسيا في الدنيبر واشغلوا حتى عام ١٣٤٠ م حوض نهر الدنيبر مع منطقة سمولنك.

وهكذا ففي الروسيا كان يتقابل عدوان؛ الروس والجيش الذهبي، من طرف ، واتحاد ليتوانيا لاتفيا من طرف ثان وقد ازدادت قوة بعد أن انضمت إليهم بولونيا ولكن الوضع العام للجيش الذهبي كان يتخذ طابع الناظم والحاكم العام للأحوال.

إنحلال دولة الجيش الذهبي.

دب الضعف في بنية دولة الجيش الذهبي منذ تقسيمها إلى ثلاثة خاقانيات ، ولقد بذرت تلك عوامل الشقاق والمنافسة بين الأمراء، وقيامهم بالغزوات الكثيرة كان يضعف من شأنهم ، ولقد استغل الروس نقاط ضعفهم بذكاء وصبر ودهاء ونالوا ثمرة نباهتهم هذه بعد عصر من الزمن.

ففي أعوام ١٣٢٨ - ١٣٤١ م استطاع الأمير الروسي [إيفان كاليتا] الإستيلاء على موسكو أكبر الإمارات الروسية، وذلك بموافقة الخان الأكبر ، واستطاع بكل دراية ومهارة تشكيل أول نواة لقوات الخلاص، وقد تبدت هذه الظاهرة بموافقة الخان على عدم تحصيل

الجزية من قبل مأموري وجنود الخان المغولية، وعهد بذلك إلى الأمير كاليتا؛ ثم ضم إمارة كييف إلى موسكو ، وهكذا استطاعت إمارة موسكو اكتساب صفة وصلاحية تمثيل جميع الإمارات الروسية ، وأصبحت موسكو مركزاً سياسياً وإدارياً للروسيا ؛ وانتج ذلك التفاف وارتباط جميع الروس بهذه الإمارة الكبرى ؛ مما قضى على الضعف الناجم من التفرق لدى الروس واستبداله بالإتحاد والقوة ، ومنابع القوة والتقدم لدى كل شعب تتمثل بالإتحاد والتساند والتعاون المخلص.

وفي القرن الرابع عشر للميلاد ، بدأت علامات الإنحلال بالظهور في الجيش الذهبي ، فقد ذر قرن الخلافات لتولي منصب الخان الأكبر ، وتوالت مجادلاتهم وراحوا يقتتلون في هذا السبيل ، فهذه الحالـــة في مراكز الدولة أضعفت نفوذه على الهيئة العامة للدولة ، وراح الأمراء [ميرزا] يتصرفون حسب أهوائهم ، فشكلوا العصابات وراحوا يغيرون على قرى الروسيا للسلب والنهب ، فلم يتحمل الروس ذلك ، وأعلن [ديمتري دانسكوى] العصيان على الخان الأكبر ،وفي عام ١٣٨٠م غلب جيش الخان ماماي خان في كوليكوفا ، ولقد قام على أثرها ماماي خان ومن بعده خليفته توتناميش خان بحملات انتقامية ضد الروس ، واحتلوا وخربوا مناطق عديدة ، ولكنهم لم يستطيعوا الإستيلاء على موسكوفا.

لم يظفر الروس من انتصارهم في كوليكوفا ولكنهم اكتسبوا مغانم معنوية كبيرة هي أنهم كانوا قد فقدوا عزيمتهم واعتمادهم على قوتهم الذاتية تجاه جبروت الجيش الذهبي حتى ثبت في روعهم أنها قوة لا تقهر ؛ فتخلصوا من ذلك الخور والوهن النفسي، وعلموا أنهم يستطيعون ، بالتساند والتضحيات ، التغلب على تلك القوة الجبارة ، وقد شاهدوا ذلك عياناً عندما نفذوه بالفعل .

بالنسبة لكل شعب ، فإن منابع الحياة والقوة ، بل الحياة نفسها ، هي الأمل والإعتماد على النفس ، لأن المبادىء المثالية هي التي تدفع الشعوب للمجاهدة والجلادة ، وهي ترتكز على هذين الشعورين ..الأمل ..والإعتماد على النفس ....

يوجد بعض الشعوب التي كانت تعد في عداد الأموات ، وعلى غير انتظار .. وفي ظرف ما .. تتفجر شراايينها بالحياة والقوة ؛ لذلك فإن مهرة المستعمرين يسعون دواماً بكل ما أوتوا من حيل ومكر للقضاء على هذين العاملين .. الأمل و الإعتماد على النفس..

★ ★ ★

استيلاء تيمورلنك ومحاربة [تترتوب].

في الوقت الذي علا فيه نجم تيمورلنك التتري مات الخان الأكبر لدولة الجيش الذهبي باتو العظيم بن جوشي وخلفه [اورس] ولقد غزا أورس بولونيا ولكن الأمير الروسي ديمتري كسره على أنه خسر كثيراً من الجنود.

وفي هذا الوقت قتل توقتاميش وهو أمير من القرم أحد أمراء القرم، وهرب فإلتجأ إلى تيمورلنك وأرسل الخان أورس يطلبه من تيمورلنك فلم يسلمه إياه ، وتقرر بينهما الحرب؛ فأرسل تيمور جيشاً بقيادة توقتاميش لمحاربة الخان أورس فلم يوفق.

ولما مات أورس عاون تيمورلنك توقتاميش بجيشه ونفوذه وجعله خلفاً لأورس ؛ ولما ذهب تيمور إلى خراســـان للغـــزو ، طمع توقتاميش وانقضّ على بلاد سمرقند وطن تيمور ولكن عمر شيخ ابن تيمور قــاومه واوقفه ، وسمع تيمور الخبر فعاد ادراجه وهرب توقتاميش إلى ساراي.

ثار أهل كيفا واورجانج تحاول الإستقلال فذهب تيمور لأخماد الثورة ، فإستغل توقتاميش الفرصة وهاجم بلاد التتر بجيش عظيم ، فذهب تيمور لمقابلته ، وكان جيشه قليلاً، إلا أنه اخترق جناح خصمه بحركة تطويق ؛ فخاف توقتاميش وعاد أدراجه يحرق وينهب .وبعد أن قضى تيمور على الثوار وأجلى عشائر الجاتية إلى ماوراء الجبال ؛ جهز مئة ألف محارب لمحاربة توقتاميش ، وأمضى فصـل الشتاء في حصن على الحدود ، وجاءته الرسل بطلب الصلح فرفض ، وسار خمسة أشهر قطع خلالها ١٨٠٠ ميل = ٢٨٨٠ كيلو متراً ، وقد سار بهذه السرعة ليفاجىء خصمه ، وفي المعركة انكسرت جيوش توقتاميش ، وكانت مجزرة هائلة هلك فيها أكثر من مئة ألف إنسان ، وطلب توقتاميش الصلح وأعلن خضوعه فصالحه تيمورلنك ووجد لجيشه مكاناً خصباً صالحاً على نهر الفولغا فسلم القيادة إلى الأمير سيف الدين وعاد إلى سمرقند بعد غياب ثمانية أشهر .

انتفض توقتاميش فعاد إليه تيمور في عز الشتاء والثلج يستر الأرض بطبقة كثيفة ، وكان الفرسان يقطعون الوديان بمد الطنافس والحصر على الثلج ، وفاجأ العاصمة ساراي واحتلها واحرقها واعمل السيف فيها، ومــات من تبقى من أهـلها من البرد والجوع عام ١٣٨٨ م وسار تيمور يحرق القرى حتى نهر الدون ، ولم يهاجم موسكو ، ومن ثم عاد إلى بلاده عن طــريق القفقاس ينهب ويخــرب حتى بــلاد فارس ، ودمر حصني تكريت وكالات وقتل من فيها.

في عام ١٣٩٦ م سار أيضاً للقضاء نهائياً على دولة الجيش الذهبي ، ولكنه في هذه المرة سار من الجنوب عن طريق ايران وأذربيجان وإجتاز مضيق داريال إلى الشمال، وفي حوض

القوبان وفي موقع [تترتوب][1] التقى به جيش متفق من الجركس والمغول من الجيش الذهبي وجرت معارك طاحنة انتصر فيها تيمورلنك ؛ ولقد تعرض الجركس لخسائر فادحة ونكبات عظيمة ، ولقد ورد في أشعارهم "من غير الممكن أن لا تسيل الدموع عند المرور من تترتوب".

وداوم تيمورلنك زحفه نحو الشمال ، وانزل ضربة قاصمة على الجيش الذهبي ، ثم عاد أدراجه ،بعد أن ترك قوة في شمال القفقاس.

ولم تستطع دولة الجيش الذهبي أن تقف على أقدامها من جديد وضعف كيانها ، وأعلن خانات قازان والقرم انفصالهم ، وانحصرت الدولة في مقاطعة آستراخان.

وهكذا صارت هذه الدولة منقسمة على بعضها ، وضعفت قوتها تجاه الروس الذين كانوا ينتظرون الفرصة للإنقضاض والإنتقام.

وفي عام ١٣٩٨ م ثار الجركس على جيش تيمورلنك ، وبعد وقائع دامية انتصروا عليهم وأسروا قسماً كبيراً ممن تبقى على قيد الحياة فإندمجوا بهم ، والتجأ قسم منهم إلى القرم واندمجوا بتتار القرم.

وبذلك استطاع الجركس وخاصة قبائل القسم الأوسط من العودة إلى السهول الخصبة التي كانوا قد نزحوا منها إلى شعاب الجبال ؛ وزال عنهم الكابوس الرهيب المزدوج كابوس المغول وكابوس التتار؛ ونالوا حريتهم في وطنهم.

وقد استطاع الملك الروسي إيفان الثالث إخضاع إمارة قازان

ثم جاء القيصر إيفان الرابع الملقب بالرهيب ، وفي عام ١٥٥٢ م استولى على قازان نهائياً وفي عام ١٥٥٨ م على إمارة استراخان ، واتفق مع خان القرم. وبذلك زالت دولة الجيش الذهبي من الوجود ، ولم يبق منها إلا خانية القرم التي أصبحت ذات قوة وشوكة وقهرت الروس لفترة من الزمن.

ورافق هذه الأحداث تعاظم قوة العثمانيين ، فلقد احتل السلطان محمد الفاتح بيزنطة وذلك في عام ١٤٥٣ م وسماها [اسلامبول أو استامبول] وقضي على الإمبراطوررية البيزنطية نهائياً ، وكان آنذاك ملك الروس هو إيفان الثالث.

★★★

---

(١) تعتبر ندب موقع بين نهري القوبان واالتبردي ، وقد كان الخان (توجه بردي خان) قد ضرب خيامه في تلك االبقعة مع عشائره التترية فسماه الجراكسة (تترتوب) أي (تحت االتتر) أو (سهل التتر)

ملحمة التورغوت والآديكة

لقد جاء في كتاب مختصر تاريخ الجركس لشوارنو غمقوه بكمرزه ذكر معركة جبه وسوبوتاي مع الجركس في منقولات قومية اعتباراً من الصفحة ٨٨ كما يلي:
سمع الجركس فجأة بقدوم جيوش [التورغوت] أجداد شعب القالموق الحاليين مع جيش آخر من التتر من ضواحي تاركي . وكان اتجاههم إلى منطقة القباردا.
فحشد الأمراء [بشي يا بشوقه ابن برسلان] و [قدير شوقه تاتلوستانو] جيشاً لا يستهان به ولمعرفة الطريق التي سيسلكها العدو، فقد أرسلوا الأمراء الشباب [قدير شوقه و تابساروقه وجلاخستان] على رأس ألف من نخبة الفرسان لاستكشاف تحركات العدو ، وقد قاموا بمهمتهم وعادوا بأخبار العدو ؛ وكانوا قد نقلوا سكان القرى والمواشي والأموال والأمتعة إلى مواقع حصينة في الجبال ؛ وفي اليوم الثالث ساروا فرساناً ومشاة إلى موقع ملتقى نهر مالقا مع تيرك ، والتقوا بأعدائهم التورغوت عند مصب النهر الأخير حيث يوجد اليوم الحصن القوزاقي الروسي [يكاترينو غورود].
وأثناء اجتياز التورغوت للنهر هاجمهم القبارطاي ، ولكنهم شعروا أن العدو يقوم بحركة التفاف وأن لا قبل لهم بالمقاومة ، فآثروا التراجع واستدراج العدو إلى الجبال ، فتقهقهروا حتى نهر [بسى غون بسي] ورابطوا هناك ، وأرسلوا نصف الجيش إلى ضفاف نهر باقسان حيث المواقع حصينة لضرورة حربية قدروها ؛ لكن التورغوت اجتازوا نهر مالقا في عدة مواقع وشرعوا يحرقون القرى المهجورة وينهبون ما تبقى من الأمتعة فيها، ويجمعون الحيوانات الطليقة المتخلفة ، بل أنهم كانوا يجمعون الكلاب والهررة والطيور ليأكلوها ، وكانوا يشربون دماء الحيوانات التي يذبحونها بنهم وشراهة.
وحينما لاحظ القبرتاي أن العدو قد تماهل والتهى بالأسلاب ، صاروا يهاجمونهم فئة بعد الأخرى ويبيدونهم جماعة بعد أخرى.
إلا أن التورغوت فطنوا لهذه الخطة ، فجمعوا شملهم واقتربوا من [بسى غون] حيث يرابط الجركس ، فهاجموهم بكل عنف وشدة وكانت مقتله عظيمة ، واضطر الجركس للتراجع إلى المواقع الجبلية الحصينة ، وتعقبهم التورغوت ، واشتبك الفريقان في معارك دامية بين الوديان العميقة دامت بضعة أيام دون أن تسفر عن نتيجة حاسمة لأي من الفريقين.
وقد هلك الكثير من الفريقين ، وقتل من أمراء القبرطاي كل من [بشى يابشوقه - تدير شوقه قونشوقه - بوشت - كلمات] وأصيب الأميران [شوه لوخ وجلاخستان] بجراح بليغة ، وسقط أمير شاب مع جواده عن جسر دمره القبارطاي فيما بعد ، فهوى في هوة سحيقة وقضى نحبه ، وأصبح موقف القبارطاي شديد الحراجة.

لكن انجدتهم في اليوم التالي نجدة تزيد عن الفي محارب تجمعوا من القبائل المجاورة في الجبال ، فهاجموا الأعداء بكل عنف وشدة وطاردوهم حتى جسر المالقا ، ثم اخرجوهم نهائياً من حدود بلادهم ، وقد أخذوا منهم العديد من الأسرى واسترقوهم.

والمواقع التي دارت فيها رحى هذه المعارك تسمى في اللغة التترية حتى اليوم [قاج طاو] ومعناه [الفرار إلى الجبال] . ومنذ ذلك العهد اعتاد الناس أن يقول بعضهم لبعض أثناء الخصام :

[ليتك تذهب إلى ذلك المكان الذي ذبحونا فيه]

وعاد القبرطاي إلى قراهم وحقولهم يعمرونها من جديد ويعيشوا فيها بحرية وأمان .

وتوجد حول هذه الواقعة قصيدة شعرية تثبت صحة هذه الرواية:

إن الدماء تجري كالسيول في قاج طاو وابطالنا
الذين لا يعرفون الخوف قد ضاق بهم المكان ومنعهم من الإنتشار
وأما فرساننا البواسل فقد ضاقوا ذرعاً بالوادي الضيق
وصفوف أمرائنا قد خلت من البطل الهمام [قدير شوقه]
الذي كان أشجع الأبطال ، وقد قضى نحبه في قاج طاو
وكذلك تابسورقه الشاب عندما دمر الجسر
هوى في الهوة السحيقة حيث لاقى حتفه
لقد كان الشامخال نفسه يشتهي المساعدات القيمة
التي كانت أشهى غنيمة عنده وهي مبعثرة على الأرض
وأما محاربونا الذين نجوا من الهلاك فقد جاءوا
إلى الأمير [قازي] ابن [بشى يابشوقه] بالخبر الحزين
وحينئذ أسرع هذا على جواده للحاق بأخوانه كالبرق
وكادت سيور السرج تتقطع من سرعة الجري
وهذا الحصان الذي لامثيل له يرعى في الجبال مع الذئاب والأسود
وهذا الأمير القوي ، بالنسبة إليه ليس إلا لهواً ولعباً
أن يفصل الرؤوس عن اكتاف الأعداء العريضة
وأن ضربته هي هي سواء كانت من يده اليمنى أو اليسرى
ورماحه لا محاله قاتله ، إذا لم تتكسر عيدانها من شدة الطحن
ولكنه لم يرجع من ساحة الوغى وعود رمحه سالم

★

وحصان قدير ميرزو يكافح السيول الجارفة

وراكبه (بوغديدار قوغوتليقو) قد تحطم في يده الكثير من الرماح
وولدا [آيدارو] يقاتلان كالأبطال على ظهر جواديهما الأحمرين
وكل منهما يحمي أخاه ، ولكنهما قضيا نحبهما في قاج طاو
و [بت آشه ابن تختابي] قد أطلق وهو يستدير إلى الخلف
سهماً من قوسه أردى به اثنين من حاملي الرايات
وبقيت دروعهما الذهبية مبعثرة بين الآجام والأدغال
إن قوس [مارشان قول ابن شوكنوقه] ليعجز عن شد وتره
إثنان من الرجال ، ولكنه يردي بسهم يطلقه منه ثلاثة رجال
وأما [برد بن خانزو] فقد حاز شهرة واسعة بأنه
إذا طارد الأعداء على جواده الأشهب القى الرعب في قلوبهم
وانه يمد إخوانه في ساحة الوغى بالعزم والأقدام
وليس [آرده شاوه ابن شيشرو] من الذين
يالون بالراحة والرقاد ، بل هو الذي يحرس الجيوش في الليالي ساهراً
وسهمه إذا انطلق يفتك بالعدو داوياً كمطرقة من حديد

★ هذه النجدة جاءت من قبائل القوبان بقيادة [شه وه لوخ] كما مر معنا سابقاًفي بحث جنكيز خان.

السلاف ـ الروس

السلاف من الهندو جرمن من فصيلة [له تتو ـ سلاو] ؛ وقد عاش السلاف واللتوانيون معاً حتى حروب ايران ؛ وفي الدور البرونزي انقسموا إلى ثلاث شعب:

١ـ السلاف الغربيون ٢ ـ السلاف الجنوبيون ٣ ـ السلاف الشماليون.

وكان الجرمان يسمونهم [واند] ومعناها أناسي الربيع أو المراعي ، والسلاف كانوا يسمون أنفسهم [سلو وان] بمعنى [قوْم]

والروس منسوبون إلى العرق السلافي ؛ وعلى أغلب التقديرات كان السلاف يستوطنون حوض نهر الدنيبير ، وإن انقسامهم إلى غربيين وجنوبيين وشماليين انما جرى في القرن الرابع الميلادي حينما أصبحت بقاع شمال البحرالأسود وبحر الخزر مجال هجرات الشعوب الطورانية، كانت الموجات المهاجرة تسوق أمامها إلى الغرب الكتلات البشرية التي تصادفها ، وكان بعض عناصر هذه الكتل تنساق نحو الشمال إلى الأقاليم الباردة فتحافظ على نفسها من الفناء ، أو التجوال بغير هدى في بقاع أوربا ، ولقد تعرض السلاف لهذا الضغط بشدة من قبل الهون أولاً ، فالسلاف الشماليون قطنوا المنطقة اعتباراً من جنوب خليج فنلنده حتى كييف من حوض نهر الدنيبر ، وكان نهر الدنيبر بمثابة الهيكل العظمي لهذه المنطقة ، وكان هؤلاء يعيشون حياة قبلية شبه بدوية ، ويتكونون من اثنتي عشرة قبيلة رئيسية ؛ وكان الرجل السلافي همجياً ظالماً ومخرباً ، ولكنهم بعد أن اعتنقوا الديانة المسيحية تلطفت نفوسهم وظهرت فيهم عادة اكرام الضيف. (إلى حد ما) .

وكانت الإدارة عندهم هو تحكم رب الأسرة ؛ والإدارة العامة استشارية .

وكانت عند بعضهم نوعاً من التعاونيات الزراعية يسمونها [مير] بموجبها تشترك جماعة بزراعة بقعة من الأرض وتقتسم حاصلاتها.

الجنوبيون والغربيون : إن السلاف الغربيين والجنوبيين في بلغاريا وبوهيميا الحالية كانواعلى اتصال وتماس باليونان وبيزنطة ، ولقد شكلوا من قبل دولاً لأنفسهم في مناطق ليست من الروسيا.

تكون الدولة الروسية : أما سلاف الشمال فقد دخلوا في التاريخ كدولة في القرن التاسع فقط ؛ والذين أوصلوهم لهذه الدرجة هم الروس من قبائل [الوارك] القادمين من السويد ، وحسب ادعاء الروس فإن الوارك أصلاً من السلاف ، وانهم هم الذين ارسلوا في طلبهم يستنجدونهم ؛ ولكن الأقرب للحقيقة أن الوارك من النورماند الشرقيين ، وانهم تمركزوا أولاً في الأقسام الشمالية من الروسيا وطمحوا في بسط نفوذهم في الجنوب والإنحدار إلى

حوض البحر الأسود عن طريق حوض نهر الدنيبر. (قفقاسيا في التاريخ ص ٣٠٨) .

وفي عام ٨٤٦ م اسس زعيمهم [روريك] الدولة الروسية الأولى في [نوفوغرود] شمال بحيرة ايلمن ، وسماها الدولة الروسية ، وهذا الإسم قد جلبه الوارك من السويد.

وكانت الدولة الروسية الحديثة محاطة من الشمال بالفنلنديين ، ومن الشرق بالأتراك والفين ومن الجنوب بدولة الخزر ومن الغرب بممالك استونيا ولتونيا وبولونيا ؛ وفي ذلك العهد كانت البلدان المحصنة على الأطراف توضح الحدود في الجهات . والممالك التي كانت تحيط بالروسيا من الشمال والجنوب كانت ذات نفوس قليلة العدد ، وكانت أراضي دولة الخزر تتجول فيها قبائل بدوية كثيرة لا تدين بالطاعة لها ،ومن بينها شعب [بجه نك] التركية بصورة خاصة تشكل خطراً يهدد الروس ودولة الخزر ؛ والخلاصة أن شرقي أوربا كانت ساحة لتجوال من يعتمدون على خيلهم وسيوفهم . (قفقاسيا في التاريخ ص ٣٠٩) .

الملك أولغ ـ خلف والده روريك ، وفي عام [٩٠٥] م نقل العاصمة إلى كييف؛ ولقد كن روريك ومن خلفه من بعد ، كلما تكاثر النبلاء يقطعونهم المقاطعات ويولونهم إمارات القبائل ، ثم انقسمت هذه إلى إمارات فرعية تالية ؛ وتكون بذلك نظام اقطاعي واسع يتبعون جميعاً أمير مقاطعة كييف الذي كان يحمل لقب [الأمير العظيم] وبذلك اصبحت كييف عاصمة الدولة الروسية وبسبب تماسها مع بيزنطة فقد أصبحت مركزاً دينياً وثقافياً لهم.

وفي عام ٩٠٧ م غزا الأمير أولغ بأسطول بحري من البحر الأسود بلدة القسطنطينية ، وفي العام ٩١٣ م جرت الغزوة الروسية لبلاد القفقاس وهي أول مرة يصل فيها الروس إلى بلاد القفقاس وعرفتهم عليها وما فيها من خيرات.

و تلي ذلك غزوات ومصادمات أخرى سنفصلها عندما ننتقل إلى البحث عن تاريخ الجركس مباشرة فيما يلي من الأبحاث.

ولقد تشكلت في الروسيا إمارتان قويتان الأولى إمارة [سوزدال] في حوض نهر الفولغا والثانية إمارة كييف في حوض نهر الدنيبر.

وفي القرن الحادي عشر كانت قبائل نصف همجية تسيطر على بلاد روسيا الجنوبية وأهم هذه القبائل هي [الكومان ـ البلغار ـ الخزر ـ البلوفتسي ـ البيتشينغ]. أما ما بقي من روسيا الأوربية فكان مقسماً إلى أربع وستين إمارة أهمها إمارات [كييف ـ فلهينا ـ نوفجورود. سوزداليا ـ سمولنسك ـ ريازان ـ جرنيكوف ـ بريا سلافل] وكانت معظم هذه الإمارات تعترف بسيادة كييف عليها ، وأميرها يعتبر أمير الأمراء.

الأمير يارسلاف ـ كان أمير كييف الأكبر ، ولما قربت منيته عام [١٠٥٤] ميلادية وزع هذه الولايات بترتيب أهميتها بين ابنائه حسب اعمارهم ، فأعطى أكبرهما إمارة كييف ، ثم

وضع نظاماً دورياً فذاً يقضي بأنه إذا مات أمير ينتقل الباقون من الأمراء كل منهم إلى الولاية التي تلي ولايته في الأهمية.

وانقسمت طائفة من هذه الإمارات في القرن الثالث عشر إلى عدد من الإقطاعيات وزعها الامراء على ابنائهم ، ثم أصبحت هذه الإقطاعيات وراثية على مر الزمن ، فكانت اساساً للنظام الإقطاعي المعدل الذي تعاون فيما بعد هو وغارات الغول على ابقاء روسيا بحالتها التي كانت عليها في العصور الوسطى ، بينما كانت جاراتها اقطار أوربا الأخرى قد خرجت من جهالة هذه العصور المظلمة وأخذت بأسباب التقدم ، على أن روسيا كان لها في هذه الفترة صناعات يدوية نشطة وتجارات رابحة خيراً مما آل إليه أمرها فيما بعد من القرون المتأخرة .

وكانت سلطـــة كل أمير وراثيـــة في العادة ، ولكنها كانت تحددها جمعية شعبية تسمى [فيشي] ومجلس من أعيان البلاد يسمى [بويار سكايا ـ دوما] وتركت معظم الشؤون الإدارية والقانونية في أيدي رجال الدين؛ وكانت معرفة القراءة والكتابة تقتصر على هؤلاء الكهنة وعدد قليل من الأعيان وكبار التجار والمرابين ، وقد استعان هؤلاء بالنصوص والنماذج البيزنطية فأنشأوا للروسيا آدابها وقوانينها ودينها وفنونها ،وبفضل جهودهم هذبت وحددت الحقوق أو القوانين الروسية [روسكايا برافدا] التي وضعت أول مرة في أيام الأمير يارسلاف ؛ وصيغت صياغة قانونية حوالي عام [١١٦٠] م وجعلت للكنيسة الروسية الولاية التامة على شؤون الدين ورجاله وأمور الزواج والوصايا والأخلاق وكان لها سلطان مطلق على الأرقاء وغيرهم من الموظفين الذين يعملون في أملاكها الواسعة ، وارتفعت بفضل جهودها منزلة العبيد في الروسيا من الوجهة القانونية إلى حدٍ ما ، ولكن تجارة الرقيق ظلت قائمة حتى بلغت ذروتها في القرن الثاني عشر ، وشهد هذا القرن نفسه سقوط مملكة كييف ، فقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها بين القبائل والأمراء . ونشبت ما بين الأعوام [١٠٥٤ ـ ١٢٢٤] ميلادية ثلاث وثمانون حرباً أهلية في الروسيا ، وأغير عليها ست وأربعون مرة ، وشنت دول الروسيا ست عشرة حرباً على شعوب غير روسية وتنازع ٢٩٣ أميراً عرش أربع وستين إمارة (قصة الحضارة ص ١٥٤).

وفي عام ١١١٣ م حدثت ثورة أهلية في كييف بسبب الفقر واستغلال المرابين وهاجمت الجماهير الحانقـــة بيـــوت رجال الأعمال واحتلت دواوين الحكومة واستدعت الجمعية البلدية [مونوماخ] أمير ولاية [بريا سلافل] وسلمته إمارة كييف فهدأ الثورة وأصلح الأمور ومنذ عام ١٠٩٦م كان جيرانها الهمج يغيرون على أطرافها وينهبون الأديرة ويسترقون الفلاحين ، وكانت القبائل الأجنبية تسيطر على المجاري الدنيا لأنهار الدنيستر والدنيبر والدون.

وفي عام ١١٦٩م هاجم جيش [أندره بجيولوبسكي] اللتواني بلدة كييف ونهبها وخربها كاملاً واسترق أهلها فعفى ذكرها من التاريخ مدى ثلاثة قرون.

وفي عام ١٢٠٤ م استولى البنادقه والفرنجة الصليبين على القسطنطينية ، وتوالت غارات المغول من عام ١٢٢٩ م إلى عام ١٢٤٠م على الروسيا (قصة الحضارة ص ١٥٥) .

وفي عام ١١٤٧ م تأسست بلدة موسكو وتوسع عمرانها ، وفي عام ١١٥٦ م كان ايفان كاليتا أمير إمارة سوزدال يستخدمها كمركز أمامي على الحدود وعلى الطريق الذي يصل مدائن فلاديمير وسوزدال ببلدة كييف ؛ ولقد حارب ملك سوزداليا ملك لتوانيا بجيولوبسكي خلال أعوام [١١٥٧ - ١١٧٤] م ولكنه اغتيل وهو يحارب إما نوفجورود.

وكانت بلدة نوفجورود واقعة في الشمال الغربي من الروسيا على ضفتي نهر فلخوف قرب مخرج النهر من بحيرة إيلمن ، وقد أضحت المركز الشرقي لتجارة مدن العصبة الهانسية التجارية ، وكان سلطانها يمتد من بسكوف غرباً حتى قرب جبال الأورال شرقاً.

وفي عام ١١٩٦ م سيطر التجار الأقوياء على الجمعية التي كانت تحكم الإمارة عن طريق أميرها المنتخب ، كدولة جمهورية ، وكان يحق لهم عزل أميرهم أو سجنه (ص ١٥٦).

في الفترة [١٢٣٨ - ١٢٦٣] م أراد البابا جريجوري التاسع أن يخرج الروسيا من المذهب اليوناني إلى المذهب اللاتيني ، ودعا إلى حرب صليبية ضد نوفجورود، وظهر جيش سويدي على نهر النيفا فهزمه الأمير الكسندر نوفوسكي بالقرب من مدينة لينينغراد الحالية عام [١٢٤٠] م ثم هزم فرسان ليفونيا الألمان عام [١٢٤٢] م ومن ثم ظل يحكم إمارته خاضعاً لنفوذ المغول ؛ ذلك أنه في العام ١٢٢٣ ميلادية دخل المغول إلى الروسيا بقوات لا حصر لها ، جاؤوا من التركستان واخترقوا جبال القفقاس وأبادوا عندها جيشاً من الكرج ، ونهبوا بلاد القرم ؛ واستنجد القومان ، الذين ظلوا عدة قرون يحاربون كييف ، بالروس وحالفوهم ، وقتلوا رسل المغول ،ودارت معركة على شاطىء نهر كالكا بالقرب من بحر آزاق انتصر فيها المغول وأسـروا عدداً من قواد الروس والقومان وأماتوهم اختناقاً وهم جلوس فوقهم عام ١٢٢٣م (ص ١٥٧)

ثم ارتد المغول إلى بـلادهم وشغلـوا بفتح الصين ، ولكنهم عادوا عام ١٢٣٧ م بقيادة [باتو] ابن أخي جنكيز خان، وكانت عدتهم نصف مليون من الفرسان ، جاؤا من شمال بحر الخزر واعملوا السيف في البلغار الضاربين على ضفتي نهر الفولغا ، وخربوا عاصمتهم [بولغار] ثم دك المغول جميع مدن ريازان ، واجتاحوا سوزداليا حرقوا موسكو وفلديمير وسزدال وروستوف عام [١٢٣٨] م ثم زحفوا على نوفجورود فخربوا في طريقهم شربخوف وبريسلافل ثم خربوا كييف ، ثم توغلوا قليلاً في أوربا ثم عادوا أدراجهم مخترقين الروسيا مدمرين ، وأقاموا على أحد شعب دلتا نهر الفولغا وقرب مصبه بلدة [ساراي] (١) واتخذها

---

(١) قرب موقع أستراخان الحالية وحوالي موقع بلدة ايتيل عاصمة الخزر سابقاً .

عاصمة لحشد من القبائل أطلقت على نفسها دولة [الجيش الذهبي] التي ظلت قائمة [٢٤٠] عاماً ، وظل باتو وخلفاؤه يسيطرون على الروسيا ويأخذون الجزية من أمرائها .

وراح أمراء الروس [كيناز] ينضوون تحت لواء المغول في غزواتهم للأمم الأخرى ويرسلون أولادهم إلى سراي الخان الأكبر كرهائن، واختلطت دماؤهم ببعض بالتزاوج كما تأثرت أخلاقهم ونظمهم الإجتماعية وطراز حياتهم ببعض.

وحمى المغول الكنائس وممتلكاتها واعفوها من الضرائب حتى أثرت الكنيسة ثراءً فاحشاً بينما عم الفقر في البلاد.

البلغار : انحدر البلغار والفلاخ هاربين أمام المغول إلى جنوب نهر الدانوب . وقطنوا [ولاشيا] وشكلوا لهم دولة [بلغاريا] ومن أعظم ملوكهم [يوحنا آسن] الثاني الذي حكم في الفترة [١٢١٨ - ١٢٤١] وقد ضم إلى مملكته تراقيا ومقدونية وأبيروس وألبانيا.

ولكن هذه الدولة تعرضت لغزو المغول عام ١٢٩٢ - ١٢٩٥ م وضعفت فإستولى عليها الصرب في القرن الرابع عشر للميلاد.

تيمورلنك - حوالي ١٣٨٨ م تجهز تيمورلنك لمحاربة دولة الجيش الذهبي لأن الخان توقتاميش هاجم بلاد تيمور في غزوة فاشلة ، وتوجه تيمور بمئة ألف محارب وسار خمسة أشهر وقطع ١٨٠٠ ميل وفاجأ خصمه الخان توقتاميش ، وكانت مجزرة هائلة هلك فيها أكثر من مئة ألف إنسان ، وهزم توقتاميش وعرض الطاعة على تيمورلنك ، فترك هذا الجيش برئاسة الأمير سيف الدين وعاد مع حاشيته إلى سمرقند.

وانتقص توقتاميش فعاد إليه تيمور وكسره ، وقد كاد يهلك ، ثم احتل العاصمة [ساراي] فحرقها وهلك الناس من الجوع والبرد ، ثم نهب واحرق بعض المدن الروسية ولم يصل إلى موسكو ، ومن ثم عاد عن طريق القفقاس ينهب ويخرب حتى بلاد فارس ودمر حصني تكريت وكالات وقتل من فيها (ص ١٦١)

إيفان الثالث - الملقب بالكبير - تولى الإمارة بعد غزوة تيمورلنك للخان توختاميش التي اشترك فيها الروس مع تيمور ؛ وقد استفاد الروس كثيراً من ذلك بأضعاف دولة الجيش الذهبي وتشتيت شملها ، فلقد انقسمت على نفسها ودب فيها الضعف والإنحلال ، واهتبل ايفان الثالث الفرصة، وانفصل عن تبعيته وبلاده للخان ، وقام بأربع حملات ناجحة ضدالمغول فبسط سلطته على خانية قازان ثم عقد اتفاقاً مع خان القرم.

•(لقد عرفت الدولة العباسية الروس كعبيد مخصيين لحراسة النساء ولم تكن لهم فائدة كجنود لضعف روحهم القتالية).

واستطاع أن يضم تحت سطوته جميع الإمارات الروسية الشرقية التي كانت متنافرة بما في ذلك إمارة نوفوغراد وبسيكوف وجعلها تابعة لإمارة موسكو.

كما أنه سعى لإنقاذ روسيا الدنيبر من أيدي اللتوانيين ، وقد وفق لإسترداد القسم الأكبر منه

وفي عام ١٤٥٣ م فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينةوقتل الإمبراطور [باله ئولوغ] وهو يحارب على درجات كنيسة أيا صوفيا، وسقطت بيزنطة إلى الأبد ، وصادف ذلك وقت زواج ايفان الثالث من الأميرة [صوفيا] ابنة أخ امبراطور بيزنطة، فأعلن أن موسكوأصبحت روما الثالثة ، واتخذ شارة النسر المزدوج .

إيفان الرابع - غروزني - الملقب بالرهيب : استطاع في عام ١٥٥٢ م من القضاء على خانية قازان ثم في عام ١٥٥٦ م قضى على خانية أستراخان ؛ وبذلك لقب [قيصر الروسيا] .

أما خانية القرم فقد ظلت قائمة وذات شوكة ، وكانت تقوم بغزوات على الروس وبلاد الجركس وخاصة منطقة القبارتاي ، فتحالف أمير القبرطاي [تمرقوه] مع القيصر في معاهدة دفاع وتعاون، وارسل ابنته ماريا وولديه إلى بلاد القيصر فتزوجها عام ١٥٦٠ م وقد أصبح لأخويها فيما بعد شأن يذكر.

وفي عام ١٥٧٢ م غزا تتار القرم بلاد الروسيا حتى موسكو ، ثم عادوا إلى موطنهم .

فيودور ايفانوفيتش : خلف والده ايفان الرابع وذلك عام ١٥٨٧ م وفي عهده جرت محاربة تاركي الأولى عام ١٥٩٥ م بين الروس والجركس. (قفقاسيا في التاريخ ٣١٣) .

بوريس غودونوف : قتل فيودور واستولى على الملك.

وفي عهده ارسلت حملة من ١٠٠ ألف محارب إلى الداغستان فقضى عليها وقامت في الروسيا منافسات داخلية فإستولى آل رومانوف على الحكم.

وفي عام ١٦١٤ م أصبح القيصر ميخائيل رومانوف ملكاً على الروسيا.

بعد زوال دولة الخزر تشكلت في الروسيا إمارتان روسيتان قويتان هما

١ - إمارة سوزدال في حوض نهر الفولغا

٢ - إمارة كييف في حوض نهر الدنيبر.

وفي عام ١١٤٧م تأسست بلدة موسكو وإمارتها

في الفترة [١٣٢٨ - ١٣٤١] استطاع أمير سوزدال من جعل موسكو مركزاً لإدارته

- ١٤٥٣ فتح القسطنطينية في عهد ايفان الثالث

وخلفه ابنه ثيودور ، وهو الذي أرسل أول حملة بناءً على طلب ملك الكرج الكساندر

• (قتل القيصر زوجته الثانية واتهم الزوجة القبارطائية ثم قتلها أيضاً) .

الثاني ، بقيادة هوفوروستين فقضى عليها الداغستانيون .
- ١٥٥٢ ايفان الرابع الملقب غروزني والمعروف بالرهيب - مات عام ١٥٨٧ وخلفه ابنه ثيودور ايفانوفيتش ، وبعهده جرت محاربة تاركي الأولى عام ١٥٩٥ م

بوريس غودونوف - قتل فيودور ايفانوفيتش واستولى على الملك ، وهو الذي ارسل حملة من ١٠٠ ألف محارب لحماية كرجستان بناءً على طلب ملكها الكساندر؟
- ١٦١٤ ميخائيل رومانوف بعد مجادلات داخلية مدة ٣١ سنة
- ١٦٨٣ بطرس الأول اشترك في الحلف المقدس ، وفي عام ١٦٩٩ عقد معاهدة كارلوفجا مع العثمانيين ، وفي عام ١٧١١ انكسر في محاربة بروت . وفي ١٧٢٢ ارسل الحملة القوية إلى الداغستان . ومات عام ١٧٢٥م.
- ١٧٣٧ - الملكة ايفانوفنا. ارسلت عام ١٧٣٧ حملة إلى الداغستان قضى عليها بطرس الثاني .
- ١٧٦٣ - تولت القيصرة كاترينا (الثانية) تخت الملك بعدما قتلت زوجها .
- ١٨٥٤ أثناء حرب القرم مات القيصر نقولا

الكساندر الثاني

(في كتاب قادرجان قافلى صفحة ٧٥) . كاترينا تقتل زوجها ١٧٦٣ م (أباطرة . صفحة ٢٣) انتقال العرش من آل غدونوف إلى آل رومانوف (العدد الثاني من المجلة ١٠) نقل العاصمة إلى بطرسبرغ . السكان الألمان الدراسة في أوربا .
(في كتاب أباطرة وأبطال صفحة ١٨) تأسيس الإمبراطورية الروسية .

★★★

دولة البوسفور والتجارة قديماً في القفقاس

ملاحظة : هذا المقال بقلم السيد [أحمد جانبك حاوجوق] ترجمته عن التركية وهو منشور في مجلة [قفقاس دركيسي] في الأعداد ٢ - ٤ - ٥] مع العلم أن العدد الثالث مفقود.

وكذلك المقال الذي يليه عن [الشركة الإنكليزية المتحدة للتجارة في موسكو] التي نشرها في العدد [٦ - ٧] وأشير أن ترقيم اعداد المجلة هذا هو بالنسبة لما هو موجود لدي من أعدادها . ولنلاحظ انني سهوت عن كتابة بداية البحث أولاً فألحقته في آخر المقال الأول

إن هيرودوت اليوناني (أبو المؤرخين بحق) ، زار القفقاس في القرن الخامس قبل الميلاد وكتب عنها.

كذلك سترابون اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد ، وكذلك سكيمونس من أهل خيوس وبعده هيبوقراتس وايفورس وسيلاكس ؛ وفي مخلفات تواريخ المستعمرات اليونانية عن سواحل البحر الأسود التي سميت دولة البوسفور معلومات عن أقوام القفقاس القديمة.

كما أن الكثير ممن زار القفقاس كتبوا عنها وأهمها ما كتبه جورج انتريانو عام ١٥٠٢ ميلادية.

دولة البوسفور : منذ القرن الثامن قبل الميلاد بدأ اليونانيون بإنشاء مستعمرات تجارية في مواقع مختلفة على سواحل البحر الأسود من جميع جهاتها ، وهذه المستعمرات أوجدها بالأصل الأيونيون، ثم تلاهم عناصر يونانية أخرى ، وحيث أن اليونانيين جاؤوا من سواحل بحر ايجه التي يسمونها [ميله ت] فقد أطلق على جميع هؤلاء المستعمرين فيما بعد اسم [ميله سيين] ومن ثم اتحدوا مع بعضهم وسموا دولة البوسفور.

وفي عهد متريداد الكبير حاكم بونت كانت دولة البوسفور الشرقية في عهدها الذهبي وكانت عاصمتها بلدة انتيكابيا = بانتياكه وهي بلدة كرتش الحالية على شاطىء مضيق كرتش من جهة القرم ، وكان من أهم مراكزها فاناغوريا وموقعها بجوار آنابا الحالية ثم أولبيا على مصب نهر بوغ ، ثم هرسون = هرموناسا عند مصب نهر الدنيير ثم ميناء تاناييس عند مصب نهر الدون في بحر آزاق قرب موقع بلدة آزاق الحالية وكذلك موانىء تيودوسيا وجيورجيا وشاربانا وتاسس.

وكانت هذه الموانىء تقوم بمجادلات تجارية نشطة مع القفقاسيين وخاصة مع الجركس ، لذلك كان اختلاطهم معهم كثيراً وعلاقاتهم بهم وثيقة ومعلوماتهم عنهم واسعة.

وفي العهد الروماني ثم في العهد البيزنطي لم تنقطع العلاقات التجارية هذه ونشطت في العهد البيزنطي إذ اتخذها قياصرة بيزانس مراكز لبسط النفوذ والتبشير بالديانة المسيحية ، ولقد استولوا على مقاطعة كولخيديا [سوآنتي] من كرجستان لمدة من الزمن.

التجارة قديماً في قفقاسيا: إن المستعمرات التجارية اليونانية كانت عاملاً مهماً لإنكشاف أهمية الطرق التجارية العالمية في القفقاس بين أوربا وآسيا.

على أن الأقوام المجاورة للقفقاس كانت قبل ذلك على علاقات تجارية مع القفقاسيين ، فالإكتشافات الأثرية أثبتت وصول المصنوعات المعدنية القفقاسية إلى الأقطار المجاورة قبل ذلك الحين بأزمان طويلة ، وإن صناعاتهم هذه كانت واسعة ومنتشرة وتصد الكثير منها تجارياً إلى الخارج ، وهذا الدليل على أن قفقاسيا كانت من أوائل مهود الحضارة واستعمال المعادن.

هذا ولقد أثبتت الحفريات أن المصنوعات المعدنية القفقاسية كانت تصدر إلى الشمال في أحواض نهري الفولغاوالدون ، وإلى الجنوب في بلاد العجم والعراق وآسيا الصغرى وما جاورها ولا يمكننا بالضبط تعيين وسائل النقل وطرقها ، ولكن موانئها على البحر الأسود كانت تشكل المراكز التجارية مع الداخل والخارج (المجلة ٤ ص ٥-١١).

تدل الحفريات في منطقة القوبان وتيرك أن المناجم المعدنية كانت تفي بحاجة الإستهلاك المحلي وبالنسبة للمصنوعات النحاسية فيرجع ظهورها إلى عام ٣٠٠٠ ق.م في منطقة كوبان ؛ وقد عثر على هذه الآثار في مايكوب عام ١٨٩٧ م ، ومقابر مايكوب هي أغنى جميع المقابر التي توضع على رأس طبقات العصر النحاسي ، ويختص الألف الثاني قبل الميلاد بكثرة انتاج المصنوعات النحاسية في منطقة كوبان.

وتحليل الأدوات النحاسية لذلك العهد من قبل معهد الفنون التاريخية في انجلترا أظهر أنه لا وجود للقصدير إلا في حالة اختلاطه مع الفلزات النحاسية ؛ وأن الحقبة ما بين [٣٠٠٠ - ٢٠٠٠] قبل الميلاد كانت فترة أزدهار الصناعات المعدنية في القفقاس .

والحفريات التي كشفت عن ذلك العهد تدل على أن كمية البرونز المودعة في القبور قد تناقصت كثيراً ، وكلما تقدم العهد ازدادت كمية عظام الحيوانات فيها ؛ كما أن القبور ذاتها كانت أجمل وأغنى ، إلا أن تماثيل النساء لم يعد لها أثر.

ويقول الأثريون السوفيات أن الأرض قد حرثت ، وكانت الغلال وجلود الحيوانات واللحوم تتبادل مع بضائع أخرى ، وكانت مايكوب بنوع خاص غنية بإستيراداتها التجارية كاللازورد من ايران وزبد البحر من الأناضول.

وكانت البيوت تبنى من الآجر المجفف بالشمس على شكل مربع غير مقسم إلى غرف ، ولها في سقفها فتحة كمدخنة والنوافذ فيها عالية ، وبتقدم الزمن أصبحت تبنى بيوت ذات

غرف وأجنحة ، واصطبلات وزرائب ، وأدخل عنصر الحجر والخشب في البناء واحيطت بالحدائق البيتية.

وكانوا يصنعون الأدوات الزراعية كالمناجل والفؤوس والمعاول، وينسجون ملابسهم من ليف نباتي دقيق أو من صوف الحيوانات (المخطوط ص ١٩) .

وبتقدم الحضارة والعمران في بلاد الشرق الأدنى كثر استيراد (هذه البلاد) للمصنوعات الذهبية كالحلي والمصاغ وتماثيل الزينة الصغيرة من مصادرها في القفقاس .

وبعد التوسع اليوناني لم تنقطع هذه الصادرات إلى الشرق الأوسط ولكن المبادرة التجارية اصبحت بيد اليونانيين لهذه المصنوعات القفقاسية.

وفي التوراة نجد عند ذكر التجارة في صور النبذة التالية " كان الياوان [يونان] والتوبال والمشخ يتاجرون معك، وكانوا يبادلون على بضائعكم بالمصنوعات البرونزية " ولقد أشرنا سابقاً أن التوبال والمشخ هم من القبائل الكرجية ؛ وهذا يدلنا على أن المصنوعات المعدنية القفقاسية كانت تصل إلى موانيء صور وغيرها من موانيء البحر المتوسط بواسطة التجار اليونان . ومن أهم الصادرات كانت المصنوعات النحاسية والبرونزية ، ومعادن الذهب والفضة ومن الثابت تاريخياً بأسناد كثيرة ، أن مصدر صياغة المعادن الثمينة هو القفقاس ؛ ولكن من العسير تعيين تاريخ وصول المصنوعات المعدنية القفقاسية إلى بلاد الشرق الأدنى .

إن مستعمرة بنتيكابيا أنشأها أولاً وحكمها سبارتاكوس وأخلافه من بعده ، ثم استولى على الحكم فيها سلالة من قبيلة [آرها أناكتيت] المحلية الوطنية ، وحسب بغض التقولات أن سلالة سبارتاكوس هم الجركس وهم المعنيون بقوم [مه ؤت]واندمج بهم السارمات.

ولقد أصبحت بلدة بانتيكابيا بلدة كبيرة ومزدهرة في عهد السبارتاكوس وصارت العاصمة الشرقية لدولة البوسفور، ومن ثم ضمت إلى سلطتها بلدة تانائيس وبلدات تامان في عهد متريداد الكبير ، ولقد حازت بلدة بانتيكابيا إلى جانب مركزها السياسي أهمية تجارية بالغة وأصبحت أهم ميناء تجاري على ساحل البحر الأسود ، وكانت الحبوب هي أهم المواد التجارية التي تصدر منها ؛ وحسب رواية سترابون فإنّ سهول شمال البحر الأسود وسهول القفقاس كانت تنتج ثلاثين نوعاً من الغلال وتـــزرع في مساحات واسعة من القرم وتيودوسيا [كييف] وآسيا [شمال القفقاس] وكان لليونان امتياز الإتجار بالحبوب في موانيء دولة البوسفور الشرقية.

ويذكر ديموستين أن اليونان كانوا يستوردون منها كل سنة [٤٠٠,٠٠٠] مديم من الحبوب ورفع سترابون هذا الرقم إلى [٢,١٠٠,٠٠٠] مديم ، وعداها كانت تصدر الأسماك المملحة والجلود والجمال والفراء وغيرها من مختلف البضائع ، وكان توصيل هذه البضائع إلى الموانيء يقع على عاتق الأهلين من سكان قفقاسيا الشمالية ، ومقابل ذلك كان اليونانيون

ينقلون إليها بضائع ومصنوعات الشرق الأدنى ، وكانت موانىء تيودوسيا وبانوغوريا وجيورجيا وتانايس قد أصبحت مراكز عالمية للتبادل التجاري بالسنديكا؛ وانفتحت الطرق البرية التجارية إلى الشرق الأوسط والأقصى عبر قفقاسيا ، وكانت بلدة شاربانا مركزاً لتصدير البضائع إلى سواحل بحر الخزر وكذلك الطريق من شاربانا إلى منطقة نهر قورا ، ولذلك فقد امتلأت البلدة بكثافة من السكان من قوميات مختلفة ، ومقراً لتبادل مختلف البضائع.

وفي مصب نهر ريون كانت بلدة تاسيس ميناءً تجارياً ، و في عهد الرومان مركزاً عسكرياً رومانياً.

وقد ورد أن اليونان لم يتجاسروا في بادىء الأمر على الأتجار مع الهنود رأساً ، لذلك كان القفقاسيوم ينقلون البضائع إلى الهند براً، وبعد مدة طويلة ووقوفهم على أسرار الطرق البرية أصبحوا هم أنفسهم ينقلون بضائعهم حتى مصب نهر قورا في بحر الخزر ، وهناك يتبادلون بالبضائع ويتاجرون بها رأساً مع التجار القادمين من الشرق الأدنى بدون وساطة.

ومن طريق شاربانا وتاسيس كانوا يجلبون أنواعاً من العطور والأحجار الكريمة ، ومن باختريا [بلخ] يجلبون الفولاذ وغيره من البضائع ، ويذكر بلينوس أن مصنوعات باختريا من الحديد تفوق بالجودة مصنوعات [حاليب] التي اشتهرت آنذاك ، ويذكر إليان أنه في ألبانيا وأرمينيا والكرجستان تربى أنواعٌ من الجمال ذات الوبر الطويل ينسج منها أقمشة ذات قيمة عالية ، ويذكر أن السمك المجفف بألوان (؟) يؤتى به بكثرة وتصاد من الخزر وبحيرة [كوكجه كولي] بوفرة، وأن الأهالي كانوا يصنعون منها نوعاً من الغراء اللاصق الجيد ، وأنه كانت توجد مصنوعات تزيينية من مادة العاج ملصقة بذلك الغراء.

وكانت قفقاسيا تصدر الخيول إلى ايران ، ويذكر المؤرخ اليوناني سترابون أن حاكم منطقة أرمينيا [سترابي] كان يرسل كل سنة [٢٠٠٠٠] جواداً إلى شاه ايران ؛ هذا ومع الجيش المؤلف من عشرين ألف فارس الذي حارب بومبي في قفقاسيا ، يدل على مدى انتشار تربية الخيول فيها ؛ وهذه القطعان من الخيل كانت تربى على الأكثر في سهول مورغان وقراباغ ، وهذه الأخيرة اشتهرت بتربية الخيول الأصيلة حتى يومنا هذا ، ومن قفقاسيا الشمالية أيضاً كانت تصدر الخيول إلى ايران والشرق الأدنى.

وكذلك فإن ميناء يوسكوريوس (صخوم) كان من مراكز انطلاق التجارة اليونانية إلى البر القفقاسي وعبره إلى الشرق ، وحسبما ذكره سترابون فإن ديوسكوريوس كانت مركزاً عاماً للتجارة مع قبائل الجركس المجاورة في الشمال، وأنه كان فيها من الأقوام المختلفة من يتكلمون بسبعين لغة ، ويضيف سترابون قوله أن هؤلاء الأقوام هم من شعوب السارمات وانهم يشكلون كيان القومية القفقاسية ، فالسكان الوطنيون كانوا يتخذون سبيلهم إلى ديوسكوريا الطريق الساحلية من الجنوب ومن الشمال أو عبر وديان الجبال لسلسلة القفقاس ؛ وكانت البضائع

التي يجلبونها هي المصنوعات المعدنية بالدرجة الأولى والمصنوعة من البرونز [حاليب - قبيلة كرجية من كرجستان] والنحاس والقصدير ، وكان أكثر ما يشترونه مقابل ذلك الملح لندرة وجوده في المنطقة الجبلية ، وكان اليونان يستوردون الملح من شبه جزيرة القرم.

ودور المستعمرات اليونانية هذا انتهى في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي بظهور قبائل الهون وهجرة الشعوب المتوالية.

لقد قضى الهون على جميع المستعمرات اليونانية على سواحل البحر الأسود ، ومملكة بونت تعد واحدة منها، وقد سبب ذلك في سقوط المستعمرات التي على الساحل القفقاسي وسواه من سواحل البحر الأسود مما أدى إلى توقف المناقلات التجارية ، وتفشي البطالة وصعوبة الحياة لتدني الحالة الإقتصادية ، وبدلاً من الحياة الرغيدة المرفهة انتشرت الحروب والغزوات اللاحقة في تلك الأرجاء مما قضى تماماً على تلك التجارة المزدهرة في جميع أنحاء القفقاس.

التجارة في الدور العربي : كان تجار بيزانطة وآسيا الصغرى يجتمعون جميعاً في ميناء طرابزون على البحر الأسود ومنها ينقلون بضائعهم إلى القفقاس، ثم يسوقونها إلى الأقطار الجنوبية الشرقية حيث يبيعون فيها المصنوعات البيزنطية ، وإن الأقمشة التي كانوا يتاجرون بها كانوا يؤمنون موادها الأولية من القفقاس ومن الصين ، وكانوا يجلبون من الخزر والبلغار وكييف الفراء والجلود والعسل والعبيد من الأسرى.

وحسبما يذكره المؤرخ العربي الاصطخري ، فإن جميع هذه الأموال (البضائع) كانت تنقل عبر الطرق البرية القفقاسية.

والدولة البيزنطية القوية في ذلك الوقت كانت ذات صلات تجارية مهمة مع القفقاس سيما بواسطة المستعمرات اليونانية في القرم؛ وكان القفقاسيون يساهمون في هذه النشاطات التجارية بشكل نشط وفعال ؛ والسائحون العرب في القرن التاسع والعاشر الميلادي يشيدون بغنى وعمران البلدات القفقاسية.

ولقد ساعد السلم الذي نشرته الدولة العربية الإسلامية في العهد العباسي في نهوض التجارة في القفقاس والجغرافيون العرب السائحون الذين وفدوا إلى القفقاس ، يسجلون أن زراعة الحبوب والفواكه والكروم كانت متقدمة وراقية ، وكذلك تربية الحيوانات بأنواعها ، وكذلك استحصال الحرير من تربية دود القز.

وحسبما يورده الاصطخري ، فإن الخيول والجمال القفقاسية كان تفوق مثيلاتها الموجودة في البلاد العربية.

وفي كل البلدات كان تنتشر الصناعات الحرفية واليدوية، وتوجد فيها المصنوعات بصورة

مبذولة ، وفي سواحل البحار والبحيرات وضفاف الأنهار كان صيادو السمك ينتشرون بكثرة ويزودون البلاد بصيدهم الثمين.

وكانت الصناعات المعدنية متقدمة فيها جداً ؛ ويذكر مؤرخو العرب أنه كان يستحصل في القفقاس النحاس والفضة والذهب ، واستحصال (استخراج) المعادن كان يتبعها تصنيع تلك المعادن. ولقد اكتسب صياغ الداغستان شهرة واسعة لدى التجار العرب وتجار العجم ، لا سيما مصوغات بلدة قوباجي ، ومصدر هذا الاسم هو كلمة [قيومجي] التركية بمعنى الصايغ ، وبالمثل كان الايرانيون يسمونها [زركران] بمعنى الصياغ ، وقد وجدت آثار من صناعة هذه البلدة في قصور أنوشروان في العصر السادس الميلادي .

ويذكر البلا ذرى [العصر التاسع] و المسعودي [العصر العاشر] شهرة هذه البلدة في الصياغة . ويذكـــر المسعـــوي في كتابـــه مروج الذهب صفحة ١٩٥ عند ذكر أمة الكشك [الجركس] ما يلي :

ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبأرضهم أنواع من الثياب يصنع من القنب ، فيها نوع يقال له الطلي أرق من الدبيقي وأبقى على الكد ، يبلغ الثوب عشرة دنانير ، يحمل إلى ما يليهم من الإسلام ؛ وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الأمم ، إلا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء. (المجلة العدد ٥ ص ٧).

ولقد كان للجراكسة صنــاعات يدوية راقية ، فقد صنعوا أدوات النجارة والحدادة والزراعة ، والبناء والأواني من مختلف المواد المعدنية والخشبية وأنزلوها إلى الأسواق كبضائع تجارية ، وصناعة الأسلحة وسقى الفولاذ مهروا فيها وسيوفهم جميلة الصنع قاطعة وقوية، وصناعة الجلود كانت متقدمة عندهم يصنعون منها سروج الخيل وعدتها والجزمات والأحذية والأحزمة والحقائب للفرسان كذلك كانوا يصنعون الملاعق الخشبية الجميلة المزينة والنحاسية وكانت النساء ماهرات في نسج الأقمشة بأنواعها والعباءات من اللبد والذهب المقصب والطرزات وشغل المخرز ، كما كانوا يصنعون العربات ونجارات البيوت وأثاثات المنزل ، والصياغة ، ونسجوا الأقمشة من القطن والصوف والكتان والحرير وكانوا يصدرونها إلى البلاد الأوربية والقرم والروسيا وكانت الأقمشة الحريرية الجركسية مطلوبة ومرغوبة في بلاد الروم والفرس ، ولكن تجارة الأقمشة الحريرية مع الروم توقفت عندما أدخل الامبراطور جوستنيان دودة الحرير إلى روما وانتشرت تربيتها وصناعة الحرير في أوربا.

وقد ورد عن المسيو [بيسونيل] سفير فرانسا في القرم ، أن قيمة البضائع التي كانت تصدر إلى أوربا من جركستان في القرن الثامن عشر ارتفعت إلى مليون روبل سنوياً وكانت بلدة وميناء أنابا تحتوي في القرن السابع عشر على ٤٠٠ مخزن للبضائع وعشرين مخزن للأخشاب

و ١٦ مخزناً للحبوب وسبع مخازن للمجوهرات وكثير من حوانيت الصرافة؛ وكان التجار يتوافدون على البلاد من جنوه وانكلترا وهولندا واسبانيا وتركيا والقرم، وكان يرسو في الموانىء القفقاسية كل عام ٩٠٠٠ سفينة، عدا عن السفن الصغيرة التي تحمل البضائع وتقوم بالتجارة بين موانىء البحر الأسود ، وكان تبادل الأسلحة والأقمشة يجري مع انكلترا مقابل المواشي والحبوب والمواد الخام الأخرى.

وفي القرن الثاني عشر كانت التجارة الأوربية بيد فينيسيا وبيزا وجنوا ، وقد استأثر تجار البندقية بالعلاقات التجارية مع الجراكسة وأنشأوا لهم مراكز تجارية على سواحل القفقاس ، ولكن اكتشاف الطريق البحري إلى الهند والصين الحق ضرراً بالغاً بالتجارة مع الجركس. ولقد قام في الفترة من [١٧٥٠ - ١٧٦٢] م سفير فرانسا لدى القرم المسيو بيسونيل بتدقيق الوضع الإقتصادي في غرب قفقاسيا واورد في تقريره المعلومات التي أوردناها سابقاً عن الصناعات المحلية والبضائع المصنعة ، وأضاف عليها تربية الحيوانات من الأغنام والماعز والأبقار والجواميس والخيل والنحل والطيور الداجنة والأسماك ، وزاد على ذلك ذكر الصادرات الزراعية من الحبوب والأخشاب والفواكه والخضروات ، وكانت حنطة بلاد الآديكة مشهورة حينذاك في العالم الغربي.

وذكر عن ميناء أنابا أنه كان يرسو فيه في السنة أكثر من ثلاثمائة سفينة أجنبية محملة بالبضائع تفرغها وتعود محملة بالبضائع المحلية، وانه بيع فيها في تلك السنة من القماش الخام ما قيمته ثلاثة ملايين قرش [وعلينا أن نتذكر أن هذه الأرقام هي ضخمة بالنسبة لذلك الزمان] والبضائع الإنكليزية جمعت مليونين من هذه الثلاثة ملايين ، وإذا ذكرنا أن حصة التجارة الروسية من هذا المبلغ كان ٣٠,٠٠٠ روبل ، لتبين لنا مقدار العلاقات التجارية بين البلدين.

ولم يكن النشاط التجاري منحصراً في ميناء أنابا ، فموانىء [أوجرغ ، آجيمسا هافيتسي (كلنجك) بشات ، طوابسه ، آخيه ، غاش (غيش = ساشه) وصوجي وحاميش] كانت مرافىء لصادرات هامة .

ويبين المسيو بيسيونيل إخراجات صادرات هذه الموانىء السنوية في ذلك الزمان في الجدول التالي:

١٠٠,٠٠٠ - ٨٠,٠٠٠	سينتنير من الصوف
١٠٠,٠٠٠	قطعة من القماش
٢٠٠,٠٠٠	عدد من (يابنجه)
٥٠,٠٠٠ - ٦٠,٠٠٠	سروال جاهز
٥٠٠٠ - ٦٠٠٠	ملابس جركسية جاهزة
٥٠٠,٠٠٠	عدد رؤوس غنم
٥٠٠٠ - ٦٠٠٠	عدد جلود منوعة
٢٠٠,٠٠٠	قرون بقر
١٠٠,٠٠٠	جلود ذئاب
١٠٠,٠٠٠	جلود ثعالب
٣٠٠٠	جلود دبية
٢٠٠,٠٠٠	زوج من أنياب الخنازير البرية
٥٠,٠٠٠	فراء حيوانات متنوعة أخرى.
٥٠,٠٠٠	سينتنير عسل ممتاز
٥٠٠٠	سينتنير عسل رخيص
٥٠,٠٠٠ - ٦٠,٠٠٠	أوقه من شمع العسل.

وعلاوة على ذلك كميات كبيرة من الخيول والأسماك وزيت السمك والمواد الأخرى المستحصلة من الأسماك ، كانت تصدر إلى الخارج.

أما البضائع المستوردة فكان أهمها:

المنسوجات القطنية والحريرية ، البطانيات ، الخيطان ، الخام والأقمشة الكتانية ، نيلة الغسيل ، الأصباغ ، المسامير ، آلات الحصاد ، بعض القطع الحديدية اللازمة لعدة الخيل المناسج ، سبطانات البنادق ، الذخائر الحربية ، السكاكر والحلويات.

والتعامل التجاري بين القفقاسيين الأحرار والغربيين كان يجري في جو من الحرية والأمان كأحسن ما يكون ، ويبرهن على سمو الروح الأخلاقية عندهم .

ولفقدان الدراهم المسكوكة في بلادهم [بلاد الجركس الغربيين] فإنهم يتخذون [البوكاسين] وحدة قياسية للبيع والشراء ، وهو ذراع من قماش معين ، ويقدرون بذلك أثمان البضائع . (أباطرة وأبطال ص ١٣) .

الطرق التجارية القديمة في القفقاس

وهي بداية البحث السابق عن ولة البوسفور والتجارة قديماً في القفقاس .

إن إنشاء المستعمرات اليونانية التجارية على ساحل القفقاس والنشاطات التجارية لها قد جعل القفقاس ممراً ومنطلقاً للقوافل التجارية بين الغرب والشرق ، وهو الطريق التجاري بين أوربا والهند والصين ماراً ببلاد العجم والتركستان.

وكان نقل البضائع يجري عن طريقين بريين عبر القفقاس ، وهما الطريق الجنوبي والطريق الشمالي .

الطريق الجنوبي - يبدأ من مستعمرة تاسيس عند مصب نهر ريون في البحر الأسود في جورجيا ، فالبضائع التي تجلبها السفن كانت تحمل بالزوارق وتصل إلى [شاراپانا] عن طريق مجري نهري ريون وكيورلي ، وحسب رواية المؤرخ سترابون فإن شاراپانا كانت حينذاك بلدة تجارية وقلعة حصينة ؛ ومنها تنقل البضائع براً في خمسة أيام إلى نهر قورا، ثم تنقل بالزوارق إلى بحر الخزر ، ومن هناك عن طريق نهر أوكسوس [أمودريا] وعن طريق باختريا [بلخ] تصل البضائع إلى الهند ، وكذلك تجلب منها البضائع المستوردة بالعودة من نفس الطريق .

ويتحدث المؤرخ بلينوس الروماني أن الرومان يربحون من تجارتهم مع الشرق مائة بالمائة ويضيف قــائلاً ، إن هذه التجارة قللت من كمية الذهب المتداول في روما ،ويذكر أنه كانت [روما] ترسل إلى شاراپانا كل عام مئة مليون قطعة ذهبية [سستر] وذلك دليل على العجز التجاري.

الطريق الشمالي - يبدأ من مستعمرة تانايس عند مصب نهر الدون وسواها من المستعمرات في بحر آزاق ، فكانت القوافل النهرية والبرية تتعاون في نقل البضائع إلى الشمال والشرق ، فالزوارق النهرية كانت تنقل إلى داخلية القفقاس البضائع عن طريق نهر القوبان ومن ممر داريال إلى الجنوب براً أو عن طريق نهر تيرك إلى ساحل بحر الخزر ، ومن ممر دربند إلى الجنوب براً أو بالسفن بحراً إلى ساحل البحر وكذلك الأمر عن طريق نهر مانج وبحيراتها ، ثم براً إلى ساحل البحر أو إلى نهر قوما . أو إلى نهر قوما ثم إلى ساحل بحر الخزر ، ومن الساحل إلى دربند أو بالسفن البحرية تتجه بها إلى حيث شاءت من الموانىء جنوباً إلى شواطىء ايران وشرقاً إلى تركستان ، أما نهرا الدون والفولغا فكانا يشكلان طريقين مائيين طويلين إلى الشمال ونهر الأورال إلى منطقة الأورال.

كما أن نهري الدنيبر والدنيستر كانا طريقان نهرين إلى الشمال من ساحل البحر الأسود الشمالي ، ونهر الدانوب في الساحل الغربي يصل إلى أواسط أوربا.

والساحل الجنوبي للبحر الأسود شواطىء آسيا الصغرى وموانئها توصل إلى قلب آسيا الصغرى وبلاد الأناضول .

أما مضيق البوسفور والدردنيل فكان طريقاً مائياً بحرياً إلى حوض البحر المتوسط ؛ وهكذا أصبح البحر الأسود بحيرة تجارية تلتقي فيه الملاحة البحرية والأساطيل التجارية حاملة البضائع من أقصى الغرب وافريقيا والشرق الأدنى ، إلى الهند والشرق الأوسط والأقصى عن طريق القفقاس .

وقد حافظ هذا الطريق على أهميته في عهد نشاط التجارة البحرية للدويلات الإيطالية وسواها خاصة قبل إختراع السفن الشراعية الكبيرة ، بل حتى بعد اختراعها واكتشاف طريق الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح حول القارة الإفريقية ، لأن كثرة من التجار كانوا يفضلون طريق القفقاس البري على الأسفار البحرية الطويلة ومخاطرها .

نجد في التواريخ العربية أحاديث مفصلة عن تلك القوافل ، فلقد كان التجار العرب يصعدون بقوافلهم إلى القفقاس الشمالي عن طريق دربند وساحل بحر الخزر حتى بلدة اتيل عاصمة الخزر القديمة[استراخان] ومن هناك يتوجهون إلى ديار الترك والبلغار ، كما أنهم كانوا يتجهون إلى الشمال الغربي حتى بحر البالطق.

والمؤرخ المسعودي يذكر أن هذا هو أقصر طريق بري وأكثرها أمناً وسلامة ، لأنه يمر في بلاد يسكنها قوم متحضرون.

كما أن التجارة الداخلية في القفقاس وبين الشمال و الجنوب كانت تمر عبر الممرات الساحلية وممر داريال وكانت مستعمرة ديوسكوريا في الأبخاز من أهم مراكزها.

ويذكر المؤرخ الأرمني ألقس ماغاكي أنه بعد استيلاء المغول على القفقاس أجبروا أهالي كرجستان وأرمنستان وأذربيجان على تسوية الطرق الجبلية وشقها في شعابها لتصبح صالحة لسلوك العربات ومرور القوافل فيها .

والحروب والعداوات دائماً تسبب الكوارث والنكبات ولا تجر وراءها إلا المصائب والويلات ، ومثل غزوات الهون والجيش الذهبي ما تلا ذلك من ذلك التنافس الإستعماري الذميم بين بيزانطة وايران الذي جعل القفقاس الجنوبي ميداناً لها ، فعانت البلاد بسببها كثيراً من المحن مما سبب قلة وانخفاض العدد السكاني والقضاء على الحالة الإقتصادية.

أما قفقاسيا الشمالية فقد كانت في حالة مفجعة بسبب توالي موجات هجرات القبائل الصفراء وكلها أقوام بدوية همجية متوحشة متعطشة إلى السلب والنهب وسفك الدماء ، والتدمير . على أن امتداد سطوة الخلافة العباسية وتوسعها حتى القفقاس ، أعاد السكينة والأمن إلى البلاد وعادت الحالة الإقتصادية والنشاط التجاري من جديد . وأخيراً نكب القفقاسيون بالتوسع الروسي وبرنامج الإستيلاء على القفقاس الذي دام ثلاثمائة سنة بحروب لا نهاية لها

حتى أواخر القرن التاسع عشر ، جعل من المستحيل ممارسة النشاط التجاري وشل اقتصاد البلاد؛ أما بعد الإستيلاء الروسي فلم يعد للقفقاسيين من دور سوى الكدّ بالأرض لإستحصال العيش فقط ، خاصة الجراكسة منهم ؛ فقد تحولوا إلى أقنان للأرض بفضل المدنية الروسية .

★

من أهم المراكز التجارية اليونانية في الداخل هي [هيرموناسا] في الشرق من نهر كوبان ومن أهم صادراتها العسل والقمح والحبوب والأسلحة واللحم والجلود.

★ ★ ★

الشركة الانكليزية المتحدة للتجارة في القفقاس.

في عام ١٤٩٢ م اكتشف كريستوفر كولومبس قارة امريكا.

وفي عام ١٤٩٨ م اكتشف فاسكو دي غاما طريق الهند بالدوران حول القارة الإفريقية ورأس الرجاء الصالح .

وهذه الاكتشافات انما دعت إليها الحاجة لدى التجار الأوربيين بالإتصال الحر المباشر مع اسواق الهند والشرق بدون واسطة تجار العرب والبندقية الذين كانوا يستغلونهم.

ويمكننا القول أن استيلاء العثمانيين على الأستانة وإغلاق المضائق أمام سفن جنوا الذين كانوا يمتلكون زمام التجارة مع القفقاس ، كان من أهم الدوافع التي دفعت لتلك المغامرات والأسفار البحرية.

إن اكتشاف فاسكودي غاما لطريق الشرق جعل الأسواق الأوربية تستورد بضائعها بدون وساطة فينيسيا التي كانت تحتكر التجارة الشرقية مع التجار العرب .

ولقد حاول الأوربيون ايجاد أسهل وأقرب طريق للاتجار مع الشرق، فحاولوا ذلك عن أمريكا ، ثم عن طريق بحر الشمال ، وفي أثناء هذه المساعي خطر للإنكليز انشاء طريق تجارية عن طريق روسيا وبحر الخزر فإيران فالهند، وحسبما يذكر السفير الروسي في لندن ديمتري كراسيموف ، أن هذه الفكرة كان يروج لها منذ عام ١٥٢٥ م من قبل شخص يدعى [بافلنوفي] ؛ ولكن كان في ذلك العهد بين موسكو والقفقاس دولتان مستقلتان هما إمارة قازان وخانية آستراخان ، ولم تكن العلاقة بين الروس وهؤلاء حسنة ، وكان الروسيون يعلمون أن حوض بحر الخزر يستخدم للاتجار مع الهند والصين وأن بضائع هذين القطرين توجد في الأسواق المحيطة به ، وكان سفراء الروس يمدون الدولة الروسية بمثل هذه المعلومات.

في عام ١٥٤٨ م تشكلت في انكلترا جمعية من كبار التجار غايتها اكتشاف ارض وممالك جديدة وطرق ملاحية لم تكتشف بعد ، وبعد استيلاء الروس على قازان بسنة واحدة أي في ١١ أيـار عام ١٥٣٣ م رست ثـلاث سفن انكليزية تابعة للجمعية المذكورة في ميناء [دتغورت] بقصد الإبحار من بحـر الشمال إلى الصين ، ولكن هذه السفن لم تصل إلى هدفها ، فقد ضاعت سفينتان مع طاقمها بين جبال الجليد وغرقت ، وأما الثالثة فقد استطاعت الوصول إلى خليج [ديونسكي] وبذلك دخلت في ميناء روسي ، وفي الشاطىء كانت توجد آنذاك ديروكنيسة [سنت نقولا] التي أنشىء فيها ميناء[آرخا نجلسك]

ونتيجة لهذه المغامرة فقد افتتحت في موسكو سفارة انكليزية وذلك في عهد قيصر روسيا ايفان الرابع وملك انكلترا ادوار السادس، وكانت غايتها تجارية بحتة ، وقد استطاع مندوب الجمعية المتحدة التجارية ريشارد هانسلور النجاح في مهمته فجمع المعلومات اللازمة لتأمين

الاتجار عن طريق بحر الخزر . وعمل على تشكيل المركز التجاري المتحد في موسكو.

في ٦ شباط عام ١٥٥٥ م حصلت الشركة على الترخيص الرسمي من قبل الملكة [ماريا] ولكن الانكليز لم يكونوا في اطمئنان تام. فلقد كانوا يهدفون للاتجار رأساً مع الشرق الأقصى ، وفيما بين عامي ١٥٥٨ - ١٥٨١ م ارسلت الشركة المتحدة سبعة وفود استطلاعية، الأول إلى بخارى والسادس إلى ايران أما بقية الوفود فقد ارسلت تباعاً إلى مملكة شيروان [القسم الشمالي من أذربيجان الحالية] ، ولقد حصل الانكليز على معلومات مهمة جداً. قبل مجيء هؤلاء الانكليز كانت القفقاس الجنوبية ميداناً للصراع بين الأتراك العثمانيين والايرانيين وكانت القرم داخلة في النفوذ العثماني ، ولم تكن هذه الأوضاع مناسبة ومشجعة للتجارة العالمية الواسعة ، فمثلاً ، يذكر المؤلف الهولندي [ايزاك ماسان] ان استراخان كانت بلدة عامرة ومركزاً تجارياً هاماً ، بينما يذكر جون كيسون عام ١٥٥٨ م انها بلدة خربة تكتسحها الأوبئة وترهقها المجاعة والغلاء منذ خمس سنوات ، مع أن ماسان يذكر وجود التجار فيها من تركيا وايران وبلاد العرب وأرمينيا والهند ؛ ومع هذه الأوضاع غير الملائمة فقد استطع الانكليز الاستفادة من التجارة في القفقاس.

وأول من قدم إلى القفقاس من الانكليز هو جون كنسون في الفترة [١٥٥٨ - ١٥٦٠] م وذلك عندما مر بها في طريقه إلى بخارى حاملاً رسالة من الملكة اليزابت إلى الشاه تحماسب الأول ، وطريق مسيره كان [لوندرا - سنت نقولا - موسكو - آستراخان - بحر الخزر - مملكة شيروان] ومنها إلى ايران.

كان حاكم شيروان في ذلك العهد هو عبد الله استاجلي التابع لنفوذ شاه ايران ، وقد أحس استقبال الانكليز ، وحصلوا على امتيازات تجارية حسنة ، ومن جملة ذلك السماح لهم بحرية التجارة في شيروان بدون دفع ضرائب جمركية ، ومن هناك سافر الوفد إلى بلدة قزوين عاصمة الملك آنذاك ، ولكن الشاه الذي كان في حالة حرب مع البرتغاليين ، استقبل الانجليز الافرنجيين بكثير من البرود والحذر ، ورغم الضيافة اللبقة ، لم يفوزوا بأية امتيازات تجارية ؛ على أن الشركة استطاعت الحصول على الامتيازات التجارية بإرسال وفد ثان فيما بعد وفي ظرف مناسب ومع ذلك فإن جون كيسون استطاع بموافقة حاكم شيروان تأسيس مركز تجاري في بلدة شيروان ، وخلال عشر سنوات استطاع الانكليز أن يقوموا بنشاط تجاري واسع في سائر بلاد القفقاس ، وكتب جون كيسون إلى إدارة شركته في لندن تقريراً عن الإمكانات التجارية في شيروان يقول فيه "توجد في هذه البلاد بصورة مبذولة الجوز والبندق والقطن والصوف وانواع الجذور النباتية والصباغات والبضائع الهندية والمصنوعات المحلية من أصناف ممتازة ومتنوعة.

وفي عام ١٥٦٣ م وصل إلى شيروان مندوب الشركة الانكليزية [ريشارد هنّي] على

رأس وفد ، وهو يشيد بالمعاملة الحسنة التي لاقاها من [عبد الله خان] والتسهيلات التي أمنها للتجار الانكليز ، وكان في القصر وفد من التجار الروس ؛ فلما دخل أفراد الوفد الانكليزي إلى القاعة ، أمر الخان عبد الله التجار الروس أن يتركوا مقاعدهم للقادمين الجدد ؛ ويذكر السيد ريشارد هني هذه الحادثة بإهتمام ويقول [هذا الشعب يستقبلنا بحفاوة بالغة] وكان يرافق التجار والوفود الانكليزية دائماً مرافقين من الروس كمرشدين وتجار ومراقبين ، ولم تكن العلاقات بين الطرفين ودية فعلاً ، ولم يكن الانكليز راضين عن هذه الزمالة ، وكانوا دائماً يتهربون من مرافقتهم ؛ ويقول الانكليزي [آرثور إدوارد] في تقرير أرسله إلى شركته ؛ أن انتقاء المرشدين يجب أن يكون من الأهالي الوطنيين ، لأن الروسيين يعبثون بمصالحنا ، ويضيف " إن تعاملنا التجاري مع أهالي البلاد واستقبالهم الحسن لنا يثير الروس كثيراً ، ذلك لأن الأهالي الوطنيين **لا يحبون الروس بسبب سوء أخلاقهم " ويوصي بإرسال أشخاص ذوي أخلاق نبيلة للتعامل مع هذا الشعب النبيل.**

وهكذا يبرز هذاالتقرير تحلي الشعب القفقاسي بالأخلاق الفاضلة وتقديره لها ؛ وأن الإنكليز كانوا واقفين ، عدا عن معلوماتهم التجارية ، على الأخلاق الإجتماعية لهذا القطر القفقاسي .

ويذكر الأصطخري أن هذه البلاد مزدهرة وغنية بشكل لا يستطيع تصديقه من لم يرها بعينه.

وجاء في تقرير جون كنسون أن البلده تعج بالتجار القادمين من سوريا وتركيا والبلاد العربية ، وأن الحرير الخام بشكل الصنف المهم في البضائع لمملكة شيروان مما يدل على أن تربية دودة القز كانت منتشرة فيها منذ عصور ، كما كانت منتشرة في كرجستان والداغستان وشمال قفقاسيا.

يذكر [أرثور أدوارد] في تقريره **"أقسم أنني أتمنى أن تصل شركتنا من الثراء ما يمكنها من شراء نصف ما يستحصل في هذه البلاد من الحرير الخام.**

وحسب تقرير الشركة المذكورة فقد كانت تستورد كل عام من الأقمشة الحريرية ما قيمته [٤٠,٠٠٠] ليرة انكليزية ذهبية . وهذا مبلغ ضخم جداً بالقياس إلى ذلك العهد . وإن الأقمشة الملونة والسادة كانت تصدر بالأكثر إلى تركيا وروسيا ، وأنه يخشى تمن المنافسة التركية على شركته ، لأن شركته كانت تستورد في السنة حمولة [٤٠٠] جواد من الحرير عدا عما تستورده من الكرجستان ، أما التجار الأتراك فكانوا ينقلون في كل سفرة حمولة ٤٠٠ ـ ٥٠٠ جواد مقابل نقود فضية . وإن حملة كل جواد ٥٠ ـ ٦٠ رطلاً .

ويذكر الأصطخري أن ثمرة الجوز في هذه البلاد أجود من جوز سمرقند ويشكل بضاعة مهمة للتصدير ، وأنها تصدر إلى ايران فقط في السنة حمولة [٤٠٠٠] بعير .

وبما كان يستورده الانكليز نوع من الشجر أو أغصانه يستعمل لصنع القسي، وعدا ذلك فقد كانت توجد في بلدة [شماخي] البضائع التالية:

الفليفلة الحمراء الناعمة	بسعر الرطل	١٨ شاهي	= ٦ بنس انكليزي
الجوز الهندي الكبير الحجم	بسعر الرطل	٤٠ - ٤٥ شاهي	
الجوز الهندي صغير الحجم	بسعر الرطل	١٢ - ١٨ شاهي	
القرنفل والقرفة	بسعر الرطل	٤٠ شاهي	

وفي تقارير ممثلي هذه الشركة معلومات مهمة عن النفط في باكو، وفيها أن الزيت ينبع بجوار باكو ينبع من الأرض بغزارة، ولأخذ هذا الزيت يتوافد الناس من جميع أنحاء ايران ويسمى ذو اللون الأسود من هذا الزيت [نفط] وهو يرسل إلى جميع أرجاء البلاد ومن الممكن مشاهدة قوافل من ٤٠٠ - ٥٠٠ دابة محملة بالنفط .

وتوجد حوالي بلدة باكو أنواع أخرى من هذا الزيت ، ومن بينها ذو اللون الأبيض (الرائق) وهو يباع بثمن أغلى ، ويلوح أنه نفس ما نستعمله نحن في انكلترا بإسم [بتروليوم] .

وفي جوارشماخي تنز الأرض مادة سوداء تشبه القطران ، وقد استفدنا من هذه المادة في تدهين سفننا واستعملناها بدلاً من القطران الذي نستعمله .

والأصطخري الذي ساح إلى القفقاس في القرن العاشر يبحث عن النفط الأسود والأبيض بجوار باكو.

والمؤلف الهولندي[ماسّا] الذي زار البلاد قبل الإستيلاء الروسي يذكر أنه يوجد في شيروان وآستراخان الطنافس الممتازة والأقمشة الحريرية ، والمصنوعات الفضية والذهبية وأنها تصدر إلى الخارج تجارياً.

ولقد كانت الشركة الإنكليزية تستورد جميع أنواع هذه البضائع إلى انكلترا وترسل بدلاً عنها الأقمشة المصنــوعة في بلادها كالقطيفة الأقمشة الحمراء الظريفة ، وأوان نحاسية وبرونزية ، وهذا يدل على تدني وتوقف المصنوعات النحاسية في القفقاس بذلك الوقت.

وكان المركز الرئيسي للتجارة الانكليزية في بلدة شماخي ، ومنها كانوا يتوجهون إلى ايران وغيرها من الأقطار المجاورة، ولكن اعمالهم لم تكن جيدة في ايران ، لأن التجار البنادقة كانوا ينافسونها عن طريق مراكزهم في سوريا ، فهذه المنافسة كانت تضر بالتجارة الانكليزية ، كما أن التجار الأرمن الذين كانت لهم علاقات وثيقة مع تجار البندقية كانوا ينافسون التجار الانكليز في شيروان ذاتها ، وانهم كانوا يصدرون كميات كبيرة من الحرير الخام من شيروان وكرجستان إلى بلدة حلب حيث التجار النبادقة يستوردون بدلاً عنها القطيفة ، وكان التبادل

يجري مقابل كل ٧٠ رطل من حرير شيروان / ٦٠/ ثوباً من القطيفة ، ومقابل كل ٦٠ رطلاً من الحرير الكرجي /٤٠/ ثوباً من القطيفة . وكانت القافلة تصل من شيروان إلى حلب بمدة شهر كامل . ولقد حاول الروس ،و بدون نتيجة ،منع الأرمن من الاتجار بين شيروان والشرق الأدنى.

ويكتب ممثل الشركة الانكليزية المتحدة مايلي:

لسنا نملك منع الأرمن من الاتجار مع البنادقة ، ولمنافستهم علينا أن نسعى لشراء حمل ألف بغل أو جواد من البضائع شريطة دفع ثلث اثمانها نقداً والثلثين بالقطيفة و الأقمشة الصوفية الجيدة ذات الألوان الجميلة الزاهية.

ويلوح أن الشركة الانكليزية لم تكن تملك هذه الإمكانية للمنافسة، فلقد ثابر الأرمن على تجارتهم مع تجار البندقية.

ولقد ظل الانكليز مثابرين على تجارتهم هذه حتى أواخر القرن السادس ؛ وآخر أسفارهم كانت في الفترة ما بين عامي ١٥٧٩ . ١٥٨١ م ؛ لأنه بعد وفاة طهماسب الأول شاه ايران ، فقد عادت القفقاس الجنوبية ميداناً للصراع العثماني الايراني ؛ فلما وفد الانكليز ، كانت دربند في يد العثمانيين ، وكانت الحرب قائمة في شيروان بين الأتراك والأعجام ، كما أن الأهالي المحليين كانوا في حرب داخلية لإنقسامهم إلى فئتين واحدة تناصر الأتراك والأخرى بجانب الأعجام ، فإضطر الانكليز لنقل مركزهم إلى أستراخان ، وبعد مدة قصيرة أغلقت الشركة [موسكو كومباني] محلاتها وانهت علاقاتها التجارية مع القفقاس.

ولكن الانكليز كانوا قد عرفوا جميعاً الموقع الإقتصادي الهام للقفقاس ومركزها الإستراتيجي الحساس بالنسبة للعلاقات الدولية بين الشرق والغرب .

★ ★ ★

قبائل الجركس القديمة

معلومات مأخوذة عن المؤرخين اليونان القدماء ودولة البوسفور.

(برقوق ص ١٦٧ وما بعد)

نتيجة لإقامة المستعمرات اليونانية على سواحل البحر الأسود وفي القفقاس منذ العهد ٨٠٠ ق.م فقد اختلطت في القفقاس والقرم وشمال البحر الأسود ثلاثة عناصر هي [شعوب الكاس - قوم الاسكيت - الإغريق] ولقد كتب هؤلاء الإغريق معلومات إضافية عما شاهدوه ولقوه وعن علاقاتهم مع شعوب تلك المنطقة ، يمكننا أن نستخلص من هذه الوثائق [الفره كورومانية] معلومات جيدة تنير لنا بعضاً من جوانب تاريخ تلك الفترة ؛ فلقد ورد فيها أسماء العديد من القبائل والأقوام التي كانت تعيش في تلك المنطقة كمعلومات عرضية في مناسبات مختلفة.

ولدى دراسة تلك المعلومات ، خاصة عن القبائل الكيمرية والكيركاسية، وجدنا أسماء تسعة قبائل منها تشكل الكيان العام لشعوبها، والقبائل التي كانت تمثل العناصر الرئيسية في الإتحاد الفيدرالي للامبراطورية الكيمرية.

وكنتيجة لهذه الأبحاث تبين انتشار وامتداد بعض هذه القبائل والعناصر الكاسية الأخرى من شمال البحر الأسود حتى تراقيا في اليونان، ومن الجنوب في آسيا الصغرى حتى منطقة بحر ايجه ، وبقاع أخرى بعيدة حتى في الهند.

ثم أن تواريخ تلك الأوضاع المذكورة لم تذكر على الأغلب ، كما لم يتطرق البحث إلى تفرعاتها الموجودة في القسم الداخلي والشرقي من القفقاس إلا بتلميحات عرضية لا تعطى سوى معلومات ضئيلة جداً.

ومع ذلك فإنه من الممكن بالإستناد إلى طراز مجرى الحوادث ، وماهيتها المحركة لها ، استنتاج نقاط أساسية يمكن الإعتماد عليها في ايضاح الأوضاع الداخلية وأزمانها.

والخاصة الأساسية المهمة فيها ، أن هذه المعلومات عن العناصر القفقاسية تعود إلى دور تحكم الاسكيت [السيت] ، وأن هذه الدراسة أوضحت لنا بقاء ووجود العناصر الكاسية بوفرة في تلك الأنحاء بعد الإحتلال الاسكوذي.

ولبيان البنية القومية الكاملة للقفقاس في تلك الحقبة استطعنا التوصل لتقسيم القوميات فيها إلى كتلتين . الكتلة الغربية. كتلة قفقاسيا الوسطى والشرقية.

آ ـ الكتلة الغربية وهي مكونة من القبائل التالية * :
١ ـ جـــامعة المــه ؤ ت، ٢ ـ كـــركت ، ٣ ـ آخـين ، ٤ ـ زيـــخ = جيخ = زيك
٥ ـ حانوخ ، ٦ ـ سانوخ ، ٧ ـ باسك = آباسك = باسخيغ ، ٨ ـ الآنت .
ب ـ الكتلة الوسطى والشرقية وهي مكونة من القبائل التالية:
٨ ـ نوخجي = جاجان ، ٩ ـ آندلال ، ١٠ ـ لاق = لاخ ، ١١ ـ لزكي ، ١٢ ـ كاس = آكا
وفيما يلي سنوضح هوية كل من القبائل حسب الأرقام المتسلسلة التي اعطيناها لهم في الجدول المار .

آ ـ كتلة قفقاسيا الغربية

أولاً ـ جامعة المه ؤت ـ Meot = Maitai = Maiotai:

في قصة [أورفانين] عن حملة الأرغونوت يمر ذكر الميئوت عرضاً في جملة فيها " لا بسو الملابس ـ الأردية الجميلة من الماؤت"، وهذا يدل على قدم وجود الماؤت ككتلة كبيرة لها خطرها في أيام الكيمريين وفي الوثائق الكتابية لدولة البوسفور ، يلاحظ لدى البحث في ألقاب الملوك ورود ما يلي : « ملك تيودوزي ، وأرغونوت البوسفور والسند وجميع الميؤت» وهذا يدل على وجود الميؤت ككتلة كبيرة لها خطرها في أيام الكيمريين .

وفي الوثائق الكتابية لدولة البوسفور ، يلاحظ لدى البحث في ألقاب الملوك ورود ما يلي : «تيودوزتي ، وأرنمو نون البوسفور والسند وجميع الميؤت » وهذا يطل على وجود الميؤت ككتلة كبيرة لها خطرها في أيام الكيميريين .

وليس من الممكن أن نحدد بدقة الساحة التي كان يشغلها المه ؤ ت ضمن الإتحاد الكيمري وحسب التقدير الوسطى للمعلومات التي استقيناها يمكننا تحديد بلاد الماؤت كما يلي :

من الجنوب : اعتباراً من نهر بشات وحوض نهر القوبان من جهة ساحل بحر الأسود ثم الساحة التي تسقيها روافد نهر تره ك الغربية، وحسب بعض الروايات مع امتداد حوض تره ك حتى بحر الخزر .

من الشرق : لا يمكننا تحديد ذلك بصورة جدية ، على أنهم كانوا يشغلون حوض نهر الدون الأسفل حسبما ذكره هيرودوت وبعض المؤرخين اليونانيين الأخرين ، ولعل ذلك يدل على أنهم كانوا يمتدون شرقاً حتى ضفاف نهر الفولغا .

من الشمال : لا يمكن تحديد مجال انتشارهم في سهول روسيا الجنوبية شمالاً .

من الغرب: السواحل الشمالية لبحر آزاق ، وشبه جزيرة القرم ، ثم السواحل الشمالية

---

* (توجد قبائل ميؤلية أخرى والمجموع ٨٨ قبيلة تقريباً) .

للبحر الأسود حتى أحواض نهري الدنيبر والدنيستر الوسطى.

ومن الجلي أن هذه الحدود التي ذكرناها تكاد تكون حدودالامبراطورية الكيمرية ذاتها : وعلى كل فإن بحر آزاق كان يسمى [بحر المه ؤت] فهذه المعلومات عن المه ؤ ت تدل على قدمهم ومعاصرتهم للكيمريين فمن هم هؤلاء المه ؤت ؟ ولماذا سميت المنطقة التي يشغلونها بالامبراطورية الكيميرية ؟!وكيف اختلط هذان الإسمان في اساطير وتواريخ اليونان عند الكلام عن هذه الساحة في وقت واحد؟! هذا ما لانعرفه ، ولكن اسم المه ؤت الذي عاش في تلك المنطقة علماً على شعب واسع الانتشار قد عاش حتى القرن الثالث الميلادي ، لا شك ينبىء عن بنية قوية لشعب عظيم ، كان قبل قدوم الاسكيت ،وظل محافظاً على كيانه بعدهم .

واسم مه ؤت لا يزال يعيش إلى اليوم عند الجراكسة عنواناً لبعض الأسر ويطلق اسماً خاصاً لبعض الأشخاص.

وعلى الأغلب ، كان هذا الاسم ، في ذلك المحيط ، يرمز إلى زمرة إما بكثرة عددها وقوتها وإما بحضارة متميزة ؛ مثلاً كالبروسيين في ألمانيا ، والغول في فرانسا ، والغال في انكلترا والانكلوساكسون في الولايات المتحدة.

وعلى ذلك فالمه ؤت يكون المنابع الأصلية لكثير من القبائل الجركسية في القفقاس .

قبائل وعشائر المه ؤت : وردت في الوثائق اليونانية اسماء خمسة وعشرين قبيلة تابعة

١ - السند = سنت
٢ - داندار = تيندار
٣ - التوره ت = توربه س / بسه س
٤ - تحاته س
٥ - اسبورغبانس
٦ - دوسك
٧ - كونابسه نس
٨ - آنت = آند
٩ - سره بي
١٠ - فيكوره
١١ - أوبي دياكنس = بسيتاكن
١٢ - تيرام بس
١٣ - حالى = خه لي
١٤ - فتحور فاغه
١٥ - بساني
١٦ - سجيزي
١٧ - خانيده
١٨ - خوانتس
١٩ - تروخنس
٢٠ - آبريناتاي
٢١ - آساي
٢٢ - بساكه
٢٣ - سيت = تاسين (من تاريخ القفقاس صفحة ١٤٥) .
٢٤ - نوخجه ماتيان
٢٥ - غه لاري

لجامعة المه ؤت نذكر منها:

هذا بالنسبة لحدود المه ؤت وقوميتهم ، أما بالنسبة لوضعهم السياسي ؛ فإن دولة البوسفور كانت متداخلة تماماً في منطقة الماؤت ، وكان الإغريق على اتصال مباشر معهم ويتبين من وثائق دولة البوسفور انها كانت اتحادية فدراليه ، لأن القاب ملوكها كانت تحوي اسماء العناصر التي تكون الدولة ؛ ثم أن بعضاً من ملوكها يحملون كنية [آسبورغورس] وهي عشيرة من الماؤت.

وعلى ذلك فدولة البوسفور استحالت من كونها مستعمرات يونانية إلى دولة قفقاسية كما استحالت روما الشرقية إلى دولة بيزنطة ؛ والمفهوم أن نشاط الإغريق ظل في الأخير منحصراً في المرافىء التجارية والأعمال المدنية.

والمعلوم أن دولة البوسفور كانت موحدة بعد عام /١١٥/ قبل الميلاد تحت حكم متريداد الكبير حاكم مقاطعة بونت الذي استولى على القفقاس وطرد منها الاسكيت نهائياً بمعاونة القفقاسيين خاصة [الساورومات] ، ولقد دامت تلك الوحدة حتى القرن الثالث بعد الميلاد أي حتى هجرة القوط إلى شمال البحـــر الأســود وقضائهم على دولة البوسفـــور وتشكيل دولة [تيودوزي] أما عن الإسكيت ، فالمفهوم انهم بعد ذلك كانوا بكثافتهم في شمال بحر آزاق والبحر الأسود ولم يعودوا يشكلون قوة خطرة ، أو حاكماً قاهراً في القفقاس .

لم تكن جميع قبائل المه ؤت داخلة في نطاق نفـوذ دولة البوسفور، لذلك سنقسمها إلى كتلتين ؛ أولاها الكتلة الخاضعة لنفوذ دولة البوسفور ، والثانية الكتلة الخارجة عن نطاق هذا النفوذ.

الكتلة الأولى: قبائل الماؤت الداخلة في منطقة نفوذ دولة البوسفور.

١ ـ عشيرة السند : اسمها داخل في اللقب الملكي الذي ذكرناه.

ويختلف المؤرخون في تحديد حدود مواطن هذه القبيلة ، وفيما إذا كانت داخلة في جامعة المه ؤت ، أم أن لها كياناً مستقلاً ، والمفهوم من ألقاب الملوك الكيمريين أنها كانت عنصراً مستقلاً في الإتحاد الكيمري، ومن المحتمل بقاؤها كذلك في دور المه ؤت.

واسم هذه القبيلة لا تزال علماً على بعض المواقع في القفقاس ولعل ذلك يعطينا فكرة عن مواطنها القديمة:

آ ـ إن قبيلة أوبوخ = جيخ = زيك ، تطلق اسم [شنجى شاوه= أبناء شنجي] على قبيلة الآبزاخ حالياً ، والآبزاخ على حدود الجيخ الشمالية والشرقية.

ب ـ في منطقـــة القبارطاي توجد خرابة اسمها [سانت] كما توجد في هذه القبيلة عائلة [سيت] لحد هذا اليوم ، قد تكون محرفة عن [سنت] .

جـ ـ في منطقة البظدوغ الحالية بجوار كراسنودار يوجد موقع يسمى [شنجي] .

د ـ في منطقة الشابسوغ وبقرب ميناء أنابا توجد خرابة [شنجر].

وهذه المحلات من صميم مواطن الآديكة حالياً ، ونرى أنها تحمل اسم قبيلة [سند] بتحريفات بسيطة اقتضتها اللهجات والزمان مثل [جان سيت] و [جان سه ت].

وقد ورد في التواريخ أن عاصمة أو مركز السند هو بلدة [سنديكا] على ساحل البحر الأسود بالقرب من ميناء أنابا، ويحتمل كثيراً أن خرابة [شنجر] هي آثار سنديكا التاريخية . وعلى هذا نستطيع تحديد موطن هذه القبيلة بالساحة التي تبدأ من ساحل البحر الأسود اعتباراً من نهر بشات في الجنوب وإلى الشرق حوض القوبان ومنطقة القباردا أما امتداداتها إلى الشمال فلا يمكننا تحديدها.

والمفهـــوم أن هذه القبيلة كانت كثيرة النفوس واسعة الحدود وتتمتع بمدنية راقية خاصة بها ، وانها كانت غالباً تعيش مستقلة ولها ملوك ورؤساء.

ويتحدث اليونانيون أن السند كانوا يشتركون في ألعاب الألمبياد . وأنهم على الإغلب كانوا يحرزون الدرجات الأولى ، وهذا يدل على اندماجهم باليونان وتأثرهم بهم ، ومع ذلك فقد كانوا يحافظون على طابعهم الخاص.

وقد نجد اسم السند داخلاً في أساطير النارت عمالقة الجراكسة.

ولعل هيرودوت كان يقصد هؤلاء السند عندما تكلم عن السيت الذين لهم حضارة راقية ويرسلون المعلمين والمربين إلى ملوك ايران.

٢ ـ عشيرة الداندار = تيندار = داو دار:

جاء في تواريخ اليونان أن [لوسون الأول] ملك دولة البوسفور كان يلقب [ملك السند] والتوره ت ، والبسه س ماؤت ، والداندار]

على أن مؤرخين أخر يقولون بأن الداندار كانوا مستقلين ، حتى أن المؤرخ [بلوتارك] يبحث عن ملك لهذه القبيلة اسمه [داندار يوس] وعاصمتهم بلدة [تسوز] ومعناها باللغة الجركسية [السوداء] أي البلدة السوداء ؛ والظاهر أن هؤلاء المؤرخين يتناولون أوضاع هذه القبيلة وغيرها في أوقات مختلفة هي صحيحة بالنسبة لأزمانهم ، لذلك فهم يختلفون في تعيين درجة ارتباطها بجامعة المه ؤت.

يشاهد في التاريخ وجود قسم من الداندار في الشاطىء الشرقي لمضيق كرتش [تامان] أما الأكثرية فكانت تعيش مقابل هؤلاء على الساحل الشرقي لشبه جزيرة القرم ؛ وإن الأسماء التي لا تزال تعيش حتى اليوم ، تدل على انتشار هذه القبيلة الكبيرة على الساحل الشمالي والغربي للبحر الأسود وانزلاقهم حتى داكيا وتراقيا ومنطقة بحر ايجه؛ وقد ساهمت في الوقائع التاريخية ببلاد اليونان حتى اطلق عليهم أليونانيون لقب [الداندار ذو الوطن الفسيح] .

وفي حوالي عام [١٠٠] ق.م تعرض الداندار للضربة القاضية من قبل متريداد ، فإنسحبوا من عاصمتهم تسوزا حتى مسافة ثلاثة أيام من نهر الدون ؛ ولما مات متريداد وخلفه ابنه فارناكو توجه نحو مصب نهر القوبان وقد صمم على إغراق المنطقة بالمياه ، ولكن الداندار كانوا قد دخلوا في حماية [بومبي] الروماني قاهر متريداد وبذلك تخلصوا من انتقام ابنه فارناكو ؛ وظل الداندار ضعفاء حتى اكتسحهم طوفان القوط وضاع اسمهم من سجلات التاريخ .

٣ ـ عشيرة التوره ت :

يختلف المؤرخون بشأن هذه القبيلة في نقطتين :

آ ـ هل التورت من بقايا قبيلة[تور] الكيمرية ؟؛ أم هي قبيلة قفقاسية أخرى ؟!

ب ـ هل كانوا يعيشون مستقلين ؟ أم تابعين لجامعة المه ؤت؟.

والمعلوم أن اسم شبه جزيرة القرم في ذلك العهد هو [توريده= طوريك] ولا شك أن هذا الاسم مشتق من اسم القبيلة الكيمرية [توره س] التي كانت تسكنها ، كما مر معنا في بحث الكيمريين الصفحة ٧٧ من هذا الكتاب.

ووارد في التواريخ أن [التوره ت] مكونة من عدة عشائر ذكر منها عشيرتان:

آ ـ عشيرة اسمها توربه تس = تاربه تس = تاربيت

ب ـ عشيرة اسمها بسه س = بسه سيو = بسه سوا

ورغم أن موطن هاتين العشيرتين في شبه جزيرة [تامان] إلا أن بعض المؤرخين يصرون على أنهما ذوات كيان مستقل تابع لجامعة المه ؤت.

٤ ـ عشيرة تحاته س:

قبيلة كبيرة العدد من حيث النفوس ، وقديماً لقب بعض ملوك الكيمريين كما يلي :

[ملك السند والمه ؤت وتحاته والدوسك] ونفس هذا اللقب حملة بعض ملوك دولة البوسفور بدون أي تحريف أو زيادة.

وقد قضت هذه القبيلة حقبة من حياتها في شبه جزيرة تامان.

٥ ـ عشيرة آسبورغيانس :

لقد ظهر من هذه القبيلة من تولوا الحكم في دولة البوسفور .

٦ ـــ عشيرة دوسك = دوكه س = دوسكه س

والمظنون أن هذه القبيلة هي قبيلة [توشى] الكرجية

٧ ــ عشيرة كونابسه نس = غه نابسا = غونابسو = غينيسي

ملاحظة : لقد غفل المؤلف الجنرال اسماعيل برقوق عن ذكر [الآنت] في كتابه إلا بالتلميح العابر في بحث الكيمريين ، ولعل ذلك حدث سهواً ، لذلك أخذت بحث الآنت من كتاب [تاريخ القفقاس] لمؤلفه مت عزت باشا، وأضيف الآنت إلى قبائل جامعة المه ؤت بحكم المكان والزمان.

٨ ـ عشيرة آنت = آند :

بحث سترابون في العصر الأول للميلاد عن منشأ الآنت وتاريخهم ، وسمي فرع نهر قوبان الذي يصب في بحر آزوف [انتي كيتيس] وهو في شبه جزيرة تامان [1] نسبة إلى الآنت .

وإذا رجعنا إلى دائرة المعارف الفرنسية في القرن التاسع عشر ، نجد فيه عند البحث عن قفقاسيا ،أن اليونانيين كانوا يطلقون قديماً على الجراكسة اسم [آنت] .

أما سترابون فيسمي الجراكسة [جيكس = جيكت] وأدريان يسميهم [تسوخي] وبلين يسميهم [سرست = كركس] كما يسمي قبيلة أخرى [سيراكس] كانت تسكن شمال الكركس [وهي من قبائل السارمات التي تشركست] .

وقد ورد في الخريطة التي رسمها [لاب] اعتماداً على خرط بطليموس وبلين التي ظهرت من قبل اسم [أنتيخه] في المنطقة الكائنة عند اتصال فرع نهر لابا بنهر القوبان في الداخل .

كما أن مؤلف [دربند نامه] يسمى سكان المناطق الممتدة من نهر تره ك إلى سواحل البحر الأسود غرباً ، أي منطقة الآديكة ، يسميها [جولي آنت] .

وقد جاء في كتاب [السلالة السلافية] المطبوع بباريس عام ١٩١١م ما ذكره المؤرخ المشهور برقوب بول المتوفي عام ٥٦٥م ؛ من أن أمم الآنت كانت محاطة مواطنهم التي هي جهات شمال البحر الأسود ونواحي الدانوب ؛ بأقوام سلافية يختلفون عنهم عرقاً وجنساً ؛ وأن الآنت أمة قائمة بذاتها ويتصلون سلالة بالقبائل القفقاسية ويمتون بصلة إلى قدماء الجراكسة.

فإنتشار الآنت هذا حتى الدانوب إنما ينطبق على الكيمريين والماؤت وقبيلة السند ؛ وكلها

---

(١) ملاحظة : يبدو أن الآنت غلب اسمهم في شبه جزيرة تامان في الوقت الذي يتحدث فيه عنهم سترابون أي بعد ما يقارب ستة قرون من تواريخ هيرودوت والمعلومات التي ذكرناها آنفاً ، فلقد تكاثرت اسماء قبائل هذا الموقع ولقد مر معنا أن عاصمة الكيمريين كانت في مضيق كرتش ، إما على الشاطىء الغربي على ساحل القرم ، وأما على الشاطىء الشرقي في شبه جزيرة تامان من ساحل القفقاس

وهذه الشبه جزيرة هي في منطقة المه ؤت التي هي شعبة من الكيمريين ، كما أنها بالقرب من عاصمة السند (شنجيـــر) وأنها مقر عشيرتي الداندار وكذلك عشيرتي توربه س وبـــه س ، والأن هي موطن الآنت . وهذه الشبه جزيرة ليست بالرقعة الواسعة وتواريخ هذه القبائل جميعها متقاربة في الزمن وذكرها جميعاً هيرودت!؟

في أزمان متقاربة ، أو على الأصح في زمن واحد؟!...

أما بالنسبة للقفقاس فعلاقتهم بها وكونهم قفقاسيين ، والآديكة منهم فثابتة ومنها:

على الضفة اليمنى من نهر [بودقوموق] جبلان يرتبطان بجسر حجري طبيعي كبير ويحيط أعلى الجبل الأول حاجز صخري كأنه جدار اصطناعي عظيم ، وتوجد هناك آثار أبنية قديمة ؛ والجراكسة يذكرون أنه كانت هناك مدينة اسمها [برغوسانت] وتفيد معنى [مجمع] الكثير من الآنت] .

وفي أشعارهم القومية وأمثالهم يرد اسم آنت كثيراً مثلاً [الآنت الذي لا يعرف الكلل ولا الملل] وكذلك [انتي نقوه بشظ] ومعناها [ابن اميرآنتي] و[آنتيغ شاوه] ومعناه [شاب آنتي و [آنتيغ شو] ومعناها [فارس آنتي] وغيرها .

وقام بولص دياكونس في القرن الأول للميلاد بسياحة في الأقطار الشمالية ، فوجد أثناء تجواله أمة [آنت] على ضفاف نهر الدنيبر.

وعـــرف [بروكوبيوس] في القرن السادس للميـــلاد أمة الآنت، وقال في كتابه المسمى [الحرب الغوتية] في الفصل الرابع من الجزء الثالث منه "شعوب الآنت الجسيمة لها ممتلكات أخرى تتسع وتمتد نحو الشمال" وقال أيضاً أن الآنت كان يجاورهم في الغرب شعوب الأسلاو [الصقلب] الذين كانوا يقطنون بالقرب من نهر الدانوب ويشغلون ضفاف الدانوب الشمالية المظلمة .

ويذكر المؤرخ الروسي كرامزين أنه لما غلب الغوت على امرهم أمام الهون وخضعوا لهم استرد الآنت حريتهم ، ولكنهم صاروا خاضعين لسلطة [آتيلا] ملك الهون نفسه ، وقد خدم الكثير منهم في معيته واشتركوا في حروبه .(١)

وقد ورد في التاريخ أن [فيتينار] خليفة هرمانريك ملك القوط الذي كان خاضعاً لسلطة الهون ويدفع لهم الجزية ، جرد جيشاً واحتل بلاد الأنت القاطنين في السواحل الشمالية للبحر الأسود وقتل ملكهم [باقسو] مع سبعين من أمجاد [بويار - بالروسية أمراء] قومه بوحشية لا مثيل لها ؛ غير أن [بالأمبار] أمير الهون اسرع إلى نجدة الآنت وأنقذهم من ظلم القوط ورفع عنهم نير العبودية نهائياً (٢)

والمؤرخ القوطي [جورناندس] الذي عاش في القرن السادس للميلاد ، يذهب إلى أن الآنت من السلاف ، إذ يقول عنهم "إن هؤلاء القوم رغم تعدد شعوبهم وإنقسامهم إلى فروع مختلفة فإنهم ينتسبون إلى جنس ومنشأ واحد وأما شعوبهم فهي [فنتي ، سلاف ، آنت].

---

(١) راجع الهجرات الطورانية الأولى بحث ــ آتيلا ــ الصفحات ١٦٣ ــ ١٦٦

(٢) راجع بحث ـ القوط والجركس ـ صفحة ١٥٧ ـ ١٥٨ .

على أن المؤرخ [برقوب بول] المتوفي سنة [٥٦٥] ميلادية ، وهو أول من كتب عن أمة الآنت يقـول :إن سواحل البحر الأسود الشمالية والجهات الداخلية كانت مكتظة بقبائل الآنت ، وكان السلافيون يحيطون بهم من جهات الشمال والغرب ، بالقرب من نهر الدانوب ومنابعه.

وقد ورد في كتاب السلالة السلافية:

إن المعلومات الخاصة بالروسيين قبل الميلاد ، وفي العصور الأولى بعد الميلاد ، تكاد تكون معدومـة ، ولا يعـلم منها إلا بعض نقـاط لا تشفي غليلاً ، وإذا بحثنا النزر اليسير الذي كتبه [بطليموس] من عند ياته فإننا نتحير في أيها نختار ، ونظل مترددين من غير أن نلمس حقيقة يصح الوقوف عندها.

واننا نـلاحظ أن القبائل الروسية القاطنة بين نهر الدون ونهر الدانوب في القرن الرابع للميلاد أطلـق عليها اسم آنت ، ولكن هذا الاسم ما لبث أن توارى ، ولم نعد نسمع به مطلقاً . ومؤرخو العرب لم يكتبوا عن الروسيين شيئاً مذكوراً ، ولقد ذكر ابن بطوطة انه في اثناء سفره من ساراي إلى القسطنطينية برفقة زوجة الخان وابنة ملك بيزنطة ذكر أنه مر بقوم يقال لهم الروس حمر الشعور وهيئة مزرية .

ثم يذكر مؤلف [السلالة السلافية] أنه عند تصفحة [مخطوط كييف] لم يعثر فيه أصلاً على اسم [آنت] بين الأسماء العديدة لقبائل الروس ، ومخطوط كييف هذا هو أول ما كتب عن القبائل الروسية وخط باليد في كتاب لأول مرة فقط ، وذلك في القرن الثاني عشر للميلاد بمدينة كييف ، وهو محفوظ بها .

ولا يغربن عن البال أن الروسيين لم يتعلموا القراءة والكتابة إلا في القرن العاشر للميلاد .

فهذه المعلومات التاريخية التي أوردناها عن شعب آنت تدل بقوة على أن هذا الاسم قد اطلق في زمن ما على سكان القفقاس الشمالية وفروعها ، وذلك دليل على أنه يمثل الجراكسة في ذلك العهد ؛ ولعلهم كانوا من احدى الفروع الكبرى للأمة الكيمرية العظيمة ؛ تعاورتها الأحداث وبدلت اسماءها الظروف والأزمان والمكان ، فظهر في كل زمن اسم شعبة من شعبها القوية الكبيرة واتخذ علماً للدلالة على جميع شعب الكيركاسن الذي هو أصل الكل ، كما يلاحظ ذلك في أسماء كاس - كيمري - ماؤت - سند - داندار - توره ت - سره بي - آنت .

الكتلة الثانية ـ قبائل المه ؤت الخارجة عن نفوذ دولة البوسفور :

لعدم وجود معلومات مفصلة عنهم فإننا سنسردهم بإقتضاب .

٩ - سره بي = سرني : أشغل هذا الاسم بال المؤرخين الجدد لأن لهذه القبيلة أقساماً مختلفة كما يعتقد المؤرخون كانت تعيش في مناطق متباعدة مثلاً :

آ - ساردات : بجوار مضيق البوسفور

ب ـ ساردي : في شبه جزيرة القرم
جـ ـ بعض أقسام منسوبة للسره بي كانت تعيش داخل القفقاس شرق قبيلة الكركت .
د ـ وهناك من يعتبر هذه القبيلة من قبيلة [سيراه = سري = سراسي] التي كانت تعيش في شرق بحر آزاق وتشغل في القفقاس موقع [يه يسك] حتى جنوب نهر القوبان ولم يكونوا تابعين لدولة الكيمريين ، بل كانوا مستقلين ولهم ملوك .
هـ ـ قبيلة [سه ري] كانت تعيش في كولخيديا من كرجستان حوض نهر [ريون] وعلى ذلك فهذه القبيلة رغم كثرة تفرعاتها فقد كان مركز ثقلها في شرق بحر آزاق.
١٠ ـ فيكوره :قبيلة هامة كانت تعيش في جوار قبيلتي [تحات] و [سيرح] في القفقاس ، كما يصادف هذا الاسم في البلقان وأسبانيا ،ويذهب بعض العلماء إلى أن قبيلة [فيقار] التي تعيش في الهند ما هي إلا من قبائل القفقاس هذه .
ونلفت النظر إلى أنه من المفيد والمهم في هذا المجال دراسة قبيلة فيقار الهندية المذكورة وكذلك قبيلة [بور شوق] التي تعيش شرق بحر الخزر.
١١ ـ أوبي مياكنس = أوبي نياكنس = سيتاكن = بسيتاكن : يخمن المؤرخون أن قبيلة أوبي هذه كانت تسكن في حوض نهر [أوبين] من روافد القوبان .
١٢ ـ تيرام بس : كانت تعيش بين مصب نهر القوبان ونهر [تيمروق] وهذا يدل على أنها كانت داخل نفوذ دولة البوسفور ، وتوجد معلومات تدل على أنها كانت قديماً تسكن شمال بحر آزاق . وتوجد الآن أسرة [تيرام] الجركسية.
١٣ ـ حالى = خه لي : حكم المؤرخون بأن هذه القبيلة هي بقية قبيلة [خه لي] التي كانت من الكيمريين . ويختلف في موضوع تبعيتها لدولة البوسفور.
١٤ ـ فتحور فاغه : يصادف أسماء ملوكها الأقدمين في الشمال بجوار نهر الغولغا كما يشاهد ورود اسمها في كولخيديا .
١٥ ـ بساني = بساكا ـ : يشاهد اسمها في شمال (سارماتيا) أي شمال الحدود القفقاسية ورغم ذلك فالعلماء متفقون على أنها من قبائل الآديكه الجركسيه .
وفيما يلي اسماء بعض العشائر التي كانت تعيش خارج حدود قفقاسيا المذكورة وغير معلوم فيما إذا كانت تابعة لجامعة الله وُت تأكيداً أم لا . وهي :

١٦ ـ سجيزى
١٧ ـ خانيده
١٨ ـ خوانتس
١٩ ـ تروخنس
٢٠ ـ آبريناتاي
٢١ ـ آساي
٢٢ ـ بساكه
٢٣ ـ سيت = تاسين
٢٤ ـ نوخجه ماتيان (قفقاسيا في التاريخ).
٢٥ . غه لاري.

وبهذا ننتهي من دراسة القبيلة الأولى فقط من قبائل [كتلة قفقاسيا الغربية] الأثنتي عشر وهي قبيلة الماؤت ذات الخمسة وعشرين عشيرة.

ثانياً : كه ركت = جرجت = سرست : كانت عاصمتهم بلدة [بتا Beta] بجوار مصب نهر بشات على ساحل البحر الأسود ، كما أنه كانت توجد أيضاً في كولخيديا عشيرة بإسم كركت ، كما كانت توجد أيضاً عشيرة كركت في الأناضول جنوبي طرابزون ؛ حتى أنه في القرن الأول الميلادي كانت تعيش في جنوب طرابزون قبيلة [آبابيت] ومعناها باللغة الجركسية المتقدم أو السائر أمامهم ، وهي بقايا الكركت هناك . ولنلاحظ إنتهاء الاسم بالتاء الساكنة كما كنا اشرنا . وكانت قبيلة الكركت تتصل بصلة الرحم والقرابة بالماؤت بواسطة السند والتورت ؛ وكان الكركتيون ملاحين مهرة ، وقد هاجر قسم كبير منهم إلى بيزنطة وفي قبيلة [عشيرة الجراكسة] التي تعيش في بلاد طرابلس الغرب من الشمال الإفريقي توجد إلى اليوم عائلة كركت.

ثالثاً : آخين = آخاينس : كان الآخيون يعيشون جنوب الكركت على امتداد الساحل القفقاسي على البحر الأسود نحو طؤابسى الحالية.

ويدعي بعض المؤرخين أن هذه القبيلة يونانية الأصل فإما أنهم من الذين حاربوا في طروادة دفعتهم أسباب غير معلومةللإستيطان هنا ، وإما أنهم من بقايا حملة الأرغونوت.

ولقد كنا لدى البحث عن اليونانيين قد تعرضنا لدراسة قبيلة آخين هذه وكنا ذكرنا أنه من المحتمل أن تكون هذه القبيلة قد جاءت من اليونان كعودة منهم إلى الوطن الأصلي.

وقد ورد أيضاً اسم قبيلة [آكين] بين عشائر قبيلة قوش التي هاجرت إلى مصر وذكر هيرودوت واسترابون قبيلة [آخه] بين قدماء الجراكسة ، ثم أن قبيلة [آشه] دخلت إلى اليونان من آسيا الصغرى ثم هاجرت إلى مصر. وكنا قد اشرنا أن اسم [آخين] يحتل مكاناًقدسياً عند الجراكسة لحد اليوم وفي إحدى صفحات هذا الكتاب معلومات عن بقرة آخين السائبة وعبادة الجراكسة نقلاً عن تاريخ جودت باشا .

رابعاً ـ جيخ = زيك = زيخ : إلى اليوم تسمي قبيلة [أبوخ] نفسها بإسم [جيخ] ، وهي تعيش بجوار طؤابسى ، ومن المحتمل أن التحريف في تلفظ الإسم حاصل من اللفظ اليوناني ؛ وحسبما كتب مؤرخواليونان فإن الزيك يعيشون جنوب الآخين . وفي القرن الأول قبل الميلاد تقريباً رحلت من منطقة القوبان إلى موقعها الحالي على ساحل البحر الأسودبين طؤابسي وصوجي .

وهذه القبيلة معروفة عند جميع الجراكسة بإسم [أوبوخ] وتأويل معنى هذا الإسم باللغة

الجركسية [الأوبيون] وقدتؤول بمعنى [أسفل الأوب] أو [أوب السفلى] وكلمة [أوبى] معناها تعني صفة الفم الصغير والرقبة السمينة ذات الـ [غبقوب] وهي عندهم من صفات الجمال، فلعل قبيلة أوبي التي يذكرها المؤرخون هم من هؤلاء ؛ كما أن عشيرة بإسم [أوبي] تعيش الآن بين منطقتي الداغستان والقبرطاي ولغتهم تخالف لغات الداغستانيين.

ويجتهد البعض أن كلمة زيخ محرفة عن [تسوخ] أي الانسان باللغة الجركسية وقد مر معنا أن قبيلة [تسوخى] من القبائل الحاثية ، وكان اليونان يسمون بلاد الجراكسة فيما سموها [تسوخيا - أوجيخيا] ،ومؤرخو الكرج أسموهم[جيخ] وأطلقوا اسم جيكت على بلادهم ؛ ويقول المؤرخ مورغان إن قبائل السندي والجيكس هم بلا شك أجداد الجراكسة.

خامساً ـ حانوخ: كانت مستوطنة جنوب الجيخ ، وكانت وافرة العدد ومحاربة وتمتد إلى الداخل على السلسلة الجبلية حتى مضيق داريال ، وكانت لهم بعض المستعمرات في الأناضول .

ويدعى اليونانيون أن الحانوخ من اليونان ولكنه إدعاء ضعيف ؛ فإن كلمة حانوخ دارجة الإستعمال عند الجراكسة لحد الآن ، ومعناها الصريح [الكلب ذو العيون الواسعة] ويلقبون بها الأولاد والبنات إلى اليوم.

وكان الحانوخ يغزون بحـــراً السواحل الغربية للبحر الأسود ، وقد تعرض مراراً شاعر روما [آويد] لذكر سطوة الحانوخ في البحر الأسود.

وللحانوخ والآخين شهرة واسعة في الفروسية ، وحيث أن القبائل البحرية لا تعني كثيراً بالفروسية ،فمن المحتمل أنها انتقلت من حوض نهر القوبان حيث كانت الفروسية من أبرز صفات سكانها.

ولقد تصادف ورود أسماء بعض العشائر المنسوبة للحانوخ في كولخيديا وأرمينيا وحتى في ميديا الفارسية.

سادساً ـ سانوخ = سانيغ : كانت تسكن جنوب الحانوخ ، وقد عاش هذا الاسم في المنقولات التاريخية حتى القــرن الثاني عشر للميلاد ، وإلى اليوم توجد مواقع وعائلات بإسم [زانه = جانه] ، ففي جنوب آنابا موقع [جانيت] التي جرت فيها موقعه دموية عام ١٨٤٠م.

ويلفظ ويكتب هذا الإسم بأشكال [سانيك ـ ساني ـ سانوخ] ولا تزال قبيلة القبارطاي تستعمل تعبير [مشروب السانوخ] ؛ وقد ورد هذا الإسم كثيراً في جنوب القفقاس وفي خارجها . فمثلاً ؛ ورد وجود قبيلة بهذا الإسم في جوار طرابزون عام / ٤٠٠/ قبل الميلاد فيما كتبه المؤرخ [خنوفون] ، كما ذكر ذلك المؤرخ سترابون فيما بعد ، وهؤلاء السانيغ الذين كانــوا بجــوار طــرابزون كانــوا يسمون أنفسهم [ماكرون] وهذا يشير إلى علاقتهم

ببلدة [ماكرو] في دولة البوسفور القفقاسية ، وقد صودف ذكر قبيلة السانيغ بجوار بحيرة وان في تركيا
وبعض اليونان يكتبون هذا الإسم [زانيخ] مما يدل على أنها أوائل عشيرة [زانه] الجركسية الموجودة لحد اليوم متفرقة بين الآبزاخ وبين الأبخار وغيرهم.

سابعاً ـ باسك = آباسك : إن كلمة آباسك لفظ مغلوط لأن حرف آ أداة تعريف والإسم الأولي هو [باسك] . وهذا الإسم موجود إلى الآن في القفقاس بشكل [باسخيغ] إحدى عشائر الأبازه ؛ ومن المحتمل إن اسم [آبخاز = أباظة] المستعمل اليوم مشتق من [باسك] .
ومن الإحتمال القريب من الحقيقة الأكيدة إن قوم الباسك الذين يعيشون في جبال البيره نه بين فرانسا وأسبانيا هم من نفس هذه القبيلة.
والآبخاز الباسك يعيشون إلى اليوم في موطنهم على ساحل البحر الأسود القفقاسي ويشغلون حوض نهر [اينغور] حتى منطقة كولخيديا ؛ وعشيرة [آبسيل = بسيل] تعيش في القسم الجنوبي من هذه المنطقة . لدى تدقيق المناطق التي اشغلها الجراكسة قبل وبعد القرن الميلاد يتبين لنا أن القسم الشمالي منهم يشكلون قبائل الماؤت الذين انتشروا شمالاً وغرباً ، أما القسم الجنوبي منهم وهم السانوخ والباسك فقد انتشروا إلى الجنوب حتى الأناضول .
وهذا يدل على أن الهجرات من القفقاس إلى الخارج والتي ابتدأت من قبل [٣٠٠٠]سنة قبل الميلاد قد ظلت متوالية على فترات بسبب ازدياد السكان أو لأسباب قاهرة.

ب ـ كتلة قفقاسيا الوسطى والشرقية

ثامناً ـ نوخجي = جاجان : يجمع المؤرخون على أن الجاجان من قبائل جامعة الماه وُت ، فقد ورد أن قبيلتا [نوخجه ماتيان ـ و ـ غه لاري] التي كانت تعيش في شرق بحر آزاق من الماؤت ، وكذلك أيضاً قبيلة [دوسق]
ومن المعلوم تاريخياً أن عشائر الماؤت التي كانت موجودة في مصاب الدون وشاطىء بحرآزاق قد ظلت ردحاً من الزمن محكومة من قبل [السارمات] وهذه الحالة تدل على أن السارمات من قبائل القفقاس ، وبعض المؤرخين يذهبون إلى أن الجاجان من هؤلاء السارمات.
والجاجـــان يسمـــون أنفسهم [ميجه غي] أو [كيست] ، واللزكي والقوموق يسمونهم [ميس جغام] والكرج يسمونهم [كست].
والذين درسوا أوضاع قبيلة الجاجان وجدوا عندهم أسماء [نوخجى . غالغاي . توسق] والحقيقة أن الجاجان قبائل عدة وهم يسمون أنفسهم نوخجى بلغتهم القومية وفرع ثامن وهم قبيلة [إينكوش] تسمى نفسها [غالغاي] وفرع ثالث يسمى نفسه [توش] و من أكبر

فروعهم الأينكوش . وعلى هذا فقبائل النوخجي انتقلت من ساحل بحر آزاق إلى الشرق الجنوبي وسكنت في منطقتها الحالية وانتشرت حتى سواحل بحر الخزر.

ومنطقة الجاجان الحالية تحد شمالاً وغرباً بمجرى نهر تره ك ووادي [قاجقالين] ومنطقة قبيلة القبرتاي، وجنوباً بجبل آندي وسلسلـــة القوقـــاز ، وشرقاً يفصلها عن الداغستان نهر [آق طاش] وإن نهـــر [سونجا] أحـــد روافد نهر تره ك يقسم منطقة الجاجان إلى قسمين - ١ - بلاد الججن الصغرى أو الجنوبية - ٢ - بلاد الججن الكبرى أو الشمالية . ومواطن الجاجان جبلية على الإغلب كثيفة الأدغال ، ووجود جزيرة بإسم [جزيرة الججن] عند مصب نهر تره ك في بحر الخزر يدل على أنهم كانوا قديماً يحتلون ذلك الموقع .

تاسعاً - الآوار = الأندلال : (البحث مأخوذ عن كتاب برقوق ص ١٨١ أو ١٨٢ ، وكتاب قادرجان ص ٢٥ - ٢٧).

مواطن قبيلة الآوار في الداغستان حالياً تبدأ شمالاً من [سيريورد] حتى [زاكاتالي] في الجنوب على امتداد / ١٦٠/ كيلو متراً ، وعرضها حذاء بلدة [هونزاق] حوالي / ٧٥ / كيلو متراً وهذه المنطقة تقسم بلاد الداغستان إلى قسمين .

وحسب تقدير المؤرخ [بدلر] فإن سكان قفقاسيا الشمالية أثناء الحرب الروسية كان يبلـغ / ٤ / مليون نسمة فيهم نصف مليون في الداغستان وإن من هؤلاء / ١٢٥ / ألف نفس من الآوار ، ولعلهم كانوا أقوى القبائل وأكثرها نفوساً ، ومنطقتهم جبلية أكثرها صخرية .

إن كلمة [آوار] تركية ، ومعناها البدو الرحل ، وهذا الاسم اطلقه عليهم القوموق الداغستانيون لأنهم كانوا يشبهون غاراتهم عليهم بغارات الآوار الطورانيين ، ثم أخذه الروس عنهم وثبتوا وعمموا استعماله لغايات استعمارية بقصد التفرقة بين القبائل القفقاسية ، وبمرور الزمن عم استعماله وصار علماً عليهم .

أما الآوار فلا يعرفون هذا الاسم ولا يتعرفون عليه ، ولقد كانوا يعتبرون أنفسهم من الجبليين القفقاسيين الأصلاء وهي في لغتهم [مارولال] بمعنى الجبليين، والآوار الشماليون كانوا يطلقون على الجنوبيين تسمية [بوغـــولال] بمعنى [الأهالي الفقراء] . واسمهم القومي [آندلال].

ويقول بعض مؤرخي الروس أن الآوار هؤلاء كانوا فيما مضى قد انتشروا من موطنهم هذا الى الشمال ، وانهم كانوا يعيشون آنذاك بدواً رحلاً في سهل القوموق ، ولكن هجرات العناصر الطورانية القوية ، أجبرتهم على الإلتجاء إلى الجبال.

والملحوظ بشكل واضح أن الروس يفتعلون إشاعة معلومات مدسوسة خاطئة بإسم التاريخ على القوميات والقبائل التي يتحكمون فيها خاصة القفقاسية منها ويعمدون إلى تحريف

اسمائها وتخريجها وتغييرها بقصد التفرقة بين العناصر الجركسية وايقاع الحزازات و الفتن القومية بينهم، وقد تبدت سياستهم هذه في كثير من معلوماتهم التي أشاعوها عن قبائل الداغستان والجاجان واللزكي والآستين وكذلك عن قبائل الآديكة والأبخاز والتي تنطوي على فكرة الدس والأنقسام بين هذه القبائل ، وهم يعمدون بشكل ملحوظ إلى تغيير الأسماء بأسماء جديدة روسية ففي القفقاس الشمالية لا تجد اليوم من الأسماء الجركسية للقبائل والمدن والقرى والأنهار والجبال إلا واحداً في المئة أو أقل من الأسماء القديمة الوطنية ؛ حتى القرى الصغيرة والغدران بدلوا اسماءها بأسماء روسية والمؤرخون الروس يقولون أن الآوار هؤلاء هم الذين انتشروا في العصر السادس حتى أواسط أوربا وكونوا امبراطورية كبيرة تمتد من شمال نهـر الدانوب وتشتمل بلاد المجر الحالية ، وقد حاصروا القسطنطينية وفرضوا الجزية على بيزنطة ، ثم غزوا ألمانيا واحتلوها ولكن جيوش شارلمان قضت عليهم ، فبقي قسم منهم في المجر وآخر في ترانسلفانيا ، والكثير منهم يجدون علاقات أنساب ما بين آوار التركستان المسمون [جيغيل] وبين آوار القفقاس.

ولكن المؤرخ [بدلر] لا يقبل بهذه الفكرة ويستدل على ذلك نتيجة لدراسته لغة الآوار القفقاسيين تختلف تماماً عن لغة آوار الأتراك التي تنتسب إلى اللغات الأورال الطائية [فين ـ ترك ـ مغول].

ويجزم أن مطالعة [كلابروت] بأنهم من أقرباء آوار المجر والهون إجتهاد خاطىء ، لأن لغتهم تجاري حروف وطابع اللغات القفقاسية الأصلية .

واللغات القفقاسية تتشابه جميعاً من حيث المخارج الصوتية ، فمثلاً يلاحظ استعمال الأحرف الصامتة ذات المخرج الواحد بلفظين متقاربين بل ثلاثة مثل ج dj ، ج ch والثالثة جئه ce كما في [جئه = ذنب] كذلك غ ، غ = g الجيم المصرية ، والثالثة غْ كما في [غْه = خصية و غْينى = بارود] كذلك ق ، ك k والثالثة كْk كما في [كؤه = إذهب] كذلك ب B، ب p والثالثة بئه'p كما في [بؤه = فراش] كذلك حh ، خx والثالثة خْ كما في [خْى = بحر] كذلك في س S ، تس TS وهي تحصـل من إدغـام الطـاء مع السين كمـا في [طسه'TS = قمل ،أو اسم،طسينة = مبلل] كذلك ز Z، ز والثالثة [دز DZ] وتحصل من إدغام الدال مع الزاي كما في دزه = دزى = إلق (فعل أمر) وهذه القاعدة تنطبق على بعض الحروف الصوتية أيضاً في جميع اللغات القفقاسية الأصلية ؛ وفي لغة الأندلال تبرز هذه القاعدة بشكل واضح وملحوظ.

وإن إسم [أندلال] دليل قوي وكاف جداً لإثبات منشأ هذه القبيلة ، فإن مقطع [لال] في لغتهم هو أداة نسبه فالإسم [آند ـ لال] يعني الأنديون = الآنتيون وقد سبق لنا الحديث عن الأنت وأنهم من أصول الجركس ، وأنهم كانوا في القوبان .فالأندلال هم الأنتيون الذين

انسحبوا إلى الجنوب الشرقي والتجأوا إلى تلك الجبال الوعرة فحافظوا على كيانهم ، وما هم إلا من قبائل الكاس الأصلية ، وإلى اليوم نجد في منطقة الآوار منطقة إدارية بإسم [آندي] وقرية اسمها [كيمري] تدل على نسبتهم إلى الكيمريين و الكاسيين.

ومع هذا فلا يمكن الإدعاء أن عناصر أخرى كالآرية والطورانية المغولية لم تندمج مع آوار القفقاس بل جميع سكان القفقاس ، فإما الآريون فسماتهم سمات العرق الأبيض مثل القفقاسيين فلا يظهر عليهم ذلك ، أما العرق الأصفر فذو تأثير ظاهر وغالب عند اختلاطه مع العرق الأبيض وهذا واضح في قبائل الجركس وخاصة في منطقة الداغستان وقبائل الآديكة التي كانت تعيش في السهول ؛ فأما ألبانيا القفقاسية فقد أصبحت تركية واندثرت قوميتها الأصلية وأضحت أذربيجان ؛ هذا ويلاحظ اختلاط العرق الأسود في بعض الأسر التي يكون بعض افرادها سمراً سماراً غامقاً وفي وجوهم سمات الزنج وهذا مستغرب [ربما كانوا من بقايا سلالة جنود رعمسيس الثاني]

وبالنسبة للآوار تبـــــدو هذه الظاهــرة واضحة بصورة خاصة في جوار [هونزاق] وكلمة [هونزاق] تعي كلمة [أرض الهون] وهذا يشير إلى آوار طوران لذلك فالإحتمال كبير في أن قسماً من الهون قطنوا في تلك المنطقة واندمجوا في الأهالي الأصليين لتلك المنظقة الداغستانية اندماجاً مؤثراً .

وكلمة داغستان تركية ومعناها بلاد الجبال أما الإسم القديم لهذه المنطقة فغير معروف وقد تنوسي بعد غزوات عناصر الأورال الطائية التركية.

عاشراً ـ لزكي : اللزكي عنصر قفقاسي يعيشون في مائلة الداغستان المتجهة نحو بحر الخزر ، ويتفق غالب المؤرخين على أنهم من العنصر القفقاسي القديم الأصل ولكن تختلف وجهات النظر في تحديد البقعة التي قدموا منها إلى موطنهم الحالي ، ويرجح قدومهم من الجنوب ، فقد ثبت لنا مايلي :

كان الألبيون يشغلون المنطقة الشرقية وحوض نهر [كر] من جنوب القفقاس ، أما المنطقة الغربية منها وحوض نهر ريون فكان يشغله قوم [إيبريا] ، وكان الألبانيون يشغلون الجهات الجنوبية من بحر الخزر ؛ كما أن الكاسين كانوا يشغلون المنطقة الغربية من الألبانيين ؛ ومما هو وارد في التواريخ أن الألبان والكاسين كانوا يتشكلون من قبائل عديدة ، وقد وردت اسماء بعضها .

ومقطع [بي] في آخر كلمة [كاسبي] ماهي إلا أداة جمع في اللغة الكرجية ،فالإسم كاسبي يعني الكاسيون ، وعلى ذلك فمن الطبيعي القول أن العناصر القاطنة غرب بحر الخزر ما هي إلا من عناصر الكاس.

ويلاحظ تناظراً غريباً بين النهاية الغربية للقفقاس حيث تجمعت قبائل الماؤت مما دعى لتسمية بحر آزاق قديما ببحر الم ؤت ؛ وبين النهاية الشرقية الجنوبية حيث تجمعت قبائل جامعة الكاس مما دعى إلى تسمية بحر الخزر قديماً ببحر الكاس ونجد في الخرائط الغربية وخاصة الفرنسية تسميته ببحر [الكاسيين] .

وإن البرهان الناصع على ذلك هو أن هيرودوت ، في القرن الخامس قبل الميلاد حين لم يكن في تلك المنطقة أي أثر لأقوام الأورال الطاي ؛ ذكر وجود قبيلة [جيلون] ببلاد الداغستان ، ووجدت أسماء [جيلي . ليجي] في مذكرات القائد الروماني [بومبي] الذي احتل الداغستان وأضاف انهما من أصل وسلالة واحدة وجاء بعدهم مؤرخو اللاتين وعرفوا قبيلة لجي بإسم [ليجي] ومن هذا كله يتضح منشأ اسمهم القومي [لزكي] التي هي من تلك الأسماء المحرفة حسب اللغات التي تنطقها ؛ والكـــرجيون ، وهم من أقـــدم سكان القفقاس (السوآن) ، يسمونهم [لكزي - لكسي - له خيس - لكهي] والمؤرخ بلوتارك أيضاً يتحدث عن هؤلاء .

والمؤرخ فريدريك موللر يقسم شعوب أوربا وآسيا إلى أربعة أصناف رئيسة والمؤرخان أوستار وسميرنوف يؤيدان هذا التقسيم ، والصنف الأول هم القفقاسيون وهذا يقسمونه إلى فروع تالية خمسة هي :

الفرع الأول (الطارىء) القارتوال وهم العناصر التالية : كرج ، خيوسور ، بشاو - توش - إيمرتي - مينغره ل - سوآن - غوري .

الفرع الثاني - الجركس : وعناصره - آديكة - وقبائلها هي [شابسوغ - ناتخواج - قبارتاي - أوبوخ - آبزاخ - بظدوغ - حاتقواي - جمكوي - براقي [وغيرها مما مر ذكر في بحث الآديكة] ثم الأبخاز أو الأباظا .

الفرع الثالث - أوست : وعناصره تاغاور - ديغور - كورتاي - آلاكير [ولغتهم هندية - إيرانية].

الفرع الرابع - الجاجان : وعناصره - ججن - إينكوش - غالغاي - كيست - قارا بولاق - وهذا الأخير يعني بالتركي بولاق الأسود .

الفرع الخامس - لزجي - وعناصره - قوبين - آغول - روتول - تاباساران - آرجين - غازي قوموق - دارغي - قوماجي - ديدو - آوار - آندي .

وبناء على هذه التقسيمات وحسب اجتهاد المؤرخ المذكور ، فإن هؤلاء جميعاً من قومية واحدة وشعب من سلالة واحدة .

أما النوغاي والقره شاي والقالموق والقرغز وعشائر صغيرة أخرى كثيرة فهم من العرق الأصفر الأورالي الطائي الطوراني من المغول والترك والتتار .

وعلى ذلك فقبيلة لزكي ما هي إلا من قبائل الكاس حيث أنه ثابت في التواريخ وجود قبيلة [لز . زيل zil،Liz] بين الكاسيين ، ولا شك أنها اسم لزكي .

هذا وإن وجود قرابة بين اللزكي والأندلال معترف به من الطرفين وذلك يدل على أن اللزكي رغم اختلاط عناصر تركية بهم فقد احتفظوا بلغتهم وطابعهم القفقاسي كما عند الآوار ـ الأندلال.

الحادي عشر ـ لاخ = لاق = غازي قوموق : تعيش هذه القبيلة في القسم الجنوبي والشرقي من الداغستان قريباً من بحر الخزر وجبالها قليلة تعد أفقر منطقه من حيث الطبيعة الجغرافية ؛ ولكنهم أكثر القبائل جداً وعملاً في الصناعات ، وهم بفضل بشاطهم يعيشون في هذه المنطقة المجدبة نسبياً بكل هناء ورفاه.

وليست لدينا معلومات قاطعة عن الجهة التي جاءت منها هذه القبيلة إلى موطنها هذا هل انحدروا من الشمال أم صعدوا من الجنوب.

ولكن المؤرخين الأرمن والكرج يعتقدون أن اللاخ من الجامعة الكيميرية . وعلى ذلك فهؤلاء أيضاً قد نزحوا إلى هذه المنطقة مع الأندلال ، والتقارب القومي بين اللاخ والأندلال يثبت هذا الإدعاء.

وقبيلة اللاخ هذه تسمت بعد الإسلام بإسم [غازي قوموق] لأنها أسلمت بدون حرب ؛ وهم غير قبيلة قوموق التركية الأصل التي تعيش في الداغستان مختلطة مع اللاخ ، كما أن هؤلاء هم غير القالموق الذين هم من أصل مغولي ، والقالموق يعيشون.بدواً في سهول شمال نهر قوما والقوبان .

وبعض شيوخ الجركس يقولون إلى اليوم [لاخستان] عن الداغستان.

وتنقسم منطقة الداغستان إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ القسم الشمالي ويتكون من مقاطعتي شامخال ومانوخه.

٢ ـ القسم الأوسط ويتكون من قبائل تاركين المتحدة وإمارة غازي قوموق وتاباساران وقارا قايتاق.

٣ ـ القسم الجنوبي ويتكون من إمارة قورين ومنطقة قوبين.

ويقول مؤرخو الروس أن قوم أودين ؟؟ هم فرع من قبائل قورين المعدودة من اللزكي ؛ وإن الذين يقطنون جهات نوحا ما هم إلا من بقايا الألبانيين القدماء ويقول مورغان أن بلاد الداغستان لا تزال تحتوي على بقايا من قبائل كابسي و ألبان وتاليش المعدودين من القبائل القفقاسية القديمة ، وكذلك فيها بقية من قبيلة جبلون القديمة .

وإذا راجعنا تاريخ الحثيين نجد أسماء قوموغ وقوموزين في الإتحاد الحاثي ، وقد كان لهم ممتلكات واسعة ولهم ملوك ، وقد حاربوا الآشوريين كثيراً، فلعل القوموغ هؤلاء هم من أوائل

لاخ الداغستان (غازي قوموق) وإن تطابق اسمهم القديم [قوموغ] مع قبيلة[قوموق] التركية واندماجهم مع بعض وتغلب هؤلاء عليهم بالكثرة والقوة أضاع اسمهم ونسبهم فطغى عليهم اسم قوموق الأتراك ، واختلطوا بهم لغة ونسلاً فتعرضت قوميتهم الأصلية للضياع.

الثاني عشر - كاس - آكا : أوفيناهم حقهم من البحث في صفحات سابقة.

هونزاق - كانت عاصمة الآوار في عهد الخانات الذين قضي عليهم الشيخ شامل الداغستاني .

★ ★ ★



نبيل شركسي وابنة أمير شركسي القرن ١٧

القبائل الآرية في القفقاس -

أو القبائل المنسوبة للعرق الهندوأوربي . (قفقاسيا في التاريخ)

ظهر نتيجة للحفريات الأثرية التي أجريت منذ عام ١٩٢٩ م في مواقع [مينوسين - باسيري] أن الأثار التي عثروا عليها آثار الآريين الأوربيين، وان هؤلاء قد انتقلوا إلى تلك الأقاليم من روسيا الجنوبية ،ووصلوا إلى الهند بكثافة كما مر معنا .

وإن بعض الآثار الآرية التي تشاهد متفرقة في بلاد الصين ما هي إلا مخلفات بعض العناصر الشاردة من هؤلاء ، ومن الواضح أن هؤلاء الآريين القدماء هم الذين نقلوا المدنية الغربية إلى أقصى الشرق الصين وبلاد المغول.

ومعلوم أنه منذ عهد ما قبل التاريخ انتشر العرق الأبيض إلى الشرق الأقصى الشمالي فأثر على الصفات العرقيـــة للأتراك والمغول المتحضرين حتى إلى منشوريا الشمالية واليابان ، وقبيلة [عينو] في جزيرة سخالين من العرق الأبيض .

وبالنظر للإجتهادات التاريخية الأخيرة ، فإنه علاوة على منطقة شرق بحر الحزر حتى كاشغر في أقصى التركستان ، فإن مناطق شمال جبال سيانسك غربي بحيرة بايقال ومناطق جبال آلطاي في الشرق ، كانت مأهولة بالجنس الهندوأوربي.

وعلى ذلك فإن حضارة آلطاي تشكل في أواسط أسيا محراق المدنية الغربية هناك والمفهوم أنه في هذه المدنية انتشرت الحضارة في الشرق الأقصى.

وعدا عن الأقوام الهندواوربية التي كانت تقيم في الوسط والغرب من قارة آسيا فقد كانت تتجول هناك قبائل بدوية رحالة تنتمي إلى العائلة الآرية الايرانية مثل الاسكيت والسارمات والآلان وسواهم ، فهؤلاء ينتسبون إلى الميديين ، والميديون الذين كانوا يشغلون الأقسام العليا من مرابع ايران ، ويجاورون ميزوبوتاميا وشعوب الكاس في جنوب القفقاس والأناضول ؛ استفادوا من المدنيات المجاورة لهم وأخذوا عنها وتطوروا حتى شكلوا أولاً دولة ميديا ثم امبراطورية ايران.

أما القبائل الجوالة الخارجة عن نطاق الحضارة فقد ظلوا على حياتهم البدوية ، إلا أنهم تأثروا نوعاً ما بحضارة [ألطاي] التي كانوا على اتصال بها.

واننا نشاهد مثل هذا أمثلة حية في زماننا هذا بالقبائل البدوية التي لا تزال تعيش على الفطرة لولا استعمالها لمصنوعات الحضارة الفارهة لعصرنا هذا .

وفي حكم المؤكد أن القبائل من شعوب الجنس الأصفر قد بدأت بإجلاء الآريين من تلك الأقطار حينما بدأت تزحف نحو تلك المناطق لأسباب لعل أهمها الجفاف في صحراء غوبي ،

فحدثت هجرة آرية من المناطق المذكورة إلى الغرب ظهرت آثارها في الغرب المتمدن منذ عام ١٥٠٠ قبل الميلاد بشكل موجات متقطعة ابتدأ بها الآريون الرحل من الجنوب ؛ وقد دامت هذه الهجرات حتى القرن الثالث الميلادي ، ومن بعدها وصلت زحوف هجرات الشعوب الصفراء إلى الشرق الأوسط وأوربا وتوالت حتى القرن الثالث عشر للميلاد.

وحسبما مرّ معنا من بحث حضارة الهند ، فإن الهجرات الآرية إلى الشرق وصلت واستقرت في شمال الهند في زمن بداية التاريخ ، وأنها بالمثل تماماً عادت فأوجدت موجات هجرات آرية من الهند إلى الغرب ، وهذا الأمر معلوم .

وبعض هذه الهجرات كانت عارمة كاسحة قوية سنذكر بعضها فيما يلي :

أولاً ـ الإسكيت :

ولقد تحدثنا عن غارتهم المدمرة على الشرق الأدنى والقفقاس في بحث خاص .

ـ ثانياً ـ السارمات = شارمات :

نظراً للمعلومات التي جهزتنا بها الأبحاث التاريخية ، فإن السارمات اجتازوا نهر الفولغا قادمين من الشرق في العصر الثالث قبل الميلاد واجتاحوا جنوب الروسيا وقضوا على نفوذ الاسكيت حتى أصبحوا عنصراً لا سلطة له ؛والسارمات كانوا بداية ذلك الطوفان البشري الذي اجتاح أوربا بكتلته المدمرة وتخريباته حتى القرون الوسطى.

إن كلمة سارماتيا تشمل جغرافياً منطقة واسعة تبدأ شرقاً من جبال أورال وبحر الخزر وتمتد غرباً حتى نهر الويستول وجبال الكاربات في أوربا . وهذه الساحة كانت مجال انتشار تحكم وامتداد نفوذ السارمات لفترة من الزمن.

وتقسم هذه الساحة إلى قسمين . القسم الشرقي من نهر الدون [سارمات آسيا] والقسم الغربي [سارمـــات أوربـــا] وهيـــرودوت يسمي هذين القسمين على التوالي [سارماته يْ] و [سوروما ته يْ] وهذا تعبير جركسي حرف يدل على أن هيرودوت قد أخذهما عن الآديكة الكيمريين.

كان السارمات قوماً مجهزين بالرماح ، وكانوا يفوقون الإسكيت بالحضارة والتمدن ، ولقد وجد السارمـات في جنـوب الروسيا بعض الأسبـــاب التي سهلت غـــزو أوربـــا باسم [يازمات ـ آزامات ـ يازيغ] المنسوبون إلى الميديين ؛ وعليه فيمكننا الإفتراض أن السارمات الذين غزوا ايران مع الاسكيت هم آل [شرمت] القفقاسيين.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة [آزمتْ] تستعمل حالياً في كُنية أسرة من الآبزاخ ، كما تستعمل اسماً لأشخاص وتكتب بالحروف اللاتينية [آزامات] .

وهناك مؤيدات أثرية وتاريخية نوردها فيما يلي:

١ ـ إن الآثار السارماتية التي اكتشفت ، ظهرت كثافتها في حوض نهر القوبان ومصب نهر الدون ، فأما مكتشفات القوبان فهي تعود إلى الزمن من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الأول بعد الميلاد، وأما التي اكتشفت في مصاب الدون فهي تعود إلى الزمن من القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول بعد الميلاد كذلك حسب تخمين المكتشفين ، وهذا يدل على صعود هذه الآثار من القوبان إلى الدون وهي آثار تدل على حضارة راقية بالنسبة لذلك االزمن ذات طابع خاص ومميزات خاصة.

وليس من المقبول الإدعاء بأن قوماً بدوياً جوالاً غير خاضع لقوة قاهرة ، بل على العكس يملك القوة الغالبة في الغزوات والحروب واستلاب المغانم ، يستطيع في مدة قليلة أن يصبح صاحب حضارة راقية ، والأمثلة واضحة أمامنا في القبائل البدوية العربية والتركية التي لا تزال تتجول بحالة البداوة في بلاد متحضرة عامرة وفي عام ١٩٩٦ م وعصر الذرة والصواريخ والصعود إلى القمر.

أفلا يجمل بنا والحالة هذه ، أن نحكم أن هذه الحضارة عائدة إلى شعب متحضر قديم من شعوب القفقاس راح ينتشر نحو الشمال ويوسع حدوده.

٢ ـ تذكر المستندات التاريخية وجود بعض القبائل الكيمرية في سارماتيا مثل [داندار ـ توره ت ـ سه ر ـ زيخ ـ كركت ـ أبخاز = آباسك ـ آبسيغ = آبزاخ وكذا قبائل من الآلان مثل (ديغور) فهذه القبائل هي التي تشكل اليوم بنية القومية الجركسية.

ومما يجلب الإنتباه أيضاً أن اسماء بعض القبائل الأخرى في سارماتيا تحمل في أواخرها أداة النسبة الجركسية [قو] حتى أن بعض المؤرخين الغربيين ذهبوا إلى القول بأن جامعة السارمات والمه ؤت واحدة.

وعلى مـــا مر من المعلومات ، يمكن الإفتراض أن ال [شرمت] نزحوا من القفقاس في الفترة [٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠] ق.م زمن انتشار الأقوام الكاسية فهاجروا إلى الشرق ثم اضطروا تحت ضغوط مختلفة للعودة إلى القفقاس تحت اسم [سارمات] .

ولقد سكن السارمات بكثافة وكثره ما بين نهر الفولغا شرقاً ونهر الدنيستر غرباً ، وقد انتشرت بعض أقسامهم حتى بلاد المجر .

وفي القرن الثاني قبل الميلاد تعرض السارمات من الغرب لتضييق شديد كان بداية مجادلات عنيفة ، ذلك أنهم تعرضوا لزحف [الغوت = القوط] القادمين من حوض نهر الويستول ، وهم بالأصل من السويد ؛ كما أن زحوف [الجرمن] القادمة من المائلة الشمالية لجبال الكاربات اتجهت شرقاً نحو مصاب نهر الدنييستر .

ولقد أصبح نهـــر الدنيستر حداً فاصلاً بين السارمات والجرمان ولكن شعبة من القوط هي [الأوستروغوت] كانت قد تسللت منذ زمن إلى سواحل البحر الأسود واستقرت في الجهات

السفلى لنهر الدون .

كما أن منطقة [داقيا] كانت مشغولة من قبل شعبة أخرى من القوط تسمى [غبيته] أما شبه جزيرة القرم فكانت خاضعة لحكم [الفره كو - رومان] على أن هذه الحاكمية كانت مقتصرة على الموانىء الساحلية ، أما داخل شبه الجزيرة فقد كان يعيش فيها أقوام مستقلون يحافظون على كيانهم الذاتي ويتجولون فيها بحرية .

وعلى هذا فالذي قضى على السارمات وحكمهم هي الزحوف التي جاءت من الغرب أي من أوربا من قبائل القوط والجرمان.

والقوط هم الذين أوجدوا المقابر تحترضيه [نفروبول] في جنوب الروسيا .

ثالثاً - الأمازون : أول من ذكر الأمازون هو المؤرخ هيرودوت على أن المؤرخ [راين راكس] كان أول من توفق للعثور على قصة الأمازون في المنقولات الشعبية عند الجركس الآديكة ، وهي تشبه في الجوهر قصة هيرودوت ومن بعده عثر الكونت بوتوكي على اسطورة النساء المحاربات في الإغاني الجركسية القديمة وقصصهم ، مع فارق بسيط في الحوادث عما ذكره راين . (أباطرة وأبطال ص ٧ - ١١) .

وكلها تتحد في جوهرها أن نساء محاربات نزلن في القفقاس وذبن فيها .

وحسب رواية هيرودوت :

انه لما حارب الإغريق الأمازون وهم قوم من النساء المحاربات يسميهنّ الإغريق [آندرشتون] بمعنى قاتلات الرجال ، ويسميهن الاسكيت [آيور باتا] ، فقد انتصروا عليهن وتشتت شمل الأمازون ؛ فأما اللواتي أسروهن ، وبقين على قيد الحياة فقد أخذوهن معهم في ثلاث سفن كبيرة ، وحينما صاروا في عرض البحر نجحت الأمازونيات في قتل رجال السفن عن آخرهم ، ولكن لجهلهن قيادةالسفن اضطررن إلى تركها تسير حسبما تسوقها الرياح حتى قذفت بهن إلى ساحل بحر الماؤت ورست في شاطىء [كرمنس] قريباً من بلاد الاسكيت الأحرار .[1] فنزلن إلى البر وتغلغلن إلىالداخل واستولين على اول قطيع من الخيل صادفنها وركبنها ، وطفقن يشنن الغارات على العشائر المجاورة ويعملن فيهم القتل والسلب والنهب ، فثار غضب الاسكيت الذين لم يعرفوا حقيقة أمرهن في بادىء الأمر ، وظنوا انهن جماعة من الشبان الغزاة جاؤا للإغارة عليهم كانوا يجهلون لغتهن والأمة التي ينتسبن إليها لذلك تجهزوا لمحاربتهن ، ونشبت معركة بين الطرفين قتل فيها الكثير .

ولما عرفوا أنهم يقاتلون النساء، قرروا أن لا يقتلوا منهن أحداً ولو في سبيل الدفاع عن

---

(١) لنلاحظ هنا أن هيرودوت يسمى سكنة هذه المنطقة جميعاً بالاسكيت .

النفس ، ثم انتخبوا من خيرة شبانهم عدداً يماثل عددهن وأوصوهم بأن يضربوا خيامهم بالقرب من معسكرهن ولا يمسوهن بسوء ، وأن يقتربوا منهن ويلاطفوهن ويفعلوا ما يفعلنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ وكانوا يبغون من ذلك أن ينالوا أولاداً من نسلهن.

وفعل شبان الاسكيت ما أوصاهم به شيوخهم ولما علمت الأمازونيات أن هؤلاء الشبان لا يريدون بهن شراً ، لم تهاجمهم ، ورحن يقتربن من معسكرهم ، واستطاع الشبان من استئناسهن واستمالتهن . ثم الإتفاق معهن وتزوجوا بهن ، وتوحد معسكر الاسكيت والأمازون واندمجوا معاً .

ولم يتمكن الاسكيت من تعلم لغة الأمازون ، ولكن الأمازونيات تعلمن لغة الاسكيت ، ولما أصبحن قادرات على التفاهم معهم واطمأنت قلوبهن للحياة معهم ، قال أزواجهن لهن :

" لنا آباء وأهل وأقرباء ، ونملك الكثير من الأموال ، لذلك يجب أن ننظم حياتنا ونبقى على صلة بأهلنا وقومنا ، ونحن لا نريد نساءً غيركن "

فأجابت الأمازونيات :

" سوف لا يمكننا العيش في جوار نسائكم ، لأن نمط عيشهن يختلف عما نألفه في حياتنا "

" نحن نشد الأقواس ونرمي الرماح ونركب الخيل ونشن الغارات ، ولا نعرف مهنة «النساء العاديات التي تشتغل بالأمور المنزلية ؛ وإذا كنتم تريدون بقاءنا معكم نساء لكم»، «وجب عليكم أن تذهبوا إلى آبائكم وتأتوا بما يصيبكم من أموال ، فإذا فعلتم ذلك بقينا نساء» «لكم وعشنا معكم أبد الدهر » .

ورضي الشبان بطلبهن ، وعرضوه على أهليهم ، ووافق الآباء على الطلب فعاد الشباب إلى زوجاتهم ومعهم أموالهم من الماشية وحوائجهم المنزلية ، عندها أبدت الأمازون رأياً جديداً بقولهن :

« بعدما فصلناكم عن أهلكم وعشيرتكم ، وألحقنا بهم الخسائر بالأموال والأنفس فليس» «يسعنا العيش والإقامة في جوارهم ، لأننا نخشى عاقبة الامر ، لذلك" يجب علينا الهجرة» «معاً إلى ما وراء التنائيس (نهر الدون)» .

ووافق الشبان الأزواج على رغبتهن ورحلوا فإجتازوا نهر الدون ، ثم ساروا نحو الشرق ثلاثة أيام بلياليها ، فوصلوا إلى البلاد التي يقطنونها اليوم.

ولهذا السبب نجد أن نساء الصارمات على عاداتهن القديمة ، يركبن الخيل ويخرجن للصيد تارة وحدهن وتارة مع ازواجهن ، والكثيرات منهن يرافقن أزواجهن في الحروب ، وملابسهن لا تختلف عن ملابس الرجال.

هذا ما رواه المؤرخ هيرودوت ؛ وقال سكيمونس من أهل خيوس :

في قديم الزمان كان يسكن في شمال القفقاس قوم الميؤت الذين سموا تلك البحيرة

بإسمهم ، والصرمات كانوا ينتسبون إليهم ، وفي دور من أدوار حياتهم انفصلت فرقة من الماؤت ودخلت إلى آسيا الصغرى واستوطنت سواحل قبادوكيا قريباً من نهر ترمودون فإغتاظ بعض جيرانهم لما قاموا به من أعمال السلب فحملوا على هؤلاء المستوطنين الجدد وقتلوا الرجال عن آخرهم ؛ وقد عمدت النساء إلى القتال دفاعاً عن انفسهن مدة طويلة ، إلا أن الإغريق المجاورين تغلبوا عليهن وشتتوا شملهن ، فإلتجأ قسم منهن إلى السفن ورحلن بها عبر البحر ونزلن في بلاد الاسكيت غرب نهر التنائيس بدلاً من الرجوع إلى موطنهن الأصلي، وتزوجن هناك ورحلن مع أزواجهن إلى شرق النهر المذكور مسيرة أيام ، ومن نسلهن كان قوم الميؤت ؟؟ الصارمات؟؟

وقال هيبوقراتس :

يوجد قسم من الماؤت يسكنون حول بحيرة المه ؤت ويختلفون كل الإختلاف عما يجاورهم من الناس ، وهم يدعون [صارمات] ونساؤهم يركبن الخيل ويحملن الأقواس ويشتركن بالحروب مع الرجال ما دمن عذارى ؛ ولا يسمح لهن بالزواج ما لم تقتل كل واحدة منهن ثلاثة أشخاص من الأعداء.

أما بعد الزواج فلا يطلب إليهن القيام بالأعمال الحربية إلا عند الضرورة القصوى ، وهاته النساء اعتدن من قديم الزمان أن يحرقن الثدي الأيمن لبناتهن الصغيرات بآلة مخصوصة من القصدير ، ليسهل على ايديهن اليمنى الضرب بالسيف والطعن بالرمح .

ويعتقد ايفورروس أن المه ؤت والسارمات أمة واحدة ، وأن الأمازون بعد معركة [ترمودن] أختلطن بهؤلاء السارمات ، لذلك ينعت السارمات بأنهم [المحكومون من نسائهم] ، وقد عاشوا فيما بعد في سهول منطقة قباردا وحوض نهر المالقا [والمارميداليس] أي نهر التيرك الذي كان يفصلهم عن قوم [ليج] الذين ليسوا هم إلا اللزكي الداغستانيين.

وراين راكس نقل رواية الأمازون عن لسان شيوخ القبارطاي كما يلي:

حينما كان آباؤنا الأولون يقطنون ضفاف البحر الأسود[1] كانوا يضطرون دائماً إلى محاربة قوم [ايمتش] وهم قوم من النساء المحاربات كنّ يقطنّ جميع الأقطار الجبلية التي يسكنها الآن شعب السوان والجركس ، ويحتللن الأراضي المنبسطة المجاورة حتى [أغلو قاباق]

وهؤلاء النسوة لم يكن يقبلن الخضوع للرجال بل كن يخرجن للحرب ويستصحبن كل امرأة تريد الإشتراك بغزواتهن ، وظلت الحرب قائمة بيننا مدة طويلة ، تارة يتغلبن علينا وتارة نتغلب عليهن ، في ذات مرة وقد تقابلنا للقتال إذا بأميرة [الأيمتش] التي كان ينسب إليها

---

(١) كانت قبيلة القبارتاي في جوار بحر الماؤت (آزاق = آزوق) ثم عادت إلى الداخل .

العظمة والنبوة تخرج من خيمتها وتطلب مقابلة أمير الجركس المدعو [تولمه] الذي كان ذا مواهب عقلية وحكمة ؛ ونصبت بين المعسكرين خيمة بيضاء وتقابل فيها الزعيمة مع الزعيم ، وبعد بضع ساعات خرجت زعيمة [illegible] وبلغت جيشها بأنه قد تم الإتفاق لأن حجة تولمه كانت أقوى من حجتها ولذلك وافقت على الزواج به ، وأن الطرفان سيتصالحان وتزول العداوة ويحل محلها الجد والسلام . وبذلك اندمج الطرفان ، ومن ثم تزاوج الطرفان وعاشوا جميعاً معاً .

أما ما نقله الكونت بوتوكي عن المغنين الجركس من قصة الأمازونيات فيشابه جوهر القصة المنقولة مع فارق بسيط في التفاصيل.

ومن الملاحظ أن كلمة [ترمودون] اسم النهر الذي ورد في قصة ايفورس عن الأمازون فيحتمل أن تكون من لغة الأمازون ، وحيث أن هيرودوت وسكيمونس وهيبوقراط يقولون أن الأمازون من السارمات ، فمن المحتمل جداً أن الأمازون من أوائل الآستين الحاليين الذين ينتسبون إلى السارمات ، أن مقطع [دون] في آخر الكلمة بلغة الآستين يعني الماء أو النهر وأن اسم نهر الدون مواطن السارمات الأولى ، وأسماء بعض الأنهر في مواطن الآستين بالقفقاس تلحق بأواخرها مقطع [دون] مثل آره دون ، أورس دون ، دوغور دون .

والواقع أنه ليس في هذه القصة ما يجعلنا نعتقد أنها مجرد اسطورة خرافية لا مجال لتصديقها ، والنساء الأمازونيات كما قيل كن يعاشرن الرجال الأسرى ثم يقتلنهم ويحملن منهم ويقتلن أولادهن الذكور ، ثم ان اشتراك النساء بالقتال ليس بالأمر المستغرب خاصة في ذلك الزمان ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

وإن هجوم نساء قبيلة الآقوشيين في الداغستان على جيش نادرشاه ملك العجم أثناء حربه لرجالهن واشتراكهن بالقتال بكل ضراوة كان سبب هزيمة هذا الملك الجبار لأول مرة حتى بكى قهراً ، وهرب تاركاً تاجه وعدة جواده وعلمه ، التي كان أمراء الداغستان من بعد يتوارثونها.

رابعاً ـ الآلان : أورد المؤرخون معلومات مختلفة حسب الزمان والمكان عن هذه القبيلة ، والمعلوم أن الآلان كانوا يشغلون قديماً (قبل الميلاد بعدة قرون) حوض نهر الفولغا شمال القفقاس ، وأنه كانت لهم دولة وسطوة ، وأن الهون قد شتتوهم فإنساق قسمٌ منهم إلى الغرب وانحدر قسم آخر جنوباً واستقروا حول ممر داريال في أواسط جبال القفقاس وهم الآستين حالياً .

والمؤرخون الرومان يذكرون أن الآلان من آل [ماساجيت] أي من أحفاد الأسكيت وأنهم الاسكيت الذين انتصروا على دارا الكبير في الموقعة المشهورة التي دارت رحاها في حوض نهر [آراس] جنوب القفقاس.

وفي المعلومات الجغرافية القديمة يمر ذكر الآلان بين قبائل السارمات الشرقية ،هذا ويذكر من عشائر الآلان القديمة عشيرة [ديغور] والديغور من عشائر القوشحه آستين في يومنا هذا .

والصينيون يسمون الآلان [آسو] وقد بدأ دخولهم إلى أوربا الشرقية في القرن الأول للميلاد ، أما الهون فقد ابتدأت هجرتهم عام ٣٧٥ ميلادية .

والمؤرخ العربي شيخ الدين الشامي يتحدث عن أمة [أزكش] المسيحية ويبين أن هذه الأمة كانت مستوطنة في شمال البحرالأسود وتجاور شعب آلالان والروس . وفي رأي المؤلف [دي هوسون] أن من المحتمل جداً أن يكون الآلان هم الزيك أنفسهم الذين هم قدماء الجركس وعرفوا بهذا الإسم لدى الإغريق والرومان حسب رواية [جورج انتريانو].

وعلى ذلك فمن المرجح أن الآلان قبيلة من السارمات و أن الآستين منهم.

خامساً ـ أوسه ت ـ آستين : موطن الآستين أو [الأيرون] يبدأ في القسم الأوسط من شمال القفقاس من منابع نهر تره ك وعاصمتهم حالياً بلدة [أورجنيكيدزه] ويمتدون جنوباً حول ممر داريال حتى المائلة الجنوبية للجبال التي تشرف على منطقة (أور جونيكيدزه = فلادى قفقاس حالياً) والمؤرخون الروس الذين درسوا بدقة قبيلة [أوست = آس = لاس] هذه يؤكدون أنهم من الآلان.

والمؤرخون العرب يسمونهم [آس] ويقولون أنهم من اللان أو العلان .

والمؤرخون الغربيون يقولون أن الآستين كانوا يعرفون عند الحاثيين بأسماء قبيلتي [أوسحه وكاسخا] . في الصفحة ٣١٦ أوسوغه ـ كاسخا(*) .

إن قبيلة الآستين ذات أهمية كبرى في مجموعة الأقوام القفقاسية نظراً لموقع مواطنها الهام جداً ونظراً لكثرة نفوسها التي تبلغ قرابة النصف مليون ثلاثة أرباعهم في الشمال .

وقد ورد ذكر أسماء قبائلها في ساحات متباعدة ، لذلك فمن الصعوبة إثبات منشأها الحقيقي ، على أننا سنحاول ذلك معتمدين على مالدينا من المعلومات عن المه ؤت والسارمات والآلان ، مستدلين بالأثر على المؤثر:

آ ـ أوسه ت = آستين : مر بنا أن الصينيين يسمون الآلان [آسو] والأوست هم الآسو ، وعلى ذلك فالآستين هم من الآلان.

ب ـ في أعوام ٩٦٥ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٦٠ وقعت حروب بين الروس والجركس ومؤرخو تلك الوقائع من الروسيين يوردون أسماء [ياس ـ قاسوغ ـ آدغه] في القبائل القفقاسية المحاربة ، ولقد ورد فيما كتبوه وقوع أميرة [ياس] أسيــرة في ايديهم وقــد تزوجــها الملك

---

* (إن اسم قوشحه اسم حديث بمعنى الجبل أطلق على الآستين بمعنى الجبليين ، كما أن لغتهم تختلف عن لغة الكاسكا الحاثيين تماماً)

[ياروسلاف] .

جـ - عند البحث عن السارمات يذكر المؤرخون الروس أسماء قبيلة [ياس - آز - يازيغ] ويجزمون قطعاً أنهم من قبائل [ميديا] .

د - يطلق الكرج على الآستين أسماء [أوسه تي = أوس = أوفورس] والمنغرليين من الكرج يسمونهم [أوفسي = أوبسي] واما الجاجان فيسمونهم [هيري] . وكلمة [هيري] هذه مأخوذة من كلمة [إيرون] وهذا هو الإسم القومي الذي يسمى به الآستين أنفسهم.

وبديهي أن إختلاف النطق بين الأقوام المختلفة التي تظهر في هذه الألفاظ وقد تركزت أخيراً بشكل أوست = آستين .

وسندرس الآن الوضع القومي لهذه القبيلة .

آ - تقيم الأكثرية من الآستين في القسم الشمالي من قفقاسيا ، في منطقة محافظة [ولا ديقفقاس] في جهات بلدتهم [أورجو نيكيدزه] وحوض نهر [أردون] ويمتدون إلى الجنوب عبر السلسلة الجبلية ، حيث تقيم بعض شعبهم في جهات [غوري . ميستماتي - كوتاييس].

ب - يتكون الأستين من قبيلتين كبيرتين هما [ديغور - ايرون] فالشماليون أكثرهم من الديغور ، والجنوبيون أكثرهم من الإيرون الذين يسمونهم الكرج [توالتا] .

جـ - اللغة الأوستية تشابه من جهة اللغة الفارسية وتقارب من جهة أخرى اللغة الألمانية بشكل ملحوظ ، ومن هذا يستدل على أنهم من فرس ميديا أصلاً .

وأسماء بعض أسرهم وفروعهم ، خاصة عائلة [قوبات] تؤيد هذه النظرية ، إذ المعلوم أن أول ملك فارسي من عائلة [كيانيان] والذي أيد الديانة الزرداشتية كان يسمى [كي قوبات] ومقطع [كي] لقب تفخيم والأسم هو [قوبات] وأسرة قوبات لا تزال موجودة إلى اليوم ، ومنهم أسرة مقيمة اليوم في حلب اسم عميدها [نوزات قوباتي] وعدا ذلك يلاحظ في لغة الآستين إختلاطاً كثيراً بلغة الجركس الآديكة.

ولنبحث الآن متى وكيف دخل الآستين إلى قفقاسيا .

لنلاحظ بإنتباه وجود الآستين في الشمال والجنوب ، فمن أي الاستقامتين وفدوا ؟؟

١ - في الشمال - نستند في بحثنا عن وجودهم في الشمال إلى المصدرين التاليين:

آ - إن أسماء الأنهر [دون - دنيبر - دنيستر - دوناي = الدانوب] هي أسماء آستينية صرفة ، ومن المحقق أنهم هم الذين سموها بتلك الأسماء ، وعلى ذلك فالآستين القدماء عاشوا في تلك المنطقة الواسعة زمناً طويلاً وبنفوذ قـوي أمكنها معها أن تفرض تسميتها لهذه الأنهار بلغتها ، ونسيان الأسماء السابقة .

ب - مر معنا وجود قبيلة [ديغور] بين الآلان والسارمات ، وهذا الإسم لا يزال علماً على الآستين الذين يعيشون في القسم الشمالي من سلسلة القفقاس.

فهاتان الملاحظتان تدلان على أن الآستين ذوو علاقة وثيقة بالشمال . وعلى ذلك ، وبما أن اسماء الأنهار المذكورة قد سميت من قبل الأقوام التي عاشت في تلك الساحة ردحاً طويلاً من الزمن ، وهم الإسكيت ثم السارمات فالآلان ، فأما أن هؤلاء جميعاً كانوا يتكلمون نفس اللغة ، وإما أن المتكلمين بهذه اللغة كانوا يتمتعون بنفوذ غالب في عهدهم الأخير.

وإن عناصر منهم ، الذين انساقوا غرباً أمام زحف الهون ، قد وصلوا إلى اوربا الوسطى وتراكيا حيث تركوا فيها أسماء مشتقة من كلمة [ديغور] لا تزال حية هناك . وأما الذين انحدروا إلى القفقاس فقد التجأوا إلى الجبال التي يعيشون فيها حالياً .

٢ ـ في الجنوب : إن فعالية الآستين في الجنوب ، أحفل بالنشاط لأن امبراطورية [ميديا] القديمة كانت تضم الجنوب القفقاسي.

والحادثة القفقاسية التالية تبرز تلك الأهمية:

" تعرض قوم [ياسدون] الذين كانوا يعيشون في [تاريم] لهجوم الصينيين] " وقبيلة [أريماسب] المغولية ، وانسياق الياسدون إلى الغرب جعلهم يسوقون " أمامهم الاسكيت الذين كانوا منتشرين هناك ، ولكن الياسدون اصطدموا بمقاومة قوم [ماساغيت] ، وبسبب ذلك اجتاز الياسدون نهر آراس " والتجأوا إلى بلاد الكيمريين" .

ويتفق المؤرخون على أن الياسدون هؤلاء هم الآستين . وعلى ذلك فالآستين الجنوبيون هم هؤلاء القوم.

وعلى القارىء الكريم أن لا يتحير لورودكلمة [الكيمريين] إذ المعلوم أن منطقة ولاديقفقاس الشمالية كانت داخلة ضمن نفوذ الدولة الكيمرية.

وسنعرض فيما يلي بعض الدراسات والمعلومات الجديدة عن الآستين الجنوبيين:

آ ـ في الأعوام [٣٠٢ ـ ٢٣٧] قبل الميلاد ، استفاد ملك الكرج [سورماغ] من معاونة الآستين في تأديب قبيلة [أريستاف] التي أعلنت العصيان عليه.

كما توجد معلومات أن الآستين ظاهروا الكرج وعاونوهم زمن حملة الأرغونوت اليونانية .

ب ـ استولى امبراطور روما [ترايان] على أرمينيا عام ١١٤ ق.م وجاء من بعد الإمبراطور [وسباسيان] فأنشأ على الحدود الشمالية قلاعاً دفاعية ضد هجوم القفقاسيين لا سيما الآستين منهم . وهذا يدل على وجودهم في الجنوب منذ ذلك الزمن.

جـ ـ من الواضح إمكان افتراض أن الآستين انسحبوا من الجنوب إلى الشمال نتيجة ما تعرضوا له من ضغط الفاتحين للجنوب القفقاسي مثل متريداد وحروب بومبي ضد متريداد وغيرها من الوقائع التي تلتها حتى العهد الأخير بين الترك وايران.

وهنا يتبادر إلى الذهب السؤال التالي : لقد تعرض الكرج لنفس تلك الشدائد فلماذا لم

يهاجروا إلى الشمال ؟!.. وهذا يدعونا إلى القول بأنه كان للآستين عناصر ممتدة إلى الشمال من قبل ذلك كان من الطبيعي التجاءهم إليهم .

د ـ إن ملك كرجستان [داويد الأول] حين رأى أن بلاده قد اقفرت من السكان نتيجة حروب الإبادة الهمجية التي تعرضت لها ،فقد اسكن في أقسامها الخالية كثيراً من الآستين المحاربين الآشداء ؛ وسواهم من الجبليين.

هـ ـ في العصر الثاني للميلاد ، وفي عهد ملك الكرج [أزورك] دعمه وأمده جيش بقيادة [بازوك = أبازوق] ؛ ويعتقد ترجيحاً أن هذا الجيش من الآستين لأن معنى [أبازوك] واضح في لغة الآستين ؛ أما الشكل الظاهري لكلمة [أبـــازوق] فيوحي بأنها كلمة جركسية معناها [ابناء الأبازه] .

ومن هذه المعلومات السابقة التي عرضناها نستنتج الخلاصة التالية:

" إن فعالية الآستين شملت في الشمال شمال البحر الأسود، كما شملت الجنوب القفقاسي "

ولنا أن نتساءل ؛ هل أن الآستين صعدوا أولاً إلى الشمال ثم عادوا فإنحدروا إلى الجنوب؟ أم أن الآستين الشماليين كانوا منفصلين عن الجنوبيين قديماً ، ثم جمعتهم الظروف التاريخية في هذه المنطقة المتوسطة وتوحدوا وشكلوا كيانهم الحالي ؟؟.

وبما أن الإعتقاد الغالب أن الآستين من الميديين الفرس ، فإن الشق الثاني من التساؤل هو أقرب للواقع ؛ وسنأخذ به حتى يتضح ما يغايره.

الجراكسة يسمون الآستين [قوشحـــه] بمعنى الجبليين ، والآستين يسمون الجركس بلغتهم [كشك] ومعناها السهليون.

ولقد مر بنا [في الصحفة ١١١] في مادة قبيلة [قوش] الحثية التي هاجرت إلى مصر قديماً؛ إن عائلة [قوشيقوه] من الأسر المشهـــورة بين الديغور الآستين ، فإذا كان القوشحه من [القوش] الحاثيين فمعنى ذلك أن الآستين من سكان القفقاس الأقدمين وينتسبون إلى الحثيين.
[ولكن هذا الإستنتاج ضعيف فمعنى قوشحه جبل بالشركسية فهل هذه الكلمة بنفس معنى قوش الحثية؟]

إن بعض المؤرخين الغربيين يقولون إن الآستين من قبائل اتحاد الدولة الحثية ، وأنهم كانوا يعرفون آنذاك بإسم [أوسوغه = كاسخا] وأنه بسبب اتصالهم الزائد بالإيرانيين فإن الجنوبيين منهم كان يطلق عليهم في ظرف ما اسم [إيرون] حتى انهم لهذا السبب باتوا يظنون انهم من أصل ايراني ولكن المؤرخ مورغان يبطل هذا الإدعاء ببراهين وثائقية.

وحسب قول المؤرخ الجركسي [محمد فتكري] فإن الآستين من صلب الجراكسة وانهم بكل فخر واعتزاز يقولون [آنا جركسي] كما أن الجراكسة الآديكة ينظرون إليهم نظرتهم إلى

أية قبيلة جركسية أخرى ، والقوشحه يشاركون الجراكسة في جميع عاداتهم ومظاهر حياتهم ووطنهم وآمالهم القومية.

ويذكر الحافظ الشهابي العجمي في ذيل [لب اللباب] إن قبيلة [آصي] هم اللان وهم مقيمون في الجنوب الغربي من قمة البروز إلى البحر الأسود.

وقبيلة [آس] هي واحدة من أربع قبائل يعدها مؤرخو العرب تحمل مقطع كاس = آس ، كما أوضحنا ذلك في بحث [الجركس] .

ولا شك أن المطلعين على التاريخ العربي الإسلامي يعرفون أن ملك العجم يزدجرد قد أرسل سرير ملكه وتاجه وأمواله وحريمه إلى بلاد[اللان = العلان] عند الفتح الإسلامي وأنه قد هرب إليها وشكل هناك دولة السرير.

وبإسم هذه القبيلة تسمى الجبل [قفقاس] بمعنى [جبل الآس] بل عم هذا الإسم بلاد القفقاس وما يليها جنوباً [آسيا الصغرى] ثم صار اسمهم علماً على القارة الآسيوية كلها فسميت [آسيا] . (إن تسمية القفقاس جاء من اسم قبائل كاس - كاس الحاثية) .

★ ★ ★

الديانات القديمة عند الجركس .

عندما كان الإنسان يعيش حياة بدائيـــة كان الخوف عاملاً مهماً في حياته وشعوره وتفكيره ، الخوف من مظاهر الطبيعة كالفيضانات والعواصف والرعود والثلوج ، وكهياج البراكين والحرائق ، والخوف من الأخطار المحدقة ليلاً ونهاراً وهو يسعى لرزقه لتعرضه إلى هجوم الحيوانات الوحشية والحشرات القاتلة والأمراض الفتاكة ، إلى جانب فتك الإنسان بالإنسان ، وكان الظلام خاصة يجلب له الخوف لأنه يحمل في طياته الأخطار العديدة التي تتربص به ولا يعرف مصدرها ولا يراها كي يتجنبها ، وكان النور والنار ملجأ أميناً له يحميه من مفاجأة الأعداء ومن آلام البرد وأمراضه ، ويساعد في رد هجمات الوحوش.

وكان يحتاج إلى الطمأنينة الروحية التي تساعده على الصمود أمام تلك المخاوف ، وإلى الوسيلة والقوة التي تحميه من كل تلك الأخطار : فوجدها أولاً في خيالاته وتصوراته بتخيل وجود قوى خيّره تساعده على مقارعة قوى الشر التي ترهق خياله وتسمم حياته بالخوف الدائم والرعب القتال ، فكان في نومه ويقظته ليلاً يتصور الأشباح المخيفة والهولات المرعبة الفتاكة التي لا يملك ردها ولا التغلب عليها ، فلجأ بتفكيره وخياله ، إلى تقديسها ومحاولة إرضائها بالقيام بالأعمال التي يكسب بها عطفها ، حسب تصوراته هـــو ، لعـل ذلك يجنبــه أذاهـا و سخطها ويبعد عنه شرها ، وإلى جانب ذلك كان يشعر بوجود قوى الخير وعوامل قوى الشر التي لا يثق بها رغم تقديسه لها ؛ والمرجح أنه لم يجد من يمثل قوة الخير في بادىء أمره سوى النار والنور ومصدرهما الشمس والكواكب كما تتمثل في الرعد والبرق والأمطار التي تهب الحياة للكائنات رغم أنها تهلكه أحياناً عند اشتداد غضبها ، وتلك أولى عبادة المظاهر الطبيعية.

وعبادة مظاهر الطبيعة وتقديسها ، هي ماتسمى اليوم بالعقيدة[الدرويدية] ، وقد مر معنا شيء عن هذه الديانة عند الآريين القدماء.

يعزو ماكس موللر تكامل العقائد الدينية إلى أسباب بسيكولوجية بحتة ، فعنده أن مظاهر الطبيعة كانت تسبب الخوف للإنسان ، كما كانت توحي إليه بالأمل ، وبالحيرة في أحيان أخرى ، وكان يرى فيها قوى خارقة ومعجزات ، فالشمس والنار والبرق والعواصف والأمطار تملك القدرة على الأذى الشديد والتخريب كما تملك القدرة على أن تهب الحياة والخيرات للنبات والحيوان والإنسان ، والشمس ترسل الضياء والنور ومعها الإطمئنان من غدرات الظلام وتوفير شروط الأمن للسعي وراء الرزق والحياة .

والنار التي هي قبس من تلك الشمس ، تدفئه في الشتاء وتنير حلكة الظلام وتخيف الوحوش وقد اكتشف فيما بعد أنها تشوي اللحوم فتحسن طعمها ،ثم تذيب المعادن وتسهل طرقها وتصنيعها فكانت الوسيلة الأولى والكبرى لإختراعه الأسلحة الدفاعية الجارحة ،فأصبح

يقوى بها على الوحوش ذات المخالب الطويلة والأنياب الحادة الكبيرة التي كان هو ضعيفاً أمامها بأسلحته الطبيعية ، مما حدا به إلى إتخاذ النار إلهاً ، وتلك أولى مظاهر عبادة النار ، ولعل النيران الدائمة القوية الملتهبة في نفط باكو هي التي أوحت لأول مرة بعبادة النار(١) ولا شك أن الخوف من نيران البراكين اللاهبة والزلازل والطوفان والحرائق التي تحدثها كانت تدعوهم للإعتقاد أن إله النار في حالة غضب شديد عليهم ؛وكان هذا أيضاً من الدوافع على تقديس النيران وعبادتها.

فالجركس أيضاً ، لم تخل حياتهم منذ القدم من العقيدة الدينية والفكرة الألاهية ، لأنه كما يبدو ، وهوالواقع الراجح ، أن الفكرة الألاهية منغرسة في طينة البشر موجودة في فطرتهم ، لأنه لم يخل قوم ، إينما كانوا ومهما كانوا في رقيهم أو تأخرهم العقلي ، من الفكرة الألاهية والعقيدة الدينية مهما اختلفت مظاهرها وعقائدها.

وكانت الفكرة الألاهية تتبدى عند الجراكسة ، كما عند غيرهم، بمفاهيم وأشكال متعددة وطقوس تعبدية خاصة بهم ، حسب تفكيرهم وطراز حياتهم والمؤثرات التي تنتابهم من طبيعة بلادهم ، إلى جانب ما كان ينتقل إليهم من الأقوام المجاورة من عقائد وطقوس ومظاهرتعبدية ودينية.

ومما لا شك فيه أن الأديان كانت ذات أثر مهم جداً وفعال في سير أحداث التاريخ ونتائجها ، بل في سير الحضارة والعلوم والأنظمة الحياتية والقوانين الأخلاقية كما يتبدى ذلك جلياً واضحاً في تلك المعابد العظيمة اتي شادوها والأفكار والعلوم الكثيرة الواسعة التي نسجوها حول الدين وتعليماته وطقوسه وارشاداته ، وكان انصراف الكهنة إلى العلوم والتفكير في السماوات والأرض أول مدارس الفكر العلمي والإجتماعي ، ولا شك أن الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام هم قادة البشرية واساتذتها في مجالات العلوم والتشريع والأنظمة الإجتماعية والتعاليم الأخلاقية السلوكية التي سمت بالروح الإنسانية ورفعها من حضيض الجهالة والهمجية والتوحش وزينتها بالمفاهيم الإنسانية النبيلة الفاضلة.

ولم يقتصر تأثير الدين على ذلك ، بل كان هو المسير الهام و المؤثر الحقيقي في سير عجلة التاريخ وحوادثه و عاملاً قوياً في تمركز القوميات والحكومات وإضفاء الصفات المميزة لها.

والأديان والأنبياء حقاً ، هم صانعوا التاريخ البشري.

ومما لا شبهة فيه أن قفقاسيا أيضاً تأثرت كثيراً بهذا العامل المؤثر.

---

(١) باكو معناها أرض النار أو الأرض التي تنفث ناراً في لغة اللزكي

ملاحظة : بحث الآلهة القديمة هذا مأخوذ من دمج مقال للدكتور وصفي كوسار في العدد - ٧ - من مجلة قفقاس دركيسي مع البحث الوارد في قفقاسيا في التاريخ صفحة ٣٣٧ من الترجمة .

وقد مرت بالقفقاسيين الأصليين ثلاثة أدوار: الدور الأول ـ المجوسية ، الدور الثاني ـ المسيحية ، الدور الثالث ـ الإسلامية

الدور الأول ـ المجوسية : لإيضاح هــذا الدور لا بــد لنا من مسايرة المراحل التاريخية القديمة ، حسب ما درسناها في الأبحاث السابقة.

ففي المراحل التاريخية الأولى ، وإذا سلمنا بصحة علاقة القفقاس بالأقوام القديمة التي ذكرناها من السومريين والحثيين والمصريين واليونانيين وغيرهم ؛ فلنا أن نحكم أن بعضاً من أوائل عقائد هذه الأقوام قد جلبوها معهم من القفقاس ، وقد درسنا دياناتهم واشرنا إلى العلاقات التي قد تبدو حرية بأظهار تلك العلاقات ؛ فقد أوردنا في صفحات مختلفة من هذا الكتاب أسماء الآلهة المصرية القديمة مثل :

أوزيريس ـ ترم ـ سوتخو ـ كودش ـ آمون ـ آخين.

وفي صفحات مختلفة أسماء آلهة السومريين مثل

ايستارته ـ أنليل ـ وزوجته نين ليل الأم العظمى ـ نينى ـ آننو ـ نيسابا ـ نانار ـ نن جال ، مردوق ـ الزيجورات ـ طعام الموتى.

وعن اليونانيين :

اسطورة كاوس ـ اسطورة بروموتة ـ الألاهة مينرفا ولقبها قاباردين ـ والألاهة جيء (الأرض.)

وعن الحثيين أوردنا عن الأله ايسطارطه والأله تحه شوب.

فهذه الآلهة كلها لا يوجد دليل حسي أثري على أنها كانت تعبد في القفقاس ولم ترد أسماؤهم في المنقولات الشعبية للجركس ، سوى الإله ايستارتة التي ظهرت آثاره في مدافن القوبان .

لذلك نكتفي بهذا التلميح.

وفيما يلي سنحاول جمع المعبودات القديمة للجراكسة من القصص الشعبي والمنقولات الشفهية للجراكسة.

وعلى ذلك فسنقسم ديانات الجركس القديمة إلى ثلاثة أقسام : آ ـ ديانات الآديكة والأبخاز ، ب ـ ديانة القوشحه آستين ، ج ـ ديانة الداغستان والجاجان

آ ـ ديانة الآديكة وآلهاتهم.

إن اسم الله في لغة الآديكة هو [تحه] ولعله كان اسم الإله الأعظم عندهم وانه رب الأرباب ، لذلك بقي هذا الإسم إلى الآن يعني الله سبحانه وتعالى .

وإله البرق اسمه [شيبله] هو إله البرق والرعد جالب الخيرات وإله الحرب و العدالة ، كان

يعبد للتوقي من غضبه وأذاه ويترجى عونه ومساعدته ، وكانوا يعتقدون انه فيما إذا أرعدت السماء وأبرقت قبل أن يخوضوا معركة حربية ، فذلك فأل حسن ودليل رضاه و تأييده فإذا أصابوا نصراً أو نجاحاً ، يضحون له الأكباش السمينة ؛ وكان الرعاة يقدمون له الأضاحي ويدعون طالبين حفظ مواشيهم ، فإذا أصاب البرق ماشية لهم ، دعى صاحب الماشية أهل قريته جميعاً إلى حفل عام تقام فيه حفلة رقص وتنشد أناشيد المديح للبرق ، ويعلق الحيوان الذي قتله البرق إلى شجرة أو منصب مرتفع من الأعمدة ، ويذبح عجل فداءً لماشيته عن المستقبل ، ثم يطعمون ويشربون ، ولا يبكي أحد أبداً حتى لا يغضب الإله.

أما الشجرة التي يصيبها البرق فتصير مقدسة يلجأ إليها عند الشدة ويتعبدون في ظلها ، كما أنهم كانوا يستقون في سنين المحل بإلقاء أفراد أسرة [ونروه] في الماء وخاصة كانت النساء تلقي بنساء الونروه في النهر ، ولعل آل ونروه هؤلاء كانوا كهنة لهذا الإله ، أما ما يقال حالياً فإن آل ونروه أختطف البرق وقتل بعضاً منها وكلمة ونروه معناها المنطلق إلى داخل الغرفة .

ويقول الجراكسة في أمثالهم تعبيراً عن شدة حنان الأم وتخوفها على أولادها:

" إذا أبرق البرق فإن أمه تتبعه وهي تدمدم"

وإله الحديد أو الحدادة هو [له بش] ويستعمل في توصيف الشديد القوي الصبور ، ويذكر المؤرخ مستر لوف الانكليزي أن عقيدة تقديس [له بش] لا تزال موجودة عند بعض الجبليين ، ويذكر أن قبيلة الآبزاخ يملكون صناعات حديدية متقدمة . و[له بش] هذا هو الذي سقى [بالماء جسم ساوسروق] الذي ولد وجسمه حديد محمر كالنار .

وساوسروق هذا بطل اسطوري ، وكانت أمه ساحرة تتحكم في العواصف والأمطار ولعله سيوسرس إله المياه والعواصف ، تطيعه البحار والغيوم والأمطار ، وبأمره تتراكم الثلوج على قمم الجبال وتنبع الأنهار من الصخور، وكان الفلاحون . يجعلون إمرأة شابة تنثر الماء على المزروعات تيمناً وطلباً للغيث والبركة.

و [مز يتحه] هو إله الغابات ، وكانت عبادة هذا الإله تمارس في بقعة مختارة من الغابة يسمونها [تحاشئغ] بمعنى عمل الإله ـ أو أدنى الإله يعني مقامه ، أما الشجرة المقدسة المنتخبة للعبادة فإسمها [كتيخ = قودش] ومعناها العهد أو المعاهدة ، وقود تعني الحكم والقضاء ، واللاجىء إلى ظلها من المجرمين لا يتعرض لهم أحد بسوء، ويتخذ من ظلالها مكان اجتماع ومذاكرة ومداولة الشؤون العامة كالحرب والصلح وغيرها . ويقال أنه كان لكل أسرة [قودش] فإذا نوى القيام بعمل هام يذهب إلى شجرته تلك ويدعو طالباًمنها الموفقية والنجاح ، فإن عاد ناجحاً يقيم حفلة تحتها ويعلق على أغصانها المأكولات ويريق عليها الشراب ، وإن عاد مخذولاً فإنه يحقد على إلهته تلك فيقطعها ويحرقها ويتخذ شجرة أخرى غيرها ويهددها بمصير سابقتها.

وكان اليونانيون القدماء أيضاً يقدسون الأشجار الضخمة ، ولعل إله النار [مازدا] ما هو إلا تحريف لكلمة [ماشؤه تحا] الجركسية التي تعني إله النار .

وإذا كان أحدهم مسافراً في البحر فإن قريباته يذبحن أضحية ويلقينها في مياه النهر ليحملها التيار إلى البحر ، وكانت الغيوم والرياح دليلاً على قبول هذا القربان أو عدمه .

وأما [آخين] فكانت له عندهم منزلة كبرى حتى أنهم يقسمون بأسمه إلى يومنا هذا ، ويتحدثون عن بقرة مقدسة يسمونها بقرة آخين السائبة ، كانت تخرج إليهم من الغابة فيقدمونها قرباناً لآخين أو ماشابه .

وإله الأسفار أي الغزوات والحروب [زيكوه تحه] كانوا يرجون منه الحفظ والوقاية في أسفارهم ، وقبل سفر الفرد يريق قليلاً من الماء تيمناً . ومثل هذه العادة توجد الآن عند بعض القرويين في الأناضول .

وعـدا ذلك كان عندهم [خابه كـواش] سيده البحارو [بسيخوه كواش] سيدة الأنهار و [خاته كواش] سيدة الحقـول و [بلوشحا] الإلــه الأفعى و[ماريتا] إلهة النحل والعسل و [وزرمس] إلهة الجمال و [بسى كواشه] سيدة المطر و [يه تحه] إله الزراعة و [تحه حاكن وتحه توفسر] آلهة البيوت و [حاقوتاش] حامي ثيران المحراث.

وكما قلنا فإن كلمة [تحه] تعني الإله لذلك يذكر مع أسماء جميع الآلهة.

أ ـ آلهة الأبخاز :

أكبر الآلهة عند الأبخاز كان يسمى [أنزارينس] ، أما إله البرق فإسمه [ألي] ، وعدا هذين كانوا يعتقدون بإله يعين مقدرات الأطفال المولودين حديثاً ، وإله للحيوانات هو [إيتار] .

إلــه الماعــز [جابــران] وإله الخنازير البرية[أزوبخا] وإله الأرض [آدبنا] وإله قوس قزح [آتساكوا] وإله المياه [دزلان ـ دزا هواس] وإله الكلاب هو [آليشقانترا] وإله النحل [آنانا غوند] وغيرها.

وكان أشد ما يهابونه إله البرق ، يقدمون الأضاحي لإسترضائه أو تسكين غضبه ، ويستعطفونه بالأدعية والإبتهالات .

ب ـ ديانة القوشحه آستين وآلهاتهم:

قبيلة الآستين تمتاز بكثرة آلهاتها وآساطيرها التي تحفظها إلى الآن ، لأنها ظلت مدة أطول تحت تأثير الديانة المسيحية ، حتى أنهم طبعوا ديانتهم المسيحية بصفات اساطيرية وأضافوها إلى دياناتهم القومية .

وكان عندهم الإله الأعظم يسمى [خوتساو] وإله البرق [فاسيليا] وهو [ألي] و [سه نت] ، وإله الحديد [شيوشو] الذي يصنع للأموات نضاوي خيلهم ، وإله لمحاكمة الموتى ، وإله

يناظر الطريق الذاهب من الجنة إلى جهنم ، وابن الشمس [محمد] وابن القمر [حمتان] ثم آلهة الحقول ومساكن العائلات والحيوانات الأهلية وحيوانات الصيد والذئاب والأسماك وصيادي الأسماك والصحة ، والحرب والغزو وغيرها .

وكبقية القبائل كان الآستين يتخوفون كثيراً من إله البرق.

وكانوا يقدسون أرواح أجدادهم ، وينشؤون المعابد بأسمائهم ، يؤثثونها ويضعون فيها فراشاً ، ويقيمون فيها الولائم ، وكانوا يعتقدون بوجود محكمة مكونة من ستة أعضاء هي التي تقرر خروج الروح من الجسد ، وحب اعتقادهم فإن الروح تظل تحوم حول الجسد مدة من الزمن ثم تطير إلى الآخرة وتحاكم هناك من قبل [براستين] المكلف بهذه المهمة ، ثم يؤخذ إلى الجنة أو إلى جهنم ؛ وعند الآستين عقائد آخرى كثيرة .

جـ ـ الديانة عند النوخجي واللزكي [الداغستانيين]

هاتان القبيلتان تناستا اساطيرها عن دياناتها القديمة ولم يعودوا يتناقلون منها إلا النذر ، وذلك بسبب اعتناقها الدين الإسلامي باكراً وتعصبها له .

الإله الأكبر عند النوخجي كان يسمى [ده له] وإله البرق [سلي] الذي كان يحظى بنفوذ كبير في مجالس الآلهة لأن كثيراً من الآلهة الأخرى نشأت وتشعبت عنه ، فمثلاً كانت الإلهة [سلي ساتا] ابنة الأله [سلي] هي حامية البنات البكر . وهناك إله الشمس وأمه ، وكان عباد الشمس يتوجهون إليه عند الشروق ويتعبدون له . وهناك الألهة [ده د سينان] أم العواصف ، وكان أولادها السبعة قد طاروا إلى السماء وشكلوا نجوم منظومة (الدب الأكبر) ، وعدا ذلك إله الغاب وأم المياه ، وآلهات الحبوب والمشروبات والحرب وغيرها.

والججن كالآستين كانوا يقدسون أرواح أجدادهم ، ثم أنهم كانوا يتصورون وجود آلهة تحمي القرية أو الأسرة أو القبيلة، وكانوا يعتقدون ببقاء وخلود الروح ، وبما أن الموت هو قضاء على القدرة على الحياة ، فإن الأرواح تذهب غرباً حتى تدخل تحت الأرض وتلتقي في تلك الآخرة بأرواح الأجداد ، كما ان هذه الأرواح تتجسد وتتزاوج هناك ،ولهم عقائدأخرى مشابهة عديدة.

وهكذا نجد أن الأساطير القديمة والمعتقدات القديمة لدى القفقاسيين الجراكسة متشابهة تتمثل في تقديس الظواهرالكونية.

وقد وجدنا تشابهاً بين طقوس دفن الموتى عندهم والعقيدة الدرويدية عند الأوربيين القدماء.

على أننا لم نجد في منقولاتهم أي أثر للعبادة التوتمية ، المتمثلة في عبادة بعض الحيوانات التي تعتقد كل قبيلة أو اسرة أنه توتمها أي جدها الأكبر الذي نسلت من صلبه ؛ على أن هناك

من يقول أن الكلب [حه كان توتمهم وأن كلمة [تحه] هي مركبة من [تي - حه] بمعنى كلبنا أو إلاهنا ؛ والقائلون بهذا يستندون إلى إستعمال الجركس لكلمة [حه] في التسمية كثيراً فتدخل في أسماء الرجال والنساء مثل حباق ، حطاط ، حنوخ ، حساس ، حلال ، حه بوخ ،حه بزي ، وغيرها كثير ؛ ولكن الجراكسة في هذا انما درجوا على ما هو مألوف عند الكثير من الأقوام القديمة خاصة منها العرب والأتراك ، لذلك فهذه الفكرة ضعيفة المسند [لقد كان للكلب والأسد اسماً واحداً. وتحليل تحه هو ته حه بمعنى المعطي الوهاب الآخذ] .

من مجلة ميني قفقاسيا . عدد أيلول ١٩٦٢ - صفحة - ١١ - نقلاً عن مؤلف أرتور بيهان ترجمه إلى التركية وحيد جانبك.

★ ★ ★

الإعتقادات الدينية القديمة للجركس

العادات الجنائزية :

١ - في آبخازيا (أباظة) إذا قتلت الصاعقة أحدهم ، يضعونه في تابوت ويعلقونه على شجرة حتى يتفسخ الجسد [كما كان الحال قديماً عند قوم اللاز وفي سيبريا] ومن ثم تدفن العظام .

٢ - عند الجراكسة وفي القرن [١٦] إذا مات أحد المتنفذين ، تفرغ أحشاؤه ثم يوضع جسده فوق سيباط [خيمة من أغصان الأشجار] عال في بستان له قريب ، ويعرض على الناس مدة أسبوع كامل ؛ تفرش الخيمة بالبسط المزينة وفراش وثير .ويسجى الميت بكامل ملابسه ، ويقف اثنان من أقربائه من كبار السن على طاولتين من الخشب في جانبيه وعند رأسه تقف فتاة شابة بيدها سهم عقدت في طرفه منديل من الحرير تزب به عن وجهه الذباب والحشرات ، تقعد زوجته الكبرى الأولى عند رأسه بدون بكاء ويأتي المعزون ليشاهدوا الفقيد ويعزوا أهله . فإذا انتهت مدة العزاء ، ويكونون قد هيأوا تابوتاً مصنوعاً من ساق شجرة غليظة مقسومة إلى قسمين طولانياً ومجوفة بإتقان ، يضعون فيه جسد الميت بكامل ملابسه وزينته وأسلحته وقسماً من أشيائه الغالية .

ويختارون مكاناً يضعون عليه التابوت ، ويجتمع المشيعون للجنازة من ذويه وأتباعه وأهل القرية والقرى المجاورة ، ويبدأون بوضع التراب فوق التابوت ، وذلك بأن يتولى عدد منهم بفلاحـــة الأرض المجاورة ويتولى الباقون نقل التراب بالزنابيل ، حتى يعملوا تلاً ترابياً فوق اللحد ، وكلما كان مقام الميت كبيراً كلما كان التل الترابي كبيراً وعالياً .

وتوضع فتاة باكرة عمرها ١٢ - ١٤ سنة مصرورة داخل جلد ثور ، فإذا حاول بعض الشبان الإعتداء عليها ، فإنها تضحى للميت ؟!..

وبعد الدفن ، يتولى أحد خدمه قيادة جواده الذي كان يركبه مسرجا ملجوماً بكامل عدته ، صباح كل يوم إلى القبر ، وينادى سيده بأعلى صوته داعياً إياه للحضور إلى الطعام.

أما في هذا الوقت فإن الدفن يجري بإشراف رجل الدين الراهب، إن كان مسيحياً، والملاّ (الشيخ) إن كان مسلماً ، ويدفن الميت بكامل ملابسه وسلاحه ، ويضع الطعام فيأكل منه الحاضرون ، ولكن قبل الدفن يجلس النائحون على ركبهم عند رأسه لدى قدوم المعزين والمشيعين ؛ ويربط حبل في أعلى عامود (ركيزة) الغرفة ، فإذا حملت الجنازة يشد الحبل حتى تهتز الغرفة ، وتظل واقفة لا تنهار ؟! (حزناً على المتوفي) ومثل هذه العادات موجودة عند قبيلة (خوسور) الجبلية وعند المنغوليين في كرجستان .

٤ ـ كانت العادة قديماً عند الجراكسة أنه أثناء الدفن كان يوضع طرف اللجام في يد الميت ويجعلون الجواد يدور حول القبر ثلاث دورات ثم تقطع الأذن اليمنى للجواد وترمى في القبر .

ويدوم المأتم والأحزان بالنسبة للنساء [والدته] و زوجات والده وشقيقاته ، زوجته أو زوجاته مدة أربعين يوماً ، يزرن خلالها القبر صباح مساء ، كما يترك على المائدة مكان المتوفي فارغاً وتوضع له الأطعمة كما لو كان جالساً إلى المائدة ، ويتطرف البعض فيطيلون هذه المراسيم لمدة عام ؛ ولكن الجميع يحتفلون بيوم الأربعين للوفاة ، ويحتفلون ثانية في خريف السنة التالية ويسمونها (تقسيم الروح . ASPKHUFRA] ، وقبل هذا الإحتفال الجنائزي بيومين تعرض ملابسه وأسلحته وجواده بكامل عدته طوال الوقت ، ويكون المأتم قائماً لدى أهل بيته ، ثم تذبح الذبائح فوق القبر ، أما أصدقاؤه من أهل القرية فيحملون الشموع الموقدة المصنوعة كالنجوم ؟!أو يثبتونها على قرون الثيران ، ويسوقونها إلى المقبرة وهم حفاة الأقدام مظهرين الحزن الشديد ويحملون معهم أنواع الأطعمة.

وفي اليوم التالي يمسك أحد أتباعه عنان جواده بكامل عدته ويجعله يدور في دائرة في الحقل المجاور للقبر ثلاث دورات ، ويتبع الجواد في دورته أقرباء الميت و هم بملابس الحزن ؟!.. وحسب إعتقادهم أن روح الميت تدور حول هؤلاء معهم ثم تعود إلى القبر لآخر مرة فلا تغادره، ثم يطعم الحاضرون (طعام الذكرى والإحترام) للميت وبعد ذلك يعمدون إلى القيام بسباقات الخيل ومسابقات في إطلاق السهام أو النار.

٥ ـ ومن عوائدهم إحاطة مدافن الأسر الكبيرة التي تحتوي على التلال الترابية بسياج ، ويزرعون أشجار الفاكهة حولها.

٦ ـ يعتقد الأبخاز أن أرواح الموتى تحتاج إلى كل ما يحتاج إليه الأحياء ، لذلك يبنون بجانب القبر غرفة صغيرة من الأخشاب ، ويضعون فوق القبر البطيخ والخيار المحزز ، ويضعون على موائهم طعاماً للميت مدة سنة ؛ وفي يوم الذكرى السنوية الأولى للوفاة ، يضع عميد الأسرة ، والده مثلاً ، في باحة الدار رغيفاً كبيراً من خبز الذرة الصفراء المنقوع في الشراب وكذلك قطعاً من قلب وكبد الضحية المذبوحة ذلك اليوم تقدمه لروح الميت ، ذلك لإعتقادهم أن أرواح الموتى إذا أهملت ، فإنها تأتي في الليالي وتحوم حول الدار وتصدر صفيراً ، وعندها يضعون خارج الدار شراباً وطعاماً لإرضائها ، لأنها إذا غضبت فإنها تشيع الأمراض بين الناس والبهائم ، وفي هذه الحالة فإنهم يبنون خيمة من الإغصان ويمدون داخلها قماشاً (سفرة المائدة) وعليه اللحم أو اللبن المختر ، ويرتلون الأدعية لتسكين غضب الموتى [akkghipsnghis) ، فإذا كانت الروح روح إمرأة فإنهم يضعون مع الطعام الملابس وأدوت الزينة . وكذلك فإنهم يعمدون إلى تدليك ظهر المرضى المجاورين وترتيل الأدعية بين حين وآخر لتأمين شفاء المريض وإرضاء الروح الغاضبة.

٧ ـ إذا غرق أحدهم ، يعتقدون أن روحه تبقى في الماء ، ولكي يخرجوا الروح من الماء ويعيدوه إلى جسده المدفون ، فإنهم يمدون فوق النهر حبلاً رفيعاً من الحرير يثبت على الشاطئين ويعلق في وسطه كيس (مشين) مفتوح ، ويتجمع أهل القرية رجالاً ونساءً ويقيمون احتفال رقص على أنغام الأناشيد الحربية التي يرتلونها ، فإذا دخلت الروح في الكيس يلقى أحدهم نفسه في الماء ويسرع لإغلاق فوهة الكيس بالرباط ثم يحملون الكيس إلى عند القبر ويفتحونه لتذهب الروح وتدفن مع الجسد في قبره .

الإعتقادات والعادات الدينية:

٨ ـ حسبما يذكر المؤرخ الكرجي (واختانغ) فإن الديانة المسيحية دخلت البلاد في عام ٤٠ م . ولكنه لم يجد محيطاً مساعداً للإنتشار ، مع أن البلاد المجاورة انتشرت فيها المسيحية بسرعة بسبب الفتوحات البيزنطية ، ولقد عمد الامبراطور جوستنيان إلى إنشاء كنيسة كبيرة في بلدة (بيتسوندا) ، التي كانت عاصمة الحكومة الكرجية ومركزها الديني الكاثوليكي . على أن اكثرية الأبخاز تقبلوا الدين الإسلامي في القرن (١٧) بتأثير وضغط التتار، ولم يبق مخلصاً للمسيحية سوى أل (صامورصاقان) ، ومع ذلك كان الأبخاز يقومون بزيارة خرائب الكنائس والأديرة الكثيرة المنتشرة في بلادهم على أنها أمكنة مقدسة ويقسمون الأيامين عندها ، ولا زالت عندهم بعض العادات ذات المنشأ المسيحي ، مثل شموع شمع العسل ، البيض الملون ، الإحترام لإشارة التصليب ، الصوم ، أكل لحم الخنزير .

٩ ـ أما الجراكسة (الأديغة) ؛ فقد تأخروا عن الأبازه في ترك الديانة المسيحية وتقبل الإسلام ، وبتأثير تتار القرم والعثمانيين ، اسلم القبارطاي في أواسط القرن الثامن عشر ، ثم ظل الإسلام ينتشر بين القبائل المجاورة حتى عمهم في أواخر القرنين [١٧٠٠ ـ ١٨٠٠] م . ومع ذلك فإن القبائل الجبلية في بلاد الكرج ، المسيحيون والمسلمون ، ظلوا محافظين على كثير من تقاليدهم القديمة.

١٠ ـ وتوجد مشابهة كبيرة بين العقائد الأبخازية والقوشحه آستين ، فهم يعتقدون بوجود إله أكبر [anzar ms] هو مالك الخير والشر.

١١ ـ ومنها أن الأرواح [Asatsaça patsa] هي التي تعين أقدار المولودين الجدد ، ويضعون على جبهته إشارة [Iak hinitsara] .

١٢ ـ والأبخاز يعتبرون الطبيعة كإله ؛ فحامي قطعان الماشية [Aytar] ؛ وحامي الماعز [جابران Gabran] وإله الغابات الطبيعية [Ajvepşa] ؛ والتراب [آدابانا] وقوس قزح [Atsakva] ؛ وإلاهة الماء [dzilan dzahvas]؛ وإلاهة الرياح [بشارناpşarna] ؛ وإله المزروعات [جاجا] و [آنابانغا] ؛ وإله الكلاب [آليشكانترا] وإله النحل [آناناغوند] .

وعند القوشحه آستين ، كذلك عيناً ، حامي غزوات السلب والنهب هو [Azrigat snykh أو Çugurukhnikh] ؛ وإله الحدادين عندهم [شيوشو]؛

وهذه الأخيرات ، التي تراجع كثيراً وبإلحاح ، هي حاصلة من عقيدة [المانيشيزم] أي الإيمان بالأرواح ، بل هي ناشئة من فكرة [حامي موقد النار] الإله [آشاآرا] واما إلاهة الأمهات فهي [أنانا Ananaa] وآلهـــة أرواح الأسنـــان [آدنتا]. إله البـــرق عند الآستين [ألي Eli] مقدس لديهم وكذلك الأبخاز فإنهم يعزون إليه القدرة والحيوية ، ولكن هذا الإله الذي لا يقـــارب حـــائز على قـــدرات كثيـــرة مختلطـــة ، بل أعطي مرتبة أعظم الآلهة [Anibs - nikha - dudrupş] ومقامه على جبل [دود روبش] بالقرب من [ليخني] .

أما إله الصيد فهو [آجوبشا Ajvepşa] ، وموسم الصيد يبدأ عندهم بعد إكمال قطف أعناب الكروم ويدوم حتى السنة التالية ، والصيادون قبل البدء برحلات الصيد يضحي كل منهم إمـــا بكبش وإما بتيس وذلك لكي يعطيهم الإله من قطعانه من حيوانات الصيد ما يريدونه ، ولأن هذاالإله كان يعطيهم (للذين لم يضحوا له) حيوانات الصيد ما يريدونه ، لأن هذا الإله كان يعطيهم (للذين لم يضحوا له) حيوانات قد أكل هو لحمها ثم أكلت بناته ما تبقى من اللحم ، ثم جمعت عظامها وسترت بجلودها وأعيد إليها الحياة ، فهي ضعيفة ، جلد وعظم ؛ والحيوانات البيضاء هي رعاة هذا الإله [آجوبشا] وعليه لا يتوجب صيدها.

١٣ ـ كما كان في عقائد الأوربيين ، فهم يعتقدون بوجود مخلوقات أو أرواح شريرة تمتص دماء الأطفال خاصة وتأكل الأكباد وتمزق القلوب ، ويشربون حليب البقرات ؛ وهذه الأرواح ذات قدرات وصفات مختلفة ، ويركبون (يتقمصون) حسب اللزوم في شكل ضفدعـــة أو فـــأرة أو قطـــة أو الثعالب والذئاب ، ورئيسهم هو [روسكيبي] ويقيم في جبل [تاباقونا] وهاته الأرواح ؛ عندما تصعد وتظهر أمام مريمين (ماري ـ مريم) ، ولأجل تقديم الحساب عن أعمالهم السنوية ، فإنهم يقدمون لها كهدية أجسادهم ؟ التي سرقوها؛ ولهذا السبب فإن الأبخازيين يعمدون في أيـــام الصوم المسيحي إلى حمل الشموع الموقدة فوق رؤوسهم ويرسمون الصليب بكثـــرة ، وفي أول ليلة لا ينامون ، يطلقون الرصاص ويغنون الأناشيد . وهذه الأرواح الشريرة تستطيع أن تقيـــم بين الأناسي وعلى جبل تاباقونا ، ذلك لأن روحهم الثانية [Apsccada] تتجول هنا وهناك .

١٤ ـ والأبخاز ، عدا عن آلهاتهم القديمة ، كانوا يقدسون عيسى المسيح وكذلك امه مريم العـذراء وكذلك القديس سان جورج ويعتبرونه حامي قرية ليخني [تاميندا ـ شيورغي] ويعبدونه ، ويضحون له في كل سنة غنمة وعجلاً على أذنه إشارة وتهدى إلى الكنائس .

١٥ ـ أما الشجرة المقدسة فهي عند الجراكسة ، كما هي عند القبائل الكرجية الجبلية . وهناك تعقد الإجتماعات الهامة ، وكان الهاربون من المجرمين واللصوص يجدون هناك ملجأ

مأموناً ، وكان الغزاة والمحاربون والصيادون يعلقون على أغصانها الهدايا والتقدمات المتنوعة، وهي شجرة [قود شو] .

وبعض الجماعات كانوا يقدسون صلباناً منحوتة من الصخور أو مصنوعة من الحديد . ورجال الدين منتقون من كبار السن ، فهؤلاء يرتلون الأدعية أمام المؤمنين القادمين ويضحون الأضاحي من الأغنام والخراف والماعز والبقر ، أما الصليب الذي يحميهم من الأرزاء ، وقبل ذبح القرابين يصبون على صوف الغنم شراباً [بيره من الذره الصفراء] ويحرقونها بأغصان الزان ثم يذبحون الذبائح [هذه تشابه تقاليد الجره ميس] ويعلقون رأس الذبيحة على شجرة كتقدمة للآلهة ، أما الجلد فيأخذه الكاهن ، وأما اللحوم فيأكلها المتعيدون القادمون الذين يقيمون حفلات الطراد والمصارعة وحلقات رقص الأعراس والألعاب الحربية.

١٦ - وآلهات الجركس (الأديغة) هي تقريباً نفس آلهات الأبخاز ، فالجراكسة كانوا يعتقدون أن هناك إلاها أكبراً يحكـم السمـــاء والأرض واسمه [تحه] ، وإله الحدادة [له بش] [TLIEBSKE] وأما حماة الزراعات فهم [iemikha , skuskha , naokhatkha] أما الإله حامي الغابات فهو [مزيتحا] وهذا الإله يركب خنزيراً جلده من الذهب ووبره من الحرير ، وله بنات يحلبن الغزالات ، وإلاهة النحل [مريتا] أو [مريمه] وأما الآلهة الحامية لأفراد الأسرة ، والذاهبين إلى الحرب ، والمسافرين فمعنى اسمها [الأخوات الثلاث] ، وأما إله الرياح والمياه فهو [سيوزه ره س] .

وفي أول الربيع ، تقام حفلات تدوم ثلاثة أيام على شرف [سيو سر ه س] هذا ، يحضرون لها الزينات من أنواع الزهور وسواها، أقراص الجبن المغطاة والمزينة بالدانتيل وشجرة انجاص يابسة مستورة بقماش مزين علقت عليه القناديل ، وتوضع هذه الأشياء في دار أسرة كبيرة المقام ، وبعد الطعام يقتسم الحاضرون لحم ذبيحة قدمت قرباناً للإله وكذلك قرص جبن كبير مسحور فيه خاصية الحماية من الأمراض . ولهم أعياد أخرى في رأس السنة الجديدة ، وفي ..... يحتفل به من شهر [مارت . آذار] وقبيل هذه الأعياد يصومون [perhiz] ثم يجتمعون في الغابة المقدسة عند شجـــرة قودش ويذبحون القرابين ، ويوقدون النيران فوق البيض ، كذلك لهم عيد في بداية الحصاد ، وفي هذا الإحتفال يأكلون الحنطة المقلية مع اللبن الخاثر ، ومآكل من أنواع المحاصيل الأخرى والفواكه ، وبعد نضج المحاصيل الزراعية يقيمون عيداً مثل هذا .

١٧ - والأبخاز ، في حفلاتهم الدينية وأعيادهم ، يذبحون القرابين ويثردون لحمها المغلي بالحليب مع الخبز ويرتلون الأدعية ويلقون القصائد الدينية البليغة ، وهكذا ففي أول السنة يجلسون وركبهم إلى الأرض حول مائدة بشكل مربع [دورتكن] مع الباستة والجبن ، وهذه العادة يسمونها [كاليندا] ، ادعوا للرومانيست ولغيرهم من الكاليندا وفي صباح رأس السنة

يضع رب العائلة على صدر كل فرد من أسرته رغيفاً من خبز الحنطة معه بيضة واحدة (*) ويدعو لهم بالوقاية من أمراض القلب [gunikhva] . وأما في عيد [نويل] يقوم رب الأسرة ما بين أول صياح للديكة وشفق الفجر ، ويدعو لأفراد اسرته بالحماية من أمراض المعدة ، ثم يأكل كل فرد فروجاً مقلياً ورغيفاً مربعاً بالجبن [kvakvari] .

كذلك قبل يوم واحد من رأس السنة ، (وهذه العادة بالخاصة للحدادين) ، فإنهم يحتفلون بعيد [سيوشو] يدعو فيها رئيس العائلة بالصحة والعافية لأسرته ويدعو لهم بأن يحفظهم الإله من الحوادث التي تسببها الآلات ، ويلقي في النار قطعاً من الجبن الأبيض والباستا [عصيدة] وقلب القربان وكبده ؛ أما القرابين التي يذبحونها فهي عجل أو رأس من الغنم لرب الأسرة ، وديكاً لكل فرد من الأسرة.

١٨ ـ قبل أن يذهب الرعـــاة إلى الجبال ، ومن بعـــد عودتهم منها ، فإنهم يضحون لإله البرق الأكباش ، وهـــذا الإلـــه يسميه الجركس [شيبلـــه] بمعنى الصاعقة ويسميه الأبخاز [Api , khakhikal] معناه الجالس في الأعالي ، وهم يدعون له بأن يحميهم ويحمي قطعانهم ؛ فإذا أصاب البرق حيواناً وقتله ، فإن صاحبه يدعو جميع سكان القرية ويعلق جسم الحيوان المصاب على خيمة بإرتفاع ثلاثة أمتار تقريباً أو على شجرة وهو يرقص ويغني أغاني خاصة [atlar - cup] ، ثم يضحي هنالك بثور ، ويدعو للإله بحماية حيواناته في المستقبل الآتي ، ويشوي لحم الأضحية ويأكله الحاضرون مع الخبز والجبن والشراب ، ويقيمون حلقة رقص كما في الأعراس.

والأبخاز ، إذا أصابت الصاعقة إنساناً ، يحتفلون بنفس الطريقة ، ولكن لكي لا يغضبوا الإله فإنه لا يبكي أحد مطلقاً .

ومن هذا كله نعلم أن البرق والصواعق شديدة وكثيرة الوقوع في تلك الجبال و تصيب في أحيان كثيرة الناس والحيوانات .

وإذا شفي مريض من مرضه فإنه يذهب إلى النهر بصحبة امرأة داعية [كاهنة] ويضحي هناك بدجاجة للألاهة [أم المياه] ولزوجها ديكاً وكذلك لخادمه . ولكي يخلص من المرض نهائياً فإن زوجته تمسد له ظهره.

١٩ ـ إذا أصيب أحدهم بمرض الصغار أو بضعف عام ، فإن كبار السن المعروفين بالوقار يأخذون المريض إلى النهر ، ويضعون ملابسه ودراهمه على ضفتي النهر ، ويمدون على النهر حبلاً مشدوداً إلى الشاطئين ، وفي هذه الأثناء تدور الكاهنة حول المريض حاملة بيدها mankenle وتدعو الآلهة Èliapşi وقوس قزح (arc - en - ciel) ولأم المياه وزوجها طالبة

(*) الخبز الذي يصنعه الجراكسة هو رغيف سميك كبير يشوى بين نارين وتثبت فيه بيضة نيئه تستوي معه ، ويعملون الخبز من الحنطة أو الذرة الصفراء .

شفاء المريض ، ويلقون في الماء الأطعمة التي جلبوها تقدمة لتلك الآلهة وهي مكونة من الدجاج المحمر والسمبوسك بشكل اللسان ؛ وأخيراً يأخذون قرعة كبيرة مفرغة [قرع شتوي] بداخلها شمعة موقدة ويضعونها في تيار النهر داعين للآلهة بالرضاء عن المريض وشفائه .

٢٠ ـ الكمركوه ؛ إذا حل بماشيتهم وباء البقر ، فإنهم يحفرون عند شاطىء مرتفع للنهر شبه مغارة ، ويحفرون في وسطها جورة يضعون فيها قطة سوداء مقيدة بحزام من الفضة ويسترونها بالأخشاب والتراب ، ثم يشعلون النار بدلك قطعتين من الخشب ويوقدون بها كومة من الخشب ويمررون قطعان الماشية بين النهر والمغارة والنار ، ومن ثم يطلقون سراح القطة .

٢١ ـ ويوجد عندهم استعمال الماء الذي نفخ فيه الدعاء بعد قراءته ثلاث مرات والمرأة العاقرة تؤخذ إلى النهر (لتغطس فيه) عندها يلقون في النهر بيضة . فإذا كانت المرأة (لوهوسا) شحيحة الحليب ، فإنهم يصبون الحليب في ماء النهر.

٢٢ ـ الأبخاز يتنبأون عن حوادث المستقبل ، والنجاح بمشروع أو عدم نجاحه ، بالنظر إلى النجوم والقمر أو يتفاءلون أو يتشاءمون بالإنسان الذي يصادفونه صباحاً أو ، كما يفعل التتار، يضعون تحت النار عظمة لوح الكتف لذبيحة ويلاحظون كيفية تحركها بفعل النيران.

٢٣ ـ وحسب علمي . فالأبزاخ يتنبأون بالنظر إلى عظمة لوح الكتف على ضوء الشمس ، ينظر فيها فتاحو فأل اختصاصيون يقال لهم الناظر إلى لوح الكتف [blebğuaplc] وكذلك تنظر العجائز الفأل بواسطة عدد معين من حبات الفاصولياء تلقيها على الأرض ثم تجمعها وتلقيها ثانية وثالثة ويسمون هذا الفأل (إلقاءالفاصولياء) = [Geş yedzi] .

(توجد معلومات مفصّلةعن الويدى Uidi حسب معتقدات الأبزاخ في مفكرة عام ١٩٦٣ فيها تفاصيل لا أحفظها لذلك يجب العودة إليها).

الويدي Uidi

الويدي هم البشر ويعيشون بين الناس حياة عادية تماماً ، ولكن لهم القدرة على التقمص بالشكل الذي يريدونه كما أن لهم القدرة على الطيران .

وقد ذكر السائح أوليا جلبي أناساً شاهدهم من هذا الطراز ولكن سماهم (أويوز) وذلك مذكور في الكراس الخاص بسياحة أدلياجلبي في القفقاس ، ويذكر من صفات الايوز ما فيه اختلاف عن صفات الويدي التي سأذكرها كما سمعتها:

١ ـ صفة الطيران . في الأيام الثلاثة التي تبدأ في الخامس عشر من أربعينية الشتاء وفي الليل والناس نيام ، كان الويــدى يلحسون الحجــرة الملساء Mijue Uipbtse أو الحجرة العريضة Mijuabğue ثم يطيرون من مدخنة البيت إلى جبل سابر sabir 'Uaŝh ويقيمون الإحتفالات ، ويأخذون معهم الحيوانات السمينة ويذبحونها ويأكلون لحمها ، ثم يجمعون

العظام والجلد وبسحرهم تعود كما كانت ولكن هزيلة ، وبعد منتصف الليل يعودون ويعيدون تلك الذبائح إلى أصحابها بدون أن يشعر بهم أحد .

والشخص العادي الذي يلحس تلك الحجرة العريضة يستطيع أن يطير معهم مثلهم كما حصل لأحدهم ؛ وقد كان ضيفاً على أسرة من الويدي فأحس بهم ليلاً يلحسون الحجرة الملساء ويطيرون من المدخنة فقلدهم وطار معهم وشاركهم احتفالاتهم في جبل سابر ، ولكنه أخفى عظمة الورك لبقرة جارهم التي اخذوها وذبحوها ، فلما اعادوا تركيب العظام لم يجدوا العظمة فنحتوا من الخشب بدلاً عنها و أعادوا البقرة إلى صاحبها ، وقالوا أن غريباً عنا بيننا فعل هذا ولكن لم يتمكنوا من معرفته ، وفي الصباح ذهب الضيف إلى بيت الجار فوجد أن البقرة أصبحت هزيلة وأنها تعرج ، فصار يحدث الناس عما جرى وشاهد.

٢ ـ والويدى أناس يتزوجون ويلدون كالبشر ، ويعيشون بينهم لا يفرقون عنهم في الظاهر أبداً ، فإذا كان الزوجان من الويدي فالمولود لهما يكون ويدي حتماً، أما إذا كان أحدهما انساناً عادياً فالأغلب أن أولادهم لا يكونون من الويدي .

ويلاحظ البعض بقولهم أن الويدي يطيرون إلى جبل سابر بأرواحهم لا بأجسامهم والشائع عند قبيلة الأبزاخ أنّ طائفة [شاكوز] يظهر من بينهم الويدي .

٣ ـ صفة التقمص . يستطيع الويدي أن يتقمص أشكال الحيوانات ليلاً وخاصة القط الأسود . ويمتصون دماء الأطفال ويميتونهم : من ذلك أن امرأة أمسكت هراً على سرير طفلها فالقته بالنار وهرب القط ، وفي الصباح وجدت حماتها محروقة الوجه والأطراف فعلمت انها القطة وانها ويدي .

وكان الجراكسة اذا نكبت اسرة بموت أطفالها يتشاءمون من الويدي ، فإذا كثر المرض وموت الأطفال . يجمعون من يشتبهون بهم في دائرة يحيطونها بسياج من شوك يسمونه شوك الويدي Uid pan ويشعلون فيها النار ، فمن استطاع اجتياز دائرة النار فهو برىء وليس من الويدي أما الويدي الحقيقيون فإنهم لا يستطيعون اختراق نار ذلك الشوك الذي يشل سحرهم وحركتهم فيموتون حرقاً .

لذلك ففي الليالي الثلاث التي يطيرون فيها إلى جبل سابر ، كان الجراكسة يحيطون بيوتهم واسطبلاتهم بذلك الشوك ، ويغطون بها فوهات المداخن ويرشون حولها حبوب الدخن figu ويسهرون الليالي ويسلقون الذرة الصفراء والدخن ويعملون منها الحساء ويشربونه ، ويسجنون الأطفال في الغرف ويحرسونهم ويطعمونهم الذرة التي تمنع الويدي من الاقتراب منهم.

وعملية حرق الويدي يسمونها شواء الويدي Uid ğej

أما الليالي الثلاثة المذكورة فيسمونها ـ الليالي التي لا يؤكل فيها طعام جاء من الشحاذة أو الاستعارة tleűi mişxi şiş ، وبهذه الوسائل كانوا يحمون انفسهم وأموالهم من تسلط

الويدي وأضراره .

كما أن هذه الإحتياطات كانت سبباً في التوقي من أذاها غير المباشر ، لأن الويدي أثناء عودتهم من جبل سابر ، كانوا يملؤون قربهم بأنواع الأمراض والأوبئة وينفضون القرب فوق القرى ويرشون على البيوت ما تحويه من أمراض فتسري بين الناس الأمراض والشرور ، ولكن هذه الإحتياطات كانت تحميهم من ذلك أيضاً .

★

الدور الثاني ـ المسيحية وآثارها :

منذ التاريخ الذي دخلت فيه المسيحية إلى كرجستان ؛ بدأت تسرى إلى الشمال وخطت أولى خطواتها هناك عام [٥٥] للميلاد بمنطقة الآستين الجنوبية ، وناشرا هذا الدين آنذاك هما القديس أندره والقديس سيمون اللذان دخلا إلى بلدتي بوستافور وبوسفور ، ولم يتمكن الباحثون من معرفة موقع وآثار هاتين البلدتين ؛ واستطاعا جعل الكثير من الناس يعتنقون الديانة النصرانية ، ومن ثم اتجه المبشران واعوانهما ونشروا الدين إلى أبخازيا (أباظة) إلى منطقة بلدة صخوم الحالية واجتهدوا في نشر الدين هناك.

على أن انتشار المسيحية في القفقاس بصورة جدية وواسعة يصادف زمن حكم الإمبراطور جوستنيان البيزنطي في الفترة [٥٢٧ ـ ٥٦٥] م التي دام حكمه فيها ، حيث أوفد شخص يدعى بونتوك لنشر الدين على سواحل البحر الأسود ، فعمل بكل همة ونشاط .

ولقد مر معنا في تاريخ الكرج أنه في عهد البيزنطيين نشر النصرانية. في كرجستان القديس سان جورج وهو يعتبر حامي وشفيع الكرج كما كان شفيع الآديكة حين كانوا مسيحيين ، فالظاهر أن الديانة النصرانية انتقلت اليهم بواسطة اتباعه.

والقيصر جوستنيان يسميه الآديكة [جوستين] وبناءً على ما رواه الأقدمون كان حليفاً لأمة الآنت [الجركس] حتى أنه كان يلقب بالفارس الأنتي ،ولقد حارب الغوت بمعاونة الأديكة واحرز النصر ، وما زالت ذكريات هذه الملحمة ترد في أغاني الآديكة القديمة .

وقد نشط جوستين لنشر الديانة المسيحية بين الآديكة ولاقت دعوته نجاحاً ، فجعل يرسل إليهم الأرساليات الدينية وأقاموا الكنائس ونشطوا في التبشير حتى أصبح الآديكة يغلب عليهم طابع المسيحية ، وكانوا يسمون الراهب أو الخوري [شوجن] والأسقف [شخنيغ]. (شورا ص٤١) .

وقد نجح اليونانيون في نشر الديانة النصرانية إلى داخلية البلاد ، حتى أن قبيلة القبارتاي كلنت مسيحية كاملاً ولا يزالون يذكرون اسم الموقع الذي أقام فيه أول أسقف قدم إليهم من بلاد اليونان وهو مكان يبعد عن مدينة نالشيك الحالية أربعة فراسخ ويسمى حتى الآن [مزكورغان] أي [غابة الرابية] ، وهو تل مرتفع تكسوه الأشجار.

وقد ظهر بطبيعة الحال بين الجراكسة الرهبان ورجال الدين ، فكانوا يقولون عن الرومي [روم شوجن] وعن الجركسي [كركه شوجن] ، وكان فيهم أيضاً خوارنه من اللاتين لأن الكنيسة اللاتينية أيضاً كانت ترسل المبشرين .

ولا يزال في بلاد الآديكة بقايا بعض الكنائس القديمة التي بنيت على الطراز الإغريقي والتي تشبه صلبانها صلبان الكنائس الإغريقية ؛ وتوجد واحدة في المجرى العلوي لنهر القوبان ؛ واثنتان بين نهري القوبان والتبردي ، وهي مبنية بالحجر و الآجر ؛ والأولى من هاتين تسمى[شونه] ويلوح أنها مختصرة من [شو ونه] أي بيت الفرسان فقد عثر فيها على المعالف والمزاود والمناهل من الأجران الحجرية .

والثانية تسمى [خاسه ميفه] أي صخرة الإجتماع أواجتماع مجلس القضاء ، ويوجد فيها بدلاً من [مرآة القضاء] صخرة منقوشة عليها حدوة جواد ورجل كلب ، وفيها فوهة تتسع لمرور شخص عاري، وفي القصص الشعبي أن هذا المكان كان يستعمل لامرار المتهمين والأظناء منها فالبريء مهما كان ضخماً وسميناً يمر منها بسهولة ، أما المذنب ، مهما كان نحيلاً ، يعلق بها ولا يستطيع المرور .

ويوجد بين نهري القوبان وسلنجوق بعض الأبنية من الآجر فوق التلال وتسمى [آديوخ] بلهجة القباتاي و [آديف] بلهجة الآبزاخ ومعناه [الساعد الأبيض] ، وحسب الروايات فإن هذه الأبنية كانت مساكن للرهبان والقسيسين.

وتوجد أبنية حجرية وراء القوبان عند نهر [كفار] وعلى ضفاف نهر سلنجوق تسمى [آليات خه ياوونه] بمعنى بيوت الآليات أي مساكن الإغريق.

وعند المجرى العلوي لنهر [شرك] حيث يلتقي به نهر [مالقا] عدد لا يستهان به من القلاع والمآذن ويسميها القبارتاي [جولات] ويظهر أنها اختصار لكلمة [جورتيلا آنت] بمعنى معبد الآنت، وفي القصص أنها بنيت من قبل الجركس ، وكانوا قد درجوا أن يختلفوا إليها بغية التعبد والتوبة ، ولتقديم الضحايا ، ولتجديد الصداقة بين شخصين اختصما ، فإذا اختصم شخصان لسبب ما ثم تصالحا يذهبان إلى جولات ومع كل منهما قوسٌ وسهمٌ وفي جولات يمسك كل منهما أحد طرفي السهم ويعاهد رفيقه على أن لا يخونه ولا يؤذيه ولا ينازعه ، ثم يكسران معاً ، وكانوا يسمون هذه العادة [الذهاب إلى جولات] .

وفي المنقولات الشعبية أن الخان [قوجه بردي خان] قد نزل في موقع جولات وضرب عشائره من التتار خيامهم فيها ، ومن بعد ذلك سميت بإسم [تاتارتوب] ومعناه [تحت التتر] . أرض التتر .

وبعد مغادرة هؤلاء لهذا الموقع بزمن احتله خان آخر يدعى[جان بك] وكان مسلماً وبأمره حولوا تلك المساكن أو الكنائس إلى جوامع وبنوا لها المآذن.

إلا أن الشعب بقي على عادته القديمة في [الذهاب إلى جولات] ؛ وأصبحوا يقولون كيمين وقسم [لأكن مراراً في تترتوب إذا لم أكن صادقاً]

وفي اقليم قـــره شـــاي في هضـــاب قازبـــك بناء كبير ينسبه بعض المنقبين إلى شعب [مه وُت]، وبناء آخر وراء القوبان يسمى [سينتا] ويظهران هذا الاسم يدل على من كان يسكن هذا الموقع .

وتذكر الروايات أنه كان على ضفاف نهر المالقا مدينة قديمة تدعى [مالقانه] أو [بالخ] ، كما أنه يوجد بين نهري شكم وباقسان بقايا قلاع وحصون مازالت خنادقها واسوارها ظاهرة للعيان ، ولكنها لقدم عهدها لا يستطيعون تعيين زمن إنشائها والذين بنوها.

وعلى الضفة اليمنى من نهر [بودقوموق] جبل مرتفع رباعي مستطيل ، والجهة التي تطل على النهر المذكور ذات انحدار شديد بميل عمودي تقريباً ، وبالقرب من الجهة المقابلة جبل ثان أقل ارتفاعاً من الأول يصل بينهما جسر صخري طبيعي كبير ، والأول يحيط بقمته المنبسطة من جميع الجهات جدار صخري طبيعي يبدو للناظرين من بعيد كأنه سور حجري اصطناعي ، وفي الجهة المطلة على النهر ست درجات عظيمة منحوتة في الصخر تؤدي إلى فتحة في الجبل حيث يبدأ سلم صخري منحوت من الجبل يقود إلى أعلاه وقد وجد هناك في مواقع مختلفة الكثيـــر من التماثيل الحجرية والآثار الغنية الأخرى ؛ كما عثر على أكواب وملاعق فضية قديمة ، وعلى بعض الصلبان الحديدية التي تشبه صلبان الكنائس الروسية. (ص ١٩)

وجاء في الرواية أنه كان هناك مدينة اسمها [برغوسانت] ومعناها [مجتمع الجمع الغفير من الآنت] ، ويسمى الروس هذا الموقع[برغوستان] .

وأما موقع [نارت سان] فهو عبارة عن عين من الماء الجاري، وهذا الإسم محرف ومختصر من اسم [نارت بسين] بمعنى [نبع النارت] والنارت قدماء الجراكسة من العماليق حسب اساطيـرهم ، ويـؤول البعض هذا الاسم [نر آنت بسينا] بمعنى [عين الآنت ونبعهم] و الآنت هم الجركس كما مر بنا .

وهذا النبع حالياً في مدينة [كيسلاوودسك] .

ونجد نبعاً آخر اسمه [سناخو] وهو محرف عن [بسينا خو] بمعنى عين الماء البراقة وكذلك اسم [سناخو فاده] بمعنى مشروب عين الماء البراقة؛ ويقال أنها تعني الماءالطاهر المقدس وإن النارت القدماء كانوا يجتمعون عنده في دار كبيرهم ويوثقون على باب المضافة ثوراً ذا لون أصفر كي يذبح قرباناً ثم يوقدون ستة مشاعل ويرتلون الأدعية والإبتهالات وينشدون الأناشيد في تمجيد نبع الأبطال هذا قائلين:

هيا بنا ، قد آن اليوم أوان الشرب من نبع الأبطال . (ص٢٠)

★

وفي عام ١٧١٧م أصابت الديانة المسيحية في القفقاس ضربة قاضية ، فلقد أمر سلطان العثمانيين الأتراك تابعه خان القرم [دولت كراى] و [خازكراي] بنشر الديانة الإسلامية بين الآديكة بقوة السيف ؛ وقام خانات القرم بهذه المهمة وقد قتلوا الكثير من الخوارنة و الرهبان ورؤساء الدين ، وأحرقت الكتب المقدسة [التوراة والإنجيل] وحطمت عصي الأساقفة ونهبت الكنائس وأموال رجال الدين ولقد بقي من ذلك العهد المثل الشعبي [ليتك تفقد متاعك كما سلبت عصى شخنيغ] ومن ذلك إن الأوزدون [النبيل] القبارتاي [اسماعيل شوجن] كان لديه كتاب قديم غير مطبوع ورثه عن أجداده ، وكان هو أخر من يستطيع قراءته ، وقد توفي هذا عام ١٨٣٠م ، ولما أرسلت بضعة ورقات من هذا الكتاب إلى العالم الكبير [سيوركن] أفاد بأنها مكتوبة باللغة اليونانية ، وإن تلك الصفحات هي بداية الإنجيل.

وفي وديان القفقاس الكثير من آثار المباني القديمة والكنائس ، وجد فيها صلبان من النحاس كما وجد فيها الفحم والبخور في أوان خزفية. (ص٤٤) .

ولا تزال الروايات الشعبية تذكر أن قدماءنا كانوا يقدسون [أوشي كركه] اليسوع اليوناني، ويدعون النبي إلياس بإسم [ياليزا] والنبي موسى بإسم [إيمش] أو [آيم] والنبي داوود [تلى يابش] وقد يكون معناها [ملك الرجال]، وأما الله تعالى فإسمه كما مر [تحه] وقد يقال [بساتحا] بمعنى إله الروح . وكذلك يذكرون أن القدماء كانوا يحرمون على أنفسهم أكل اللحم في بعض أيام الربيع (شورانوغمو ص٤٤). في العصر الثامن الميلادي كان من الممكن اعتبار قبائل الآديكة والآستين والججن خاصة الآستين منهم مسيحيين ، ولكنها كانت مشوبة عندهم بالعقائد المجوسية القديمة ، فمثلاً يروى المسعودي الذي تجول بين الآديكة في القرن التاسع أنهم كانوا يدينون بدين [ماغه][*] ولم يلحظ أنهم نصارى . وفي بداية الحملات الصليبية حينما احتلوا القسطنطينية وشكلوا فيها دولة لاتينية ، سعوا لنشر المذهب الكاثوليكي في القفقاس وارسلوا ارساليات من جزويت الدومينيكان للتبشير إلى آنابا وسواحل البحر الأسود فإصطدموا بالأرثوذوكسية المتمركزة فيها ، وعلى ذلك بالكاد استطاعت الكاثوليكية أن تتمركز بين قبيلة الزيك (أوبوخ) ، وقد ساندهم أمير القبيلة [فرزاخت] وأبدى نشاطاً كبيراً في نشر المذهب الجديد ، وقد أرسل إليه البابا جان الثاني في عام ١٣٣٣ م رسالة شكر وتقدير

ورغماً عن جميع النشاطات التبشيرية المدعمة بالقوة العسكرية والنفوذ السياسي لم تستطع المسيحية أن تنتشر وترسي قواعدها بين الجركس ، لأن أحكامها وشرائعها لم تكن تنطبق على ميولهم وأخلاقهم وفطرتهم .

كما أنها اصطدمت بإنتشار الديانة الإسلامية في الداغستان منذ القرن السابع كما مر بنا.

(*) الوثنية .

والحقيقة أن التعاليم المسيحية التي تدعو إلى الدعه والتسليم وإدارة الخد الأيمن لمن صفع الأيسر لم تجد صدى في نفوسهم ولا تقبلاً في أعماق روحهم ، لأنهم كانوا منذ آلاف السنين يقضون حياتهم في كفاح ونضال مرير دائم ضد الغزاة والطامعين حتى أصبح القتال والحرب في طينتهم طبيعة فطرية .

ولذلك ، ورغماً عن المحاولات لنشر المسيحية مدة خمسة عشر قرناً ، فلم يبق من يعتنقها إلا الأرمن وما يزيد عن نصف الكرج وقسم من الآستين ، أما الجركس فليس فيهم إلا الجاليات المسيحية من القوميات الأخرى ، على أن شخصية القديس جورج الذي يسمونه [آوشا كركه] لا زالت باقية في أغانيهم القديمة (ققفقاسيا في التاريخ ص ٣٤١)

الدور الثالث ـ الإسلام :

دخلت الديانة الإسلامية إلى القفقاس عام ٦٤٧ م مع أول غزوة إسلامية في عهد الخليفة عمربن الخطاب رضي الله عنه ، وقد سرت وانتشرت بكل سهولة في أذربيجان وبلاد الداغستان وحتى عام ٨٠٠ م كانت قد رست في بلاد الجاجان أيضاً .

أما المنطقة الغربية من القفقاس بلاد الآديكة فقد وردت إليها الديانة الإسلامية من الشمال من القرم وانتشرت بسرعة حتى حوض نهر تيرك وتلاقت مع الإسلام هناك في القسم الشرقي من القفقاس ، على أن المناطق الداخلية من ساحل البحر الأسود والقسم الأوسط والأدنى من حوض القوبان تأخر انتشار الإسلام بينهم لعدم وصوله إليهم ، فلما نشطت الحكومة العثمانية في هذا السبيل بالتبشير وبالقوة بمعاونة القرم انتشر الدين الإسلامي بسرعة وبدون مقاومة ، وفي القرن التاسع عشر كان الجراكسة عموماً مسلمين إلا جماعات قليلة في الأعماق الجبلية لم يكن قد وصل إليهم بعد نور الحق والهدى.

وفي أثناء الحروب الروسية الجركسية التي دامت ثلاثة قرون وانتهت عام ١٨٦٤ م حاول الروس إعادة نشر الديانة المسيحية، ولكن جهودهم هذه كانت تقابل بالعكس ، ففي هذه الفترة أسلم من تبقى من الآديكة والأبخاز والآستين والاينكوش وكان ذلك مظهراً من مظاهر المقاومة ضد العدوان الروسي .

فأما الذين اعتنقوا الدين الإسلامي على يد العرب من سكان ققفقاسيا الشرقية كالداغستان وأذربيجان وقسم من الكرج فقد صاروا على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، على انه بسبب استيلاء الإيرانيين وتحكمهم طويلاً فقد تقبل سكان الجنوب الشرقي المذهب الشيعي .

وأما الذين اعتنقوا الإسلام بواسطة الأتراك والتتار وهم الآديكة والآستين والأبخاز فقد صاروا جميعاً على مذهب الإمام الحنفي رضي الله عنه .

الإسلام والجركس

تنطبق على الجركس وعلى اعتناقهم الإسلام الآية القرآنية الكريمة :
" ربنا اننا سمعنا منادياً للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ..."

نعم أنه لم يكن بد لإسلامهم أن تصل إليهم الديانة الإسلامية ويعرفونها ، وكان لا بد من وصولها بالفتح والجهار ، على أن قوات المجاهدين العرب وقوات الترك والتتار لم تستطع تثبيت أقدامها في القفقاس بالقوة ، ولم تستطع أن تفرض عليهم الدين بالقوة ، ولكن نور الهداية الربانية أضاء قلوبهم وتفتحت لها نفوسهم وعقولهم وتقبلتها فطرتهم وطبيعتهم فدخلوا طواعية ورغبة في دين الله أفواجاً ؛ ولم تكن في القفقاس قوة حربية عربية ، إنما كان فيها طائفة قليلة من العرب ينالون الإحترام والتقدير من الجركس المسلمين ويحكمون فيها بدافع من تقديس القفقاسيين لرسل الإسلام ؛ وقد رأينا ذلك فيما مر بنا من الأبحاث حين كانوا يثورون على العرب إذا أظهروا الصلف والعنت في حكمهم .

أما الأتراك والتتار الذين كانوا يستعملون أسلوب القوة والإكراه فلم يستطيعوا تثبيت أقدامهم وحكمهم بين الجراكسة ولا في فترة من الفترات ، إنما كانت غزواتهم ترد بكل شدة وتؤوب بالخذلان والهزيمة.

إن التعاليم الإسلامية التي فهمها ونشرها سادة وعلماء الجركس كانت تطابق ما تعلمه وفهمه تلامذة النبي محمد (ص) من الصحابة الكرام ، فلقد فهموا أن الإسلام تقوى في القلب وجهاد في سبيل الله وعمل لعزة الإسلام ودفاع عن الحق والوطن والكيان، وليس انزواءً في الزوايا وانقطاعاً للتعبد في المعابد ؛ إن الإسلام دين الفطرة الإنسانية الصافية الكريمة ، لذلك وجد طريقه بكل قبول ورضى إلى قلوب الجبليين الصافية ، لأنها كانت تلائم طبيعتهم وتجد الإعتقاد اللائق في أعماق نفوسهم ، وتضفي القناعة والرضى على ضمائرهم الطاهرة ، وتلهب مشاعرهم وتملأ قلوبهم بالعزم والحزم والصبر والإيمان الذي لايتزعزع ، وبالقدرة التي تقودهم بقوة قاهرة غلابة لا تلين .

إن التعاليم الإسلامية من حيث التعبد للإله وعن الروح والحياة الآخرة تشبه كثيراً الأديان السماوية الأخرى ، ولكنها ليست ديانة إتكالية كما أراد أن يصورها بعض القدرية بقولهم أن القدر خيره وشره من الله تعالى ، معناه التواكل والإستسلام والتكاسل وتقييد العقول والجوارح والإنصراف إلى الذكر والتهجد في الزوايا المظلمة ؛ ولقد حاول أعداء الإسلام إبراز هذه الصفة وجعلها أساساً للإسلام ، ولكن الإسلام الحقيقي لا يقبل إيماناً من هذا القبيل يتنافى مع المنطق ويدعو إلى الذل والخنوع والكسل والقعود عن السعي والتقدم.

إن الإسلام دين العقل والمنطق والإدراك السليم ، لأنه يعطى الحرية الفكرية وحق الدراسة

والمناقشة حتى حول مبادئه وتعاليمه العقائدية والإيمان الحقيقي يأتي بعد الشك يعقبه الإجتهاد والفهم فالإيمان العميق.

إن الحرية الفكرية في المسائل الدينية بالنسبة لكثير من الأديان الأخرى ، ولبعض الغلاة المتطرفين من المتصوفين المسلمين ، يعد كفراً وإلحاداً ومن علائم الرافضية ، ولكن هذا الإتجاه بالتفكير والتفسير لمن ينؤون في أغلال الخنوع وقبول سجن العقل وتقييد الأفكار، لا يتفق قطعاً مع روح الإسلام الذي يتمثل في حياة وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم وتلامذته الأبرار من الصحابة الكرام الذين كانوا مثال النشاط والتفاني في العمل والجهاد والأخذ بأسباب التقدم لنيل الشرف والمجد والفخار ، ولقد نالوا كل ذلك بفضل جهادهم وصبرهم وثباتهم ، ولم ينالوه بالإنزواء والتواكل ، والمسلم لا يرضخ للذل ولا يستسلم خانعاً لسطوة وعنت الملوك والبابا والسلاطين أو تسلط رجال الدين ومشايخ الطرق .

ولقد تبدى رفض الجبليين القفقاسيين للأفكار الإنهزامية بكل جلاء ووضوح في الطريقة النقشبندية التي كانت منتشرة في الداغستان ، فالنقشبندية في أصلها طريقة انقطاع للعبادة وانزواء للتهجد ، أما الداغستانيون وشيوخ النقشبندية فيها مثل الشيخ منصور وحمزات وشامل فقد جعلوا منها إمامية مريدية تدعو إلى الجهاد والكفاح والقتال المسلح حتى آخر نفس ، وقد أبرز هذا الفرق الإمام المجاهد الشيخ شامل الداغستاني حين سئل عن ذلك وهو في طريقه إلى الحج .

إن المسلم يردد دائماً " لا إله إلا الله" ويقرأ دائماً "إياك نعبد وإياك نستعين" نداء سماوي رهيب مهيب بنا أن لا نرتبط بسواه وأن لا نعتمد إلا عليه، وأن لا نقر بالعبودية إلا الله الواحد القهار ، فمن يفرط في التمتع بما وهبه الله من الحرية العقلية والحياتية فإنما يقيد نفسه بقيود تمنعه من الطيران للوصول إلى الحياة الكريمة التي خلقه الله تعالى ليحياها بقوله " ولقد كرمنا بني آدم" وكم هوحقير ذلك الإنسان الذي يرضى بالذل ويتمرغ في أوحاله كالديدان .

هكذا فهم الجركس الدين الإسلامي ، وقد استطاع القرآن الكريم بتعاليمه الحرة أن يجعل من الجراكسة القليلي العدد ، خصماً قوياً عنيداً يجابه وجهاً لوجه إعداءه ، الذين يفوقونه عشرين ضعفاً ويملكون من الأسلحة والعتاد مئة ضعف ويزيد ، صدراً بكل ثبات عدة قرون.

★ ★ ★

دخول كافة القبارطاي في الإسلام

إن الأمير عادل كري ابن حاتوظوقه [1] ادخل كافة قبيلة القبارطاي في الشريعة المحمدية بمساعدة الملا [2] اسحق آبوقو وأخذ يطبق أحكامها بحذافيرها على المذنبين والمجرمين دون استثناء أحد مهما كان مركزه الإجتماعي ، وبموجبها كان كل شخص يقترف ذنباً أو جرماً يتحمل حسب أنواع العقاب الجسماني حتى عقاب الموت.

وكانت سرقة شيء لا تتجاوز قيمته روبلاً فضياً تستوجب قطع اليد اليسرى ، والسرقات التي تتجاوز قيمتها الروبل حتى المئة روبل كان عقابها قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وأما الفاحشة فكان عقابها الموت ، وكذلك كان القاتل يقتل ؛ وكانت القضايا الحقوقية المتعلقة بالممتلكات الشخصية تحل وفقاً للأحكام الشرعية الإسلامية ، وأما المسائل التي تتناول العلاقات بين الأمراء والأوزدون ، أو الأوزدن وأفراد الشعب ، فكانت تحل وفق العادات القديمة والأصول المرعية.

ولا شك أن تطبيق الأحكام الشرعية المذكورة جاء بفوائد جمة وساعد على انتظام الأحوال المدنية والإجتماعية ، إذ كان كل فرد يخشى أن يقترف ذنباً أو يأتي بعمل مخالف لأحكام الشريعة والقانون. (شررانوغمو ص ١١٦) .

---

(١) عادل كري أحد أولاد (حاتوظوقه) الأبن الأكبر للأمير قازي ـ راجع المجلد الثاني ص٥٨٤

(٢) الملا هو الشيخ الديني .

إن الجراكسة بصورة عامة كانوا يعدون أنفسهم مسلمين مع احتفاظهم بعاداتهم القديمة ولكنهم في الواقع كانوا يجهلون تفاصيل الدين والشريعة لعدم وجود من يعلمهم . ولجهلهم القراءة والكتابة ، ومثل هذه الظاهرة موجودة في القرى وسكان البوادي والطبقة الجاهلة من الحضر في جميع بلدان العالم الاسلامي عند الاتراك والعجم والهند حتى والعرب ، فالطبقة الجاهلة والبدوية عندها لا تعرف من الاسلام إلا النذر اليسير ، وهذه الحالة موجودة حتى يومنا هذا .

تشكل المستندات البيزنطية المصادر الهامة في هذا البحث ، على أننا استعنا بالمستندات التاريخية الأخرى التي أمكن العثور عليها زيادة في الدقة والإيضاح .

لقد ذكرنا فيما سبق المعلومات الأساسية عن العناصر التي كانت تكون جامعة دولة البوسفور ولكننا في العهد البيزنطي لا نجد في مستنداتهم كل تلك الأسماء السابقة ونجد فيها أسماء جديدة وسندرسها بالترتيب :

أولاً ـ الإستحالات العنصرية في القسم الغربي من شمال ققفاسيا.

لا نجد في هذه الحقبة التي تبدأ بعد القرن الرابع للميلاد إلا ذكر ثلاثة عناصر فقط في منطقة الآديكة وهي [كازاخيا ـ زيخي ـ آباسك] وهــذه الأسماء ليست أسماء جغرافية للمواقع ، بل انها اسماء الأقوام القاطنة فيها ؛ وهذا يدلنا على أن الزيك والباسك قد حافظوا على كيانهم واسمهم ، أما الأقوام الأخرى التي ورد ذكرها في جامعة دولة البوسفور فقد تنوسي اسمها وتغير وحل محلها اسم [كازاخيا] .

آ ـ كازاخيا:

هذا الإسم يدل على النهاية الشمالية الغربية والمفهوم أنه يشمل شبه جزيرة تامان وحوض القوبان وحتى نهر [واربا] أو [توب] من ساحل البحر الأسود ، فهذه الحدود لا تشتمل على المساحة التي كانت تشغلها جامعة المآوث ولا منطقة نفوذ دولة البوسفور . ويرد وجود بلدة اسمها [تاما تراحا] قرب مضيق كرتش ، ويؤيد ذلك سائحون من العرب والإيطاليين ، ولكن العرب حذفوا حرف التعريف البيزنطي [تا] الوارد في أول الإسم فسموها[ماتراها] ، أما الإيطاليون فذكروها بشكل [ماتريكا] ، وأما الروس فقالو عنها [تاماترا كان] ولكن ليس للدلالة على البلدة فقط بل أطلقوها على المنطقة التي تحتوي شبه جزيرة تامان والشواطىء الشرقية لبحر آزاق ؛ ومعلوم أن نهر قوبان في مصبه في شبه جزيرة تامان ينقسم إلى فرعين ، الشمالي يصب في بحر آزوف والجنوبي في البحر الاسود ، فالجزيرة الحاصلة بين فرعي النهر وساحل البحر في مضيق كرتش كانت تسمى [آتاح] ؛ وعند مصب الفرع الجنوبي كانت توجد على الساحل بلدة [ساباكسيس] ومقطع [سيس] في آخر الكلمة آداة نسبه يونانية وكلمة [ساباك] بالجركسية تعني المكان الكثير الغبار.

على أن البيزنطيين لم يوردوا معلومات صريحة عن سكنة قازاخيا ويستعملون تعابير تدل على وجود الزيك في هذه المساحة ، ذلك لأن اتصالهم الواسع كان مع الزيخي أي قبيلة أبوخ الحالية ، والذين كانوا قوماً بحريين اشتهروا بالقرصنة في البحر الأسود ، والأجنبي غير المدقق

لا يستطيع التفريق بين القبائل ، لذلك ظنوا أن كملة [زيك] تعني جميع قبائل الآديكة . ولدينا ثلاث وثائق توصلنا إلى الحقيقة:

١ ـ منذ القرن السادس قبل الميلاد يذكر اليونانيون في كتاباتهم وجود قبائل الكيركاس والآنت = آديكة في هذه الساحة.

٢ ـ السياح العرب يسمون سكان غرب قفقاسيا [كشك] إطلاقاً على الجميع ، والمسعودي يتذكر خاصة وجود قبيلتي [حات و أحمت أو آدامت] في حوض نهر القوبان ويتعرض لذكر أوصافهم .

٣ ـ يذكر سائح إيطالي مدقق لدى تعرضه للكلام عن هذه المنطقة اسم كيركاس ويفهم من مجرى حديثه أنه يقصد بهم سكان غرب قفقاسيا عامة، كما أنه يذكر أن الأتراك يسمون هؤلاء السكان [جركس] والروس يسمونهم [قاسوغ] مع أن السكان أنفسهم يسمون ذاتهم [آديكة].

ومن المفيد في بحثنا هذا إثبات أصل كلمة قاسوغ الروسية ومصدرها ، لأن الروس لم يجر تماسهم بشكل جدي مع الجركس حتى بداية القرن الحادي عشر للميلاد ، وعلى ذلك فالروس لم يأخذوا هذه التسمية من الآديكة أنفسهم ، بل انهم تعلموها من الكاسيين الذين كانوا يقطنون حوالي نهر الدنيبر.

و ألفاظ [كشك ـ قاسوغ ـ جركس] المذكورة تبين لنا بوضوح كيف يتبدل تلفظ الإسم الواحد بتبدل الأقوام واللغات التي تلفظها ؛ فمثلاً إن أصل كلمة قاسوغ الروسية هو [قاسخي = قاساخي] وبما أن الروس يستعملون حرف [G] بدلاً من H فيلفظون مثلاً حسن بقولهم غاسان وابراهيم بقولهم إبراغيم ، فإن كلمة قاسوغي مأخوذة من كاساخي .

وكلمة كشك العربية أو كاشاك قد تكون محرفة من كاساخ كما في كلمة إغريق المحرفة عن غره ك اليونانية ؛ على أن كلمة كشك بلغة القوشحه آستين تعني السهل وكانوا يسمون بها سكان السهل من الجراكسة.

وبما أن [خي ـ خه ـ خا] في آخر الكلمة هي أداة نسبة في اللغة الجركسية فكلمة كاساخي معناها الكاسيون ؛ وبذلك يكون البيزنطيون قد أحيوا هذه الكلمة التي اهملت لدرجة النسيان بسبب طغيان ذكر اسماء القبائل الخاصة .

ب ـ الزيك = زيخي = أوبوخ .

حسب المعلومات البيزنطية تقع هذه المنطقة جنوب كازاخيا ابتداء من موقع [باباغيا] وعلى امتداد ٤٥٠ ك.م على ساحل البحر الأسود ، وتقع في منتصفه بلدة طؤابسي . ومعلوم أن الزيك يسكنون في هذه المنطقة منذ القدم و يسمون أنفسهم [جيخي] أما بقية الآديكة

فيسمونهم [أبوخ] وعلى ذلك فهذه القبيلة حافظت على كيانها واسمها ومواطنها جيداً ويجتهد البعض أن كلمة زيخى اليونانية محرفة عن كلمة [تسيفى] التي معناها [الإنسان] باللغة الجركسية ويلفظها القبارطاي[تسوخ] وكلمة [تسوخي] تفيد معنى [موطن الإنسان] وقد مر بنا أن قبيلة تسوخى كانت من القبائل الحاثية وأنها عادت إلى القفقاس.

ويؤيد هذه النظرية العالم التاريخي [ماساروش] المجري الذي أقام بين الأوبوخ ودرس لغتهم ثم أعلن أنها اللغة الحثية .

ومن الإحتمالات القوية أن الكركت والآخين الأقدمين قد اندمجوا في قبيلة الجيخ هذه .

جـ ـ الباسك = باسخيغ

هذه المنطقة تبدأ من جنوب بلاد الجيخ حتى نهر [إينغور] على ساحل البحر الأسود ، وعلى ذلك فقد حافظـوا على موطنهم واسمهم كالجيخ مع تقلص المنطقة التي كانوا يشغلونها ، وقد انحدرت بعض عشائرهم إلى الجنوب واختلطت بالأقوام القاطنة على الساحل التركي لا سيما مع أل[لاز] المتركة حالياً ، ومقابل ذلك فإن عشيرة [سانيغ = سانوخ] الأباسكية التي كانت في الجنوب فقد صعدت إلى أبخازيا والتحقت بالأباسك.

ولم يبق الأبخاز محصورين في الشواطيء بل امتدوا شرقاً في المناطق الجبلية حتى أحواض نهري قوما وانجيغ أو [زله جوق] وانتشروا نحو الشمال ، وبذلك اكتسبت هذه القبيلة أهمية خاصة لإتصالها شمالاً بقبائل حوض القوبان وشرقاً بالقبائل الوسطى والشرقية وجنوباً بكرجستان.

ووجود عائلة شارمات في هذه القبيلة تضفي عليها أهمية تاريخية:

وهذه المواصفات قد جعلت بعض المؤرخين يعطون صفة همزة الوصل لهذه القبيلة بين السارمات الشماليين وبين الميديين في الجنوب و كلاهما من جنس ميديا حسب اجتهادهم..

والموانع الجبلية وصعوبة الإختلاط بين الساحليين والداخليين منهم قد جعل الكتلتين تختلفان في اللهجات وطراز المعيشة ، لا سيما أن الساحليين قد تأثروا كثيراً من الأقوام الأجنبيـــة التي غـــزت بلادهم أو العناصر التي وفدت إليها بقصد التجارة ، فإن بلاد أبخازيا [آبسوا] نظراً لروعة مناظرها الطبيعية وفتنة سكانها كانت تجتذب دائماً الأجانب.

من هذا نفهم أن الأقوام الكاسية التي كنا ذكرناها قد اختلطت واندمجت وتفاعلت بمرور الزمن وضغط الأحداث وظهرت تحت اسماء جديدة وربما في مواقع جديدة ؛ ثم أن كثيراً من القبائل قد انقسمت على مر الزمن واتخذت أسماء جديدة أنستهم الأسماء القديمة ومحتها من الذكرى ، كما أن بعض القبائل تفرقت واندمجت في غيرها فلم يبق من يحمل اسمها إلا بعض الأسر والعائلات ، أو ظلت علماً على الأنهار والمواقع فقط.

فمثلاً من المرجح أن الكركت هم قبيلة بجه دوغ الحالية ، وأن الآخين والحانوخ هما أصل قبيلة آبزاخ الحالية ؛ وأن قبائل الجاجان هم من المه ؤت الأولين .

ثانياً ـ الإستحالات العنصرية في القسم الشرقي من قفقاسيا الشمالية

آ ـ قفقاسيا الوسطى :

في الفترة مدار البحث كان الآستين يشغلون القسم الأوسط كله مع منطقة القبارتاي الحالية .

ومع زيادة احتمال مجيئهم من الجنوب فإن قبيلة [إينغور] الآستينية كان تشكل اتصالهم مع الشماليين منهم الذين كانوا يعرفون بإسم [ياس ـ آس ـ آز] ، وبذلك كانوا يشغلون ذراعاً ممتداً من جنوب القفقاس حتى نهر الدون ، ولكنهم بعد ذلك تعرضوا للزحوف القادمة من الشرق الآسيوي فإنكمشوا في مواطنهم الحالية . واستوطن القرشاي جانب إلبرز .

ب ـ قفقاسيا الشرقية والسهول الشمالية :

تعرضت هذه المنطقة لغــزوات شعوب آسيا الوسطى من الطورانيين منذ عهد الهون وما بعد ، وكان الجاجان يعيشون في حوض نهر تيرك فإضطروا إزاء ضغط هذه الزحوف للإنسحاب إلى الجبال التي يستوطنونها حالياً وبذلك حفظوا كيانهم وقوميتهم .

أما منطقة ألبانيا أو أذربيجان فقط طغى عليها العنصر التركي تماماً ، وأما في بقية مناطق الداغستان فقد غلب العنصر التركي السكان الأصليين كثرة.

أما السهول الشمالية فقد خلت من الجركس وأصبحت منازل ترتادها القبائل البدوية من الترك والمغول كالقالموق والبالغار والقرغز والنوغاي وغيرهم .

وتعرضت الكرجستان أيضاً لمثل هذا التضييق ، وهناك أيضاً كانت عناصر منهم تتراجع إلى الشمال نحو المنطقة الجبلية لسلسلة القفقاس، وهكذا وبعد أن كانت هذه السلسلة الجبلية سداً فاصلاً بين الشماليين والجنوبيين فقد أصبحت ملاذاً للطرفين وهمزة الوصل بينهما ، وجمعت شعابها بين فرعي هذا الشعب وخلقت بينهما اتصالات مباشرة .

ومن المعلــــوم الآن أن قـــوم منطقة [سوآن] في القسم الغربي الشمالي من كرجستان قد تكون من اختلاط عناصر [آديكة ـ باسك ـ ايمرتي] كما أنه في الجهة الشرقية منها فإن قبائل [خيوسور ـ بشاوا ـ توش] ما هي إلا من اختلاطات الكرج والجاجان والآستين ، وكذلك من المعروف أنه قد اندمجت فيها عناصر عديدة من الشماليين واندمجت فيها في مناطق [شكا ـ زاكاتال] .

ثالثاً - الإستحالات العنصرية خارج القفقاس :

لقد ذكرنا عما كان يشغله الشعب الكاسي في جنوب الروسيا وحول البحر الأسود من الساحات فلقد تحدثنا عن الكيمريين وتعرضهم لغزوة الاسكيت ، ثم عن القبائل الكاسية في عهد دولة البوسفور وتعرضهم لغزوة القوط ثم الهون والآوار وغيرهم ثم عن توسع دولة الخزر وغـــزوات البجه نك ودولة المغول القبيلة الذهبية ثم التوسع الروسي ؛ وقلنا أن القبائل الكاسية [بعد أن تقاوم بشدة] كانت تتراجع أمام الزحوف إلى الغرب والجنوب وتتغرق أيدي سبا.

ولكن الحقيقة هي أن هذه الهجرات لم تكن مطلقة عامة ، ذلك لأن هذه الساحة واسعة جداً ، فليس من المعقول أن تموجات المهاجرين كانت تشمل في زحفها وإخلائها من سكانها جميع أجزائها ،ثم أن ضغطها وشدتها لم يكن ينتشر إلى جميع أرجائها بنفس الشدة والقوة ، كما أنها كانت موجات قبائل رحالة لا تكاد تستقر في مكان زمناً طويلاً ، لأن طبيعتها لا تلائم حياة الإستقرار و التمدن ؛ بل تميل إلى التجوال للغزو والنهب لا للفتح والإستعمار والإستيطان الثابت .

ولهذه الأسباب فإن رحيل الأقوام القاطنة في هذه الساحة الواسعة لم يكن كلياً بل جزئياً يتناول الأقسام التي تتعرض لثقل الزحوف المهاجرة ومناطق تدميرها البربري ، وعلى ذلك فإن أكثرية تلك الأقوام كانت تظل في مكانها بينما تلتجيء إليها عناصر من التي أجبرت على الهرب والرحيل ، ورغم أنها كانت تتعرض لمضايقات الغزاة إلا أنها كانت تحافظ على مواقعها وكيانها بإستعمال السياسة ودفع الأتاوات ؛ حتى هؤلاء الغزاة كانت تبقى لهم بقايا منتشرة في تلك البقاع عند ورود موجات جديدة من طوفانات الشعوب الشرقية الهمجية التي تطردها.

وبدلالة الحوادث التاريخية المتعاقبة نستطيع الجزم أن الشوطىء الشمالية لبحر الخزر والبحرالأسود و حوض نهر الدون وجميع شبه جزيرة القرم كانت مرصوصة رصاً بشعوب الكاس التي تجمعت على بعضها وتماسكت أمام الغزوات ، كما أنه من الثابت أيضاً وجود قبيلة [ديغور] المنتمية إلى السارمات والآلان في نفس هذه المنطقة في نفس الوقت . هذا ومن الثابت أيضاً أن كتلاً كثيرة من الكاسيين صعدت إلى شمال هذه المساخة وعاشت في الأقسام العليا من أحواض أنهر الفولغا والدون والدنيبر والدنييستر .

والدلائل تشير إلى اختلاط الديغور والكاسيين في الأقسام السفلى من هذه المساحة ومنها:

١ - أسماء أنهر الدون والدنيبر والدنيستر كما مر معنا ، كما أن بلدة [نوفوجركاسك] في

٢ - مصاب الدون وبلدة [جركاس] جنوب كييف تدل على وجود الكيركاس هناك .

٣ - وتوجه وثائق تثبت إقامة قسم من القبارطاي حول موقع ريازان

٤ - ثم إن وجود عائلات كثيرة بين البولوفتس [القومان أو القبجاق] تحمل أسماء قفقاسية كاسية تدل على وجودهم هناك بكثرة.

والدلائل قوية على أنهم كانوا يبسطون نفوذهم على بقايا المهاجرين الشرقيين والغربيين ويتمثلونهم من الناحية القومية والإجتماعية ، كما يتأثرون بهم طبعاً .

وكنتيجة لهذه الإجتهادات والمطالعات فإنه من الممكن الحكم بوجود الدم الكاسي بكثرة وقوة في شعوب جنوب الروسيا .

وكما كنا ألمحنا في السابق فإن قول المؤرخ الروسي ألكساندر باشماكوف " إن الروس الشماليين حتى العصر السابع عشر ميلادي كانوا يسمون الروس الجنوبيين بإسم(الجركس) " يؤيد بكل قوة هذا الزعيم .

وفي عـــام ١٦٦٩ م في عهد [إيفان فاسيلوفتش] سارت قوة من الكيركاس بقيادة الأمير [فيشن ويسكي] خارجة من حوض نهر الدنيبر وقاصدة إلى آستراخان ، وبعـــد أن أنهى هذا الجيش الجركسي مهمته في آستراخـــان استقـــر عنـــد مصب نهـــر الدون وأنشـــأ بلدة [نوفوجركاسك] كما قطن في مواقع [دونتس - مدويديا - دوزلوق] وإن من المحقق أن هذا الجيش لم يوفق في إجراءاته التي نفذها إلا بما لقيه من دعم سكان تلك المنطقة الذين ينتمي إليهم جنساً وهم الجركس الذين كانوا يعيشون في تلك النواحي .

فهذه الحوادث والدلائل تشير وتؤيد بشكل جازم وجود كثافة من الجركس في جنوب الروسيا حتى الأيام الأخيرة ؛ ولكنهم تعرضوا فيما سبق من الزمن وإحداثه لاستحالات وتطورات جعلتهم يقطعون صلتهم القديمة بالقفقاس فأصبحوا والجركس غرباء عن بعض ؛ وإن قبائل القازاق التي تشكل العنصر الأساسي والكثيف لجنوب الروسيا لا يزالون يحملون اسم شعب كاس ، فإن اسمهم [كاس . آك] يعني الكاسيون لأن مقطع [آك] هو أداة نسبة بلغتهم. (إن اسم كازاك مأخوذ من كاسوغ) .

أما عن الكيركاس في شبه جزيرة القرم :

الوضع الجغرافي لشبه الجزيرة هذه توفر إمكانية الدفاع عنها ضد الإعتداء القادم من الشمال لضيق البرزخ الذي يصلها بالقارة ، كما أن مضيق كرتش يسهل اتصالها بالقفقاس ، لذلك فإن كاسيي القرم كانوا في أمان نسبي حتى أيام دولة الجيش الذهبي حين استوطنها العدد الوفير من قبائل المغول والتتار وتحكموا في أمورها حتى طبعوها بطابعهم ، أما بعد الإحتلال الروسي فقد أصيب تتار القرم بنكبة فادحة في الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٩٤٥م بعد أن احتلها الألمان مدة ثم عاد الجيش الأحمر الروسي فإحتلها ، فعلاوة على نكبات الحرب التي ذاقوا منها الأمرين فقد اتهمتهم السلطات الشيوعية بالتعاطف مع الألمان وهجرتهم من القرم ووزعتهم على أنحاء روسيا وسيبيريا.

والدليل على أن الجركس كانوا سكانها الأصليين وأنهم حافظوا على كيانهم ، وأن قسماً

منهم ظل محافظاً على أصله حتى بعد صيرورتها دولة للتتار ، ماكتبه السيد [دوره تللي] الإيطالي عن إخوانه الجنوبيين في القرم حيث يقول [إن إخواننا هنا محاطون تماماً بالأقوام التي تتكلم اللغة التركية واللغة الجركسية] . وهذا أوضح وأعظم برهان . ومن المعلوم والثابت تاريخياً أن قبيلـــة كانت تعيش بجوار طسه مز وأنابا انتقلت إلى الشمال ثم إلى شبه جزيرة القرم ، فلما اشتد ضغط التتار عليهم عادوا إلى القفقاس وهم قبيلة القبرطاي .



البطل حاج غوازبك ، القرن ١٩ .

ذكريات تاريخية من القصص الشعبي .

توجد قصص شعبية ترتبط فيها ذكرياتهم بآسيا الصغرى وانتقالهم منها إلى ققفاسيا الشمالية ، نرى من المفيد ذكرها لأنها تحمل في تضاعيفها بعض الحقائق التاريخية ، وما دمنا في دراسة تاريخ الجراكسة فلا بدمن سردها .

إن علاقة الجركس بآسيا الصغرى ، وردت في منقولات شعبية لقبيلة القبارتاي ، وهي تمكن مع اختلافات غير جوهرية ، وتعود بالذكرى إلى مناطق طرابزون وسينوب من ساحل تركيا على البحر الأسود ، فهناك قصة تقول :

كان يقيم قسم من الآديكة بجوار سينوب ، وكانوا يعبدون إله الغاب [مزيتح] وإله الحديد [له بش] فلما ابتدأت في آسيا الصغرى الحروب بين الإسلام والمسيحية ، رحل الآديكة هؤلاء إلى القفقاس ليحافظـوا على حريتهم ومعتقداتهم ، وقطنـوا في بقعـة بنوا فيها بلدة [أدغاكو] واختاروا هناك تلاً [كورغان] أو جبلاً يمثل موطن إله الغاب تمثيلاً تاماً بما يحويه من غابة دكناء كثيفة عظيمة الأشجار ، اتخذوه مركزاً لعبادتهم وسموه [تحه مافه] بمعنى الإله المبارك ، وهؤلاء المهاجرون وجدوا هناك قوماً من الكيركاس الذين كانوا يعيشون بكل هناء ورخاء ، فتوافقوا معهم وامتزجوا بهم وتكوّن منهم شعب [آدغة = آديكة] وهذا الإسم أخذ عن بلدة أدغاكو المذكورة ومعناها بلدة الآدغة.

وهناك شكل آخر للقصة تصور هذه الحادثة بصورة مختلفة ، وأبرز ما يجلب الإنتباه فيها أن الجماعة المهاجرة كان يتزعمها أمير اسمه [آخينغ] وكان في نفس الوقت رئيساً روحانياً لهم .

وهذا يذكرنا بقبيلة آخين وآخييس التي مر ذكرها ؛ وهذه القصة تضفي على هذه التسمية أهمية تاريخية .

والوقائع التي تسردها هذه القصص قريبة من الصحة ، لكن مرور مئات السنين ، بل الأصح الألوف ، جعل ناقلي القصص الشعبي القديم يخلطون في بعض حوادثها فيقربون ما تباعد منها ويدمجونها ببعضها ، فإستخلاص الحقائق منها يحتاج إلى الدقة بمعنى أنه يجب تطهير وقائع القصة من العلاوات الأساطيرية والأغلاط التاريخية لنتوصل إلى الحقيقة الواقعية التاريخية .

ولقد عمدنا إلى ذلك ماوسعنا فتبين لنا فيها ثلاث صفحات :

١ ـ العودة من آسيا الصغرى .

٢ ـ الإستيطان في ساحل البحر الأسود .

٣ ـ الإنتقال إلى داخلية القفقاس والإنقسام إلى قبائل عديدة .

ولنوضح ذلك :

لا شبهة في رحيل بعض العناصر الكاسية من آسيا الصغرى إلى قفقاسيا ، ولقد ابتدأت هجرات العودة الى الوطن الأم منذ انقراض الدولة الحثية الأصلية عام [١٢٠٠] ق.م ولكن أي العناصر هي التي عادت ؟!

آ ـ يتفق المؤرخون على الإقتناع بأن الحاثيين هم أجداد سكان [بافلاغونيا] القاطنين في أماسيس ببلاد تركيا الحالية ، وبنفس الوقت يثبت التاريخ استيطان فرع من الكيمريين في هذه المنطقة بالذات، وإن هؤلاء قدموا إليها من [تراكيا] عبر مضيق البوسفور ، وعلى كلا الحالتين فإن بافلاغونيا كانت تحوي كثافة من شعب الكاس.

ثم انه من المحقق وجود عناصر من الكاسيين في طرابزون في ذلك الزمان نفسه.

ب ـ توجد في القفقاس قبيلة حاتقواي ومعناها [منشأ الحات] وعشيرة [حتقوه] ومعناها [أبناء حت] وهاتان القبيلتان تربطان الأواصر إلى الحثيين . كما أنه لا تزال بعض الأسماء الحثية القديمة مثل [تسوخى ـ موشى] متداولة في القفقاس كأعلام لبعض المواقع أو الأشخاص أو الأسر ولاسيما عند الحاتقواي . فهذه القرائن تدل على انتقال بعض الحثيين من آسيا الصغرى إلى القفقاس .

أما ما ورد في القصة عن أسباب الهجرة والحروب بين الإسلام والمسيحية ، فما هي إلا تحريفات استبدلت بالأسباب الحقيقية لغموض ونسيان أسباب الهجرة الأصلية البعيدة وعناصر الكاس التي انتقلت من تركيا إلى القفقاس استطاعت الإنسجام مع الكيركاس والإمتزاج بهم بكل يسر وسهولة واندمجوا معهم في وقت قصير، وهكذا اختلطت بسكان القفقاس القدماء التي تتحد معها في الأصل واللغة وسببت لزيادة كثافة سكانها ، فلما انضمت إليهم العناصر الكاسية الهابطة من الشمال نتيجة الضغط الواقع عليهم خاصة في عهد غزوة السيت ،فقد أحدثوا حركة انتقال واسعة من الساحل والسهول إلى الداخل ووديان الجبال .

وهناك قصة شعبية يتناقلها الآبزاخ عن تقسيم أرض [توب] بين بعض الأسر ولعلها ترمز في حقيقتها إلى إقتسام الأراضي التي كان يسكنها التوبيون بين القبائل الواردة في القصة الشعبية التي سنذكرها فيما بعد .

كما أن عشيرة توب موجودة في الأبخاز.

ملاحظة على تسمية شحاغ ـ جاخ لحوض نهر القوبان

تقـول قبيلة عن منابع نهر القوبان [شحاغ] بمعنى جهة الرأس ، وعن مصابه قرب البحر [جـاخ] بمعنى أسفـل الذنب ، وبهذا أيضاً يصنفون سكان حوض نهر القوبان ولكن كلمة [جاخ] تزعج بعض المتعصبين من سكان الحـوض الأسفـل إذ فيها كلمة الأسفـل فيقولوا [جابش] بمعنى الذنب الأعلى .

التحولات القبلية في الداخل

١ ـ هجرة القبارتاي إلى القرم وعودتهم :

المنقولات الشعبية للقبارتاي تتحدث عن هجرتهم إلى خارج البلاد وبقائهم هناك ردحاً من الزمن ثم عودتهم إلى القفقاس في القرن السابع. وحسب ما ورد فيها أنهم انتقلوا من الساحل العلوي للبحر الأسود ، حيث كانوا يعيشون بجوار أنابا وطسه مز ، إلى الشمال واحتلوا شواطىء بحر آزاق وبسطوا نفوذهم هناك على السكان الذين انهكهم الهون ، وانهم انتقلوا من هناك إلى القرم وعاشوا فيها حقبة من الزمن ، وأن قسماً منهم أو كلهم كانوا يعيشون في جوار بلدة [ريازان] على مقربة من شاطىء بحر آزوف شمالاً .فلما قويت شوكة الإمارات الروسية رحلوا من هناك عائدين إلى القفقاس (شورا نوغمو ص ٩)

وتوجد في أضابير وزارة الخارجية الروسية تقارير تتحدث عن هذه الحادثة . وفي القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي رحل القبارطاي عن القرم واستوطنوا بين فرعي نهر القوبان ؛ والتتار يسمون هذا الموقع [قيزيل طاش] بمعنى الصخرة الحمراء وهو نهاية شبه جزيرة تامان بين فرعي القوبان عند المصب في البحر والمعول عليه أن ماذكرنا موافق للحقيقة ، فلهجة القبارطاي أقرب إلى لهجة الشابسوغ والناتخواج سكان منطقة أنابا وطسه مز الحاليين من بقية قبائل الآديكة ؛ ويلوح أنهم تعرضوا لضغط التتار في القرم فتجمعوا في جهة ريازان ومن ثم هاجروا عائدين إلى الجنوب ؛ ولذلك فإننا نجد في التاريخ أن هذه القبيلة كانت معرضة لغزوات وتحكم التتار أكثر من قبائل الأديكة الأخرى ، ولعلهم كانوا يعدونهم قوماً تابعين لسلطتهم ومجبرين على دفع الجزية لهم منذ أن كانوا في الشمال . والمنقولات الشعبية تتحدث عن هذه العودة كما يلي:

القبارطاي الذين غادروا القرم عن طريق البحر ، نزلوا عند شاطىء طسه مز ، وظلوا هناك مدةمن الزمـــن وبسطوا نفوذهم على المنطقة، وكان مركزهم بلدة [شنجير] الكائنة بين نهري [بسيف ونفيل] ، ولقد تحدثنا عن وجود خرابة شنجير الموجودة لحد الآن (ققفاسيا في التاريخ ص ٢١٥ . ٢٣١).

ويلوح أنهم تعرضوا لمقاومة قبيلة الشابسوغ والناتخواج التي كانت مستقرة هناك ، على كل هم يقولون أن القبارطاي لم يقيموا في المهجر طويلاً ، فإن ظهور قبائل الآوار الطورانية على الحدود الشمالية سبب رحيلهم وعودتهم إلى الساحل القفقاسي فسكن قسم منهم في شبه جزيرة تامان والقسم الآخر في موقع (جي خوراي) الأرض الكروية بجوار أنابا ، ولكن هذا الرحيل أيضاً لم يعصمهم . لأن خان الآوار أي ملكهم الخان (باقان) طردهم من

مواقعهم هذه فرحلوا متعقّبين وادي نهر (بشه غولوغ) الذي سمي بعد المعركة التي وقعت مع الخان باقان بنهر (باقان) وعلى استقامة طريق (جنويز) .

ولقد كان القباردا بقيادة الأمير ينال ، ولقد تعرضوا لهجوم الآوار وانكسروا وغلبوا على أمرهم في وادي باقان ؛ وعلى مقربة من هذا الوادي أطلق على أحد فروع نهر (نبرجي) إسم (به غاغ) بمعنى (الذي يبكي كثيراً) ؛ وتعقب خـان الآوار القبـرتـاي المنهزمين حتى نهر (آبين) . ولكن الخان تلاقى هناك بجيش مشترك من القبرطاي والجمكوي = كيمركري ، وتعرض إلى هزيمة منكرة .

ونتيجة لذيوع حيث الأمير ينال واشتهاره بعد ظفره على الآوار ، فقد قدره وعظمه جميع الأمراء والقبائل ، ولما كان هو صاحب مزايا قيادية فذة ويتمتع بعقل راجح ودراية وحكمة ومزايا حميدة فقد أحبه الجميع ، واستفاد هو من مكانته هذه فسعى لتوحيد قبائل الآديكه تحت إدارته ، فأطاعه البعض وخضع له ومنهم أمراء الأباظه (أشا) و (شاشا) وغيرهما من أمراء القبائل الأخرى ، ورفض البعض إطاعته فحاربهم وتغلب عليهم والتجأ قسم منهم إلى الجبال واعتصموا بها وجعلوا يغيرون منها على من أطاعوا الأمير ينال ، فجرد لهم حملة دكت معاقلهم ومزقت صفوفهم وأسر ثلاثين من الزعماء منهم فأعدم عشرة منهم وتقبل الباقون الخضوع له وأقسموا يمين الأخلاص له .

ولقد ثار عليه سكان الجبال الجنوبية بقيادة زعيمهم أمير الأوبش (الأوبخ) أو زدمير وأرسل الأمير ينال قوة من قبيلة (كفاخ) لقتاله ، وفي فترة القتال سمع الجبليون أن ينال نفسه قادم على رأس جيش كبير فتراجعوا وتوقفوا عن القتال وهرب زعيمهم أو زدمير إلى بلاد الأبخاز .

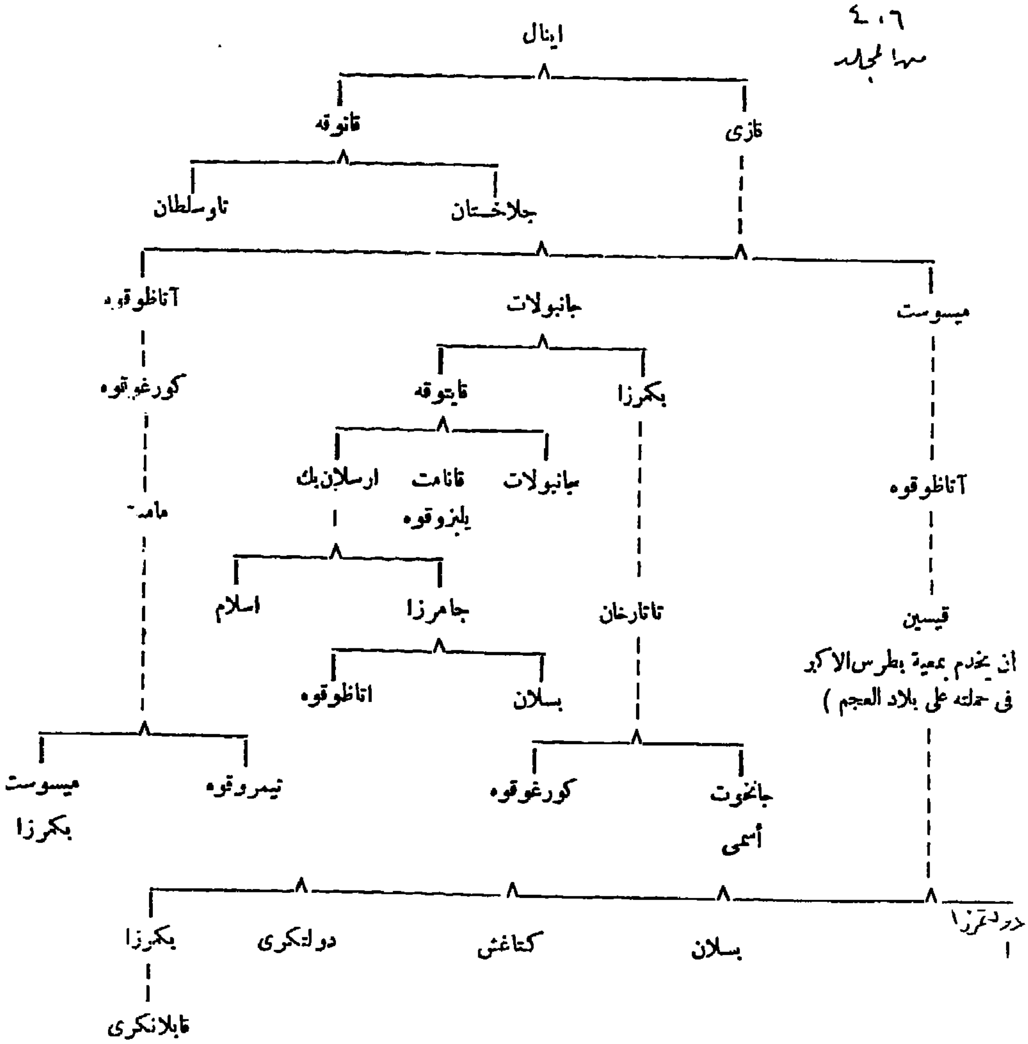
وواصل الأمير ينال حملته تلك لتأديب العصاة حتى بلاد الأبخاز وتمكن من قتل أوزدمير الثائر ومن التف حوله من العصاة .

لقد قام الأمير ينال العظيم بعمل جليل بتوحيد قبائل الآديكه ، وأحسن الإدارة . وبعد أن قضى على عوامل الفساد أقام على البلاد أربعين حاكماً من القضاة وكلفهم بإدارة البلاد والعباد وتأمين السلام والطمأنينة لجميع أفراد الشعب ، ودام ذلك حتى سنة ١٤٢٧ م التي توفي فيها .

شجرة نسب امراء القبارطاي

عهد الاستاذ (بالاس Pallas)

يلحق بالصفحة ٤٠٦ من هذا المجلد



شجرة نسب أمراء القبرطاي



صورة أمير شركسي بكامل أسلحته

لقد مات الأمير ينال في بلاد الأبخاز وهو مقيم على ضفة نهر [بسيب] الذي يصب في البحر الأسود بجوار [بيتسوندا] ؛ بعد أن أدى أجل الخدمات لشعبه ولا يزال المثل سائراً في ذلك بقولهم " ليت عهد ينال يعود إلينا يوماً ".

وبعد موته اختلف أولاده فيما بينهم وأضاعوا الجهود التي بذلها والدهم العظيم ، وعادت الأحوال كالسابق، كل قبيلة تعيش لوحدها ، وعادت المنازعات القبلية بينهم.

وفي القصص الشعبي صورة أخرى لعودة القبارطاي تقول :

كان القبارتاي يعيشون على ساحل البحر الأسود بإسم [قوسوق] ويحكمهم أميران الأول اسمه [بولوتوق] والثاني اسمه [قوتزوق] .

وكان لأحد أمراء القبارتاي المدعو[تانبي] زوجة بديعة الحسن رائعة الجمال فجلب ذلك على زوجها المصاعب والمصائب واضطر للرحيل مع عشيرته إلى منطقة القباردا الحالية واستقر فيها .

١ ـ والقبارطاي من أكبر قبائل الآديكة عدداً وأوسعها انتشاراً وأعظمها قوة.

وعلى كل فالمرجح أن العائدين من القرم كانوا قبيلة عادت إلى مواطنها الأولى في حوض نهر ترك الأعلى وكان يوجد هناك قبارطاياً من قبل و هم الذين حاربوا الهون في موقع كونيته يْ ؛ وفي هذه الفترة انفصل عنهم قسم سموا عشيرة [بسله ني] .

٢ ـ الشابسوغ : ومواطنهم ساحل البحر الأسود في جهات طسه مزوآنابا ، وقد انقسموا إلى قسمين الناتخواج في الساحل وبقية الشابسوغ في الداخل ، والسبب في انقسامهم إلى فرعين هما الأميران الأخوان [ناتخوي] الذي انعزل بالساحل فسموا ناتخواج و [كوبله] الذي ظل أميراً على البقية ، وأسرة [كوبله] لا تزال موجودة.

وفي قصص القبارتاي أن هذين الأميرين هما من أمراء آل ينال و ينال جدهم الأكبر .

٣ ـ البجه دوغ : معنى هذا الإسم [القرن المجيد] ومعلوم أنه كانت هناك في الشمال أقوام تتخذ القرون على المغافر شعاراً للقوة أو زينة لها ، فلعل هذا الإسم يعبر عن ذلك .

وهذه القبيلة أيضاً قسمت إلى فرعين بسبب أميرين أخوين هما [جراجان] وعشيرته سموا [ججه ناى] والأمير [حاميش أوتوختاميش] وعشيرته سميت [خميشه يْ].

وكذلك فإن قصص القبارتاي تقول بأنهما من أمراء آل ينال.

٤ ـ الكيمركوي ـ ويسميهم الأبزاخ [جمكوي] وحسب منقولات القبارتاي فإن هذه القبيلة فرع من القبارتاي أنفصل بها أميرها عنهم ، وأنه في فترة من الزمن تقاسمها ثلاثة أخوة من الأمراء ، الأول [بولاتوقه] الذي حافظ على قبيلته الكيمركوي ، والثاني [حاتوقواي]

الذي انفصـل بقسـم مـن العشيرة فسميت [حاتوقواي] والثالث [زان] وسميت عشيرته [زانه] .

٥ ــ **الحاتقواي** : قبيلة كبيرة ، وكما ذكرنا فإن القبارطاي يقولون أنه بالأصل فرع انفصل عنهم ؛ ولكن هذا على ما يبدو قول مغلوط و ذلك لأن :

القول بإنفصال البظدوغ والجمكوي والحاتقواي والزانة عن القبارتاي أمر بعيد الإحتمال ، لأن لهجات هذه القبائل وقبيلة الآبزاخ قريبة جداً من بعضها ، كقرب لهجة (مثلاً) أهل الشام ولهجة أهل حلب ، أما لهجة القبرتاي والشابسوغ فبعيدة عنهم كلهجة السوريين والمصريين مثلاً .

أما أن أمراءهم من آل ينال فأمر محتمل أنه حدث ذلك في عهد الأميرينال الكبير ، وإن تعيين أمير من أمراء قبيلة على أخرى ، أو ملك من ملوك قوم على قوم آخر فأمر وارد الوقوع وفي التاريخ القديم والحديث أمثلة كثيرة على ذلك .

وفي القصص الشعبي أنه في الفترة الأخيرة حينما تعرضت قبيلة النوغاي التترية الضاربة في شمال القوبان للتقتيل والتشتيت من قبل الجيش الروسي في عهد القيصرة كاترينا التجأت فلولهم إلى الآديكة؛ وأنه كان من العادة أن تأخذ بعض الأسر من الآديكة أولاد خانات النوغاي والقرم ربائب فإذا بلغوا سن الحلم أعادوهم لأهلهم ، وأن قبيلة الحاتقواي والبجه دوغ قد أمروا عليهم ربائبهم من أولاد الخانات تعزية وإكراماً لهم .

٦ ــ **قبيلة زانه** ـ مر معنا في بحث سابق أنها قبيلة قديمة تعرضت لمصائب شتّتتها فتفرقت بين القبائل .

ورأينا أن القبرطاي يقولون أنهم تسموا بهذا الإسم بعدما تأمر عليهم الأمير [زانه] وانفصل بهم عن القبارتاي . ولكن هذا القول ضعيف ، ويلوح أن الرواة يخلطون بين تنافس الأمراء فيما بينهم وتقاسم قبيلة القبرتاي ، وبين أسماء القبائل الأخرى أو تعيين أمير من القبارتاي عليهم .

٧ ــ **الآبزاخ** ـ إن هذا الإسم معناه [اسفل الآبازا] وهذا يدل على أن مواطنهم الأولى في المنطقة المجاورة لبلاد الآبازا ، والآبزاخ يسمون الأبازا [آدزيغة] ولهم قصة شعبية في انحدارهم إلى السهل وهي قصة تقاسم أراضي توب [توب حاس] ويقسم بعض الأبزاخ بإسم يه ت بدلاً من آخين . وعلى الأغلب انهم بقية الآخين والحانوخ والقسم بإسم آخين لا يزال دارجاً بينهم إلى اليوم ، بل إنهم بقية فلول القبائل البائدة التي تعرضت للكوارث الشديدة فلجأت إلى المنطقة الجبليةواعتصمت بها ، والدليل على ذلك أنهم قبيلة كثيرة العدد كثيرة العشائر ولها

المئات من الأفخاذ والبطون ، وهي قبيلة قوية الشكيمة ، ظلت ملاذاً للاجئين من بقية القبائل ممن يتعرضون للمصائب الفادحة أو يهربون من الظلم أو الخوف من الإنتقام ، فينالون الأمن والسلامة في حماية هذه القبيلة المنيعة الجانب ؛ وأهم برهان على ذلك إن هذه القبيلة ليس لها أمراء ، وإنما هي قبيلة نظامها ديموقراطي شعبي ، يتجلى في الزعامات المحلية ، وكل شخص موهوب يستطيع أن يصل إلى مقام الصدارة ، والزعامة عندهم يفوز بها البطل المقدام ، والشهم الكريم ، والعاقل الفاضل ذو الأخلاق والإدارة ؛ وقد يكون في العشيرة الواحدة أو القرية الواحدة عدد من الزعماء ، وقد يتزعم واحد منهم على قرى عديدة أو عشائر عدة .

٨ ـ **الأوبوخ** ـ وهم الزيك ولقد تحدثنا عنهم بما فيه الكفاية ولكننا نشير هنا إلى أنهم أصبحوا قليلي العدد ليسوا بالكثرة التي يتحدث بها التاريخ عنهم .

وعلى ذلك يمكننا القول أن قبائل الآديكة في العهد الأخير قبيل هجرتهم من القفقاس انحصرت في سبعة قبائل كبرى وفروعها ،فيما عدا الآبخاز أو الأباظة الكثيرو العدد والعشائر والذين حافظوا على كيانهم وصفائهم أكثر من غيرهم بسبب موقعهم الجغرافي وبلادهم الجبلية المنيعة التي حفظتها ولم تصل إليها الغزوات البربرية بسبب انكسار موجاتها في منطقة الآديكة شمالاً والكرجستان جنوباً ، إلا ما جاء منها من قبل البحر من اليونان والروم وكان ذلك تحكماً سياسياً بقصد التجارة لم يؤثر على كيانها القومي .

وعلى ذلك فسنعيد إدراج جدول قبائل الآديكة بتقسيمهم إلى رهطين ، الأول قبائل حافظت على اسمائها القديمة ، والثاني قبائل مستجدة الأسماء .

الرهط الأول :

١ ـ الحاتقواي

٢ ـ الزيك أو جيخى = أبوخ(*) .

٣ ـ الكيمركوي = جمكوي وفروعها [مخوش ـ يجرقواي ـ آدامي] .

٤ ـ القبارطاي والبسلاني

الرهط الثاني

٥ ـ الشابسوغ والناتخواج [باشلبي ـ تردي]

٦ ـ الآبزاخ [زانه ـ براقى]

٧ ـ البجه دوغ ـ وفرعاه ججناي ـ وخميشي.

---

*[لم يكن الاتحاد الزيخي من الأدبيخ وحدهم بل كان من القبائل الآديغية الساحلية أيضاً]

ـ وكذلك انقصنا اسم قبيلة الأوبوخ.

ولقد أنقصنا اسم قبيلة زانه jane لتفرقها بين القبائل [وقد قضى عليهم القوزاق عن بكرة أبيهم].

كانت هذه القبيلة قاطنة شمال نهر القوبان ، واضطرت نتيجة لغارات قبيلة البزدوغ إلى الإنسحاب غرباً لمواقع [الضحية السوداء والغابة الحمراء [مزيل] .

وفي عـــام ١٧٧٨م وبسبب ضغط الجيوش الروسية انسحبوا إلى الضفة اليسرى لنهر قوبان ، وظلوا حتى عام ١٨٤٦ م بجوار آنابا في أحواض نهري [بشتس ـ خـــوخاي] ووادي [آداغوم] .

ولقد شّتتتْ ظروف الحرب هذه القبيلة فهاجر قسم منها إلى داخلية الجبال وقطنوا في حوض نهر لاب الصغير وبذلك التحقوا إدارياً بالأبخاز وسموا [زانة][الزانه الأبخازيون يتكلمون الأبخازية] .

[قوشحه زانة] واندمج الباقون مع قبائل البزادوغ والآبزاخ والشابسوغ ؛ ولقد كان لهم قبل تفرقهم هذا من الأمراء [زانيقوه] وكذلك [مه داوقوه] ، وآل زانيقوه اندمجوا وظهر منهم أمراء أو زعماء في بلده آنابا.

تحركات بعض القبائل

لم تكن هجرة القبرطاي وعودتهم وتحركاتهم الداخلية الوحيدة من نوعها ، ففي الفترة ١٣٠٠ ـ ١٧٠٠ ميلادية كانت الضغوط الحربية قد خفت على الجراكسة بصورة عامة خاصة بعد القضاء على دولة الجيش الذهبي ، وانصراف خانات القرم لمحاربة الروس في الشمال .

وفي هذه الفترة بالنسبة لقبائل الآديكة ظهرت الفرصة للتفرغ إلى النزاعات القبلية والعودة للإستيطان في السهول الواسعة الخصبة في حوض نهر القوبان وشماليه .

وكانوا يسمون المنطقة الداخلية [خه كوز] بمعنى الوطن القديم ، ولكن زوال الخطر الأجنبي تقريباً ، وتكاثر النفوس ، والرغبة في توسيع أفق الحياة ومجالات العيش ، دعاهم إلى التحرك خارج نطاق حصون خه كوز الطبيعية.

١ ـ ومن هؤلاء القبرطاي الذين تحدثنا عن هجرتهم إلى القرم ثم عودتهم .

٢ ـ ولقد توسعت قبيلة الشابسوغ والناتخواج في ساحل البحر الأسود شمالاً وجنوباً .

٣ ـ وقبيلة أبوخ انتشرت بين نهر شاخي وقوسلو على الساحل وكانوا بحريين وشغلوا بالقرصنة.

ورحل قسم كبير من الآديكة إلى السهول الشمالية ، وبعد أن اجتازوا منطقة الوديان

الجبلية عن طريق وادي نهر [شيلبس] [ماء الأمة] ، وكان أول من انحدر من الجبال عن هذا الطريق هم الكيمركوي ، وتلاهم من بعد البظه دوغ .

٤ ـ بقيادة الأميرين [كره كن] و [حاميش] ، فأما الأمير جان فقد اتجه إلى المنطقة المحصورة بين نهري [بسى كوبس و جفروكا] واحتلها ، وهذه المنطقة كانت تسمى [أرض الفرنسيين] لأن لاجئين فرنسيين من بقايا الحملات الصليبية الهاربة كانوا يعيشون فيها ، ولقد تسمى هذا القسم من البجه دوغ بإسم [ججناي] كما قلنا سابقاً ، وأما الأمير [حاميش] فقد تعقب وادي نهر شحه كواشه واستوطن هناك مع اتباعه ولقد تسمى هذا القسم [خميشي] كما مر معنا .

٥ ـ وظهرت تحركات وانقسامات في الكيمركوي ، فإنفصلت عنهم شعبة [ماخوش] وانتقلت إلى الضفة الثانية عن نهر كورجييس .

وتلي ذلك انفصال شعبة [يجرقواي] التي قطنت في الأقسام السفلى من نهر [شحه كواشه] بجوار قبيلة حاتوي = حاتيقواي .

وأخيراً انفصلت شعبة [آدامي] فسارت بمحاذاة نهر شحه كواشه حتى جاوروا قبيلة زانه .

وآخر موجه انتقالية من الجبال إلى الشمال كانت من طرف الآبزاخ .

وكان الآبـــزاخ يعيشون في منطقة جبلية حصينة وعـــرة ، وكان مركـــز تجمعهم وادي [كويتوخ] وكانوا ملاذاً للعناصر المتمردة على الأمراء الإقطاعيين الذين استوطنوا في السهول ، وهكذا كانت قبيلة الآبزاخ تتكاثر وتقوى ، حتى صارت كتلة قوية تهدد الأمارات الإقطاعية ونفوذ الأمراء الإقطاعيين تهديداً قوياً مباشراً ، لأنهم لم يكونوا يكتفون بحماية اللاجئين بل كانوا يدعون للتمرد على الأمراء والعصيان.

وفي الحقيقة فقد ظهرت قوة هذه القبيلة بشكل بارز في أعوام ١٦٣١ ـ ١٦٣٩ م حين أجبرت البزادوغ على إخلاء وادي بسي كوبس وجيفياكو.

وهذا الإنتقال أدى إلى احتلال البزادوغ لمواطن قبيلة [زانه= جانه] التي اندمجت ، كما قلنا ، في القبائل الأخرى وانكمش قسم منها بجوار الغابة الحمراء .

وكما ألمحنا سابقاً فإن هذه الفترة كانت فترة تحركات داخلية ونزاعات قبلية سنتعرض لذكر أهم حوادثها ، وأمثلة عنها في بحث قادم.

★ ★ ★

مواطن قبائل الآديكة وتفرعاتهم (قفقاسيا في التاريخ)

أولاً ـ الأبخاز:

تسمى مواطن هذه القبيلة الكبيرة حالياً [أبخازيا] ولهم جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن نطاق الإتحاد السوفياتي سابقاً هي جمهورية أبخازيا.

والإسم الدارج عن الأبخاز هو [أباظة] ويسميهم الآبزاخ والأوبوخ[آدزيغة] والإسم الأصلي لهم [آبسوا] وبلادهم [آبسين] ولعل هذه الأسماء التالية كانت أسماء قبائل كبرى منهم.

وموطن الأبخاز هو في النصف الجنوبي من الساحل القفقاسي للبحر الأسود ويمتدون إلى لشرق في السفوح الشمالية للسلسلة الجبلية إلى داخلية البلاد .

والآبخاز عاشوا عصوراً طويلة تفصلهم الجبال عن الآديكة الشماليين وتعزلهم عنهم الحروب القبلية ، كما كانت لهم صلات كثيرة مع الكرج واليونان والروم البيزنطيين فحصلت في لغتهم تغييرات كبيرة بحيث لم تعد مفهومة عند بقية قبائل الآديكة الذين يتفاهمون بسهولة رغم إختلاف لهجاتهم ؛ على أن أصول لغتهم هي أصول اللغة الآديكية .

والأبخاز من أكثر قبائل الجركس نفوساً ويقاربون المليون نسمة(*) ، ولهم عشائر عديدة نذكر منها ما يلي :

آ ـ العشائر الساحلية ـ وهي سبعة :

١ - بازيبه Bazibe في الشمال على حدود الأوبوخ.

٢ - آخيبس Axips . ما بين صخوم وقابتي .

٣ - آيبغا Aybga في حوض نهر قودور.

٤ - زامبال zambal في حوض نهري دال وقودور.

ويقول عنهم الروس [تسبلد ينتسى Tsebledintsi].

٥ - جازي Gaji في حوض نهري آغري ومارمار .

٦ - سادزه Sadze على نهر أوخوم.

٧ - حريبص Hirpis في الجنوب على حدود السفان.

ب ـ أما العشائر التي تعيش في الداخل فهي كثيرة ويطلق عليهم بصورة عامة إسم باسخيغ

---

* (الآن هم في ابخازيا بعدد ١٠٠ ألف في روسيا ٢٧ ألف وتركيا ٤٠٠ ألف)

أي الباسك . وأهم عشائرهم هي :

٨ - تابانتا - وموطنهم منابع نهر القوبان في القسم الأوسط من السلسلة الجبلية بين واديي نهري زلنجوق الكبير وزلنجوق الصغير ، تمتد مساكنهم حتى نهري قومـــا وبـــوت قوموق (بود قوموق).

ويسميهم التتار [ألتي كسك] بمعنى الكسك الفرسان .

٩ - باشيلبي - في الأقسام العليا لنهري أوروب وزلنجوق الكبير.

١٠ - ميدوا = موداوه يْ - في الحوض الأعلى لنهر لابا بجوار الآبزاخ ، كان مركزهم موقع [باسكايا] وتضم هذه العشيرة الفروع التالية:

أ - قازليبغ = قازيلبكيت - كانوا يقطنون في أحواض نهر لابا والجبال المجاورة وموطنهم الآن من حدود البسلاني حتى ساحل البحر.

ب - شَغَري . في حوض نهر لاب الصغير.

ج - حاييقوه - بجوار عشيرة شجراي .

د - سيدى - بالقرب من حايقوه.

هـ - بغ - باغ - في القسم الأعلى لنهر فاز وخودز.

١١ - تام = تامقيت - في أعلا لاب الكبير ونهر وارتا.

١٢ - كوزو = Koju = Kuju

١٣ - ججن - çeçen

١٤ - برزنديغ Berzendig

١٥ - جالداشقوه Ģaldasque بجوار عشيرة تام أوتامقيت

١٦ - سرابي Serapi بالقرب من الججن في أعالي نهري لابا و واربا. وعلى موجب منقـــولاتهم الشعبيـــة فإن بلادهم كانت محبوبة جداً من النارت وكانوا يزورنها دوماً ، وغابة [قباغا] تعد مقبرة النارت عندهم .

١٧ - بساغار خكوز Psağar xekuij

١٨ - براقي - كانوا يقطنون في حوض نهري خودز وكوبس بجوار الآبزاخ ، والبراقي يدعون القرابة الشديد لعشيرة مداوي (رقم ١٠) كما أن لهم صلة قرابة مع عشائر الساحل بجوار صخوم ويعدون من الأوبوخ.

١٩ - توبي - موطنهم في مصاب نهري شحه كواشا و (بشه حا) مع بعض.

٢٠ - حاشيبس - بالقرب من الأوربيين ؟ أم التوبيين؟

٢١ - سيسيب شيرا - غرب عشيرة سرابي (رقم ١٦)

٢٢ - آناغي . موغووا .

٢٣ - شاشي - بالقرب من قبيلة أوبوخ.
٢٤ - قوشحه زانه - في حوض نهرلاب الصغير . وهذه العشيرة بالأصل من قبيلة زانه التي مر ذكرها مراراً ولإستيطانهم في الجبال يقال لهم قوشحه زانه بمعنى زانه الجبليين ، وهذه القبيلة تتكلم بلهجات مختلفة
٢٥ - آراتو وا Aratovva
٢٦ - تالكو Talko
٢٧ - كوبيحان Kubihan
وهذه العشائر فروع القبائل الساحلية .
وبعض المؤرخين يعـــدون أن العشائر الساحلية هي من فروع القبائل الداخلية؛ مثلاً عشيرة [باح] الساحلية من قبيلة [باح] الداخلية ؛ وعشيرة [نالكوبي] الساحلية من قبيلة [موداوه ي] الداخلية ، وعشيرة[إيسيب] الساحلية فرع من قبيلة [بزيبه] الداخلية ،وهكذا (في الصفحة ٢٧٨ - ٢٧٩ من ترجمة قفقاسيا في التاريخ بعض معلومات إضافية)

ثانياً - الوبيخ = جيخي .

يطلق الوبيخ على أنفسهم أيضاً [بخ Pekh] أو [بيوخ] عدا اسم جيخى. وموطنهم بين مصاب نهري شحه كواشه وبشه حا على الساحل ، وعلى هذا ففي شمالهم عشيرتا ناتخوي وآغوي من الشابسوغ ، وفي شرقيهم الآبزاخ ، وفي الجنوب منطقة الآبخاز؛ وتحتوي منطقة الأوبيخ على أحواض أنهار [زوبزه . لون . نيغه . بات . داغومبس . بسيخو . ساخه]. وعشيرة براقي من أهم أقسامها . (رقم ١٨) من قبائل أبخازيا .

ثالثاً - الشابسوغ - شابسيغ : ورد معنا سابقاً أنها فرعان كبيران هما الناتخواج والشابسوغ:

آ - الناتخواج = ناتخويْ وهذه القبيلة تعيش في القسم الشمالي من ساحل البحر الأسود في سفح الجبل الأسود شمالاً ومن الجنوب وديان أنهار [جيغا بريبه بس - خوبس - بسيف - نفيل = نه بيف - قوداق - لاشه بسين - باقان - آده غوم = آده قوم - طسه مز - تاشييس] .
إن فروع الناتخواج التي كانت كبيرة وأصبحت الآن في حكم المندثرة ؛
١ - آغويْ - أو حاكوج : موطنها جنوب الناتخواج بجوار طؤابسي على الساحل ، وقبيلتا الآبـــزاخ والجيمكـــوي تسميها حاكوج أما قبائل البزادوغ والشابسوغ والناتخوي فيسمونها [آغوي] ، وهذه التسمية مأخوذة من نهر آغوي الذي يسيل في زادي [كوخه] قرب طؤابسه.
والآغوي اليوم قلة وبين القبارتاي أسرة آغوي ، كما أنه يوجد بين الأبزاخ أسراً من

الحاكوج.

٢ ـ جه بين ـ هذه القبيلة اندمجت مع الناتخواج وذابت فيها.

ب ـ الشابسوغ :

تقطن هذه القبيلة شرق الناتخواج في الداخل ومواطنها وديان أنهار: [أويين ـ بسي قوابه ـ شبيس ـ آفيبس ـ ايل ـ آزيبس ـ خابل ـ آنتحير ـ بوغوندور ـ آبين ـ أوف ـ قوآف ـ جبغ ـ ساتاسا ـ باقان ـ ساغته ـ زينز ـ أبيغ ـ أولغابس ـ قوجوباب] وفي النهاية الغربية لجبال القفقاس في شبه جزيرة تامان وعلى المائلة الجنوبية لها في وادي نهر [بسي زوي] .

ومن فروعها:

خه غاك ـ كانت هذه العشيرة تعيش في أنابا وجنوبيها ، وفي عام ١٨١٢ م ظهر في هذه المنطقة الوباء الأصفر ، وقد سرى إليهم من الروس ، فقضى على أكثرية الخه غاك ، ولقد تفرقت أسرها بين قرى الناتخواج والشابسوغ وأضاعت كيانها كعشيرة .

رابعاً ـ البجه دوغ ـ بظه دوغ :

تعيش هذه القبيلة في شرق الشابسوغ ، في حوض نهر القوبان ، وكانت تعيش في وديان أنهار [بسيخو ـ بسيخومات (مارت) ـ بجاح ـ بسى كوبس ـ جه بي ـ أونابات ، سوب] .
والقسم الكبير لهذه القبيلة كانت تعيش في السهول شمال نهر القوبان [قرب كراسنودار التي كانت تسمى بظه دوغ حابل].

فلما جلب الروس في أثناء الحرب قطعان القوزاق واسكنوهم في حوض نهر القوبان انسحب هؤلاء إلى الجنوب عبر النهر إلى منطقة الجبال.

خامساً ـ حاتيقواي :

مواطن هذه القبيلة بين نهر شحه كواشه ونهر بسيب ، ومن قبل كانت مواطنهم تمتد غرباً حتى [آفيبس ـ أوبين ـ زيل ـ ايل] . وقد قل نفوس هذه القبيلة لإندماج عناصر منها في قبائل الشابسوغ والأبزاخ والجمكوي والبظدوغ ، ومن أهم فروعها تلك :

عشيرة حتقوه : كانت هذه العشيرة مستوطنة في شبه جزيرة تامان ، فلما احتل المغول القرم وتعرضوا للضغط الشديد انسحبت العشيرة إلى الضفة اليمنى لنهر القوبان ، وفي عام ١٧٩١م عندما شن الروس هجوماً على أنابا لإحتلالها تعرض الحتقوه إلى خسائر فادحة في الأرواح ، ومن ثم اجبرتها ظروف الحرب إلى الإنسحاب نحو الجبال واختلطت بقبيلة الآبزاخ وتشكل اليوم أكثر فروعها عدداً ، والحتقوه لا يذكرون اليوم انهم بالأصل فرع ثان لقبيلة

الحاتقواي .

وبطن [آبده] هم من الحتقوه ، والمعروف عندهم أن آبده هو الأخ الأكبر لحتقوه أجداد هذه العشيرة.

وهذا يؤيد ما كنا قلناه سابقاً أن قبيلة الآبزاخ تضم شتات القبائل المندثرة .

سادساً ـ الكيمركوي ـ الجمكوي .

مواطن هذه القبيلة شرق البجه دوغ والحاتقواي في أحواض أنهار [قوبان ـ لا با ـ شحه كواشه] في وديان روافدها [بسينه شوغ ـ غياغا ـ أول ـ فارز ـ زاغو ـ جو قراج] والجمكوي يجاورون البجه دوغ في جهة بلدة . جيراكي ـ كما يحاددهم الماخوش في جهة نهر [آرين] . ولهذه القبيلة أربعة فروع كبرى هي عشائر :

آ ـ آدامه ي ـ تعيش على ضفاف نهر [بسه غا] وجوار نهر [بسيز = قوبان]

ب ـ يجر قواي ـ تعيش حوالي [جيراكي] و [حاتازاي]

ج ـ كيراي :

د ـ مه خوش : مواطن هذه العشيرة في الجنوب الشرقي من الكيمركوي ، في الأقسام العليا من نهر فارز وسفوح الجبل الأسود في [شيمبلونا حا و جوقرات] ثم بلدتي [موبري . كورغـوقواي] على ضفـة نهـر [بسيغير] ثم وادي نهر [بسى حوش] وعلى ضفافه قرى [ندلبي ـ بوناقـو ـ قالخ ـ آريم] ؛ وقد ظل مه خوش مدة طويلة في حكم أمرائهم من عائلة [باغر صقوه] .

وهنالك قبيلة غروم أو كريفين ـ كانت تسكن بين خليج [يه سك] وخليج [بيسوق] وهذه القبيلة كانت مشهورة بأنها أجمل سكان القفقاس ولقد اضطرت إلى إخلاء مواطنها بعد أن أجلتها القوات الروسية واسكنت مكانها القازاق الأوكرانيين المحتلين ، ورحلت جنوباً إلى منطقة الجبال ثم اندمجت مع بقية القبائل وأضاعت كيانها كعشيرة.

سابعاً ـ القبارتاي ـ قبردي.

انقسمت هذه القبيلة الكبيرة بسبب تنافس امرائها إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قباردا الكبرى ، ٢ ـ قباردا الصغرى ، ٣ ـ بسلاني .

١ ـ قباردا الكبرى ـ استولى الأمير آيدار على إمارة القبارتاي بعد حروب داخلية وسمى المقاطعة التي انتقاها بنفسه لسكناه [آيداريا] وقد سميت قباردا الكبرى بعد انفصال قباردا الصغرى عنها وهي منطقة نالجيك الحالية. (وكانت أكبر من مساحة كباردا الحالية بثلاث مرات) .

ومواطن القبرتاي الأخيرة حوض نهر إينزيغ وتوابعه من روافد القوبان والمنبع الأصلي لنهر

القوبان والأقسام العليا لمنابع نهر قوما، والمنطقة التي ترويها الفروع الغربية لنهر تره ك ، ثم قسم من الساحة المحصورة بين المنبع الأصلي لنهر تره ك وبين أهم روافد نهر سونجا حتى موقع موزدوك الحالي ومعناه [الغابة الصماء] ، وبلدان نالجيك وموزدوك ونازران وتره ك قاله [ولاد يقفقاس = أورجينيكيدزه] تشكل أهم بلدات منطقة القباردا الكبرى.

٢ ـ قباردا الصغرى : انفصل الأمير [شولوخ] عن آيدار بعد منازعات كثيرة وأخذ معه قسماً من القبارتـــاي واجتازوا نهر التره ك إلى الشرق واستوطنوا شاطئه الأيمن ، ويقال عنهم [جي لا خستنيْ] وموطنهم قباردا الصغرى، وبسبب الحرب الروسية لم يبق فيها سوى عشرة قرى.

٣ ـ بسلاني ـ انفصل الأمير قونوقوه بن برسلان بقسم من القبيلة واستوطن في ضفاف نهر [أوربا] وقد سموا بعشيرة [برسلاني] والبعض يلفظونها بشكل بْسله نيْ = بسينيْ وأمراؤهم معروفون إلى اليوم بإسم آل [قونوقوه] .

ومواطنهم في شرقي الآبزاخ في القسم الأسفل من حوض [واربا] وفي وديان لابا الصغير ولابا الكبير وعلى ضفاف خودز وبسيفير ، وكانوا يجاورون عشائر مه خوش ـ قزلباق ـ براقي ـ أبازه آلتي كسك.

والسله في يعتبرون من أصل القبارتاي وهم مشهورون باللطافة وجمال الصورة .

وعدا هؤلاء ففي بلدة موزدوك وجوارها عناصر من القبارتاي ارتجعت وتنصرت واختلطت بالروس هناك.

ثامناً ـ الآبزاخ :

مواطن هذه القبيلة أحواض ؛ نهر شحه كواشه وروافده [كورزبس ـ بشه حا ـ بخاطس ـ فيزه بس] ونهر لابا وتوابعه [بسى زوي ـ شاغوبسين ـ حاغور ـ فارز ـ فيلدز ـ ينججيج] وحوض نهر بسيز [قوبان] وفروعه [مارت ـ بجاح] ثم حـــوض نهـــر بسى كوبس وروافده [دوس ـ تسوك ـ جيبي] وأخيراً في وديان أونابات وسوب ، ووادي نهر سوب هذا بشكل الحدود بين الآبزاخ والشابسيغ والآبزاخ أكبر قبيلة وأكثرها ديموقراطية ، وكانوا يشتغلون بالمعادن والفولاذ وبصورة خاصة اشتهر لديهم وادي [بجاح] بالحديد ، ووادي [كورزيس] بالرصاص ، وكانت مصنوعاتهم متقنة جداً وقد قام الأبزاخ [والشابسوغ] بأدوار مهمة وكبيرة [ضد الغزو والإحتلال الروسي] .

★ ★ ★

مواطن قبائل شرق القفقاس وتفرعاتهم

كنا قد ذكرنا معلومات تاريخية عن قبائل وسط وشرق القفقاس في الأبحاث التالية
(صفحة ٣١١ ـ من الكتاب) الآلان = آستين
(صفحة ٢٩٨ ـ من الكتاب) نوخجي = جاجان
ثم قبائل منطقة الداغستان (في صفحة ٢٩٨) ـ آوار = أندلال
(صفحة ٣٠١) ـ لزكي
(صفحة ٣٠٣) ـ لاخ = غازي قوموق

وسنذكر فيما يلي معلومات عن مواطنهم و أحوالهم في العهد الأخير مبتدئين من القسم الأوسط من ققفقاسيا الشمالية سائرين إلى الشرق حسب مواطنهم.

أولاً ـ الآستين = أوست = آلان = علان (قفقاسيا في التاريخ)

الموطن الأصلي للآستين هو الحوضة المحصورة مابين الفرع الأساسي لنهر تره ك المنعطف نحو الجنوب وما بين الفرع الذي يرفده من اليسار [غرباً] وهو نهر آردون . وعلى هذا الإعتبار فمنطقة الأستين كانت تحد شرقاً بمنطقة عشيرة الاينكوش = غالغاي ، وتقع في الشمال الغربي منطقة قبيلة القباردا ، غرباً الأبخاز ، جنوبا أستين الجنوب فالكرجستان . وهذه المنطقة تصادف وجود ممري داريال وماميسون التي تربط شمال البلاد بجنوبيها ، لذلك فلمواطن الأستين أهمية حربية واقتصادية كبيرة ، على أن مساحة أراضيهم قليلة نسبياً . وقد مر بنا أنهم من الآلان وانهم انتقلوا من حوض الدون إلى حوض تره ك وان هجرة القبارقاي الى تلك المنطقة جعلت الأستين ينسحبون مرة أخرى إلى الجبال . ولكنهم بعد الحرب الروسية وهجرة الجراكسة من القفقاس انحدروا إلى السهل الشمالي بحيث أصبحت منطقة بلدة ولاديقفقاس الحالية من بلداتهم ويسمونها [أورجنيكيدزه] .

ولكن كان الآستين الشمالية القوشحه كما يسميهم الآديكة على اتصال واشتراك بأحداث الشمال ولكن اتصالهم واشتراكهم بالأكثر كان مع كرجستان في الجنوب.

وبإستيلاء الروس على ممري داريال وماميسون [طريق جيورجيا الحربي] من الجهة الجنوبية قادمين من كرجستان فقــد وقعوا في قبضة الروس باكراً، ولهذا السبب لم يشترك الآستين في الحروب القفقاسية الروسية بمقيــاس واسع ، كما أن قسماً منهم ظلـوا على الديانــة المسيحية [وظلوا مهادنين للروس حتى نهاية الحرب القفقاسية الروسية].

وإن أكثر اختلاطهم كان مع القبارتاي لمجاورتهم لهم ، وهم يحافظون بتعصب شديد على الأعراف والعادات الجركسية ؛ ويفاخرون بإنتسابهم إليها .

وقد ترقوا كثيراً في مضمار الحضارة ، ونبغ منهم شعراء كبار وطنيون أماجد ، وكان يقدر نفوس الآستين الشماليين في القرن السادس عشر بنصف مليون نسمة.

ثانياًـ النوخجي = ججن : كيست.

إن الموطن الأصلي والأساسي لقبيلة النوخجي هو حوض نهر سونجا [الروافد الجنوبية لنهر تره ك] وحدودها شمالاً نهر تره ك شرقاً الداغستان غرباً الآستين جنوباً السفوح الجبلية المطلة على كرجستان وفي الجنوب اختلط الجاجان مع الكرج ، وعشيرتا توش وخيوسور تمثلان هذا الإمتزاج . والوضع الطبيعي لهذه المنطقة وجود وادي نهر آرغون شرقاً ووادي نهر آسا غرباً والبقعة المحصورة بينهما متشكلة من هيلان وانهيار جبال السلسلة في العصور السحيقة ، لذلك ففيها ثلاث مناطق طبيعية [جبلية ـ هضاب ـ سهلية] وهي بصورة عامة مستورة بالغابات والأحراج الكثيفة التي تمتد حتى نهر تره ك ، ولكن الروس اعتبروها موانع حربية لتقدم جيوشهم ومعاقل بالنسبة للوطنيين، فأحرقوها وخربوها، ولذلك فالقسم السهلي أجرد خال من الغابات اليوم.

وهذه المنطقة ملائمة للزراعة تظهر فيها ثلاثة مواسم في السنة الواحدة.

ووجود البترول في سونج قاله [غروزني] يضفي الأهمية البالغة على الأهمية الستراتيجية والحياة الإقتصادية لهذه المنطقة.

وكانت نفوس قبائلهم تجاوز المليون في القرن الخامس عشر، وهم يشكلون كتلتان ١ ـ النوخجي = جاجان ٢ ـ الإينكوش = غالغاي . فالنوخجي في حوض آرغون في القسم الغربي ويشكلون الأكثر يه وبلدتهم مزدوك ؛ والإينكوش في حوض نهر آسا في القسم الشرقي وبلدتهم [هاسافيورت] ؛ أما الجنوب فمغلق بالجبال ، وشمالها مكشوف على حوض نهر تره ك ، وكل الغارت الحربية كانت تأتي من هذا الإتجاه ، لذلك فقد أشغل الأجانب أحواض نهري تره ك وسونجا ، وقد اشتهر هؤلاء القوم بالشجاعة والبطولات واستطاعوا رد جميع الزحوف التي داهمتهم على أعقابها وحافظوا على كيانهم وصفائهم.

وكان مجتمعهم يستند على الطاعة لرب الأسرة والزعامات الموضعية ولا أمراء لهم ، فهم أيضاً قبيلة ديموقراطية (النظام الإجتماعي ديمقراطي) كالأبزاخ.

وكما مر بنا فإنّ قسماً منهم كان يدين بالنصرانية والقسم الآخر بالمجوسية ، ولكن في القرن الثامن الميلادي اعتنقوا الديانة الإسلامية عن طريق الداغستان لذلك فهم على المذهب الشافعي ، والطريقة النقشبندية سرت بينهم في حينها ، وكانوا مربوطين بشيوخها في الداغستان وهم الذين قاموا بالعبء الأكبر من حروب الشيخ شامل الداغستاني في جهاده ضد الروس ، ولقد استحقوا بجدارة [سيوف القفقاس] ، وكان الأجانب يقولون

عنهم [فرنسيو القفقاس] تشبيهاً بصفاتهم الفيزيونومية.

ثالثاً - الداغستان:

كنا قد ذكرنا أن بلاد الداغستان تشكل المائلة الشرقية نحو بحر الخزر من جبال القفقاس ، وهي منطقة جبلية لذلك سماها الأتراك [داغستان] بمعنى بلاد الجبال .

والأقسام الجبلية العالية في الداغستان عارية تماماً وصخرية في الغالب ، أما المائلة الشرقية المتجهة نحو بحر الخزر فهي ذات أحراج ، وبين الجبال والشاطىء شريط سهلي ساحلي هو الطريق الملائم الوحيد للمرور عبر الجبال في المنطقة الشرقية ، ولكنه يضيق كثيراً عند دربند التي تسمى [باب الأبواب] ؛ ومن هنا يبدأ السد القفقاسي الكبير ممتداً إلى الغرب بين الجبال ، ويقال أن آثاره تصل حتى البحر الأسود ، وبناؤه يعود إلى عهد سحيق بعيد يقارن مع إهرامات مصر، ولقد عمّر دارا في ذلك المضيق باب الأبواب الذي أتينا على ذكره ؛ ولذلك فلقد كان الشائع في القصص الشعبي أن يأجوج ومأجوج هم الإسكيت وأن دارا الكبير ملك الفرس هو اسكندر ذو القرنين.

والواقع أن دارا قد صرف جهوداً كبيرة لمنع تسرب الإسكيت من الشمال إلى بلاده ، ولقد أصابوه بالهزيمة عند نهر آراس في الجنوب على حدود ايران ، ولقد اتبع الملوك الساسانيون خطة دارا ، وكان ذلك سبباً في احتلال ايران لبلاد ألبانيا أو أذربيجان ، وقد أثر ذلك على مجريات الأحداث في الداغستان تأثيرات جذرية.

أما الجهة الشمالية من الداغستان فهي أكثر ارتفاعاً وفيها غابات متباعدة الأشجار.

والداغستان تنقسم طبيعياً إلى بقاع تفصل بينها أربع وديان عميقة لنهر [سامور] ونهر [صولاق] وروافده [آندي - آوار - غازي قوموق] ؛ وفي وديان هذه الأنهار توجد أجود بساتين الفاكهة والثمار، وهذه تشكل الثروة الإقتصادية الأساسية للداغستان ؛ أما الذين يعيشون خارج هذه المنطقة وفي الوديان الجبلية فمحرومون من بسطة العيش ، ومدار معيشتهم هو تربية الماشية والغنم،وهم محتاجون دوماً للإنحدار بها إلى تلك السهول في الشتاء .

ولكي يكسب الروس الحرب ويستطيعوا استعمار البلاد والتحكم في أهليها فقد استغلوا هذا الضعف الإقتصادي أبشع استغلال ، ولما كان الممر الساحلي ذو قيمة عسكرية واقتصادية عظمى فلقد اثبتت الحوادث التاريخية أن كل قوة لم تستطع التحكم في الداغستان لم تستطع التسلط على هذا الممر الحيوي الهام.

ولقد كنا أوضحنا أن السكان الأصليين للداغستان هم اللزكي واللاخ والآندلال والغازي قوموق المنسوبون إلى جامعة الكاس، وأن بعض العناصر الآرية القادمة من الشمال والجنوب قد امتزجت بهم ، ثم أن الفتح العربي وحروب الخزر قد أدت لإمتزاج العنصر السامي بهم ، وفي

القرون الوسطى انتشرت عناصر غزيرة من الأصفر الطوراني في شمال القفقاس خاصة في أذربيجان ثم الداغستان ، فتشكلت فيها جامعة من امتزاج عناصر [كاس - آري - سامي - طوراني] ، ويمكننا بصورة تقريبية ترتيبهم على الوجه التالي :

١ - عناصر الكاسيين آ - آندلال - بـ لاخ - جـ - لزكي.

فمن هؤلاء الآندلال واللاق يستوطنون في وديان الفروع الثلاثة لنهر صولاق صو وهي الروافد [آوار - غازي قوموق - قوي صو] وهذا يعني أنهم يسكنون الأقسام العارية من الهضاب ؛ أما اللزكي فيشغلون المنخفضات المتجهة نحو بحر الخزر .

٢ - العناصر الطورانية : آ - قوموق - ب - الأتراك الآزريون.

فالقوموق يستوطنون الأقسام السفلى لنهر تره ك ويشغلون ساحة تمتد حتى دربند ؛ أما الآزريون فيشغلون المنطقة المجاورة لبلدة دربند.

٣ - العناصر الآرية والسامية - أكثرها تمثلت مع العناصر الطورانية ، على أنه يصادف بعض القرى القليلة التي حافظت على اللغة الإيرانية.

٤ - ونجد في الداغستان أقليات أخرى كثيرة من قوميات لجأت إليها، قسم منها اندمج مع سكان البلاد وقسم صغير لا يزال يحتفظ بكيانه القومي.

وهذا ما دعى إلى القول في الماضي أن الداغستان تحوي شعوباً وقبائل لاحصر لها :

الأحوال الادارية والسلمية في الداغستان .

ليست لدينا معلومات أكيدة ، ولكن مما لا شبهة فيه ، أن الداغستان ، وخاصة المناطق الساحلية منها ، قد تعرضت لتعاقب أنواع من الحكم مختلفة ، وأن العرب قد وصلوا إليها وحاربوا الخزر ، وكان هذا الفتح الإسلامي ذا تأثير أساسي ومهم جداً طبع البلاد بالطابع الإسلامي الخاص وأوجد فيها انقلاباً اجتماعياً ودينياً وسياسياً جذرياً لم يسبق له مثيل.

ولقد عمد أبو مسلم شقيق الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عند توليه إمارة الداغستان إلى تقسيمها لعدة مناطق وعين لكل منطقة عاملاً [والي - محافظ] مثلاً :

١ - عامل منطقة قومـوق هـو : شاه سال بن عبد الله.، ٢ - عامل منطقة قايتاق : حمزة ٣ - عامل منطقة تاباسران : محمد معصومي. ، ٤ - عامل منطقة آقوشا وآوار. جعل لها إدارة خاصة.

واسمى عامل منطقة قوموق والياً عاماً للداغستان.

فهذا الشكل من الإدارة دام عصرين من الزمن ، ولكن في القرن العاشر بدأت الحملات الصليبية وتعرضت لها بلاد الشام [سورية] وأدى ذلك إلى إنسحاب الجيش العربي من القفقاس وزوال الحكم العربي.

على أن عناصر الإدارة بقيت في مراكزها ، وانتشر الإسلام ورسخت العقيدة ، كما أن العرب جلبوا معهم شيئاً من الحضارة الشرقية.

ولقد بقي في الداغستان طوائف قليلة من العرب ظلوا محافظين على لغتهم العربية مدة ثم تمثلوا مع مجاوريهم.

وغارات المغول في عهد جنكيزخان ثم التتار وتيمورلنك ، ثم الأعجام ونادرشاه سببت ضياع الإدارة والأمن في البلاد وجلبت عليها الخراب والبلاء ، ونجم عن ذلك قيام إمارات أو خانيات منفصلة عن بعض هي :

١ ـ خانية شامخال ـ مركزها كافرقوموق
٢ ـ خانية قايتاق : مركزها مجالس   على ساحل بحر الخزر .
٣ ـ خانية تاباسران: مركزها سيرتيش
٤ ـ خانية غازي قوموق :مركزها غازي قوموق
٥ ـ خانية آوار : مركزها هونزاق   في الجبال
٦ ـ خانية أقوشا : مركزها آقوشا
٧ ـ خانية دربند : مركزها دربند ـ كانت مرتبطة بدولة شيروان

وهذه الإمارات كانت تخاصم بعضها خاصة لأسباب إقتصادية ، وتبعية دربند لدولة شيروان شاه الإيرانية كانت تسبب لتسلل نفوذها إلى شمال القفقاس ، وكانت هذه أيضاً عاملاً مهماً من عوامل الفوضى وبذر الفتن، ومن أسباب الضعف والتفرقة .

فهذا الوهن السياسي الذي تبدى في البلاد جعلها مطمح أنظار الغزاة ، حتى الروس الذين لم يكونوا قد شكلوا دولتهم بعد ، قد غزوا البلاد عن طريق بحر الخزر عدة غزوات وتعرفوا على ثروات البلاد وطرقها ونقاط الضعف فيها.

وكان أهم نقاط الضعف في الداغستان كون الإمارات عائلية ، وتكالب تلك الأسر على منافعها الشخصية ونفوذهم الذاتي ، مما سبب لإنحلال إجتماعي وإنحطاط أخلاقي بينها ، سرى تأثيره على الأهالي أيضاً وأضعف فيهم الروح المعنوية.

على أن الداغستان كانت قد أصبحت مركزاً لإرتباط شمال القفقاس بالعالم الإسلامي ونشر الديانة الإسلامية فيها ، وقد وجدت فيها مدارس دينية جامعة لتعليم اللغة العربية والفقه والتشريع ، وكتاتيب منتشرة لحفظ القرآن وتعليم مبادىء الدين ، وظهر فيها علماء مجتهدون ومفسرون للقرآن ضليعون باللغة العربية ، وانتشرت فيهاالطرق التعبدية وكانت الطريقة النقشبندية أقواها.

وهذا الحافز الديني كان يشكل الرابطة القوية التي تجمع هذه القبائل تحت لوائها؛ وتوحد صفوفهم في مقاومة الإحتلال الأجنبي والإستعمار الروسي.

وحدة القومية و اللغة في القفقاس .

يقول المؤرخون الغربيون عن القفقاس [بلاد الأمم والجبال]

وذكر المؤرخ اليوناني[سترابون] في القرن الأول للميلاد أن الأناسي الذين يدخلون إلى بلدة دياسكاريوس ، بجوار صخوم الحالية على البحر الأسود ، بقصد البيع والشراء يتكلمون سبعين لغة ولهجة مختلفة.

أما المؤرخ الروماني بلين ، فإنه اعتماداً على كلام[ديموستين] يرفع هذا الرقم إلى الثلاثمائة، ويعقب قائلاً " نحن الرومان نسير معاملاتنا مع الأهالي بإستخدام ١٣٠ ترجماناً ".

والمؤرخ العربي [العزيزي] يسمي قفقاسيا الشرقية التي زارها بجبل الألسن.

ومؤرخو العرب جميعاً يذكرون أنها جبل الألسن ، ولقد تعارفوا أخيراً على تسميتها بجبل القبج وسكانها بالقبجاق ، وقد مر معنا ذكر من هم القبجاق (صفحة ٢٩٧ من المخطوط)

والشاعر المنبجي البحتري يقول في قصيدته السينية المعروفة في وصف ايوان كسرى :

مغلق بابه على جبل القـ ... بق إلى دارتي خلاط ومكس

يشبه ايوان كسرى وكثرة اختلاف لغات الوافدين إليه، بجبل قبق وكثرة اللغات فيه .

وقد ذكر بعض المؤرخين الغربيين انهم وجدوا بعد الدراسة والتدقيق في منقطة الداغستان وحدها [٤٠] لغة ولهجة مختلفة.

وإن أكثر المتحمسين من المؤرخين لإبراز اختلاف اللغات وتعدد القوميات في القفقاس هم المؤرخون الروسيون ، وهم لا يذهبون في ذلك إلى السير على نهج علمي حيادي ، وإنما يتعمدون الدعاية المغرضة والدس وقلب الحقائق بقصد إيقاع التفرقة والفتن بين القفقاسيين على قاعدة [فرق تسد] حتى أنهم يعتبرون كل لهجة من لهجات اللغة الواحدة ، لغة مستقلة لقومية مختلفة ، ويجعلون لها إدارة محلية ويغذونها بأفكار التنافر القبلي والعرقي .

على أن هناك علماء منصفون حياديون شغلوا أنفسهم في دراسة اللغات القفقاسية دراسة علمية بحتة لا يقصدون منها سوى معرفة الحقائق ، ومنهم علماء أعلام من الألمان كانت دراساتهم حيادية تاريخية تهدف إلى نتائج علمية فقط ، وقد بذلوا الجهد والدقة المتناهية في دراساتهم العميقة الواسعة ، فإستطاعوا حل ما غلق على الإفهام.

وأول من قام منهم بتلك الدراسات هما العالمان [تودنستد وباللاس] في العصر الثامن عشر ، وصنفوا اللغات القفقاسية إلى ستة أصناف

١ ـ لغة التتار = تركية

٢ ـ لغة لزكي = داغستانية

٣ ـ لغة كيست = جاجانية

٤ ـ لغة أوست = ايرانية
٥ ـ لغة الجركس = آديكية
٦ ـ لغة الكرج = قارتوالية(قادرجان . شمال قفقاسيا ص ٣٤ ـ ٣٦) . وفي القرن التاسع عشر اجريت دراسات دقيقة ومهمة جداً من قبل العلماء [كالابروث ـ بروس ـ روزه ن ـ شيغنر ـ أوستار ـ فريدريك موللر] وأخيراً وفي عام ١٨٩٢ م نشر العالم [ر.فون أركت] كتاباً قيماً جداً بعنوان [DISPRACHEN des Kaukasichen stammes] .

ويذكر في أواخره ما يلي :

" إن نتيجة دراساتنا التي أجريناها بكل دقة وثبات ؛ هي ؛ إن جميع اللغات " متفرعة عن أصل واحد بعينه ؛ وأساساتها تعود إلى لغة واحدة هي اللغة الأم".

ـ وفيما بعد ، أي في القرن العشرين ذهب العالم [أدولف ديرر] إلى القفقاس وعاش فيها سنين عديدة ، وقد أجرى دراساته بصورة خاصة في شرقي القفاس ، وهو يقسم اللغات القفقاسية بشكل علمي إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ اللغة القارتوالية ـ وهي لغة الإيريين أي الكرج.
٢ ـ اللغة الآديكية ـ وهي لغة الأباظة والأوبيخ والجركس [آديكة]
٣ ـ لغة الجاجان والداغستان ـ وهم أصل المنطقة الشرقية.

ويقول أن هذه اللغات الثلاث مشتقة من أصل واحد ، أو انها شعب ثلاث متفرعة من أصل واحد ، بحيث أنه من غير الممكن قطعاً اعتبارها لغات مختلفة لقوميات مختلفة .

أما عالم اللغات الشهير الكرجي [نيقولامار] فهو يجمع أكبر قسم من اللغات القفاسية تحت اسم [اللغات اليافثية] ثم يفرقها إلى أربع شعب هي :

١ ـ لغة اللزكي
٢ ـ لغة الججن.
٣ ـ لغة آباظة وآديكة
٤ ـ لغة قارتوه ل.

ولو قسمت اللغات القفقاسية الشمالية إلى صنفين ، شرقية وغربية ، لكان الصنف الشرقي يحتوي لغات الجاجان والداغستان ، و الصنف الغربي لغة الآديكة والأباظة.

الصنف الأول ـ تتكلم به قبائل [لزكي ـ جاجان ـ اينكوش]

ـ الصنف الثاني ـ تتكلم به قبائل الآديكة والأبخاز. (والأديبخ) .

ولا يدخل في هذين الصنفين لغات جنوب القفقاس.

كما لا يدخل في تصنيف اللغات القفقاسية الأصلية المذكورة لغات القبائل الطورانية من

المغول والتتار والأتراك.

وقد مر معنا في بحث [الآوار = آندلال] صفحة ٢٩٩ أن العالم [بدلر] استنتج بعد دراسة عميقة أن لغة قبيلة أندلال المعروفة بالآوار لا تمت بصلة إلى اللغات القفقاسية القديمة.

لذلك وجب ضم هذه القبيلة أيضاً إلى المتكلمين بلغات الصنف الأول من الشرقيين .

أما المؤرخ العالم [بدلر] ، فبعد أن يذكر أن العالم فريدريك موللر قد قسم اللغات القفقاسية إلى ثلاثة أصناف يقول :

" إن هذه الأصناف الثلاثة تعود إلى أصل واحد ، ولكن الإنكماش بين الجبال " وعدم الإختلاط ، لعدم وجود وحدة سياسية ، مئات وربما آلاف السنين " " أثر عليها بمرور الزمان فأصابها التغيير والتبديل، كما حدث في اللغات " " السامية والحامية"

ولنلاحظ هنا أن التكلم باللغات القفقاسية وخاصة الجركسية والتلفظ بكلماتها يصعب كثيراً على غيرهم ولا يكادون ينطقون بها على وجه الدقة ، لذلك فإن الجراكسة يسمون ما سواهم [بزه ميؤ] معناها [لسان يعجز عن النطق جيداً] ، لأنه لا يستطيع النطق بمخارج الحروف بالدقة المطلوبة.

ومهما أجاد الغريب عنهم معرفة اللغة الجركسية وتكلم بها ، فإنه يعرف حالاً من قبلهم بلكنته في نطق بعض الحروف ؛ إلا إذا كان قد نشأ بينهم منذ صغره .

وأقوال العلماء المار الذكر تثبت لنا أن سكان القفقاس القدماء متحدين في الأصل وبينهم وحدة في النسب ، وحدة في اللغة ، وحدة في الوطن ، وحدة في التاريخ ووحدة في القومية والآمال القومية والوطنية ووحدة في الدين والمصير .

وأن الأقليات الأخرى التي لجأت إلى القفقاس وجدت فيها الأمان والإطمئنان وتلاءمت مع الجركس ولم تجد منهم العدواة فعاشت في رخاء وسلام.

وإن عناصر المغول والأتراك الذين أذاقوا الجراكسة شر البلايا والمحن ، عندما نكبوا بالطغيان والظلم الروسي ولجأوا إلى بلاد الجركس وجدوا عندهم العطف والصداقة والحماية فعاشوا معهم آمنين يتعاونون على رد العدوان الروسي كأنهم شعب واحد ، وإن إخوة الدين والمصير قد جعلت منهم كتلة متماسكة واجتمع شملهم في هذا الوطن المعطاء الجميل .

★ ★ ★

فهرس

صادرات دار علاء الدين

١ ـ صناعة العقود الخرزية

........................هيلينا هورنتغ

٢ ـ أعشاب الشفاء

.... د. ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٣

٣ ـ أسرار الكون

.... عدة علماء ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٤ ـ أطلس العمليات الجراحية

.... فائز طريفي ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥ ـ حدائق النوافذ

.... جون براغن

٦ ـ طبيب نباتات الزينة

.... حازل ايفاس والكان عوم

٧ ـ تقليم وتربية أشجار الفاكهة

...... طه الشيخ حسن ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٨ ـ هرمونات النمو الزراعية

.... نزار كاخي ـ دمشق ـ ١٩٩

٩ ـ دليل الحامل

.... دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٣

١٠ ـ دليل مريض السكر

.... دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٠

١١ ـ البيوت الزراعية

.... لان ولز

١٢ ـ جراحة القلب

... د. كمال عامر ـ د. اسماعيل الخطيب

١٣ ـ الطريق إلى الصحة

.... زويا ميخانيلنكو ـ دمشق ـ ١٩٩٠

١٤ ـ الطب الشعبي ومجالاته

...... جارويس فيرمونت ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٥ ـ علاج الأمراض الجلدية بالأعشاب

.... داتسكوفسكي ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٦ ـ فوائد عصير الخضار والفواكه

.... نورمان وكمر ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٧ ـ الأجسام الطبيعية

.... كيتا بجوردوسكي

١٨ ـ القوة العصبية

.... بول بريغ ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٩ ـ كيف تقوي بصرك

...........ايلا فلاديمير ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٢٠ ـ كيف تكونين جميلة

.... زويا ميخانيلنكو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢١ ـ العناية الخاصة بالمرضى

.... م. ميليتش

٢٢ ـ المساج النقطي

........زويا ميخانيلكنو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢٣ ـ مشاريع الإنتاج الحيواني

........د. سلامة شقير ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢٤ ـ موسوعة الطيور

.... مجموعة باحثين ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٢٥ ـ المأكولات الشهية للشعوب الشرقية

.... ميلنسيك ـ ١٩٩٣

٢٦ ـ تطعيم أشجار الفاكهة وإكثارها

...... طه الشيخ حسن ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٢٧ - الحدث التوارتي

.... فراس السواح - دمشق - ١٩٩٣

٢٨ - ذكراه في القلب

.................آنا غاغارين - ترجمة

..............محمد بدرخان - دمشق - ١٩٩٠

٢٩ - دين الإنسان

.... فراس السواح - دمشق - ١٩٩٤

٣٠ - رموز مقدسة

...............نيقولاي ريريخ - ترجمة

.......د. ماجد علاء الدين دمشق - ١٩٩٣

٣١ - آرام دمشق واسرائيل

.... فراس السواح - دمشق ١٩٩٥

٣٢ - لغز عشتار

.... فراس السواح - دمشق - ١٩٩٣

٣٣ - مغامرة العقل الأولى

.... فراس السواح - دمشق - ١٩٩٣

٣٤ - ملحمة الزمن

.... اناتولي سافروفوف - ترجمة د.

.........ماجد علاء الدين - دمشق - ١٩٩٢

٣٥ - برتراند رسل

.... سمير عبده - دمشق - ١٩٩٣

٣٦ - بدايات الحضارة

...... عبد الحكيم الذنون - دمشق - ١٩٩٣

٣٧ - البلدان النامية والعلاقات الإقتصادية

...........إ. س. بورتيانكوف - ترجمة

......د. ماجد علاء الدين - دمشق - ١٩٨٤

٣٨ - تاريخ القانون في العراق

...... عبد الحكيم الذنون - دمشق - ١٩٩٣

٣٩ - التحليل النفسي للأقوال المأثورة

.... سمير عبده

.......................- دمشق - ١٩٩٣

٤٠ - تحضير الكيك والكاتو

مرغريت باتن - ترجمة فاتن عمران - دمشق - ١٩٩٣

٤١ - جلجامش

.... فراس السواح - دمشق - ١٩٩١

٤٢ - الجنس في العالم القديم

بول فرشياور ترجمة فائق دحدوح - دمشق - ١٩٩٣

٤٣ - الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق

..... د. عدنان ابو فخر - دمشق - ١٩٨٤

٤٤ - صفحات من تاريخ فن الرقص في العالم

.... فائق شعبان - دمشق - ١٩٩٢

٤٥ - طقوس الجنس المقدس

...... ترجمة نهاد خياطة - دمشق - ١٩٩٢

٤٦ - العرافة وسوسة أم ..؟

ترجمة د. ماجد علاء الدين - دمشق - ١٩٩٢

٤٧ - مدخل إلى علم تصنيف المكتبات

.... برجس عزام - دمشق - ١٩٨٦

٤٨ - المأكولات الشهية للشعوب الشرقية

..... ف. م. ميلينيك - ترجمة سميح شيا

.... دمشق - ١٩٩٢

٤٩ ـ نحن والأبراج

... ترجمة دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٠ ـ نظرية الدولة في الفكر العربي

.... محمد علي جمعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥١ ـ شريعة حمورابي

مجموعة من المؤلفين ـ ترجمة اسامة سراس

.........ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٥٢ ـ الديانة الفرعونية

واليس بدج ـ ترجمة نهاد خياطة ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٥٣ ـ أزمة العالم

فيدل كاسترو ـ ترجمة نصر الشمالي ـ دمشق

ـ.......................... ١٩٨٩

٥٤ ـ الأخوة كينيدي

.... غروميكو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٥ ـ البيت الأبيض وأسرار المخابرات الأمريكية .

..... ك. ف. بتروسينكو ـ دمشق ـ ١٩٩١

٥٦ ـ مذكرات عن الإنقلاب العسكري

... ميخائيل غورباتشوف ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٧ ـ الاساطير والحقائق عن عائلة ستالين

...... ترجمة سميح شيا ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥٨ ـ ملحمة الرجال

..... احمد فرحات الناصر ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥٩ ـ أسرار المدافن المصرية

.... اجاثا كريستي ـ ترجمة

.............مازن نفاع ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٦٠ ـ الشركس في فجر التاريخ

.... برزج سمكوغ ـ دمشق ١٩٩٥

٦١ ـ سيد درويش

.... احمد بوبس ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٦٢ ـ الزيتون

..... م . طه الشيخ حسن ـ دمشق ١٩٩٥

٦٣ ـ الوقواق والديك

...............ترجمة د. ماجد علاء الدين

.......................ـ دمشق ـ ١٩٨٥

٦٤ ـ الوقت الضائع

ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمسق ـ ١٩٩٢

٦٥ ـ قصص قصيرة

ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٦ ـ حكاية العملاق العجيب ـ جونغ

... ترجمة ريما علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٧ ـ قفزة

. ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٨ ـ الذئب والثعلب

.... ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ

......................دمشق ـ ١٩٨٥

٦٩ ـ المرآة والقرد

ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٨٥

٧٠ ـ اللؤلؤة النادرة

..... ترجمة اكرم ابو راس ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٧١ ـ حلوى الأطفال

..... ترجمة فاتن عمران ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٧٢ ـ تيمور وفريقه ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٨٤

٧٣ ـ مغامرات بوراتينو

. ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩١٩٨٥

٧٤ ـ صفحات مجهولة من حياة تولستوي

.... ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ

.........محمد بدرخان ـ دمشق ـ ١٩٨٦

٧٥ ـ من روائع الشعر الفرنسي

..... ترجمة سعد صائب ـ دمشق ١٩٩٥ .

٧٦ ـ لوركا

..... ترجمة سعد صائب ـ دمشق ١٩٩٥

٧٧ ـ عندما تغيب الأم

.... رجاء ارناؤوط ـ دمشق ١٩٩٥

٧٨ ـ المناضل الشجاع

...... رجء ارناؤوط ـ دمشق ١٩٩٥

٧٩ ـ الزهرات الشقيقات

.... باسمة الرهونجي ـ دمشق ١٩٩٥

٨٠ ـ سلسلة دانا

..... ناهدة الرهونجي ـ دمشق ١٩٩٥

٨١ ـ تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة

...... اسماعيل اللحم ـ دمشق ١٩٩٥

كتب توزعها الدار

* المجاهد سعيد العاص

.... احمد يوسف داود ـ دمشق ـ١٩٩٠

* الميراث العظيم

...... احمد يوسف داود ـ دمشق ـ ١٩٩٠

* النظام المرابي العالمي

.... مجموعة من الباحثين ـ دمشق ـ ١٩٧٢

* الصليبيون في الشرق

...... ميخائيل زابوروف ـ دمشق ـ ١٩٨٧

* إرهابيو الموساد

..... فلاديمير ميخائيلوف ـ دمشق ـ ١٩٨٩

* الأثنوس والتاريخ

... ترجمة اسعد الفارسّ ـ دمشق ـ ١٩٨٨

* المصير العربي

.... خليل الجهمان ـدمشق ـ ١٩٩٣

* موضوعات للذاكرة العربية

.... نصر الشمالي ـ دمشق ـ ١٩٩٤

* الإنفجار

.... رافي باترا ـ دمشق ـ ١٩٩٠

* الاتحاد السوفييتي

..... فلاديمير بوكوفسكي ـ دمشق ـ ١٩٩٣

* حكي بردانين

.... جمال عبود ـ دمشق ـ ١٩٩٤

* تشريح السلطة

. جون كينيت جالبريث ـ دمشق ـ ١٩٩٣

* نظام التضليل العالمي

ترجمة غازي ابو عقل ـ دمشق ـ ١٩٩٤

* جراحة القلب

.. د. كمال عامر ـ د. اسماعيل الخطيب ـ دمشق ـ ١٩٩٤

* رحلة المخاطر

..... غابريل غارسيا ماركيز

* دعوة إلى الرقص

.... اميمة الخش

* زهرة اللوتس

.... اميمة الخش

* قصة الذهب

.... يوسف البجيرمي

* رمز الراعي

.... إلزا زابيرت

* نساء على دروب تدمر

.... د. عدنان البني

* أحزان في ربيع البرتقال

....................وليد ابوبكر

* الكلب الأبلق الراكض

.... جنكيز إيتماتوف

* الأيام التالية

.... نصر الشمالي

* الكتابة على الماء

.... عبد اللطيف نداف

* قالت إيمان

.... وائل السواح

* المراهق 1 - 2

....................دوستويفسكي

* بطل من هذا الزمان

.... ليرمنتوف

* دوبروفسكي

.... بوشكين

* مؤلفات تشيخوف

....................انطون تشيخوف

* إيفان تورغينيف 5 - 4 - 3

.... ت . د. ابو بكر يوسف

* المفتش العام

.... نيقولاي غوغول

* مكسيم غوركي 6 - 1

.... ت. سهيل ايوب

* أبو العتاهية

.... ابو الوفاء العرضي

* معادن الذهب

.... ابو الوفاء العرضي

* المعيار في أوزان الشعر

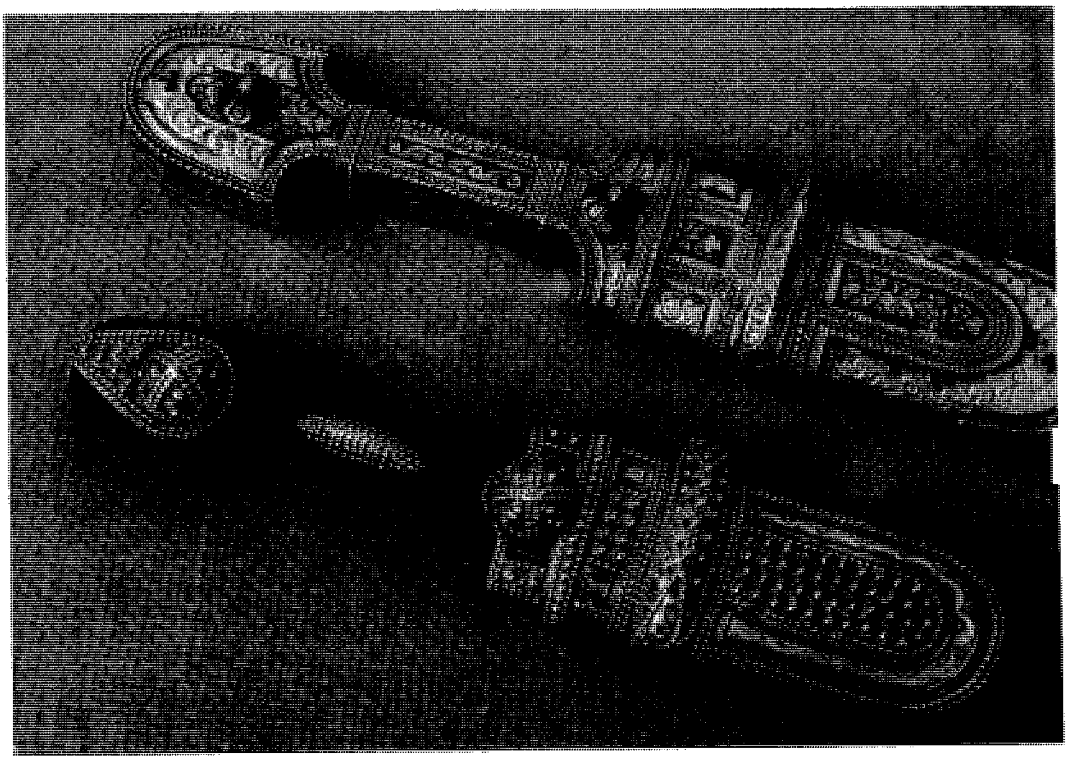
.... ابي بكر الأندلسي

* ساحرة الصحراء

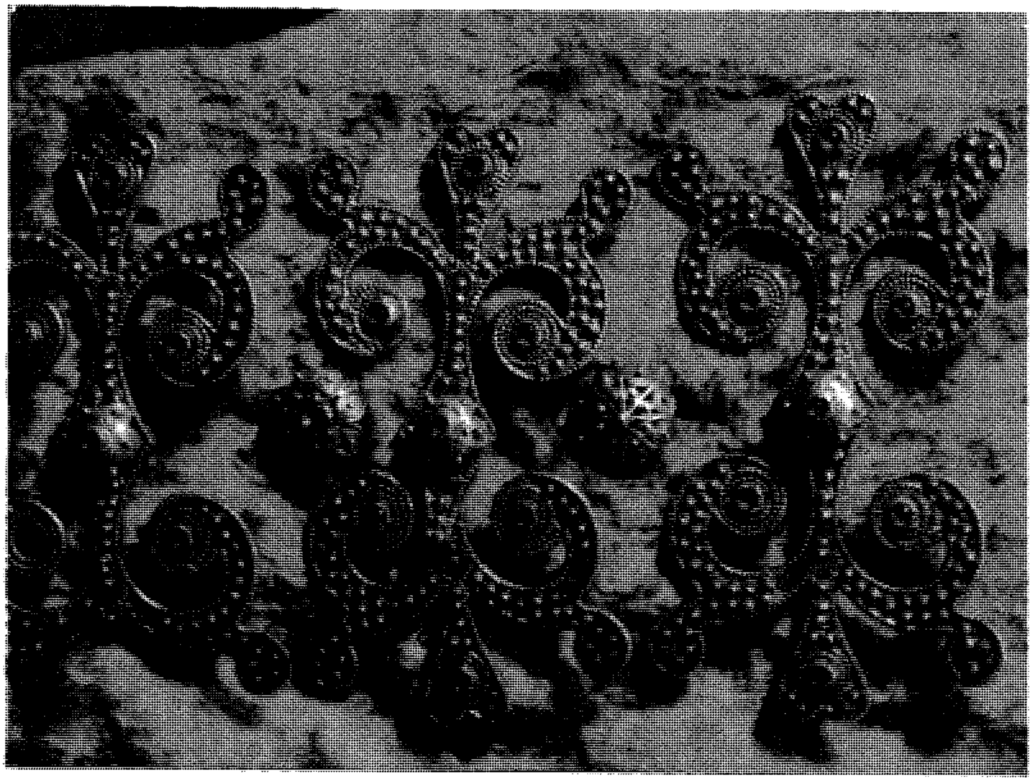
.... بول هنري بوردو



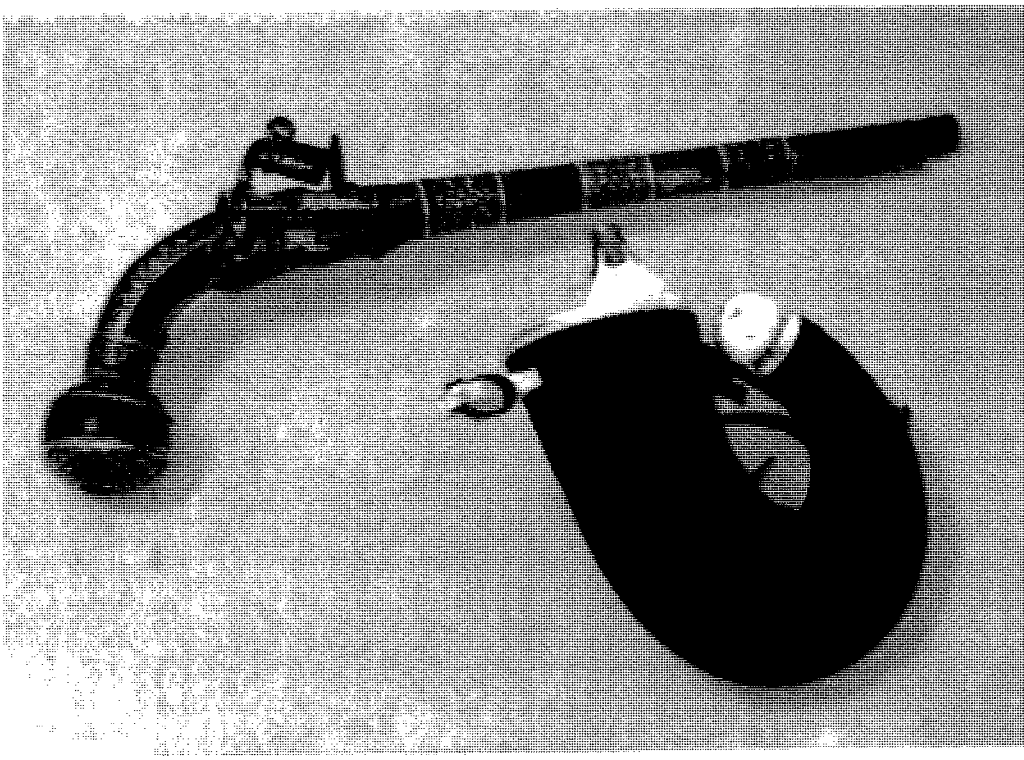
أسلحة من القرن التاسع عشر من الفضة والخشب . مذهبة . عظم معدن متحف جمهورية كبردا



الخناجر (القاما) الشركسية ـ معدل ، جلد ، عظم ، فضة ، خليطة خاصة لرسوم بداية القرن العشرين ـ متحف جمهورية كبردا



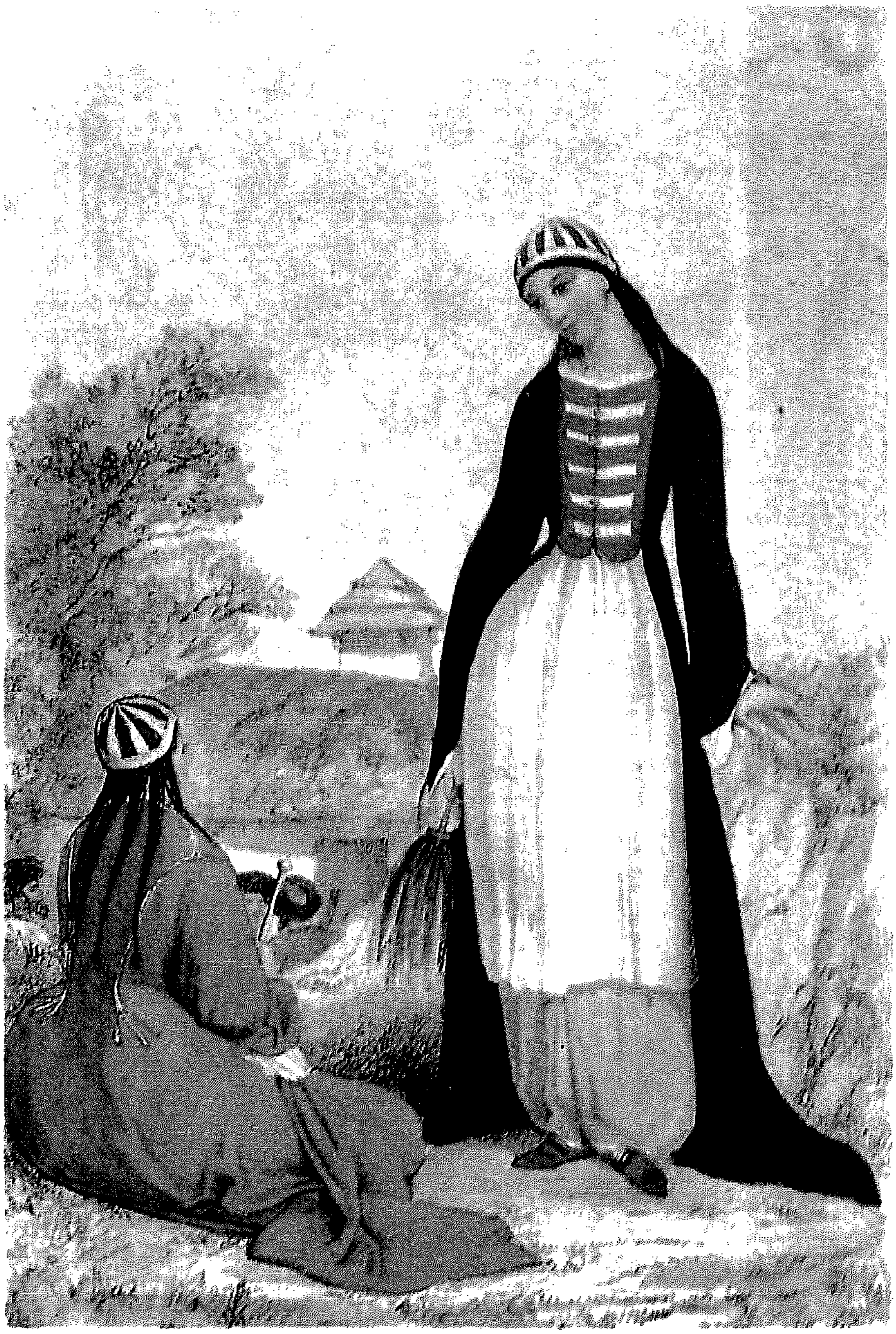
تزيين صدري للباس قوطي نسائي (شركسي) من القطيفة . فضة القرن التاسع عشر أحجار كريمة
متحف جمهورية كبردا .



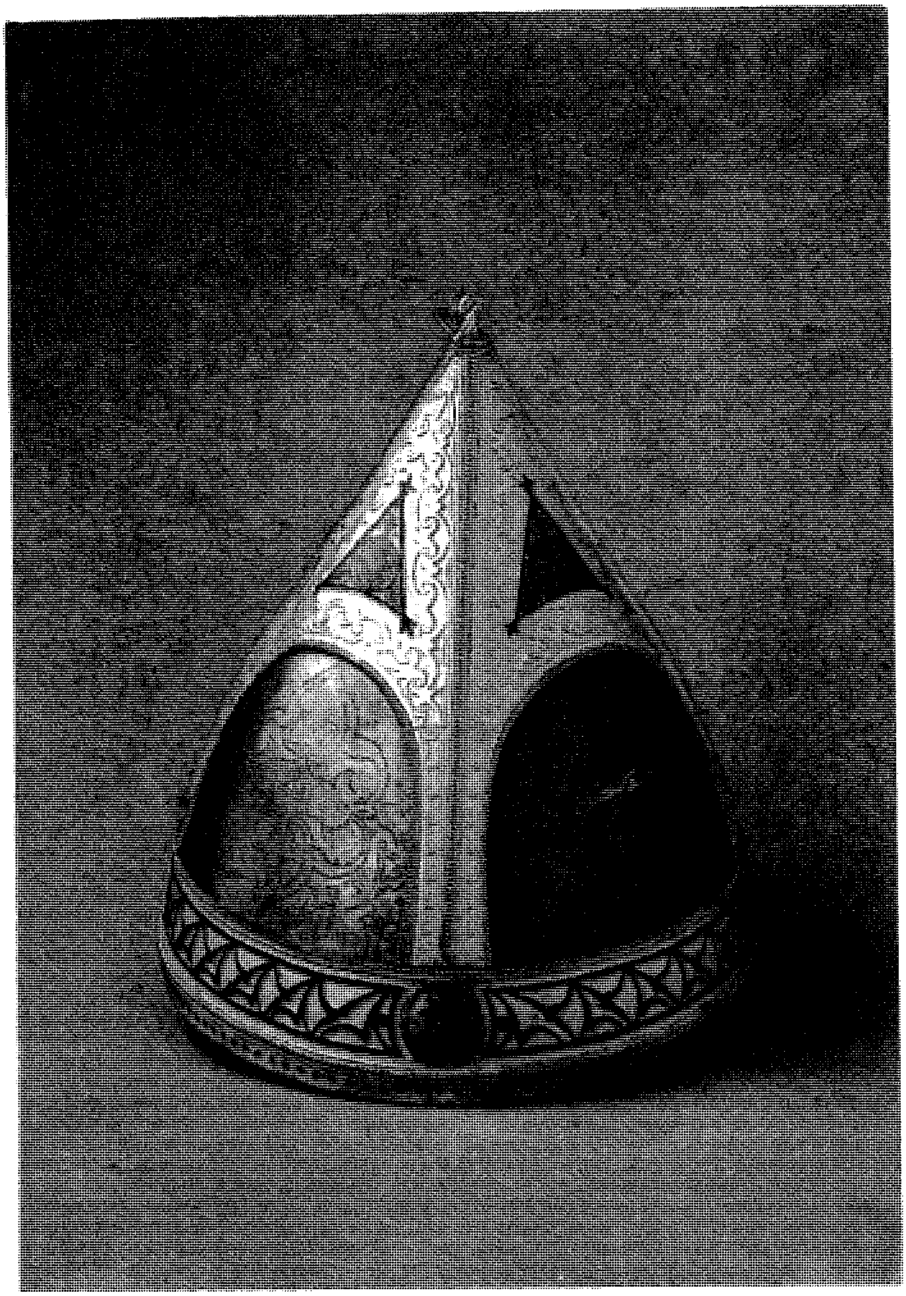
مسدس ــ من الفضة ، مذهب ، تحف جمهورية كبردا ذخيرة البارود .
من العظم والمعدن والجلد . القرن التاسع عشر



أزياء المحاربين الشراكسة في القرن التاسع عشر



الزي النسائي الشركسي في مطلع القرن التاسع عشر



خوذة من الفضة والفولاذ مذهبة مزخرفة ملونة بخليطة خاصة . القرن ١٦ ــ ١٧ متحف جمهورية كبردا .



رؤساء قبائل شركسيّة من مَطلع القرن التاسع عَشر